٣

الدكتور غسّان حمدون

كتاب الله في إعجازه يتجلى

وردود على

أحدث الغارات المستهدفة إعجاز القرآن وحفظه

في دراسات علمية مقارنة تثبت إعجاز القرآن التاريخي

والبياني والتأثيري والعقدي



بسم الله الرحمن الرحيم

٣

السلسلة الإسلامية
العلمية المقارنة

الدكتور / غسان حمدون
دكتور في التفسير وعلوم القرآن
إجازة في القراءات

كتاب الله في إعجازه يتجلى

ورد ود على
أحدث الغارات المستهدفة إعجاز القرآن وحفظه
في دراسات علمية مقارنة تثبت إعجاز القرآن التاريخي
والبياني والتأثيري والعقدي

السلسلة
الإسلامية
العلمية
المقارنة
٣

الدكتور غسّان حمدون

كتاب الله في إعجازه يتجلى

وردود على
أحدث الغارات المستهدفة إعجاز القرآن وحفظه

في دراسات علمية مقارنة تثبت إعجاز القرآن التاريخي والبياني والتأثيري والعقدي

راجع الكتاب عدد من العلماء

إهـــداء ودعـــاء

إلى من تسبق بسماتها بسمتي ودمعاتها دمعتي......

إلى من فاضت روحها وحيدة في غربتها في الله ﴿.. فقد وقع أجره على الله﴾.

إلى من علمتني حب القرآن وتعظيمه والاستبسال في الدفاع عنه.......

إلى من ألهمني وجهها ركوب الصعاب إلى الخير ....

إلى من أوصتني بالابتسام في مواجهة المحن والشدائد ....

إلى أحب نساء هذا العالم إلى قلبي ....

إلى من ربت إخوتي «ماجد ومسعف ونصر وبدر» على الوفاء والإباء ..

إلى من فجعت بوفاتها مع كوكبة من العلماء العاملين في هذا العام ..

إليك يا أماه ﴿أم غسان﴾ فائقة عبد القادر السمان

أقدم أجري المرجو عند الله الكريم الرحيم في هذا الكتاب

وأدعو الله تعالى أن يجمعني بها مع الذين أنعم الله عليهم في الفردوس الأعلى ﴿وحسن أولئك رفيقاً﴾.

ابنك البار غسان

شكر ودعاء

أشكر الدكاترة والشيوخ والأساتذة الذين راجعوا هذا الكتاب في صنعاء وقدموا ملاحظاتهم القيمة، وهم الدكتور/ عبد اللطيف هايل المتخصص في التفسير وعلوم القرآن الذي راجع معجزة حفظ القرآن كاملة مع الرد على توبي لستر الأمريكي فيها، والدكتور/ عبد الحق القاضي المتخصص في التفسير وعلوم القرآن الذي راجع المقارنات بين مخطوطات مصاحف صنعاء القديمة والمصاحف الحالية والرد على توبي لستر الأمريكي في ذلك، والدكتور/عبد الكريم العبيدي المتخصص في علم اللغة الذي راجع الإعجاز البياني وعدة فصول من الردود اللغوية في الباب الثالث.

وقد راجع الكتاب كاملاً كل من الشيخ المقرئ/ فايز عبد القادر شيخ الزور المتخصص في الأدب العربي والقراءات، والأستاذ/ نصر حمدون المتخصص في الأدب العربي، والأستاذ/ أحمد فاضل غندور المتخصص في علوم القرآن، وأدعو الله الكريم أن يجزيهم جزاء العلماء العاملين المخلصين، ويسعدهم في الدنيا والآخرة.

اللهم آمين.

د/ غسان

شكر

أشكر مفتي الجمهورية اليمنية العلامة الشيخ / محمد أحمد الجرافي الذي طلب مني بيان معجزة حفظ القرآن والرد على توبي لستر الأمريكي في موضوع مصاحف صنعاء القديمة وأشكر الرئيس السابق للهيئة العامة للآثار والمخطوطات في صنعاء القاضي/ إسماعيل بن علي الأكوع الذي طلب مني الرد على توبي لستر الأمريكي في تأليف هذا الكتاب وقدم له وثائق مهمة للرد ، وأشكر رئيس جامعة العلوم والتكنولوجيا في صنعاء الأستاذ الدكتور/ داود عبد الملك الحدابي الذي طلب مني الرد على كل الشبهات التي أثارها توبي لستر الأمريكي حول القرآن الكريم في إعجازه وحفظه .

كما أشكر عميد المعهد العالي للتوجيه والإرشاد الأستاذ/محمد حسن المعمري ورئيس الهيئة العامة للآثار والمخطوطات في صنعاء (الحالي) د/ يوسف محمد عبد الله لتوجيههما بالتصوير من مصاحف صنعاء من دار المخطوطات ، كما أشكر مدير عام دار المخطوطات في صنعاء الأستاذ/عبد الملك المقحفي لما قدم لتصوير المخطوطات القديمة من مصاحف صنعاء ولطلبه مني الرد على توبي لستر في موضوع مصاحف صنعاء لأنها شاهدة على حفظ القرآن الكريم.

د/ غسان

دعـــــاء

اللهم اجزِ عني خير الجزاء شيوخي وأحبتي الأفاضل الذين علموني القرآن، وأخص منهم العلامة المجاهد الشيخ / محمد الحامد -رحمه الله تعالى-، والعلامة الشيخ / وهبي سليمان الغاوجي الألباني ثم الدمشقي، والدكتور/عبد الله ناصح علوان -رحمه الله تعالى-، والشيخ / عبد الحميد الأحدب الذين أخذت عنهم تفسير القرآن وعلومه، والمقرئ الشيخ/سعيد عبد الله، والمقرئ الشيخ / فايز عبد القادر شيخ الزور، والمقرئ الشيخ/محمد حسين عامر اليماني -رحمه الله تعالى-، الذين أخذت عنهم علم تجويد القرآن وقراءاته، والعلامة الشيخ / محمد أحمد الجرافي اليماني الذي أخذت عنه دقائق في إعراب القرآن الكريم، والأستاذ/يوسف ذنون (الموصلي) الذي أخذت عنه علم دراسات المخطوطات القرآنية القديمة.

وأدعو الله تعالى أن يجمعني بهم في الفردوس الأعلى وحسن أولئك رفيقاً اللهم آمين.

تلميذهم ومحبهم : غسان

المقدمة

الحياة مع نسائم إعجاز القرآن نعمة مباركة لا يعرفها إلا من تنسّمها وعاش في رحابها .. نعمة هادية توصل الإنسان إلى منهج الله الذي أمر به البشرية لتحيا بسعادة في عالمي الدنيا والآخرة .. نعمة دقيقة سامية فيها الدليل على أن القرآن من عند الله العليم الخبير الحكيم.. نعمة ممتنعة عمن طرح العقل والرحمة جانباً وأراد إفساد البشرية وضلالها وشقاءها والإضرار بها .. نعمة تدعو الإنسان إلى البعد عن شقاء وظلم الجاهليات الحديثة في ازدرائها لحقوق الإنسان وحرمانه من تقرير مصيره.. نعمة تدل على التناسق الجميل والانسجام المحكم بين حياة الإنسان في منهج الله تعالى وصنع الكون والحياة والإنسان.. نعمة تدل على أن لا مكان في هذا الوجود للمصادفة العمياء ولا للفلتة العارضة فآثار الوحدانية والحكمة والرحمة والكرم والهداية.. تدل على الله الواحد الحكيم الرحيم الكريم الهادي ..

إن إعجاز القرآن هو السبيل إلى المرتكز الإيماني الذي ينطلق على أساسه من آمن بالقرآن لامتثال أوامر الله تعالى في منهجه القرآني ..

لذلك كان علم إعجاز القرآن من أهم العلوم التي ينبغي على المسلم أن يقدمها للبشرية حتى لا تتيه عن طريق الخير ولتتخلص من الشر ..

تنوع إعجاز القرآن :

إن من نعم الله في هذا القرآن تنوع إعجازه بحيث يستطيع كل إنسان أن يستوعب بعض نواحيه لكي يؤمن بأن القرآن كتاب الله جل جلاله المنزل على رسوله محمد ﷺ..

فإعجاز القرآن البياني والعلمي والتأثيري والتاريخي والعقدي كلها أنواع لا يمكن للإنسان المنصف إلا أن يستوعبها كلها أو بعضها وذلك يساعد على عالمية دعوة القرآن والإسلام فقد قال الله تعالى مخاطباً رسوله محمداً ﷺ: ((قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً))[1] ، فكان تنوع إعجاز القرآن

---

[1] – الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

من رحمة الله حمّلها رسوله محمداً ﷺ لكي يؤمن الناس بالقرآن كتاب الله ، قال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين))[١] والحق أن العقل البشري له انسجاماته وتفتحاته واختصاصاته لذلك فقد يستوعب نوعاً من أنواع الإعجاز القرآني دون أن يستوعب نوعاً آخر ، فتنوع الإعجاز كان خيراً على الإنسان ورحمة وهداية له .

لقد كان أهم أنواع إعجاز القرآن عند العرب هو إعجاز القرآن البياني نظراً لما تمتع به العرب من إدراك للغة العربية وسمو في فهم وصناعة الأدب العربي على مدى قرون عديدة لذلك انطلق العرب أولاً ومن آمن معهم من الشعوب لتحطيم جاهليات عصرهم الظالمة ، فكان أن أسسوا أكبر دولة في تاريخ العالم القديم والحديث ، يسودها أهل القرآن بمبادئهم السامية وبتسامحهم الديني وباتباع منهج الله تعالى إلى البشرية ، لكي يعيش العالم ضمن ما يكفل حقوق الإنسان وما يحيط به.

أما في عصرنا فقد برز إعجاز القرآن العلمي الذي يدل على أن الله تعالى أعطى البشرية من المعلومات في القرآن عند نزوله ما لم يتهيؤوا بوسائلهم وعلومهم لمعرفته وإبداعه ، فجاء علم العصر الحديث شاهداً على صدق ما أعلم القرآن قبل ما يزيد على أربعة عشر قرناً[٢].

كما برز في عصرنا إعجاز القرآن في العقيدة الإلهية ((في أسماء الله الحسنى وصفاته)) التي عرضها القرآن وذلك بانسجام النظرة الحرة التأملية العلمية الحديثة إلى الكون والحياة والإنسان مع عقيدة القرآن ، وما بينه القرآن في أدلته في ذلك ينسجم أيضاً مع علوم العصر الحديث ، فآثار الوحدانية تدل على الله الواحد في القرآن والعلم الحديث وكذلك آثار الوحدانية والحكمة والرحمة والكرم.. كلها تدل على الله الواحد الحكيم الرحيم الكريم .. في القرآن والعلم الحديث ، فأساس العقيدة الإلهية القرآنية علمي متين لانسجام دقائق معطيات العلم الحديث في هذا مع القرآن ، وإذا كان الإعجاز هو الفوت والسبق فقد سبق القرآن في هذا العقائد كلها منذ نزل وحتى عصرنا الحديث،

---

١ – الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

٢ – عرضنا /ثلاثة عشر/ إعجازاً علمياً للقرآن في الكتاب الأول الصادر من هذه السلسلة وهو ((إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى)) وسنزيد على ذلك في الكتاب الثاني من هذه السلسلة إن شاء الله تعالى .

وعجزت العقائد الأخرى عن اللحاق به ، لذلك أجرم بحق القرآن من قال: إنه وعقيدته تم اقتباسهما من العقائد والأديان الأخرى.

وفي عصرنا وعبر العصور جاء إعجاز القرآن التأثيري في الأفـــراد والجماعات والأقوام ليدفع البشرية بتسامح إلى منـــهج الله جــل جلالـــه دون تفريق على أساس اللون أو العرق أو اللغة أو القارة أو أيّ أرض .

وفي عصرنا وعبر العصور جاء القرآن الكريم بإعجـــازه التـــاريخي ليبين نواحي انطمست في التاريخ القديم وأيدتها الاكتشافات الحديثـــة كنجـــاة جسد فرعون بعد غرقه ، وطوفان نوح ــ عليه السلام ــ كما سنرى ، ممـــا يدل على أن القرآن من عند الله العليم جل جلاله..

كما جاء القرآن بإعجازه التاريخي بإخباره عن مغيبات مستقبلية غـــير متوقعة في التفكير البشري وكانت كما أخبر.. وذلك كانتصار المسلمين بعـــد محنتهم في مكة وحفظ القرآن الكريم على مر التاريخ.

إعجاز القرآن بين الأصالة والمعاصرة :

إن إعجاز القرآن بأنواعه هو تفتح علمي لعقل المسلم المعاصر مع التزام هذا التفتح بكتاب الله إلى البشرية حتى لا تضل عن منهج الله الخالق العليم .

فالإعجاز في أسماء الله الحسنى في العقيدة الإلهية القرآنية يدفع المطلع عليه إلى أعلى أنواع تفتح العقل العلمي ، سواء بالنظر مباشرة فيما حولنا في الكتاب المفتوح وهو الكون والحياة والإنسان أم من خـــلال النظـــر بالكتـــاب المكتوب وهو القرآن الكريم.

والإعجاز العلمي يكشف عن دقائق علمية سواء عن الكون أم البحـــار أم جسم الإنسان .. مما يزيد ثقافتنا العلمية بصورة نافعة تؤدي إلـــى إيمـــان بالقرآن مبني على أسس علمية متينة .

وإعجاز القرآن التاريخي يدفعنا إلى تأملات تاريخية دقيقة فيما كـــان قبل بزوغ فجر الإسلام سواء عن الفراعنة أم عن طوفان نوح عليه السلام أم غير ذلك ، وبعد سطوع شمس الإسلام بإخبار القرآن عن مغيبـــات تحققـــت كإخباره بغلبة المسلمين وهم في أعلى درجات الاضطهاد والتعذيب من عبّـــاد الأوثان في مكة المكرمة ، إلى غير ذلك من أمور تاريخية تجعل المسلم يدرك سنن الله تعالى في التاريخ وذلك على أسس علمية حقة .

وإعجاز القرآن البياني فيه الاطلاع على أعلى درجات الأدب العربي في الفصاحة والبلاغة والنظم والأسلوب مما ينهض بالأدب العربي الحديث ، بل وينهض أيضاً بالأدب العالمي في التصوير الفني بأسلوب القرآن الكريم.

وإعجاز القرآن التأثيري فيه الدافع للفرد والأمة إلى إنزال حقوق الإنسان وتقرير مصيره إلى أرض الواقع بالامتثال بمنهج الله تعالى ، ولايكون الادعاء بهذا حبراً على ورق كما في مقررات دولية معاصرة كثيرة اندفعت دولها إلى هضم حقوق الإنسان وتضييع مصيره، فالقرآن بتأثيره العالي وخاصة من الناحية العقدية يدفع الفرد والأقوام إلى تقديم الرخيص والنفيس في سبيل الله لامتثال منهجه ، وهذا ما نشاهده في شباب القرآن ومعاناتهم ومصابرتهم في هذا الطريق في العصر الحديث. والقرآن في إعجازه التأثيري في الفرد والجماعات لا يفرق بين فرد وفرد وقوم وقوم وقارة وقارة وإقليم وإقليم .. لأن دعوة القرآن ليست شخصية ولا عنصرية ولاقارية ولا إقليمية .. إنما تسمو على كل هذا التقهقر اللاإنساني، لذلك برز تأثير القرآن بأمم عديدة سواء كانت عربية أم كردية أم بربرية أم هندية أم سندية أم فارسية أم تركية أم أندنوسية أم ماليزية أم ققفاسية أم بلوشية أم شيشانية أم شركسية أم ألبانية أم غير ذلك ، وآخى الإسلام بين هذه الأمم وأنشأ أكبر دولة في تاريخ العالم ، ذلك لأن دعوة القرآن عالمية في تأثيرها ومبادئها ومحتواها ، وهكذا نشاهد أن إعجاز القرآن الكريم فيه الأصالة بالدلالة على أن القرآن كتاب الله ، كما فيه المعاصرة بإرشاد البشرية إلى المسار العلمي العملي الصحيح المفيد للبشرية في العصر الحديث .

غارات على إعجاز القرآن لا بد من الرد عليها :

العلاقات بين الغرب والشرق قديمة متنوعة أدت إلى أن درس كثير من الغربيين القرآن والإسلام ، وكان ذلك بدوافع متنوعة استطلاعية علمية واقتصادية وتجارية ودينية واستعمارية بل وتسلطية ، ومن خلال هذه الدوافع المتنوعة تأثر كثير من المفكرين الغربيين بالقرآن والإسلام ، فأثنوا عليه وعدّوه حاملاً نقاطاً مضيئة للبشرية منهم محمد أسد (ليوبولد فايس) وروجيه غارودي وموريس بوكاي ومايكل إتش هيرت ومراد هوفمان وكان منهم عميدة الاستشراق الأستاذة الدكتورة أنا ماري شمل، فألفوا كتباً فيها الكثير من الثناء على القرآن أو الفكر الإسلامي أومحمدﷺ أو التاريخ الإسلامي، وكان

منهم من أعلن عن إسلامه.. وكان منهم من لم يعلن عن إسلامه خوفاً من الهجمات الإعلامية الجائرة عليه، وذلك كالذي تعرض له السفير الألماني في الرباط مراد هوفمان الذي أسلم ثم تعرض لهجمات صحفية شديدة في ٢٣/مارس/ ١٩٩٢م وذلك بعد كلامه عن كتابه الإسلام كبديل بالقناة الأولى في التلفزيون الألماني ، ومن ذلك ما شنته من حملة ضده نائبة رئيس الحزب الاشتراكي في ألمانيا ((هرتا دويبلر جملين)) في صحيفة ((بيلد أم زونتاج)) ، ونحمد الله أن صدر في ١٩٩٢/٤/٢٥م بيان وزارة الخارجية الألمانية الذي لا يرى أي داع لاستدعاء السفير مراد هوفمان الألماني بالمغرب من منصبه[١] .

وبالمقابل فإن بعض الغربيين وبدوافع مختلفة عن دوافع مراد هوفمان أرادوا أن يهاجموا الإسلام دون مبرر.. وأهم ما استهدفوا القرآن، وأهم ما استهدفوا بعد ذلك إعجاز القرآن الكريم من حيث يشعرون أو لا يشعرون، خاصة في إخباره عن حفظ القرآن الكريم من التبديل والتحريف على مر العصور قال الله تعالى في القرآن الكريم : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[٢] .

لقد كان من الذين أغاروا على إعجاز القرآن أخيراً الكاتب الأمريكي توبي لستر وذلك في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن وذلك في عدد يناير ١٩٩٩م ، إذ ادّعى هذا الكاتب أن المصاحف القديمة المكتشفة في عام ١٣٨٥هـ/١٩٦٥م في سقف الجامع الكبير في عاصمة اليمن صنعاء – وهي مكتوبة في القرن الأول الهجري والثاني والثالث – تخالف ما عليه المصاحف الحالية بين أيدي المسلمين الآن ، وحيث أنه غير متخصص بدراسة المخطوطات القرآنية القديمة فقد ادعى أن الدكتور جيردبوئن الألماني قال بهذا فقال توبي في المجلة : ((إن أول شخص قضى قدراً مهماً من الوقت في فحص القصاصات اليمنية في عام ١٩٨١م كان (جيرد بوئن) ، المتخصص في الخط العربي والكتابات القرآنية القديمة ، والذي مقره في جامعة (سارلاند) في (ساربروكن) بألمانيا . لقد لاحظ (بوئن) الذي سبق أن أرسلته الحكومة الألمانية لتنظيم مشروع الترميم والإشراف عليه ، لاحظ قدم بعض قصاصات الرقوق وأظهرت فحوصه الأولية كذلك ترتيبات غير مألوفة

---

١ – انظر الإسلام كبديل لمراد هوفمان (ص٢٤٥،٢٥١) .

٢ – الآية ٩ من سورة الحجر .

للآيات واختلافات صغيرة في النصوص وأساليب نادرة للخط والزخارف الفنية .. لقد بدأ بوئن يحس أن ما تدل عليه المصاحف اليمنية ، كما يبدو هو أن نصاً متطوراً قد أوحي إلى النبي محمد في القرن السابع الميلادي وليس مجرد كلام الله في صورته الكاملة))[1] .

ثم جاء توبي لستر لتأييد كلامه بأقوال بعض مدرسي الجامعات الأمريكية مثل (أندروس رين) أستاذ الدراسات الدينية في جامعة كالكاري الذي يتصدر الدراسات القرآنية ـ على حد زعمه ـ فنقل عنه قوله عن مصاحف صنعاء: ((إن هذه المخطوطات تقول إن تاريخ النص القرآني المبكر مسألة أوسع بكثير جداً مما كان يتوقعه الكثيرون : لقد كان النص أقل استقراراً وبالتالي فقد كان أقل جدارة بالثقة مما كان يزعم دائماً))[2] . بل قد نقل عن (آر ستيفن همفريز) أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة كاليفورنيا في سانتا باربارا قوله: ((إن جعل تاريخ للقرآن سيؤدي بالتالي إلى سلب شرعية الخبرة التاريخية للأمة المسلمة كلها)) إلى أن يقول : ((فإن كان القرآن وثيقة تاريخية، فإن الجهاد الإسلامي لأربعة عشر قرناً لم يعد له معنى بالتالي))[3].

لم أكن على اطلاع على المقال ولكنني زرت مرة دار المخطوطات القرآنية في صنعاء ، فوجدت مدير عام دار المخطوطات الأستاذ الكريم عبدالملك المقحفي حزيناً وقال لي : ((انظر هذه المقالة عن مصاحفنا وانظر ما كتبه الأستاذ فهمي هويدي عن ذلك))[4] وطلب مني الردّ على مقالة توبي لستر التي أشار إليها الأستاذ فهمي وهي في مجلة اتلانتك مونثلي في عدد يناير ١٩٩٩م الصادرة في واشنطن خاصة والموضوع فيه اتهام خطير للقرآن على أساس مصاحف صنعاء في دار المخطوطات نفسها كما ادعى توبي لستر .

لقد أبان الأستاذ فهمي هويدي في مقالته أن الكاتب توبي لستر كان يعمل في فيلق السلام الأمريكي وهم الشبان الذين ترسلهم الولايات المتحدة

---

[1] – مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٤).

[2] – انظر مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٥).

[3] – انظر مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٥) .

[4] – انظر مقالة الأستاذ فهمي هويدي (من صفحة ٥٥-٥٩) في هذا الكتاب وهي منشورة أولا في صحيفة الشرق الأوسط ، في العدد رقم (٧٣٤٩) وذلك في يوم الاثنين الموافق ١٩٩٩/١/١١م (ص٩) من الصحيفة .

الأمريكية لقضاء فترة الخدمة العسكرية بالقيام ببعض الأعمال التطوعية في بلدان العالم الثالث، كما قال الأستاذ فهمي أيضاً عن توبي : جاء إلى اليمن بهذه الصفة في عام ١٩٨٨م ، ثم رجع إلى الولايات المتحدة الأمريكية بعد سنتين ، ثم عمل في وكالة الغوث الأمريكية في شرق فلسطين عام ١٩٩٢-١٩٩٤م ، وطلب الأستاذ فهمي هويدي في آخر المقالة الرد من المسؤولين في صنعاء ، فيما يخص ادعاء توبي لستر بأن مصاحف صنعاء تدل على تطور وتبدل القرآن كما نقل عن جيرد بوئن حسب ادعائه[1] ، وبهذا نرى أن الداعي للرد على الغارة على القرآن إنما هو من تلك **الأرض التي أثبتت الأيام أنها كنانة الإسلام وهي مصر** التي صنعت الكثير من الأمجاد مع صلاح الدين الأيوبي[2] والملك المظفر[3] – رحمهما الله تعالى-. بعد هذا الطلب من الأستاذ/فهمي هويدي انبرى القاضي إسماعيل الأكوع الرئيس السابق للهيئة العامة للآثار والمخطوطات للرد فاتصل بالدكتور جيرد بوئن الألماني يسأله عن ادعاء توبي لستر أنه قال بتطور القرآن حسب مشاهدته لمصاحف صنعاء، حيث كان الدكتور جيرد بوئن الألماني عوناً له في صيانة مصاحف صنعاء ، **فأرسل جيرد بوئن رسالة ينفي فيها ما ادعاه عنه توبي لستر ، واعتبر أن هذه الرقوق المخطوطة لا تدل على شيء مما ذكر توبي لستر ، فنشر القاضي إسماعيل الأكوع نص الرسالة في صحيفة الثورة اليمنية في العدد المنشور بتاريخ ٢٤ / ذو القعدة / ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/٣/١١م وفي صحيفتي سبتمبر والشاهد ، وطلب مني الرد العلمي على ما ادعاه**

---

[1] - انظر مقالة الأستاذ فهمي هويدي (من صفحة ٥٥-٥٩) في هذا الكتاب وهي منشورة أولاً في صحيفة الشرق الأوسط ، في العدد رقم (٧٣٤٩) وذلك في يوم الاثنين الموافق ١٩٩٩/١/١١م (ص٩) من الصحيفة .

[2] - قال الحافظ المؤرخ ابن كثير –رحمه الله تعالى– فيما سبق معركة حطين التي انتصر فيها صلاح الدين : (وجاءت العساكر المصرية وتوافت الجيوش المشرقية) – البداية والنهاية (٣٢٠/١٢)-.

[3] - قاتل مع الملك المظفر جيوشه المصرية في معركة عين جالوت وقاتل معه آخرون ، قال ابن كثير : (وقد قاتل الملك المنصور صاحب حماة مع الملك المظفر قتالاً شديداً وكذلك الأمير فارس الدين أقطاي المستعرب) – انظر البداية والنهاية (٢٢٢/١٣)-.

لقد استنكر المجلس الإسلامي الأمريكي هذا الادعاء عن مصاحف صنعاء[1] ، **وخاصة في وقت بدأ الإسلام ينتشر فيه بسرعة في الولايات المتحدة الأمريكية** ، فلقد نقلت صحيفة الأهرام المصرية في العدد المنشور في ٢/رمضان/١٤٢٠هـ الموافق ١٠/ديسمبر/١٩٩٩م في الصفحة الأولى ما أشار إلى أن الرئيس الأمريكي (الحالي) بيل كلينتون يقول إن الإسلام أحد أسرع الأديان انتشاراً في الولايات المتحدة الأمريكية ، وجاء ذلك أيضاً في صحيفة الثورة اليمنية الصفحة الأولى في ٣ / رمضان / ١٤٢٠هـ.

ولخطورة الموقف ولأن هذه المقالة لتوبي لستر أجمع للشبهات حول القرآن ، وحيث إنني متخصص بدراسة المخطوطات القرآنية القديمة بإجازة من أستاذي يوسف ذنون وأحمل شهادة الدكتوراه في التفسير وعلوم القرآن ولطلب مفتي الجمهورية اليمنية الشيخ العلامة محمد أحمد الجرافي مني الرد وكذلك لطلب رئيس الهيئة العامة للآثار والمخطوطات السابق في اليمن القاضي إسماعيل بن علي الأكوع مني الرد وكذلك مدير عام دار المخطوطات في صنعاء الأستاذ عبدالملك المقحفي لذلك كله كان لابد لي أن أقوم بالرد على توبي لستر – إن شاء الله تعالى – فقد قال الله سبحانه : ((إن الذين يكتمون ما أنزلنا من البينات والهدى من بعد ما بيناه للناس في الكتاب أولئك يلعنهم الله ويلعنهم اللاعنون إلا الذين تابوا وأصلحوا وبينوا فأولئك أتوب عليهم وأنا التواب الرحيم))[2] ولن أكون في هذا إلا باحثاً موضوعياً متأدباً بآداب الإسلام بالرد والدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة، قال تعالى ((**ادعُ إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة وجادلهم بالتي هي أحسن**))[3] . خاصة وأنا أكتب في بلاد الحكمة اليمانية وبين علمائها ورجال الفكر والحكمة فيها.

وحيث إنني بدأت بالسلسلة الإسلامية العلمية المقارنة جعلت ردي موضوعياً من خلال علمي بإعجاز القرآن التاريخي في إخباره عن المغيبات، ومن ذلك حفظ القرآن الكريم موضحاً تاريخ القرآن وقائماً بدراسات مقارنة بين المصاحف القديمة من القرن الأول الهجري والثاني والثالث من

---

[1] – انظر مقالة الأستاذ فهمي هويدي في جريدة الشرق الأوسط العدد السابق المذكور .

[2] – الآيتان ١٥٩–١٦٠ من سورة البقرة .

[3] – الآية ١٢٥ من سورة النحل .

مصاحف صنعاء من جهة والمصاحف الحديثة المطبوعة والموجودة بين أيدي كل المسلمين في عصرنا من جهة ثانية.. فأثبت من خلال ذلك وبتاريخ القرآن أن القرآن لم يختلف وبقي محفوظاً كما تلاه النبي محمدﷺ ، ثم عرضت صورة لنص رسالة الدكتور جيردبوئن الألماني بخط يده في نقض ونفي ما نقله عنه توبي لستر بخصوص مصاحف صنعاء القديمة ، فقد أكد جيرد بوئن أن مصاحف صنعاء لا تختلف كنص مقروء عن غيرها من المصاحف في متاحف العالم ودور الكتب[١] .

وبما أن توبي لستر استهدف بأكثر من محاولة في مقالته في مجلة اتلانتك مونتلي نفسها إسقاط المستوى الأدبي الأسمى للقرآن وسلامة لغته فقد أفردت بحثاً عن الإعجاز البياني في القرآن، ثم رددت عليه في الباب الثالث على شبهات أثارها ليسقط إعجاز القرآن البياني وسلامته اللغوية، علماً أنه نهج في هذا نهج بعض المستشرقين السابقين مثل جرجيس سال ، و ج. فانسبرف ، ودبليو منتجمري واط ، وريجي بلاشير[٢] وغيرهم -كما سيمر-.

ثم تكلمت عن الإعجاز التأثيري للقرآن بعد الإعجاز البياني فلهذا البحث أهمية كبيرة لندرته وانسجامه مع تأثر الفطرة البشرية بالقرآن كتاب رب العالمين ، خاصة وقد اعترف توبي لستر بأن القرآن يعد حالياً أعظم كتاب في العالم في تأثيره الإيديولوجي[٣] .

وفي الباب الثالث في الفصل الحادي عشر من الردود تعرضت أيضاً إلى كثير من ادعاءات توبي لستر كقوله : إن القرآن فيه تعارض بالنسخ ناهجاً في هذا نهج المستشرق جون بيرتون[٤] .

وبينت خطأ رأيه في أن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل عقيدة وقصصاً ، علماً أنه نهج في هذا نهج كليرتسدال في كتابه (مصادر الإسلام)[٥] والدكتور فلهلم رودلف في كتابه (صلة القرآن باليهودية والمسيحية) ، كل ذلك

---

١ - انظر رسالته بخط يده (ص ١٠٢-١٠٥) .
٢ - ستأتي تراجمهم في مكانها من هذا الكتاب إن شاء الله تعالى.
٣ - انظر مجلة اتلانتك مونتلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير عام ١٩٩٩ (ص٤٤).
٤ - انظر كتابه جمع القرآن الفصل الثاني .
٥ - انظر كتابه في الفصل الثاني والثالث منه .

بدراسات مقارنة برهنت فيها أن محمداً ﷺ هو رسول الله صدقاً وحقاً لم يقتبس من أحد ﷺ ، بل وأوضحت أن إعجاز القرآن في أسماء الله الحسنى وصفاته (العقيدة الإلهية) مما لم يعتقد به الناس عند بعثة النبي محمد ﷺ ، وإنما كان وحياً أوحى الله به إلى الرسول محمد ﷺ ، وعرضت تأكيد الأستاذ عباس محمود العقاد على أن القرآن فيه إعجاز في العقيدة الإلهية ، وذلك في سموه في هذا على كل العقائد ، فاعتبر هذا **(أعظم المعجزات)** و**(معجزة المعجزات)** و**(معجزة عليا)** للقرآن الكريم لكن من خلال تأمل العقل والبديهة وبالمقارنة بين كل الأديان وذلك في كتابه المنتشر في كل البلاد العربية (حقائق الإسلام وأباطيل خصومه) كما سيأتي إن شاء الله . ولقد أكدت على إعجاز القرآن في العقيدة الإلهية (أسماء الله الحسنى وصفاته) في الكتاب الأول من هذه السلسلة لكن من خلال توافق العلم الحديث والقرآن في إثبات بعض أسماء الله وصفاته بدراسات مقارنة ، مما أكد أن هذا في القرآن معجزة عليا أيضاً ، خاصة والرسول محمد ﷺ لم تكن في زمانه عقيدة إلهية تشابه العقيدة الإلهية في القرآن ، على أنني لم أكن على علم بما كتب العقاد ، فكان إثبات إعجاز العقيدة الإلهية في القرآن من جهتين جهة العلم الحديث وموافقته للقرآن كما بينا ومن جهة العقل المجرد والبديهة كما نقلنا في هذا الكتاب عن العقاد .

لقد حرصت على مراجعة علماء متخصصين بالتفسير وعلوم القرآن واللغة العربية وآدابها والعلوم الإسلامية لهذا الكتاب، نظراً لخطورة الموضوع وابتغاء لسلامة المعلومات الواردة فيه ، فعرضت الكتاب على علماء متخصصين في صنعاء باليمن وكان أن أخذت بملاحظاتهم القيمة ، وقدمت لهم شكراً ودعاءً لما أحسنوا لهذا الكتاب .

اللهم ربنا تقبل منا إنك أنت السميع العليم وتب علينا إنك أنت التواب الرحيم.
اللهم ربنا أكرمنا بدعوة صالحة من كل قارئ منصف في الحياة وبعد الممات..

المؤلف
د/ غسان حمدون
صنعاء
٢/رجب/ ١٤٢١هـ
الموافق ٣٠/٩/٢٠٠٠م

الباب الأول
أين كتاب الله إلى البشرية...؟

لا بد لنا قبل أن نسأل عن منهج الله المعد للإنسان من السؤال أيضاً عن صفات من يعطي هذا المنهج ....

إن صفات الله سبحانه وتعالى ومنها الوحدانية والرحمة والحكمة تؤكد أنه لا بد من منهج لله جل جلاله في كتاب لهذا الإنسان ، ولكن كيف نعرف وحدانية الله وحكمته ورحمته ؟ فالجواب : من نظرتنا الحرة التأملية في الكون والحياة والإنسان ...

الفصل الأول
آثار الوحدانية في الكون تدل على الله الواحد

إذا نظرنا في الكون فإنا نستنتج وحدانية الله تعالى وأدلة ذلك ما يأتي :

المبحث الأول
عناصر الكون واحدة

يقول روي وورفيل : ((يوجد في مجرتنا ما يقارب ١٠٠ مليون شمس، والشيء الوحيد الذي نعرفه بالتأكيد هو أن المواد التي يتكون منها عالمنا ، أي ما يسمى بالعناصر يبدو أنها هي نفسها في جميع أجزاء الكون))[١] .

وجاء القرآن بإعجازه المستنبط من بيانه في أن السموات والأرض كانتا ملتصقتين ويستنتج من ذلك العلم الحديث باكتشافاته أن الأرض

---

[١] - ريادة الفضاء تأليف روي وورفيل نقله إلى العربية وجيه السمان (ص٥٠).

والسموات كانتا بمواد واحدة قال الله تعالى : ((أولم يــر الذيــن كفــروا أن السموات والأرض كانتا رتقاً ففتقناهما وجعلنا من الماء كل شيء حــي أفــلا يؤمنون))[1] .

قال صاحب كتاب أنه الحق : ((ضرب البروفيسور كرونــر[2] مثــلاً بهذه الآية لبيان أن هذا لا يمكن أن يكون من عند محمد ولا يمكن أن يكــون من المعلومات البشرية في عصره إذ يقول عن النبي محمد ﷺ ((.. وشخص لا يعرف عن الفيزياء النووية منذ ١٤٠٠ سنة ما كان له في رأيي أن يكــون في وضع يكشف فيه بعقله هو مثلاً أن الأرض والسموات كانت لــهما نفــس الأصول أو كثيراً من المسائل الأخرى التي ناقشناها هنا))[3] .

المبحث الثاني

توسع الكون الواحد حول مجرتنا يدل على الله الواحد :

تقول الدكتورة ماري ت بروك ، (المرصد الملكي ــ أدنبره ببريطانيا) :

((كلما تسير المراكب الضخمة أبعد فأبعد من الفضاء تكتشف أعــداداً أكثر وأكثر من المجرات ، ودرب التبانة ما هو إلا واحد من ملايين المجرات التي تملأ السماء لمسافة عشرة آلاف مليون سنة ضوئية ، وهي أبعد مســافة في متناول مراقبنا الحديثة حتى الآن ، تشكل المجرات العينات التي يتكــون منها هذا الكون الشاسع ، ويفصل بعضها عن بعض مسافات تقــدر ببضعــة ملايين السنين الضوئية ، ولكن حتى هذه المسافات ليست ثابتة ، فــالمجرات تبدو كأنها تتحرك متباعدة عن بعض وكأن الكــون كلــه يتوســع كبــالون ينتفخ))[4].

---

[1] – الآية ٣٠ من سورة الأنبياء .

[2] – هو البروفيسور الفريد كرونر من أشهر علماء العالم في الجيولوجيا اشتهر بين العلماء بنقــده لنظريات أكابر علماء العالم في علم الجيولوجيا ــ أنه الحق (ص٢٨) .

[3] – كتاب أنه الحق (ص٢٩) .

[4] – السماء في الليل للدكتورة ماري ت . بروك نقله إلى العربية : سعد جويجاتي وعدنان عطفــه ، وضع الرسوم : روبرت أيتن (ص٥٠) .

أما الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر الحاصل على زمالة الجغرافيين الملكيين في انكلترا – فإنه يقول: ((الأسرار الجديدة هي : أن عملية ميلاد النجوم والمجرات في الكون مستمرة .. الكون يجب أن يتمدد ويتسع))[١].

وبعد حساب السرعة بل والسرعات والتسارعات في تمدد الكون من قبل العلم الحديث يقول الدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضر : ((فإذا كانت تجمعات المجرات تتمدد بالماضي على الدوام فللوصول إلى معدل الثبات فإن ذلك يستلزم أن جميع التجمعات المجرية قبل فترة الثبات وهي (٧٠٠٠) مليون سنة كانت مادتها كثيفة متجمعة ، ثم بدأت تتفتق .... وتتمدد .. بعد أن كانت رتقاً واحداً ، كما أن ذلك يؤكد وحدة البدء لنشأة الكون وبالتالي وحدة الخالق ووحدانية الله سبحانه وتعالى))[٢].

ولقد أكد القرآن بإعجاز علمي سابق لم يكن له مؤهلاته العلمية عند البشر عندما نزل القرآن أكد توسع الكون بقوله تعالى : ((والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون))[٣] .

والمتأمل في هاتين الظاهرتين ظاهرة العناصر الواحدة في كل أجزاء الكون ثم ظاهرة توسع الكون بنظام في كل أنحائه المتباعدة بملايين السنين الضوئية يستنبط أن خالق هذا الكون إله واحد فعال لما يريد لاشريك له.

---

[١] – الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن (ص١٠٥) .

[٢] – الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن (ص١٠٧) .

[٣] – الآية ٤٧ من سورة الذاريات .

الفصل الثاني

آثار الحكمة تدل على الله الحكيم

يقول الدكتور فرانك الن[1] عالم الطبيعة البيولوجية : ((....إن البروتينات من المركبات الأساسية في جميع الخلايا الحية وهي تتكون من خمسة عناصر هي: الكربون والأيدروجين والنيتروجين والأوكسجين والكبريت ، ويبلغ عدد الذرات في الجزيء البروتيني الواحد (٤٠٠٠٠) ذرة[2] ، ولما كان عدد العناصر الكيماوية في الطبيعة ٩٣ عنصراً[3] موزعة كلها توزيعاً عشوائياً ، فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزيئاً من جزيئات البروتين يمكن حسابه لمعرفة كمية المادة التي ينبغي أن تخلط خلطاً مستمراً لكي تؤلف هذا الجزيء ، ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزيء الواحد .

وقد قام العالم الرياضي السويسري تشارلزيوجين جاي بحساب هذه العوامل جميعاً ، فوجد أن الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزيء بروتين واحد إلا بنسبة ١ إلى $١٠^{١٦٠}$ أي بنسبة واحد إلى رقم ١٠ مضروب في نفسه ١٦٠ مرة ، وهو رقم لا يمكن النطق به أو التعبير عنه بكلمات ، وينبغي أن تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث هذا التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزيء واحد أكثر مما يتسع له كل هذا الكون بملايين المرات . **ويتطلب تكوين هذا الجزيء على سطح الأرض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصى من السنوات قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها ٢٤٣ مرة من السنين ($١٠^{٢٤٣}$) سنة .**

إن البروتينات تتكون من سلاسل طويلة من الأحماض الأمينية فكيف تتآلف ذرات هذه الجزيئات؟ إنها إذا تآلفت بطريقة أخرى غير التي تتآلف بها

---

[1] – يحمل شهادتي الماجستير والدكتوراه من جامعة كورنل أستاذ الطبيعة الحيوية بجامعة مانيتوبا بكندا ، مختص في أبصار الألوان والبصريات الفسيولوجية وإنتاج الهواء السائل وحائز على وسام نوري الذهبي للجمعية الملكية بكندا ــ انظر (الله يتجلى في عصر العلم) (ص١١)-.

[2] – هنالك عدد ذرات مختلف آخر لجزئيات بروتينات أخرى مكتشفة ولا ينافي هذا فكرة الكاتب بل يؤكدها في نفي الصدفة .

[3] – هنالك عناصر أخرى مكتشفة في الكون وهذا يؤكد فكرة الكاتب في نفي الصدفة .

تصير غير صالحة للحياة ، بل تصير في بعض الأحيان سموماً ، ولقد حسب العالم الإنجليزي ج. ب . ليثر **J.B.Leathes** الطرق التي يمكن أن تتآلف بها الذرات في أحد الجزيئات البسيطة من البروتينات فوجد أن عددها يبلغ البلايين($١٠^{٤٨}$) ، وعلى ذلك فإنه من المحال عقلاً أن تتآلف كل هذه المصادفات لكي تبني جزيئاً بروتينياً واحداً ، ولكن البروتينات ليست إلا مواد كيمياوية عديمة الحياة ولا تدب فيها الحياة إلا عندما يحل فيها ذلك السر العجيب الذي لا ندري من كنهه شيئاً))[١] .

وإذا رجعنا إلى موضوع توسع الكون وجدنا أن الكون كان متجمعاً في مكان واحد قبل (٧٠٠٠) مليون سنة ولاشك أن الحرارة إذ ذاك عالية جداً لا تسمح بتكوين بروتين واحد ، إذ كانت هذه النجوم هذه الشموس الضخمة العالية الحرارة متجمعة في مكان واحد ، والرقم $١٠^{٢٤٣}$ سنة اللازم لتكوين بروتين هو أكبر بكثير وكثير من رقم (٧٠٠٠) مليون[٢] ، إذاً لم يخلق بروتين واحد صدفة لأن تسلسل عمر الكون وحرارته العالية لا تسمح بذلك ، فكيف بخلق الإنسان والحيوان والنبات!!؟؟ إذن عمر الكون لا يسمح ليتكون ما على الأرض من نبات وحيوان وإنسان وبروتينات صدفة ، مما يدل على أن خالق هذه الأشياء حكيم دبر أمره ووضع كل شيء في موضعه المناسب على سطح هذه الأرض بإحكام دقيق .

---

١ - الله يتجلى في عصر العلم (ص١٤،١٥) .

٢ - انظر الظواهر الجغرافية بين العلم والإيمان في هذه المدة (ص١٠٧) .

الفصل الثالث

آثار الرحمة تدل على الرحمن الرحيم

وضحنا ذلك في كتابنا ((إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى)) في دراسة مقارنة بين القرآن والعلم الحديث وضحناه في البط البري (الشهرمان) تقوم الأم بمناورة محكمة ، وتجعل من نفسها هدفاً لعدوها وتضحي بحياتها من أجل إبعاد العدو عن صغارها وسرعان ما تتبنى هؤلاء اليتامى أم أخرى..[1] ثم ماذا عن حيوان الإكسيلوكوب : ((يعيش منفرداً في فصل الربيع ومتى باض مات ، فالأمهات لا ترى صغارها ولا تعيش لتساعدها في غذائها ودفاعها عن نفسها ، وهي لا تستطيع الحصول على غذائها مدة سنة كاملة ، لذلك ترى الأم تعمد إلى قطعة خشب فتحفر فيها حفرة مستطيلة، ثم تجلب طلع الأزهار وبعض الأوراق السكرية ، وتحشو بها ذلك السرداب، ثم تبيض بيضة، ثم تأتي بنشارة خشب وتجعلها عجينة لتكون سقفاً لذلك السرداب، وتصنع بعد ذلك سرداباً آخر ، فإذا فقست البيضة وخرجت الدودة كفاها الطعام المدخر سنة))[2] فمن ألهم الأمهات ادخار الطعام؟ هو لا شك إله رحيم وإلا لانقرض هذا الكائن الحي بموت الصغار جوعاً ولم نجد له على الأرض أثراً .

ورحمة الأمهات البشرية أشد وأدوم إذ تبدأ من قبل الولادة بتجهيز الفراش واللباس و.. للمولود الجديد ولا تنتهي إلا بموت الأم ، بل إن الرحمة بالجنين متصلة وهو في رحم أمه بتنفس وغذاء عن طريق المشيمة كل ذلك يدل على إله رحيم خلق الرحمة في قلوب الأمهات وسبق برحمته في قلوبهن برحمة في الجنين في بطن أمه .

ولكننا نريد أن نسأل هل يمكن أن يترك هذا الإله الواحد الإنسان في هذه الحياة دون كتاب فيه منهج للبشرية تهتدي به علماً أنه متصف بالوحدانية والحكمة والرحمة والكرم؟ الجواب : لا ، ولا شك أنه لن يترك الإنسان دون ذلك وإن الذي يقول بخلاف ذلك هو أعمى البصيرة عما يحيط به ، لأنه

---

[1] – انظر غريزة ... أم تقدير إلهي؟! لشوقي أبو خليل (ص٦٨).

[2] – الله والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل (ص١٠٢).

يخالف النظرة التأملية العلمية الحرة الطليقة في الكون والحياة والإنسـان. إن القول بأن الله لم يرسل رسولاً ولم ينزل عليه كتاباً للبشرية قول نابع من عـدم إدراك صفات الله من حكمة ورحمة وعدل وكرم.. حكمة حق الإدراك ومـن ثم فإن القول بذلك قول لا يقدر الله حق قدره في صفاته تعالى قـال الله فـي قرآنه:((وما قدروا الله حق قدره إذ قالوا ما أنزل الله على بشر من شيء))[1].

الفصل الرابع

الإعجاز في القرآن يبين أنه كتاب الله إلى البشرية

إن إعجاز القرآن هو المؤشر الأهم في إثبات أن محمداً ﷺ رسـول الله إلى العالم بمنهج الله في كتاب الله .

وبدأ ظهور إعجاز القرآن الكريم في زمن النبي ﷺ إذ تحدى القـرآن العرب أولي الفصاحة والبلاغة أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا قال الله في قرآنه: ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة مـن مثلـه وادعـوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النـار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين))[2] ، سمع العرب تحدي القرآن فأقبل فطاحل الأدباء والشعراء إلى الإيمان برسالة القرآن ، كان منهم لبيد بـن ربيعة والخنساء وحسان بن ثابت وعمرو بن معديكرب الزبيدي وكعب بـن جعيل التغلبي وعمير بن شبيم القطامي .. وكان منهم الكثير الذيـن شـاهدوا بلاغة القرآن فوجدوها فوق المستوى البشري فآمنوا بأنه كلام الله جل جلاله .

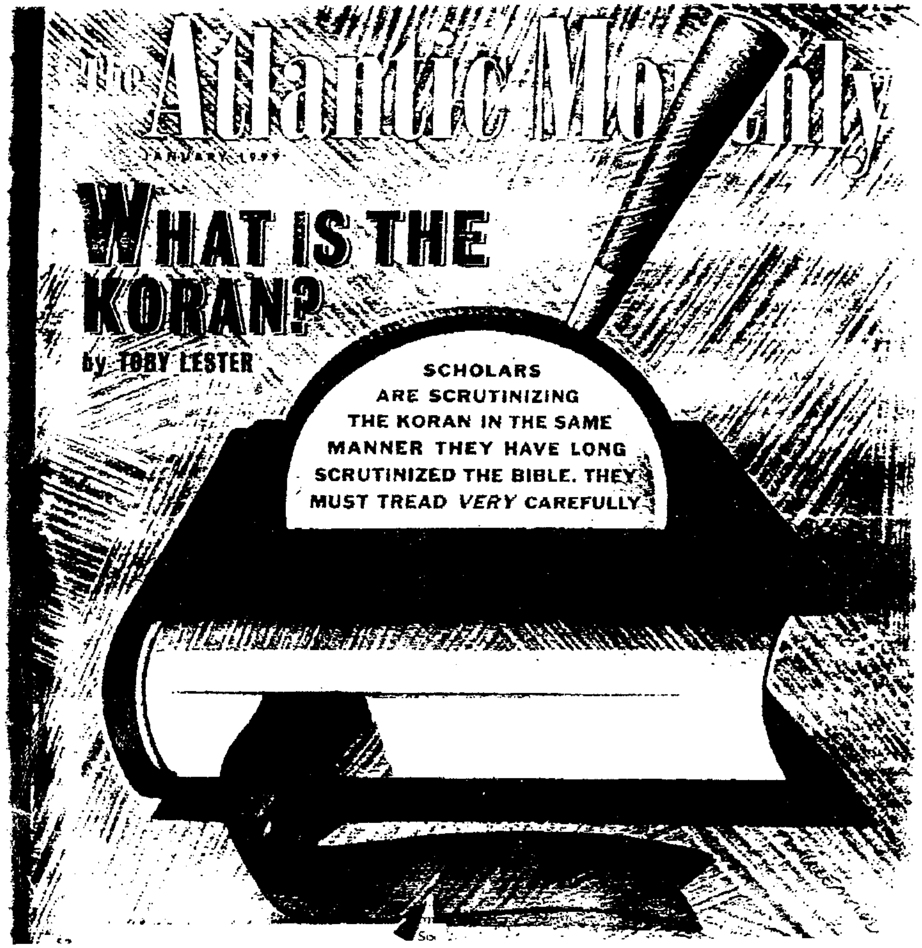
وبقي الإعجاز القرآني ظاهراً على مر العصور ، وفي زماننا تجلـى إعجاز القرآن بما يتناسب مع العقلية العلمية المعاصرة بأنواع مختلفـة منـها الإعجاز العلمي والإعجاز التاريخي والإعجاز التشـريعي وصيانـة حقـوق الإنسان والإعجاز بالإخبار عن المغيبات إلى غير ذلك مما أصبح مشـهوراً ومعروفاً لكل طالب لخلاص البشرية المعاصرة بمنـهج الله الواحـد الحكيـم الرحيم في كتابه سبحانه وهو القرآن الكريم [3].

---

[1] – الآية ٩١ من سورة الأنعام .

[2] – الآيتان ١٣، ١٤ من سورة البقرة .

[3] – انظر من (ص٢٠٣-٢١٧) ومن (ص٢٤٣-٢٥٣) لإثبات إعجاز القـرآن فـي أسـماء الله الحسنى بالإضافة إلى كتاب رقم (١) بالسلسلة .



هذا في صفحة الغلاف لمجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في ينـــاير عام ١٩٩٩م وفي داخل المجلة مقالة توبي لستر ، وعلى أساسها جـــاء فـــي الغلاف صورة لمكبرة تحوي بداخلها ما يلي : ((يمعن العلماء النظر اليوم في القرآن بالطريقة ذاتها التي درجوا فيها على دراسة التـــوراة والإنجيـــل مـــدة طويلة وينبغي لهم أن يعالجوا الموضوع بحذر شديد)) ، وخــــارج المكــــبرة سؤال ما هو القرآن؟ لقد حاول الكاتب توبي لستر في مقالته أن يسقط إعجـــاز القرآن ويطعن في سموه اللغوي وحفظه وربانيته، ولقد فندنا الرد فــــي هـــذا الكتاب على كل شبهة عرضها حول القرآن الكريم في مقالته .

الباب الثاني
أنواع إعجاز القرآن الكريم

قد بينا إعجاز القرآن في أسماء الله الحسنى في الكتاب السابق من هذه السلسلة وهو كتاب ((إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى)) كما بينا في الكتاب نفسه ثلاثة عشر وجهاً من وجوه الإعجاز العلمي للقرآن الكريم موزعة في أدلة بعض أسماء الله الحسنى من القرآن الكريم . وقلنا أن هذه الوجوه العلمية التي كشفها العصر الحديث وذكرها القرآن الكريم ما كانت البشرية في زمن النبيﷺقد وصلت إلى ما يؤهلها من علوم ووسائل لبحث هذه الوجوه العلمية مما يثبت إعجاز القرآن الكريم ، أما في هذا الكتاب فسنبين إعجاز القرآن في إخباره عن المغيبات وأهمها حفظ القرآن ثم الإعجاز البياني للقرآن ثم الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم .

الفصل الأول

إعجاز القرآن الكريم في إخباره عن المغيبات (إعجاز تاريخي):

لقد ذكر القرآن أخباراً سابقة كانت غائبة عن مجتمع رسول الله ﷺ بل وعن تاريخ البشرية آنذاك ثم أثبتها العلم التاريخي الحديث ، وذكر القرآن أخباراً مستقبلية غير متوقعة وحدثت كما أخبر القرآن الكريم .

وفي هذا إثبات أن القرآن من عند الله قال تعالى : ((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى))[١] .

ومن الإخبار عن المغيبات المستقبلية :

١-معجزة حفظ القرآن ، وقد أفردنا لهذا بحثاً مستقلاً موسعاً للأهمية.

٢-التنبؤ بانتصار المسلمين وسيادتهم .

ومن الأخبار الماضية الغائبة عن البشرية :

١-طوفان نوح .

٢-خبر نجاة جسد فرعون موسى بعد غرقه هو وقومه .

---

[١] - الآيتان ١٣-١٤من سورة النجم .

المبحث الأول
توثيق نص القرآن الكريم
ومعجزة حفظ القرآن الكريم

لابد لمن يقوم بدراسة أي كتاب قديم أن يقوم بالنظر إلى مراحل تدوين هذا الكتاب وحفظه ، ومن ثم يقوم بالمقارنة بين النسخ التي دونت لهذا الكتاب في أقدم ما حصل لنا من هذه الكتابة وبين الكتابة الحالية ، ثم لابد من المقارنة بين منطوق هذا الكتاب سابقاً ومنطوق هذا الكتاب لاحقاً لتكون المقارنة أدق وأحكم .

ونحن في منهجنا لدراسة توثيق نص القرآن الكريم سنقوم بالكلام عن عدة أمور :

أ- كتابة القرآن في عهد الرسول ﷺ .

ب- كتابة القرآن وجمعه في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه.

ج- كتابة القرآن بمعنى نقله من مصحف أبي بكر الصديق إلى المصاحف التي أمر عثمان رضي الله عنه بكتابتها وتوزيعها على الأمصار.

د- مقارنة المصاحف الحالية الموجودة في العالم الإسلامي مع بعضها بعضاً لنثبت التطابق بينها جميعاً .

ه- المقارنة بين المخطوطات القرآنية من القرن الأول الهجري والثاني والثالث والمصاحف الحالية المطبوعة الآن لنثبت تطابق الكتابة للمصاحف القديمة مع الحديثة لآيات القرآن الكريم .

و- تطابق حفظ القرآن غيباً بين قراء العالم الإسلامي في القراءة الواحدة ورجوعهم كلهم بسند القراءة إلى رسول الله ﷺ.

من هذه المقارنات سنوضح سقوط قول من قال: إن القرآن الكريم قد خضع للتطور التاريخي على مر القرون. وفي هذا نثبت التحدي بالقرآن الكريم

عندما قال سبحانه فيه : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[1] وفي هـذا تسقط أيضاً المؤامرات المتتابعة أمام تحدي القرآن هذا .. فقد أعلن القرآن أنه لا مبدل لكلماته وكان هذا صدقا وحقاً في الواقع التاريخي ، فهذا واضح مـن خلال هذه الدراسة التي سنقوم بها إن شاء الله تعالى ... قال تعالى : ((وتمت كلمات ربك صدقاً وعدلاً **لامبدل لكلماته** وهو السميع العليم))[2].

المطلب الأول :كتابة القرآن في عهد محمد ومن فيه ﷺ

لقد كتب القرآن الكريم من قبل كتاب الوحي في عهد النبيﷺ وكـان هذا فيما نزل من القرآن في العهد المكي قبل هجرة الرسـولﷺ وأصحابـه رضوان الله عليهم وما نزل في العهد المدني ـ بعـد هجـرة الرسـول ﷺ وأصحابه ـ ولكنه كان إذ ذاك مفرقاً بين الصحابة ليس مجموعاً في مصحف واحد لتعدد كتـّـاب الوحي.

قال جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م[3] رحمـه الله تعالى : ((وقد كان القرآن كتب كله على عهد رسول الله ﷺلكن غير مجموع في موضع واحد))[4].

---

١ – الآية ٩ من سورة الحجر.

٢ – الآية ١١٥ من سورة الأنعام .

٣ – هو عبد الرحمن بن أبي بكر ، المصري السيوطي الشافعي (جلال الديـن ، أبـو الفضـل) عالم ، رزق التبحر في عدة علوم منها التفسير والحديث والفقه والنحو والمعاني والبيان والبديع ، وهو صاحب التصانيف العديدة جداً النافعة فقد زادت على (٥٠٠) مؤلف منها الإتقان في علـوم القرآن والإكليل في استنباط التنزيل والدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة ، والأشباه والنظـائر (في النحو) ، والمزهر في علوم اللغة وآدابها ومعترك الأقران في إعجاز القرآن ، وغير ذلـك كثير، توفي سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م في منزله في روضة المقياس في مصر ـ انظر البدر الطـالع للشوكاني (٣٢٨/١) ومعجم المؤلفين (٨٢/٢) – حاولنا في هذا الكتاب أن نضيف تاريخ الوفـاة بالميلادي سواء ذكر المرجع ذلك أو لم يذكره إضافة إلى التاريخ الهجري، وذلك للأعلام القدماء.

٤ – الإتقان في علوم القرآن (٧٦/١) .

الفرع الأول : كتابة القرآن في العهد المكي :

ولقد ثبت أن بعض المهاجرين كانوا يعرفون الكتابة بالعربية ، فعن عامر الشعبي[1] رضي الله عنه قال : ((سألت المهاجرين من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا من أهل الحيرة ، وسألنا أهل الحيرة من أين تعلمتم الكتابة؟ قالوا: من أهل الأنبار))[2].

فقد كانت الكتابة للقرآن الكريم ثابتة في العهد المكي والعهد المدني إذ هناك إمكانية لذلك ، وكان الرسول ﷺ وصحابته حريصين على القرآن في أول عهد الدعوة الإسلامية فالقرآن هو أحب ما يكتب .

قال الدكتور الشحات السيد زغلول - المدرس في كلية الآداب بجامعة الإسكندرية - : ((.. إن الرسول ﷺ كان حريصاً على كتابة القرآن فور نزوله منذ بدء الوحي في مكة ، وبخاصة أن أهل مكة كانوا يكتبون لغلبة الحياة التي تقوم على المعاملات فيها ... فلا مجال إذن لمن يقول : (إن فكرة تدوين مقاطع الوحي الهامة التي نزلت في السنوات السابقة على مواد خشنة من الجلود واللخاف لم تنشأ إلا بعد إقامة محمد (ﷺ) في المدينة)[3].

حقاً إنها دعوى باطلة ، غرضها نفي كتابة القرآن في العهد المكي وقصرها على ما نزل منه بعد الهجرة إلى المدينة . يقول الدكتور محمد بن عبدالله دراز[4] : ((إن هناك واقعة أكيدة هي أن المؤمنين لم يتوانوا منذ

---

[1] - هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي اليماني الأصل الكوفي ، كان عالم الكوفة بسائر العلوم الدينية ولد سنة ٢٠هـ وتوفي سنة ١٠٤هـ - انظر وفيات الأعيان (١١٢/٣) .

[2] - المصاحف للسجستاني وذلك بسنده حتى عامر الشعبي ثم المهاجرين (ص٩) . وكذلك المقنع لأبي عمرو الداني (ص١٩) .

[3] - انظر أبي بن كعب الرجل والمصحف (ص٢٣) .

[4] - هو كاتب وعالم وأديب ولد في محلة دباي بمصر حصل على الشهادة العالمية من الأزهر ، ثم حصل على شهادة الدكتوراه من السوربون، فدرس في جامعة الأزهر وفي دار العلوم وجامعة القاهرة ، شغل مناصب علمية سامية ونال عضوية جماعة كبار العلماء ، من مؤلفاته : تاريخ آداب اللغة العربية ، كتاب في مبادئ علم الأخلاق ، وكتاب الدين، ومنهل العرفان في تقويم البلدان توفي في سنة ١٣٧٧هـ ١٩٥٨م رحمه الله تعالى - انظر معجم المؤلفين (٤٣٨/٣)- .

البداية ــ بل وخلال صنوف الاضطهاد التي تعرضوا لــها ــ فــي تســجيل الآيات القرآنية التي وصلتهم في مخطوطات شخصية لاستعمالهم الخاص))[1].

ولعل قصة إسلام عمر ، وآيات أول سورة طه التي وجدها مكتوبة مع أخته تشهد بأن كتابة القرآن كانت معروفة في مكة ، مشهورة بين المسلمين .

الفرع الثاني : كتابة القرآن في العهد المدني :

قال الدكتور الشــحات الســيد زغلــول ــ كليــة الآداب ، جامعــة الإسكندرية-: ((أما في المدينة فقد كان أبيّ وزيد يكتبان معاً ما نــزل مــن القرآن بين يدي الرسول (ﷺ) ، فإن لم يشهد واحد منهما كتب غيرهما ، وكان هذا العمل متصلاً، ولم يكن من حين لآخر كما يدعى بلاشير[2] .

وكانت الكتابة تشمل كل ما ينزل من القرآن ، فلم تقتصر علــى مــا كانوا يرونه هاماً من الأدعية والأحكام الشرعية ، ولم يحدث أن كــان هــذا التدوين مثاراً للاختلاف ، فقد كان الرسول ﷺ يدل كل من يكتبون له علــى موضع كل آية مما نزل من القرآن فيكتبونها في موضعها من سورتها ...

وهكذا كتب القرآن كله في حياة الرسول ﷺ على مــا عارضــه بــه جبريل في العام الذي توفي فيه ، وقد شهد زيد بن ثابت هذه العرضة وقرأهــا الرسول ﷺ عليه ، وكذلك اعتمد أبو بكر وعمر جمعه ، وولاه عثمان كتابــة المصحف))[3].

---

[1] – مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور عبد الله دراز (ص٣٤،٣٥) .

[2] – وقد عزا لكتاب بلاشير (القرآن) في (ص٢٩) ، أما بلاشير نفسه فهو ريجي بلاشير ولد سنة ١٩٠٠م ضاحية مونروج في باريس ثم سافر للمغرب العربي سنة ١٩١٥م ودرس هناك حتــى حصل على الليسانس سنة ١٩٢٢م ، ثم سافر إلى الجزائر ، ثــم تــابع دروس أســتاذه ((وليــم مرسيه)) حتى حصل على الدكتوراه من جامعة باريس عام ١٩٣٦م ، وعين في حياتــه أســتاذاً لكرسي اللغة والأدب العربي في السوربون لغاية ١٩٧٠م شغل عدة مناصب وله مؤلفاته منــها: ١ــ القرآن ٢ــ مقدمة عن القرآن ٣ ــ (معضلة محمد) وله كتب غيرها ــ انظر المستشــرقون لنجيب العقيقي (٣٠٩/١-٣١٢) وموسوعة المستشرقين للبدوي (ص٨٢) ــ وآراء المستشــرقين حول القرآن (١١٢/١) .

[3] – انظر أبي بن كعب الرجل والمصحف (ص٢٣)

الفرع الثالث : لأصالة نص القرآن مكانة منفردة :

ومما قال الكاتب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه التوراة والإنجيل والقرآن والعلم تحت عنوان تاريخ تدوين القرآن : ((إن لأصالة نص القرآن مكانة منفردة لا ينازعه فيها العهد القديم ولا الجديد . فقد سبق وراجعنا في الجزأين الأولين من هذا الكتاب ، التعديلات التي طرأت على العهد القديم والأناجيل قبل أن تصلنا على ما هي عليه الآن . أما القرآن فليس الأمر بالنسبة إليه كذلك لأنه دون في عهد الرسول بالذات .. أما وضع القرآن فإنه يختلف عن ذلك كثيراً، لأن الرسول والمؤمنين كانوا يحفظونه مع تتابع الوحي، ثم يكتبه في نفس الوقت الكتبة الذين كانوا حوله . وهكذا فقد توفر للقرآن من البداية عنصرا الأصالة اللذان لم يكونا أبداً متوفرين للأناجيل ، وقد ظل الأمر كذلك حتى وفاة الرسول..)) ويشير الكاتب الفرنسي موريس بوكاي بعد ذلك إلى أن القرآن قد كتب ما نزل منه في العهد المكي فيستدل بسورة الفرقان التي نزلت في العهد المكي قبل الهجرة إذ يقول: ((وكان عادة محمد وأصحابه حفظ القرآن عن ظهر قلب. فلم يكن يتصور أن يشير القرآن إلى وقائع لا تمت إلى الحقيقة بصلة في الوقت الذي كانت فيه مراقبة من صحابة الرسول المتصلين بالكتبة)) ثم يشير إلى الآية المكية في السورة المكية في قوله تعالى : ((وقالوا أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه بكرة وأصيلاً))[1] ثم يقول : ((تشير هذه الآية إلى اتهامات أعداء الرسول المحمولة عليه ، الذي كانوا يصفونه بالخداع ويزعمون أن أحداً كان يملي عليه أساطير الأقدمين التي كان يكتبها أو يكتتبها[2] (إن معنى الكلمة موضع جدال ، ولكن علينا أن نذكر بأن محمداً ﷺ كان أمياً) ومهما يكن فإن هذه الآية تشير إلى المسجل كتابة ، وهو ما كان، يعترف به حتى خصوم محمد ﷺ.

وقد كان للرسول ﷺ العديد من كتبة الوحي . وأشهرهم زيد بن ثابت الذي تتناقل الأجيال اسمه . ويوضح الأستاذ حميد الله في مقدمة ترجمته

---

[1] – الآية ٥ من سورة الفرقان المكية ، أما في القول في أنها مكية فانظر إليه في كتاب فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ (ص٣٣٨) .

[2] – ذكر القولين في التفسير أبو حيان الأندلسي في تفسيره للقرآن والمسمى البحر المحيط (٨٢/٨) وأرجح منه أمر أن يكتب كقولهم في اللغة العربية احتجم واقتصر إذا أمر بذلك .

للقرآن [١٩٧١] الشروط التي كتبت في ضوئها النصوص القرآنية حتى وفاة الرسول ﷺ فيقول:

((اتفقت المصادر على القول بأن الرسول ﷺ كان كلما أوحي إليه بآيات من القرآن يستدعي أحد أصحابه العارفين بالكتابة ، فيمليها عليه محدداً له موضعها بالنسبة للمجموعة التي سبقتها ، ثم يطلب منه بعد إثباتها أن يعيد تلاوة ما أملاه عليه ليصحح الخطأ فيما لو وقع ... وهناك رواية مشهورة تفيد بأن الرسول ﷺ كان يعرض القرآن مع جبريل كل سنة في رمضان [أي المنزل حتى ذلك الوقت] ... حتى أنه في رمضان الذي سبق وفاته عرضه مع جبريل مرتين ... وقد اعتاد المسلمون في عصر النبي ﷺ قيام شهر رمضان بأداء نوافل من الصلاة وقراءة القرآن بكامله فيها... وتزيد بعض المصادر بأن زيد بن ثابت حضر العرضة الأخيرة هذه ، كما تذكر مصادر أخرى أيضاً حضور عدد آخر من الصحابة)) .

لقد كانوا يكتبون القرآن على أشياء متنوعة؛ منها ورق البردي[١] ، والجلد وألواح الخشب ، وعظام كتف الجمل ، وقطع الحجارة التي يمكن تثبيت الكتابة عليها إلخ ...

ومع ذلك فقد كان محمد ﷺ يوصي أصحابه في نفس الوقت بحفظ ما نزل من القرآن ، وهو ما فعلوه وذلك بحفظه كله أو بعضه وكانوا يتلونه أثناء الصلاة . وقد كان ثمة حفاظ يحفظون القرآن كله ويعلمونه للناس. **وهكذا ظهرت فيما بعد قيمة هذه الطريقة المزدوجة في حفظ النص بالكتابة من جهة وحفظه في الذاكرة من جهة ثانية))**[٢] .

المطلب الثاني : كتابة القرآن وجمعه في عهد أبي بكر الصديق

حرص النبي صلى الله عليه وآله وسلم على حفظ القرآن كتابة وحفظاً عن ظهر قلب ، وبقي القرآن خلال القرون كلها محفوظاً بهاتين الطريقتين ، ولقد صارت بعض المخاوف عند عمر رضي الله عنه على حفظ الصدور

---

١ – الكتابة على ورق البردي جاءت متأخرة عن زمن الرسول ﷺ.

٢ – من كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم للكاتب الفرنسي موريس بوكاي(ص١٥٨–١٦٠) ويعتبر الكتاب من أحدث وأفضل ما كتب . في المقارنة بين الكتب الثلاثة من الناحية العلمية ، ترجمه من الفرنسية إلى العربية مفتي لبنان المعاصر الشيخ حسن خالد رحمه الله تعالى .

الجامعة للقرآن كله مرتباً ، والمكتوب من القرآن إذ ذاك موزع عند أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم بإملاء النبي ﷺ لهم ، هذه المخاوف جاءت في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه لما كثر القتل بقراء القرآن الكريم في معارك الإسلام ، ولكن الواقع العملي دل على أن هذا القتل بالقراء لم يؤثر على حفاظ القرآن بالصدور بدليل استمرار القراء إلى عهد عثمان في كتابة المصاحف .

الفرع الأول : إليك توثيق الكتابة والجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه[1]:

يروي البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م في صحيحه عن زيد بن ثابت قال : (أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة ، فإذا عمر بن الخطاب عنده ، فقال أبو بكر رضي الله عنه: إن عمر أتاني فقال : إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن[2]، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن

[1] - أردنا في هذا الكلام أن نرد على الكاتب الغربي توبي لستر الذي حاول أن يبين أن القرآن قد ضاع منه ما ضاع في العقود الأولى للإسلام فقال : ((وفي العقود الأولى من الفتوحات العربية قتل عدد كبير من صحابة محمد وبوفاتهم ماتت معارف قيمة عن الوحي القرآني ـ)) ص٥١ (مجلة اتلانتك مونثلي العدد ٢٢ في شهر يناير ١٩٩٩م) ـ فأردنا بالباقي من هذا الرد أن نبين أن كلامه ليس صحيحاً في ضياع شيء من القرآن وذلك في جمع أبي بكر وعثمان للقرآن الكريم حتى أن القرآن كان كاملا وبقي مكتوباً ومحفوظاً في الصدور وإن كان كلامه صحيحا في كثرة الشهداء من القراء في حروب الردة . وبشكل متناقض تماما حاول بعض المستشرقين أن يبينوا بأن الدافع لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في جمع القرآن كان لأمر خاص به وهو أن لا يكون أقل من بعض الصحابة الذين كانوا يملكون مصحفاً خاصاً بهم ولم يكن هو يملك ذلك ـ مقدمة القرآن للمؤلف واط ص٤١ ومقدمة القرآن لبلاشير ص٤١ وسبب جمع أبي بكر كان واضحاً تاريخياً بل إنه تحرج أولاً أن يفعل شيئاً لم يفعله رسول الله ﷺ ، ووجود مصاحف خاصة عند بعض الصحابة لايعطيها الصفة الرسمية عند رئيس دولة بعد رئاسة محمد ﷺ لهذه الدولة لكن الصفة الرسمية والتوثيق الأكيد هو في الصحف التي أمر محمد ﷺ أن تكتب فلابد من الكتابة من الوثائق التي تركها النبي ﷺ وكتبها كتاب الوحي بأمره ـ أما واط فهو عميد قسم الدراسات العربية في جامعة أدنبره في بريطانيا له عدة مؤلفات منها المقدمة ، والإسلام والجماعة الموحدة دراسة فلسفية واجتماعية، والجدل الديني ـ المستشرقون (١٣٢/٢).آراء المستشرقين (١٠٧/١).

[2] - قتل (٥٠٠) صحابي في قتال أهل الردة ـ انظر النشر(٧/١) .

فيذهب كثير من القرآن وإني أرى أن تأمر بجمع القرآن . قلت لعمر : كيف تفعل شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال عمر : هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني حتى شرح الله صدري لذلك ورأيت في ذلك الذي رأى عمر . قال زيد : قال أبو بكر : إنك رجل شاب عاقل لا نتهمك، وقد كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبع القرآن فاجمعه ، فوالله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن .

قلت : كيف تفعلون شيئاً لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ قال: هو والله خير ، فلم يزل أبو بكر يراجعني حتى شرح الله صدري للذي شرح له صدر أبي بكر وعمر رضي الله عنهما، فتتبعت القرآن أجمعه من العسب[1] واللخاف وصدور الرجال ، حتى وجدت آخر سورة التوبة مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدها مع أحد غيره ((لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم)) حتى خاتمة براءة[2]، ((فكانت الصحف عند أبي بكر حتى توفاه الله ، ثم عند عمر حياته ثم عند حفصة بنت عمر رضي الله عنه))[3] .

الفرع الثاني : أهلية زيد بن ثابت العالية : قد يتساءل متسائل لماذا كلف أبو بكر الصديق رضي الله عنه زيد بن ثابت وترك فضلاء كبار الصحابة رضوان الله عليهم نقول : كان ذلك لصفات شخصية سامية في الشاب زيد بن ثابت في حفظ القرآن وحسن الكتابة، أما الذاكرة فقد كان يتمتع بذاكرة مستوعبة ونادرة فقد ثبت عنه في صحيح البخاري أن رسول الله ﷺ أمره أن يتعلم كتاب يهود ليقرأه على النبي ﷺ إذا كتبوا إليه فتعلمه في خمسة عشر يوماً[4] ، أما الكتابة فقد كان زيد بن ثابت جار رسول الله ﷺ فكان إذا

---

[1] – العسب جمع عسيب وهو جريد النخل ، كانوا يكشطون الخوص ويكتبون في الطرف العريض، واللخاف هي صفائح الحجارة الرقاق ــ انظر فتح الباري بشرح صحيح البخاري (٦٢٩/٨) .

[2] – هما الآيتان ١٢٨، ١٢٩ من سورة التوبة .

[3] – صحيح البخاري (١٢٠/٦/رقم٤٩٨٦) . ويعتبر صحيح البخاري أوثق كتاب بعد القرآن نظراً لما تميز جمعه بشروط أكثر دقة من كتب الحديث الأخرى .

[4] – البداية والنهاية (٣٤٦/٥) .

نزل الوحي أرسل إليه فكتب الوحي[1]. قال أبو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م : (فإن قيل : فلم خص زيد بأمر المصاحف وقد كان في الصحابة من هو أكبر منه كابن مسعود وأبي موسى الأشعري وغيرهما من متقدمي الصحابة؟ قلت: إنما كان ذلك لأشياء كانت فيه ، ومناقب اجتمعت له لم تجتمع لغيره ، منها : أنه كتب الوحي للنبي ﷺ ، وأنه جمع القرآن كله على عهد رسول الله ﷺ ، وأن قراءته كانت على آخر عرضة عرضها النبي على جبريل عليهما السلام . وهذه الأشياء توجب تقديمه لذلك وتخصيصه به لامتناع اجتماعها في غيره . وإن كان كل واحد من الصحابة رضوان الله عليهم له فضله وسابقته ، فلذلك قدمه أبو بكر الصديق رضي الله عنه لكتابة المصاحف وخصه به دون غيره من سائر المهاجرين والأنصار)[2] .

الفرع الثالث : جمع زيد دقيق ومحكم : من قول زيد في الحديث الذي رواه البخاري: (فتتبعت القرآن أجمعه من العسف واللخاف وصدور الرجال) يدل على أنه قد اعتمد في الجمع على المكتوب في عهد النبي ﷺوعلى المحفوظ في صدور الرجال والذي يوافق هذا المكتوب ، ولم يكتف بذلك بل كان لا يقبل شيئاً إلا بشهادة شاهدين مع حفظه هو نفسه لكتاب الله ، قال جلال الدين السيوطي : ((أخرج ابن أبي داود من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب قال : قدم عمر فقال : من كان تلقى من رسول الله ﷺشيئاً من القرآن فليأت به ، وكانوا يكتبون ذلك في الصحف والألواح والعسب ، وكان لا يقبل من أحد شيئاً حتى يشهد شهيدان ، وهذا يدل على أن زيداً كان لا يكتفي بمجرد وجدانه مكتوباً حتى يشهد به من تلقاه سماعاً مع كون زيد كان يحفظ ، فكان يفعل ذلك مبالغة في الاحتياط))[3].

نظرات عميقة في توثيق أبي بكر رضي الله عنه للمصحف الذي جمعه:

ولم أر أجمل من تعليق الدكتور عمر رضوان - جزاه الله تعالى خيراً - على توثيق الجمع والكتابة للمصحف في زمن أبي بكر الصديق ولم أر أبلغ

---

[1] - انظر المصاحف للسجستاني(ص٧) .

[2] - المقنع في رسم المصاحف (ص١٢٤).

[3] - الإتقان في علوم القرآن (١/٧٧) .

من رده على بعض المستشرقين[1] إذ قال : تضافرت عليها الجهود وتوفرت لها العوامل لتكون في أعلى مراتب التوثيق والدقة ممالا يتطرق إليها الشك والارتياب . حيث اعتمدوا على الأمور التالية عند تدوين هذه الصحف :

١-حفظ اللجنة المكلفة للجمع لكتاب الله سبحانه وتعالى ـ وعلى رأسها زيد بن ثابت ، وعمر بن الخطاب ـ رضي الله عنهما.

٢-سلامة الأدوات التي كتب عليها النص كاللخاف والعسب والرقاع والعظام وغيرها من الأدوات المستعملة في ذلك العصر للكتابة .

٣-حفظ الصحابي لما عنده من قرآن في صدره .

٤-كتابة نفس القطعة المكتوبة بين يدي رسول الله ﷺ وبأمره من قبل كتبة الوحي .

٥-شهادة شاهدين على أن المكتوب كتب بين يدي رسول الله ﷺ[2].

إذن أخذ القرآن المحفوظ من الصدور والسطور في الجمع في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ، قال الحارث المحاسبي[3] في كتاب فهم السنن : ((كتابة القرآن ليست بمحدثة ، فإنه ﷺكان يأمر بكتابته، ولكنه كان مفرقاً في الرقاع والأكتاف والعسب ، فإنما أمر الصديق بنسخها من مكان إلى مكان مجتمعاً ، وكان ذلك بمنزلة أوراق وجدت في بيت رسول الله ﷺفيها القرآن منتشراً ، فجمعها جامع وربطها بخيط حتى لا يضيع منها شيء))[4][5].

---

[1] – حاول بلاشير أن يثير زوبعة من الشكوك حول هذه الصحف التي جمعت في عهد أبي بكر الصديق وأنها لا تصلح أن تكون أساساً لجمع عثمان على اعتبار أنه لا فرق بينها وبين أي صحف خاصة بالصحابة رضوان الله عليهم ، انظر آراء المستشرقين حول القرآن (٤٦٢/١) .

[2] – انظر آراء المستشرقين حول القرآن (٤٦٢/١) .

[3] – هو الحارث بن أسد البغدادي المحاسبي الصوفي صاحب التصانيف الزهدية ، له كتب كثيرة في الزهد وأصول الديانة توفي سنة ٢٤٣هـ ــ انظر تهذيب سير أعلام النبلاء (٤٥٢/١/ رقم ٢٠٢٢).

[4] – الإتقان في علوم القرآن (٧٨/١) .

[5] – بهذا الجمع للقرآن من السطور والصدور يسقط ادعاء توبي لستر بضياع شيء من القرآن في قوله: ((وفي العقود الأولى من الفتوحات قتل عدد كبير من صحابة محمد وبوفاتهم ماتت معارف قيمة من الوحي القرآني)) ، هذا القول لتوبي لستر جاء في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥١) انظر ترجمة توبي لستر للأستاذ فهمي هويدي في الصفحة (٥٥-٥٩) في هذا الكتاب .

الفرع الرابع : إيداع ووجود مصحف أبي بكر الصديق رضي الله عنه عند حفصة رضي الله عنها عمل رسمي:

بعد جمع القرآن الكريم في الصحف ، وضعت هذه الصحف عند خليفة رسول الله ﷺ أبي بكر الصديق ، ثم عند أمير المؤمنين عمر بن الخطاب – رضي الله عنهما – ثم عند ابنته حفصه أم المؤمنين ـ رضي الله عنها ـ بفعل عمر كما بينت رواية البخاري الآنفة الذكر واستصحب الحال على ما كان عليه عندما تولى الخلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه .

فليس هناك مهمة أو عمل رسمي أوكل إلى حفصة ـ رضي الله عنها ـ كل ما في الأمر أنها أمانة مباركة وتراث مقدس كان يشرف عليه أولئك الذين يحفظونه في بيوتهم ، وتلك جزئية ليست جوهرية ، ولكن لابد من الخير أن ننبه إليها[1]. وذلك رداً على بعض المستشرقين[2] .

ولابد هنا أن ننبه إلى أمر مهم في التاريخ الإسلامي وهو أن الرجل والمرأة كان كل منهما يحاول حفظ الإسلام والمسلمين سواء في القرآن أم في الشخصيات الإسلامية القيادية ولسنا بعيدين عن خبر أسماء بنت أبي بكر ـ رضي الله عنه ـ ذات النطاقين التي كانت تساعد الرسول ﷺ وأبا بكر الصديق في هجرتهما من مكة إلى المدينة . ولسنا بعيدين عن خبر نسيبة أم عمارة الصحابية الجليلة ـ رضي الله عنها ـ التي دافعت دفاعا مستميتاً عن النبي ﷺ في غزوة أحد . قال الله تعالى : ((فاستجاب لهم ربهم أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو أنثى بعضكم من بعض))[3] وقال تعالى : ((من

---

١ – قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (ص١٧١) .

٢ – في مجموع الكلام السابق واللاحق رد على بعض المستشرقين الذين قالوا إن وجود المصحف الذي جمع في عهد أبي بكر الصديق لم يكن في الحيازة الرسمية ولا أماكن الحفظ الخاصة بالدولة ـ انظر مقدمة القرآن للمؤلف واط (ص٤٢-٤٣)، أما الموسوعة البريطانية فقد اكتفت أن تقول عن المصحف الذي جمعه أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ : ((إن الصحف بقيت عند عمر ـ رضي الله عنه ـ ثم تسلمت المهمة بعده حفصة)) رضي الله عنها ـ قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية (ص١٧١) ـ فحفصة تسلمت المهمة بحق بأمر رسمي من أبيها عمر رئيس الدولة .

٣ – الآية ١٩٥ من سورة آل عمران .

عمل صالحاً من ذكر أو أنثى وهو مؤمن فلنحيينه حيـــاة طيبـــة ولنجزينـــهم أجرهم بأحسن ما كانوا يعملون))[1] .

وإذا كانت المرأة والرجل سيان أمام العمل الصالح فالمحافظـــة علـــى القرآن الكريم لاشك أنه من العمل الصالح فليس غريباً أن يوضع المصحـــف الشريف الذي جمعه أبو بكر عند أمير المؤمنين عمر ثم عند ابنته حفصة بعد وفاته – رضوان الله عليهم–.

ومن المهم أن نعلم أن عمر بن الخطاب أمير المؤمنين وهـــو رئيـــس دولة قد أوصى أن توضع الصحف عند ابنته حفصة رضي الله عنـــها وهـــي متمكنة من القراءة وزوج رسول الله ﷺ وحافظة لكتـــاب الله ، ففيـــها كـــل المقومات التي تؤهلها لأن يصان عندها كتاب مقدس كهذه الصحف خاصة إذا أضفنا لذلك حرصها الشديد عليها.

الفرع الخامس : كان جمع القرآن رسمياً :

إذن القرآن الكريم انتقل في أعلى مراتب التوثيق من صحـــف كتـــاب الوحي التي أملاها عليهم النبي ﷺوهو رسول الله ورئيـــس دولـــة جمعـــت الجزيرة العربية كلها تحت قيادته ، ثم انتقل إلى جمع أبي بكـــر الصديـــق ــ رضي الله عنه ــ وهو رئيس دولة ومن جمع أبي بكر إلى جمع عثمان بـــن عفان رضي الله عنه وهو رئيس دولة عندما نسخ المصحف من مصحف أبي بكر الصديق المجموع . والمصحف بقي فترة عنـــد حفصـــة ــ رضـــي الله عنهاــ أمانة ــ وهي أهل لهذه الأمانة ــ بأمر عمر رئيس دولـــة ثـــم أخـــذه عثمان ونسخ عنه وهو رئيس دولة فكان الأمر في أعلى درجات (الرسمية).

---

[1] – الآية ٩٧ من سورة النحل .

المطلب الثالث : كتابة المصاحف من مصحف أبي بكر الصديق في عهد عثمان بن عفان رضي الله عنهما

الفرع الأول : رواية البخاري في ذلك :

روى البخاري المتوفى سنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م[1] عن أنس أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشام في فتح أرمينية وأذربيجان مع أهل العراق ، فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة ، فقال حذيفة لعثمان : يا أمير المؤمنين : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارى ، فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا الصحف ننسخها في المصاحف[2] ثم نردها إليك ، فأرسلت بها حفصة إلى عثمان ـ رضي الله عنهما ـ ، فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام ـ رضي الله عنهم ـ ، فنسخوها في المصاحف، وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة: إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش، فإنما نزل بلسانهم[3] ففعلوا ، حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة .. ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بماسواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق[4]. وفي رواية سويد بن غفلة عن علي ـ كرم الله وجهه ـ قال: ((لا تقولوا لعثمان في إحراق المصاحف إلا خيراً))[5].

---

١ – صحيح البخاري بفتح الباري (٤٩٨٧/٦٢٦/٨) .

٢ – أي ينسخ عنها مصاحف ليبعث بها إلى الآفاق ـ انظر فتح الباري (٦٣٤/٨) .

٣ – قال ابن شهاب فاختلفوا يومئذ في التابوت والتابوه فقال القرشيون التابوت ـ أي بالتاء المفتوحة ـ وقال زيد التابوه ، فرفع اختلافهم إلى عثمان فقال : اكتبوه التابوت فإنه نزل بلسان قريش) ـ فتح الباري (٦٣٥/٨) ـ إن المعنى واحد لكل من التابوت والتابوه ـ انظر تاج العروس للزبيدي مادة (تبت) فليس هنالك اختلاف في المعنى بل في (اللهجة العربية).

٤ – من طريق مصعب بن سعد قال : ((أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك ـ أوقال ـ لم ينكر ذلك منهم أحد)) ـ فتح الباري (٦٣٦/٨) .

٥ – فتح الباري (٦٣٦/٨) .

على حين زعم بعض المستشرقين[1] أن سبب جمع عثمان ــ رضي الله عنه ــ على لسان قريش لأن الطبقة الحاكمة كانت من قريش ، ورداً على هذا القول نقول : كما شاهدنا في الاختلاف في كلمة التابوت لم يكن هناك خلاف في المعنى بين اللغتين لغة الأنصار التي هي التابوه عند الوقف ولغة قريش التي هي التابوت، ولغة قريش كانت أسمى لغات العرب ، وليس غريباً بعد هذا أن ينزل القرآن على لغة قريش وعثمان بن عفان ــ رضي الله عنه ــ هو عليم بذلك .

الفرع الثاني : لم يَضِعْ شيء من القرآن :

على حين ذهب الكاتب في المجلة الأمريكية توبي لستر إلى أن شيئاً من الوحي القرآني قد ذهب أثناء قتل عدد كبير من الصحابة ــ رضوان الله عليهم ــ في الفتوحات العربية الأولى ــ كما يدّعي ــ لذلك بدأ الاختلاف فيما كان قرآناً أو لم يكن قرآناً وحدث هذا في أذربيجان لماعاد القائد العسكري حذيفة بن اليمان من أذربيجان وعبر عن مخاوفه للخلافات المذهبية للخليفة عثمان، أو يقال أنه رجاه أن يتدارك القوم قبل أن يختلفوا بشأن القرآن مثلما اختلف اليهود والنصارى بشأن كتبهم[2] .

والحق أن شيئاً من القرآن لم يضع كما أسلفنا في جمع أبي بكر الصديق ــ رضي الله عنه ــ ، وقلنا إن ما خافه عمر ــ رضي الله عنه ــ لم يتحقق ، ولكن حرصه على القرآن دفعه لجمعه ، فإنه خاف بعد قتال المرتدين في اليمامة أن يكثر القتل بالقراء في المواطن الأخرى فيذهب كثير من القرآن وذلك واضح في رواية البخاري الآنفة الذكر في جمع أبي بكر الصديق رضي الله عنه بلفظ عمر ((إن القتل قد استحرَّ – أي اشتد وكثر[3]– يوم اليمامة بقراء القرآن وإنني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن فيذهب كثير من القرآن)) والحمد لله بقي كثير من القراء لذلك جاء جمع عثمان بن عفان ــ

---

[1] – هذا ما ذهب إليه بلاشير في كتابه ((مقدمات في علوم القرآن)) ص٩٥ وما بعدها . انظر كتاب القرآن والمستشرقون (ص١٠٩ ــ ١١٢) .

[2] – من مقالة توبي لستر الأمريكي في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن عدد يناير ١٩٩٨م ، (ص٥١). أما ترجمة هذا الكاتب فقد بينها الأستاذ فهمي هويدي فيما نقلت عنه في صحيفة الشرق الأوسط وذلك من (من الصفحة ٥٥-٥٩) في هذا الكتاب .

[3] – انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٦٤/١) .

رضي الله عنه ــ موثقاً محفوظاً بالصدور والسطور كما شاهدنا ، والحق أن اختلافهم في زمن عثمان في القراءة الأصح ، ولم ينكر أحد منهم قراءة الآخر إذ كل واحد قرأ بقراءة مما أخذه الصحابي عن رسول الله ﷺ ومن حق حذيفة أن يخاف الاختلاف الأعمق الذي يؤدي إلى أن يعتبر كل واحد منهم قراءة الآخر خطأ قال ابن الجزري[1] المتوفى سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م : (..فرأى الناس يختلفون في القرآن يقول أحدهم للآخر قراءتي أصح من قراءتك فأفزعه ذلك وقال : أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى..)[2] ومن المعلوم أن الأصح والصحيح مقبولان .

وماذا فعل عثمان؟ رضي الله عنه فلقد وجد أبا بكر قد جمع القرآن من صحف الذين كتبوا الوحي التي أملاها عليهم رسول الله ﷺ ، وهو قد نقل من مصحف أبي بكر نفسه فكان نقله بالتسلسل الصحيح .

الفرع الثالث : منهج جمع عثمان ــ رضي الله عنه ــ للقرآن محكم ودقيق:

زعم بعض المستشرقين أن منهج اللجنة ــ لجنة عثمان ــ لم يكن دقيقاً ولا محكماً مما سبب دخول روايات غير إرادية في النص القرآني فيمابعد[3].

ورداً على هذا نعرض ما يقوله الدكتور عمر رضوان مشيداً بمنهج جمع عثمان بن عفان: ((سأعرض منهج الإمام عثمان رضي الله عنه الذي وضعه للجنة للالتزام به :

١-اختيار عثمان رضي الله عنه أعضاء اللجنة من الحفظة لكتاب الله عز وجل لضمان النظام والترتيب والضبط والحصر للآيات.

٢- جعل أصل الجمع النسخة الموثقة الرسمية التي جمعها أبو بكر وكانت محفوظة عند حفصة ــ رضي الله عنها ــ ، وأشبههم

---

[1] – هو الإمام الحافظ أبو الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري الدمشقي الشهير بابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ بمدينة شيراز في إيران ، حاول أن يأخذ كل القراءات المنحدرة السند عن الصحابة رضوان الله عليهم عن رسول الله ﷺ وذلك في العالم الإسلامي ــ انظر البدر الطالع (٢٥٧/٢) ومقدمة تقريب النشر (ص٥) ومقدمة النشر (ص٥) – وهو لهذا كله أكبر جامع للقراءات المتواترة فيما بعد صحابة رسول الله ﷺ .

[2] – انظر النشر في القراءات العشر (٧/١) .

[3] – انظر مقدمة على القرآن لبلاشير (ص٧٩) .

لهجة برسول الله ﷺ[1] وهما عمدة العمل[2] وكذلك من وضعوا مساعدين لهم كانوا أصحاب كفاءة عالية .

٣- كانت اللجنة لا تكتب شيئاً من القرآن إلا بحضرة حافظ ويؤخرون ما كان صاحبه غير حاضر حتى ساعة حضوره . فكان الأمر فيه التروي البالغ لذا امتاز بالدقة ليسلم من الخطأ .

٤- طلب عثمان أن يكتبوا ما يتفقون عليه ، فإذا اختلفوا في شيء منه عليهم أن يكتبوه بلسان قريش لنزول أغلب القرآن به . ومثال ذلك اختلافهم في كلمة ((التابوت)) .

٥- لم يكتبوا شيئاً إلا بعد عرضه أكثر من عرضة ، وبعد التأكد أنه مما أقر في العرضة الأخيرة فجردوا القرآن مما لم يكن متواتراً.

إن هذه الطريقة التي وضعها عثمان رضي الله عنه تعتبر من أدق طرق البحث العلمي ، ومن مناهجه ، وهي قريبة من منهج التحقيق عند العلماء حيث اعتبروا العمل نسخة كأصل ، وقابلوا معها النسخ الأخرى، وأرجعوا كل جزء من القرآن لصاحبه ، وأقر المتفق عليه ليبقى المتواتر من القرآن فقط، ويحذف الآحاد من شروح وتفسير ، فأي دقة مثل هذه الدقة مع أنها قبل ألف وأربعمائة عام ، إنها تدل على نضج العقل المسلم مبكراً قبل أن ترى الحضارة الغربية النور ، ليحق الله الحق بكلماته ويبطل باطل المستشرقين وترهاتهم))[3]

الفرع الرابع : تأملات موريس بوكاي الفرنسي :

وما أجمل ما قرره موريس بوكاي في كتابه ((التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)) في جمع عثمان ــ رضي الله عنه ــ إذ قال : ((إن الخليفة الثالث عثمان بن عفان الذي امتدت خلافته ما بين ٦٤٤-٦٥٥م كلف من بعده مجموعة من المدققين ليقوموا بمراجعة دقيقة للقرآن عرفت فيما بعد باسمه . فدققت المجموعة في أصالة الوثيقة التي جمعت في عهد أبي بكر والتي بقيت محفوظة عند حفصة . ورجعت إلى الذين كانوا يعرفون عن ظهر قلب،

---

[1] - وهو زيد بن ثابت ــ رضي الله عنه ــ .

[2] - أي عمدتنا عمل زيد بالجمع هو مصحف أبي بكر الصديق وحفظ زيد الذي أخذ العرضة الأخيرة عن النبي ﷺ .

[3] - آراء المستشرقين حول القرآن الكريم (٢/٤٧٥-٤٧٦) باختصار .

وتمت عملية التدقيق بحزم . وقد كان ضرورياً توافق الشهادات لاعتماد أية آية قد تكون موضوعاً للجدل . ومن المعلوم أن بعض الآيات القرآنية قد تصحح[1] البعض الآخر فيما يختص بالتعليمات ، وهذا طبيعي إذا اعتبرنا أن رسالة الرسول ﷺ امتدت عشرين عاماً تقريباً . وهكذا تم جمع القرآن حسب ترتيب الرسول ﷺ وكما عرضه طيلة شهر رمضان كما عرفنا .

ويمكن أن نتساءل عن الأسباب التي حدت بالخلفاء الثلاثة ، وعثمان بالذات بإجراء المراجعات على نص الكتاب ، وللإجابة نقول : لقد كان انتشار الإسلام في السنوات العشر الأول عقب وفاة الرسول ﷺ بسرعة عجيبة ، وبين شعوب تتكلم أكثر من لغة غير عربية ، فكان لابد من الاحتياط الضروري في تناقل النص ، للمحافظة على صفائه وأصالته ، وهو ما كان هدف من مراجعة عثمان[2].

وقد أرسل عثمان نسخاً من الأصل بعد المراجعة الأخيرة إلى الأمصار داخل الأمبراطورية الإسلامية))[3]

---

[1] – قال المعلق المترجم مفتي لبنان الشيخ حسن خالد ــ رحمه الله تعالى : ((لعله يشير إلى ما قد يكون بين الآيات من ناسخ ومنسوخ)) (ص١٦١) انظر بحث النسخ (ص١٩٨) والنسخ في القرآن يكون في الأحكام الفقهية العملية لا في العقائد والقصص الأخبار والأخلاق .

[2] – التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (ص١٦١-١٦٢) .

[3] – بل إن سرعة انتشار الإسلام أدى بعد ذلك بفترة إلى بدء انتشار الجهل باللغة العربية لفظاً بين العرب أنفسهم ، مما دفع المسلمين في القرن الأول لتدوين علم النحو إذ أمر علي بن أبي طالب أبا الأسود الدؤلي بهذا بل قام أبوالأسود بتنقيط الكلمات العربية لمعرفة حركات الكلمة من ضم وفتح وكسر وتنوين ، كما أدى انتشار الإسلام إلى تنقيط الإعجام ليميز بين الباء والتاء والنون وليميز بين الجيم والخاء والحاء وليميز بين الفاء والقاف ، كل ذلك سببه سرعة انتشار الإسلام فكان لابد من كتابة المصحف بتوثيق عال لئلا ينتج عنه أي ضياع للقرآن وأي اختلاف فيه ، فهو الأساس العقدي للدولة الإسلامية الناهضة المزدهرة . وكبرهان على بدء انتشار اللحن والأخطاء النحوية ــ بين العرب أنفسهم لاختلاطهم بغير العرب ــ أن أبا الأسود الدؤلي مدون علم النحو ــ نقل عنه أن ابنته رفعت وجهها إلى السماء وتأملت بهجة النجوم وحسنها ثم قالت : ((ما أحسنُ السماءِ ؟؟)) على صورة الاستفهام. فقال لها يا بنية ((نجومُها)) . فقالت : إنما أردت التعجب . فقال لها : قولي ((ما أحسنَ السماءَ)) وافتحي فاكِ ــ القواعد الأساسية للغة العربية تأليف السيد أحمد الهاشمي ــ (ص٥) .

الفرع الخامس : تأملات المستشرق الأمريكي (ر . ف . بودلي) :

قال المستشرق الأمريكي ((ر.ف. بودلي)) في كتابه (الرسول : حياة محمد) عن القرآن : (فبين أيدينا كتاب معاصر فريد في أصالته وفي سلامته لم يشك في صحته كما أنزل أي شيء جدي ، وهذا الكتاب هو القرآن ، وهو اليوم كما كان يوم كتب لأول مرة تحت إشراف محمد ، وعلى الرغم من أن الأفكار قد دونت في الرقاع وسعف النخل والعظام في لحظات غريبة ، فالسور والآيات الأصلية قد حفظت .. ثم يقول : وإن الحسنة الوحيدة في طريقة زيد أنها كانت أمينة فوق الشبهات فلم يفعل شيئاً ليضيف فقرات ، أو يضع جمل ربط أو يحذف أو ينسخ تفاصيل تشين الإسلام[١] ، لقد عمل بإخلاص لا يمكن تصوره حتى إنه لما انتهى من نشر القرآن ، كان الكتاب من عمل مؤلفه خالصاً ومؤلفه فقط))[٢] . أي الله سبحانه وتعالى

الفرع السادس : القراءة الشاذة وتوثيق عثمان للمصاحف :

أمام هذا التوثيق العالي الذي مرت به كتابة المصحف الشريف في عهد الرسول ﷺ وبأمره وفي عهد رؤساء دول من الصحابة وفي لجان منظمة جماعية اعتمدت على الصدور مع السطور في كتابة القرآن أمام هذا وبالرغم من كل ذلك ذهب الكاتب في المجلة الأمريكية إلى أن علماء المسلمين أنفسهم كانوا يصنفون مظاهر المشكلة القرآنية بحساسية شديدة وذكر من ذلك القراءات الشاذة[٣] بل ذهب إلى أكثر من هذا أحد المستشرقين[٤] إذ

---

١ – ليس هناك تفاصيل تشين الإسلام ولكن أردنا أن ننقل النص بأمانة لهذا الكاتب الأمريكي.

٢ – تاريخ القرآن للكردي (ص٦٨-٦٩) والقرآن كلام الله وكفى.

٣ – هذا ما ذهب إليه توبي لستر في مقالته في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤).

٤ – وهو (ج. فانسبرف) وهو مؤلف كتاب المصادر وطرق لتفسير الكتاب المقدس الذي أوفدته جامعة لندن في إجازة علمية لاسطنبول لتأليف هذا الكتاب الذي جاء بعنوان دراسات قرآنية والذي وضعت مسوداته سنة ١٩٧٢م وقد تحملت الجامعة نفقات نشره . وقامت على طباعته دار جامعة أكسفورد للطباعة والنشر، وقرأه وعلق عليه (سيمون هو بكنز) أحد طلاب المؤلف ، وقد وضع المؤلف عناوين فصول الكتاب التي هي ألوان من التفسير عند المسلمين بأسماء يهودية كتسمية التفسير القصصي بالتفسير الهاجادي .. إلخ ــ انظر آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره (١/١٧٠) .

ذكر بعض الحروف الزوائد على المصحف العثماني مثل كلمة (صالحة) في سورة الكهف في قوله تعالى : ((وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة [صالحة] غصباً))[1] ونسبها إلى الصحابي أبيّ بن كعب ؛ لإثبات وجود مصاحف مخالفة للنسخة العثمانية وتشير إلى التطور التاريخي لأدب المصاحف . وقد أشار إلى أن بعضهم اعتبرها شرحاً تفسيرياً فحسب ، أو قراءة شاذة[2] .

أ ـ **أنواع القراءات الشاذة** : قبل البدء بالرد على هذين الكاتبين لابد لي أن أبين أنواع القراءات الشاذة حتى لا تختلط الأمور فأقول ـ والله الموفق ـ أنواع القراءات الشاذة :

النوع الأول : القراءة التي يرويها غير ثقة ولو وافقت الرسم العثماني.

النوع الثاني :القراءة التي تخالف العربية في الفصيح والأفصح ولو وافقت الرسم سواء كانت عن غير ثقة أو ثقة وأندر من النادر أن تروى عن ثقة ، لأن الله تعالى يقول : ((إنا أنزلناه قرآنا عربياً لعلكم تعقلون))[3] .

النوع الثالث : القراءة الشاذة التي صح سندها ولكنها لم تتواتر وجاءت بأخبار الآحاد ولم تستفض ولم تشتهر ووافقت العربية وخالفت الرسم .

أما النوع الأول والثاني فمردود عند علماء الإسلام لعدم صحة ثبوته إطلاقاً فضلاً عن التواتر المطلوب لثبوت القراءة كما سيمر ، أما النوع الثالث فإن علماء الإسلام لا يعتبرونه من القرآن لعدم توفر أركان القراءة الصحيحة للقرآن[4] وهي :

١-التواتر بهذه القراءة بحيث يرويها جمع عن جمع ، لا يمكن تواطؤهم على الكذب .

---

[1] – سورة الكهف الآية ٧٩ وكلمة (صالحة) زيادة من قراءة شاذة كما سيمر .

[2] – آراء المستشرقين حول القرآن الكريم (١/١٧٩-١٨٠) .

[3] – الآية ٢ من سورة يوسف .

[4] – ذكرت أنواع القراءة الشاذة بالأدلة في بحثنا القراءة الشاذة وأنواعها عند القراء وهو باب في كتابنا مدخل إلى علم القراءات وردود على غارات عليها ، الذي سأصدره بعد فترة وجيزة إن شاء الله تعالى .

٢-موافقة القراءة للرسم العثماني المجمع عليه من الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ .

٣-أن تكون القراءة موافقة للعربية في الفصيح والأفصح[١].

ب ـ القراءات الشاذة لم يحصل بها العلم القاطع :

أما التواتر فلم يثبت في هذا النوع الثالث من القراءة الشاذة ولابد منه ليفيد العلم والقطع والجزم بأن هذه القراءة للقرآن من قول الله تعالى، أما القراءة الشاذة هذه فهي ثبتت بخبر الواحد وخبر الواحد يفيد الظن ولا يفيد العلم والقطع والجزم ، فأنت عندما تقول قال الله فلابد من العلم القاطع بذلك وليس بالظن الذي لايفيد العلم القاطع ، وبناء على هذا فإن القراءة الشاذة هذه لا تعتبر قرآناً .

جـ ـ لماذا حرق عثمان ـ رضي الله عنه ـ المصاحف الخاصة؟

الحق أن عثمان بن عفان قد حرق المصاحف الخاصة وبإمكانك أن تسأل عن السبب؟

لقد قلنا : إن عمل عثمان يعتبر رسمياً لأسباب ذكرناها وقلنا إن محمدا رسول الله ونبي الله ﷺ أملى القرآن الذي أوحي إليه في (٢٣) عاماً على كتاب الوحي فكتبوه ، وأن أبا بكر ذهب إلى كتاب الوحي فأخذ منهم المكتوب، وكلف لجنة توثيقية لجمع المصحف الذي كان مفرقاً، فنقله بتوثيق عال من كتاب الوحي لمصحف واحد ، ثم إن عثمان بن عفان رئيس الدولة الإسلامية نقل من مصحف أبي بكر رئيس الدولة الإسلامية نقل مصاحفه بتوثيق عال جدا عن هذا المصحف ، وكان بإمكان عثمان أن يكلف زيداً الحافظ للقرآن لوحده أن يقوم بالأمر بالنقل من مصحف أبي بكر ، ولكنه أراد أن يصنع توثيقاً تاريخياً جماعياً يكون شاهداً على الناس عبر التاريخ إلى يوم القيامة ، وأمام هذا التوثيق العالي هل نأخذ بما كان في بعض المصاحف الخاصة مع ما أضيف إلى القرآن فيها من التفسير وبتوثيق فردي خاص ، لا شك نأخذه بتوثيق جماعي ، أخذ من السطور والصدور فإنه أدق ، فقد أجمع الصحابة رضوان الله عليهم على صحة مصاحف عثمان رضي الله عنه ووافقوا على تحريق المصاحف الخاصة ، فمن طريق مصعب بن سعد قال : ((أدركت

---

[١] – انظر منجد المقرئين لابن الجزري (ص١٥) ، شرحنا أركان القراءة الصحيحة في كتابنا مدخل إلى علم القراءات وردود على غارات عليها .

الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف، فأعجبهم ذلك ــ أو قال ــ لم ينكر ذلك منهم أحد))[1] وفي رواية سويد بن غفلة عن علي ــ رضي الله عنه وكرم الله وجهه ــ قال : ((لا تقولوا لعثمان في إحراق المصاحف إلا خيراً))[2] وفي رواية بكير بن الأشج ((فأمر بجمع المصاحف فأحرقها ، ثم بث في الأجناد التي كتب))[3] .

إن طريقة التوثيق التي سار عليها رئيس لجنة عثمان وهو زيد بن ثابت ــ رضي الله عنه ــ هي التي تحسم الأمر في كل مصحف خاص .

وما وصلنا من هذه المصاحف الخاصة نعتبره قراءة شاذة لا تفيد العلم الذي يؤدي إلى الجزم والقطع بأن هذا كلام الله في القرآن لذلك نأخذه إن صح سنده على أنه تفسير للقرآن ، وليس بقرآن كريم ، ولم يحرق عثمان مصحف حفصة أبداً بل رده إليها رضي الله عنها وهذا ما جاء في أصح وثيقة بعد القرآن عند المسلمين وهو صحيح البخاري جاء فيه : ((.. حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة ــ رضي الله عنها ــ، فأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا ، وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق))[4] فلم يحرق الوثيقة السابقة المنقولة عما هو موجود عند كتاب الوحي مما أملاه عليهم رسول الله ﷺ.

د ــ القراءات الشاذة الصحيحة لا تتعارض مع القرآن :

وأما المثال الذي ذكره المستشرق الثاني من سورة الكهف فقد سبقه خبر الخضر عليه السلام الذي كان بصحبته موسى عليه السلام فقام الخضر ببعض الأعمال التي لم تتكشف حكمتها لموسى عليه السلام فمن ذلك ((فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً. قال ألم أقل إنك لن تستطيع معي صبراً))[5] ثم أظهر الخضر حكمة فعله بقوله تعالى على لسانه : ((أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت

---

1 – فتح الباري (٨/٦٣٦) .

2 – فتح الباري (٨/٦٣٦) .

3 – فتح الباري (٨/٦٣٦) .

4 – صحيح البخاري بفتح الباري (٨/٦٢٦) .

5 – الآيتان ٧١،٧٢ من سورة الكهف .

أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصباً))[1] إنك بطريقة الاستنباط من سياق الكلام تفهم أن الملك لا يأخذ سفينة معيبة فلذلك عابها الخضر عليه السلام ، فما معنى أن الملك لا يأخذ سفينة معيبة؟ معناها أنه لا يأخذ سفينة إلا وهي صالحة فجاءت قراءة أبيّ بن كعب ـ رضي الله عنه ـ توضح المستنبط من الآية ((وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصباً فأردت أن أعيبها)) فلقد ذكر هذه القراءة الشاذة بإضافة ((صالحة)) المستشرقون عن أبي ، وثبت عنه ذلك عند المفسرين[2] وما المشكلة في ذلك؟

ولكن هل نعتبر ذلك قرآناً يتلى . الجواب : لا . وهل يغير المعنى للآية بتطور تاريخي اللهم لا!! ، وإلا فأي تطور تاريخي لأدب المصاحف ذهب إليه المستشرق والمعنى واحد تماماً ولا يختلف في شيء .

فالحساسية التي ذهب إليها المستشرق الأول[3] إنما هي عند الكاتب في المجلة توبي لستر لا عند علماء المسلمين الذين تتضح أمامهم الأمور.

هـ ـ **الاستفادة من القراءات الشاذة الصحيحة** : إليك قول عالم من علماء الإسلام أوضح الأمر لكل جاهل به :

قال أبو عبيد المتوفى سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م[4] في (فضائل القرآن) : ((المقصد من القراءة الشاذة[5] تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها، كقراءة عائشة وحفصة : والصلاة الوسطى صلاة العصر ، وقراءة ابن مسعود ، فاقطعوا أيمانهما ، وقراءة جابر : فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم . قال: فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن وقد كان يروى مثل

---

[1] ـ الآية ٧٩ من سورة الكهف .

[2] ـ ثبتت هذه قراءة أبي ((صالحة)) في تفسير روح المعاني للآلوسي (١٦/١٠-١١) وذكرها الزمخشري في الكشاف (٣٩٩/٢) .

[3] ـ هو (ج. فانسبرف) كما مر .

[4] ـ هو القاسم بن سلام الخراساني البغدادي أحد الأعلام المجتهدين وصاحب التصانيف في القراءات والحديث والفقه واللغة والشعر ، قال أبو عمرو الداني عنه : إمام أهل دهره في جميع العلوم صاحب سنة ثقة مأمون ، قال أبو قدامة : سمعت أحمد بن حنبل يقول : ابو عبيدة أستاذ وقال الدارقطني : ثقة إمام جبل ، وسلام أبوه رومي. توفي رحمه الله تعالى سنة (٢٢٤هـ/٨٣٩م) ـ انظر غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري عني بطبعه (ج.برجستراسر) (١٧/٢/٢٥٩٠) وانظر معرفة كبار القراء للذهبي (١٧١/١/٧٦)-.

[5] ـ أي الشاذة المروية بالآحاد الصحيحة وليست المردودة على ما مر في أنواع القراءات الشاذة.

هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن ، فكيف إذا روي عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى ، فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل))[١] وقال ابن الجزري ـ رحمه الله تعالى المتوفى سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م – عن الصحابة في المصاحف الخاصة : ((وربما كانوا يدخلون التفسير في القراءات إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي ﷺ قرآناً فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه))[٢].

وأخيراً : نقول لقد كان لجمع عثمان بن عفان رضي الله عنه الصحابي الخليفة الثالث دور كبير في توثيق النص القرآني ، ولئن كان قد قتل بمؤامرة يهودية دبرها عبدالله بن سبأ اليهودي[٣] وسال دمه على مصحفه لكنه بحسن توثيقه وتحريه ومن معه للوصول إلى النص القرآني بقي جمعه وتوثيقه وتحريه مخلداً بعد استشهاده رضي الله عنه ، وبقي القرآن يتجلى على الناس أجمعين عبر القرون والأزمان.

وفعلاً أدرك عثمان رضي الله عنه الناس قبل أن يختلفوا اختلاف اليهود والنصارى كما أشار الكاتب في المجلة[٤] فثبتهم على مصحف موثق أجمع عليه الصحابة رضوان الله عليهم وأبعد كل قراءة لا تستفاد بالعلم القاطع عن آيات القرآن ، فالحمد لله على اجتماع المسلمين على أكبر داع للوحدة الإسلامية بينهم .

---

١ – الإتقان في علوم القرآن (١٠٨/١) . صحة التأويل أي صحة التفسير .

٢ – الإتقان في علوم القرآن (١٠٢/١) .

٣ – كان سبب تألب الأحزاب على عثمان ـ رضي الله عنه ـ هو رجل يقال له عبد الله بن سبأ، كان يهودياً فأظهر الإسلام وسار إلى مصر فألب بعض الناس هنالك على عثمان ـ رضي الله عنه ـ ثم ألب جماعات من عوام أهل الكوفة والبصرة ، فتمالؤوا على ذلك وتكاتبوا فيه ـ أهـ من البداية والنهاية لابن كثير باختصار (١٦٧/٧-١٦٨) .

٤ – انظر قول توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد ينـاير ١٩٩٩م (ص٥٠) .

المطلب الرابع : مقارنة المصاحف المعاصرة في العالم مع بعضها بعضاً :

بمقارنة المصاحف الحديثة فيما بينها ، وهي المصاحف التي طبعت عندما اخترعت وسائل الطباعة سواء في بلاد المسلمين أم في بلاد الغرب ، وخاصة ألمانيا ، وبالمقارنة نلاحظ التشابه التام بينها لكن الحق يقال في أن بعضها قد خالف الرسم العثماني[1] بترك الرسم الاصطلاحي[2] إلى الرسم القياسي[3] في بعض الكلمات مع الاتفاق بأن اللفظ لا يتغير في الحالين ، والصواب هو اتباع الرسم العثماني، وعليه كثير من العلماء[4] . وعلماء الجامع الأزهر خاصة قاموا بالتزام كتابة المصحف بالرسم العثماني، وذلك في ١٠ ربيع الثاني ١٣٣٧هـ. وهذا واضح في اعتمادهم المصحف الأميري المعروف في مصر .

لكن نقول في نهاية المطاف : إن المصاحف الحديثة كلها متشابهة ومتطابقة في لفظ كل قراءة، وموضوع الرسم الاصطلاحي العثماني لا ينفي الرسم القياسي ولا يتعارض معه مادام اللفظ واحد في موافقته لقراءات القرآن الكريم[5].

الفرع الأول : الرسم العثماني وقواعد الإملاء الحديثة :

وعند كلامنا عن الرسم العثماني والتزام الصحابة بالرسم الاصطلاحي في بعض الكلمات لابد لنا أن نقول إن لكل لغة خصوصياتها في الكتابة .

---

[1] – الرسم العثماني هو رسم كتابة المصحف في زمن عثمان بن عفان وبموافقة الصحابة ، وقد نقل عن المصحف الذي جمع وكتب في عهد أبي بكر الصديق الذي جمعه من المتفرقات التي تركها الرسول ﷺ عند عدد من أصحابه .

[2] – نقصد هو ما خالف حروف التهجي ككلمة الصلاة تكتب بالواو عوضاً عن الالف ولكنها تلفظ بالألف باتفاق قراء القرآن جميعاً .

[3] – نقصد هو ما وافق حروف الهجاء ككلمة كان تكتب بحسب التهجي كاف فألف فنون .

[4] – انظر مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص١٤٧) لكن أجاز أبو بكر الباقلاني في كتابه (الانتصار) كتابة النص القرآني بالذي يصطلح عليه في كل عصر ، انظر (ص١٤٨) من المرجع السابق.

[5] – إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى (ص١١٨-١١٩) .

أ ـ لكل لغة خصوصياتها في قواعد إملائها :

فاللغة الإنجليزية لها قواعدها في الإملاء واللفظ في الكثير من كلماتها المكتوبة فلا تلفظ في الكلمة الواحدة بعض الحروف التي تكتب وبعض الحروف تلفظ منفردة بلفظ ومجتمعة بلفظ .

يقول الأستاذ الدكتور طالب عبد الرحمن عن اللغة الإنكليزية في كتابه ((نحو تقويم جديد للكتابة العربية)):

((علاوة على ما سلف ، هناك ظاهرة الحروف التي تكتب ولا تقرأ (أي: الصامتة) . وسنذكر الحروف التي تأتي صامتة في المسرد الآتي ، وبإزاء كل حرف مثال أو مثالان ، وقد وضع تحت الحرف الصامت خط. علماً بأن مجيء هذه الحروف صامتة لا يخضع، في معظمه لأي ضابط.

b: bomb.
C: scene, muscle.
g: sign, gnaw.
gh: ought, light.
h: exhasted, vehicle.
K: know.
I:half.
m: mnemonic.
n: autumn, government .
nc: blancmange .
p: psychology, corps .
r: car .
s: aisle, patois.
t: often, fasten .
th: asthma .
w: wrong, answer.
x: faux pas.

فضلاً عما ذكره ، قد يستخدم حرفان للتعبير عن صوت واحد ، مثل **(sh)** للدلالة على صوت الشين ، و**(ph)** للدلالة على صوت الفاء، و**(th)** للدلالة على صوتين هما الثاء ، أو الذال .

وقد يكرر الحرف للدلالة على صوت واحد ، مثل :

happy, Jelly, nappy.

وقد يكتب الصوت الواحد بحرفين منفصلين ، مثل :

hate, cane, bide, bite, rode, code, mede, cube, cute.

وبالرغم من وجود رمزين للدلالة على صوت الفاء ، وهما **(f)** و**(ph)**، فإننا لا نجد أي رمز كتابي للدلالة على صوت **(s)** في كلمة **pleasure** .

في مقابل ذلك، نجد حرفين ، هما (**c**) و (**x**) ، يمكن الاستغناء عنهما لأن هناك بديلين عنهما، وهما (**k**) و (**s**) .))[1] .

ثم يقول عن الفرنسية ((ففي الفرنسية نجد الكثير من الكلمات التي تنطق بأصوات قد يصل عددها إلى نصف عدد حروف الكلمة، مثل **haut-parleurs** حيث تنطق : أوبا غليغ **[oparloe:r]** وكلمة **(beaucoup)** حيث تنطق: بُكُ **(boku)** ، وكلمة **(heureusement)** حيث تنطق ايغزمَ **[oe:rzema]** ، وكلمة **hors-d' oeuvre** حيث تنطق: اوغد يفغ **[ordoe:vr]** وغير ذلك كثير))[2] .

واللغة العربية لغة أصيلة جمعت بين الماضي والحاضر جمعت ثقافة لا تزال تقرأ من القارئ العربي وهي قد كتبت سابقاً بما يزيد على ١٤٥٠ عام ، تقرأ في كتبها الوفيرة الموجودة في الشرق والغرب؛ هذه اللغة لها خصوصياتها في الكتابة في العصر الحديث ، ولها خصوصيات أخص في كتابة المصحف الشريف في الرسم العثماني الذي لا يجوز أن يترك حتى لا يخضع القرآن للتطور الإملائي على مر القرون، وإلا فسينتج عن ذلك أنواع من المصاحف مختلفة قد تشكك كثيراً من أنصاف المتعلمين بسلامة نصوص القرآن الكريم على مر القرون.

---

[1] – نحو تقويم جديد للكتابة العربية (ص٩٧) .

[2] – نحو تقويم جديد للكتابة العربية (ص١٠٢) .

ب ــ قواعد الإملاء الحديثة قد تختلف عن الرسم العثماني في المصاحف وحكمة ذلك في الرسم العثماني :

إن قواعد الإملاء العربية الحديثة قد تتفق مع رسم القرآن وقد تختلف، فمثلاً كلمة الصلاة تكتب في الرسم العثماني ((الصلوة)) حسب الرسم الاصطلاحي الذي اصطلح عليه الصحابة في رسم مصحف عثمان رضي الله عنه بينما تكتب في قواعد الإملاء الحديثة ((الصلاة)) بالألف حسب حروف الهجاء ، أما كلمة ((كان)) فهي بنفس الرسم في المصاحف وقواعد الإملاء العربية ، ومع ذلك فقد تتبدل قواعد الإملاء الحديثة في بعض حيثياتها يقول الأستاذ الأديب المعاصر / عبدالسلام هارون في كتابه ((قواعد الإملاء)) تحت عنوان (نقص الألف وسطاً) : ((تنقص ــ أي الألف ــ من لفظ الجلالة (الله)، ومن كلمة (الرحمن)، و(الحرث) علمين مقرونين بأل، ومن (طه) ، و(يس) ومن (إله) و(الإله) و(السموات).

وكذا ألف (لكن) و(لكنّ) و(أولئك) و(ثلاث) من (ثلثمائة) وكان القدماء ينقصونها من كل علم مشهور زائد على ثلاثة كإبرهيم ، وإسمعيل، وإسحق، وهرون، وسليمن، وعثمن، وسفين، ومعوية.

والمحدثون يثبتونها في كل ذلك))[1] .

من هنا نرى أن قواعد الإملاء العربية قد تطورت في بعضها ولم تتطور في بعض آخر ، فإذا أخضعنا القرآن للتطور الدائم في قواعد الإملاء نتج عنه وجود نصوص مختلفة رسماً وما دام الإسلام مستهدفاً من أعداء ألداء عادوه بغير حق على مر العصور فلا يمكن أن يترك لهؤلاء ذريعة بتطور قواعد الرسم في القرآن الكريم .

الفرع الثاني : مؤلفات في الرسم العثماني :

وقد اعتنى العلماء بالرسم العثماني حتى أفرده علماء الرسم بالتصنيف، فقد ألف أبو عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ-١٠٥٢م كتابه المقنع في رسم مصاحف الأمصار وقد سبقه الأنباري في التأليف في هذا الباب ، وألف أبو بكر عبد الله بن داود السجستاني المتوفى سنة : ٣١٦هـ-٩٢٩م كتاب (المصاحف)، وألف الإمام الزركشي: (علم مرسوم الخط) وشرح الشيخ إبراهيم بن أحمد المرغني منظومة للخراز بعنوان (دليل الحيران شرح مورد

---

[1] – قواعد الإملاء لعبد السلام هارون (ص٤٣) .

الظمآن في رسم وضبط القرآن) إلى غير ذلك من الكتب التي ألفت في هذا المجال وكلها راجعة بالأصل إلى الرسم العثماني في المصاحف التي أرسلها عثمان ــ رضي الله عنه ــ إلى الأمصار بعد الجمع الأخير. وهذا مما يدل على أن علماء الإسلام حاولوا أن يبينوا الرسم العثماني للقرآن الكريم[1].

المطلب الخامس: المقارنة بين المخطوطات المصحفية القديمة للقرآن والمصاحف الحديثة:

الفرع الأول: أماكن بعض المخطوطات القرآنية القديمة:

توجد المصاحف القديمة في أنحاء مختلفة في العالم الإسلامي وغيره من ذلك الرقوق المصحفية القديمة في المكتبة الوطنية الفرنسية قال الدكتور/ محمد قبيسي: ((ويسترعي الانتباه بين المخطوطات العربية مجموعة من النسخ القرآنية كتبت بالخط الكوفي، وعلى ورق خاص (ورق الرق) ، في القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، وهذه النسخ محفوظة في المكتبة الوطنية تحت الأرقام التالية: ٥١٠٣، ٥١٢٢، ٥١٢٣، ٥١٢٤، ٥١٧٨، ٥١٧٩))[2] .

وهناك مخطوطات أخرى قديمة للقرآن الكريم في أماكن مختلفة من متاحف مكتبات العالم ، والشيء العجيب هو تطابق هذه المخطوطات القرآنية القديمة جميعاً مع مطبوعات القرآن الكريم الحديثة في العالم الإسلامي كله ، يتحدث الكاتب الفرنسي موريس بوكاي مبيناً الأمر فيما يخص المخطوطات القرآنية الموجودة في المكتبة الوطنية في باريس فيقول : ((..فإنا نرى أن أقدم المخطوطات المعروفة في أيامنا والموجودة في العالم الإسلامي كله واحدة . وكذلك التي لا تزال موجودة في أوروبا [في المكتبة الوطنية في باريس يوجد بعض الأجزاء التي تعود حسب إفادة المدققين إلى القرنين الثامن والتاسع الميلاديين، الثاني والثالث للهجرة] إن تعدد النصوص القديمة المعروفة تتفق فيما عدا دقائق متنوعة لا تغير شيئاً من المعنى العام للنص إذا اعتمدت

---

[1] – وإذا أكدنا أنه لابد من كتابة المصاحف بالرسم العثماني سداً للذرائع فإننا نرى أنه لا مانع أن تكتب الآيات بقواعد الإملاء الحديثة في الكتب الإسلامية للاستشهاد بالآيات وكذلك في أسئلة الامتحانات وإجاباتها – والله أعلم – لأن ذلك لا يؤدي إلى ادعاء بتغيير القرآن على مر العصور، فالعمدة هي المصاحف في النصوص القرآنية المكتوبة .

[2] – علم التوثيق والحفظ في الوطن العربي (ص٤٥) .

القرينة أحياناً[1] . فهناك عدة وجوه للقراءة تجعل الكتابة القديمة أسهل مما هي عليه الآن))[2].

الفرع الثاني : أهم المخطوطات القرآنية القديمة المكتشفة هي مصاحف صنعاء وادعاء شبهة بسببها :

وكان أهم ما اكتشف في عصرنا الحديث في عالم المصاحف القديمة هو ٤٠.٠٠٠رق هي صفحات لمصاحف كريمة وجدت في سقف الجامع الكبير في صنعاء وذلك عام ١٣٨٥هـ الموافق ١٩٦٥م[3] ،وهي من القرن الأول الهجري والثاني والثالث ، فلقدمها مع كثرتها تعد أهم المصاحف القديمة في العالم الإسلامي .

لقد أنشأت حكومة الكويت لهذه المصاحف في الكويت عام ١٩٨٣م معرضاً في دار الآثار[4] ولم يكن أحد يتكلم شيئاً مشيناً لأن هذه المصاحف تمثل شرفاً واعتزازاً أعطاه اليمن للكويت لأن هذه الصفحات في رأينا تمثل أصالة القرآن وأنه هو هو لم يتبدل على مر القرون ، تقول السيدة حصة صباح السالم الصباح في الصفحات المختارة للمعرض : ((لقد تم بالواقع اختيار ثمانين صفحة من صفحات هذه المصاحف بمساعدة الدكتور جيرد بوئن القائم بأعمال المشروع الألماني في صنعاء، وروعي في الاختيار أن تشكل المجموعة المختارة أهم نماذج الخطوط المبكرة التي عثر عليها مثل الحجازية والكوفية بأنواعها الشرقية منها والغربية))[5] .

ولقد قمت بدراسة مخطوطة من مصاحف صنعاء التي كانت موجودة في السقف قمت بالدراسة عام ١٩٩٨م وقدمتها إلى مجلة كلية الآداب

---

[1] – قد أوضح ابن الجزري رحمه الله تعالى أسس العلاقة بين معاني القرآن الكريم بتعدد القراءات.
انظر النشر في القراءات العشر (١/٤٩–٥٠) وقد أفردت لهذه الأسس بحثاً خاصاً لمجلة كلية الشريعة في جامعة الكويت .

[2] – كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (ص١٦٢) .

[3] – انظر كتاب مصاحف صنعاء (ص٥) لمقالة للسيدة حصة صباح السالم الصباح . وانظر مقالة العلامة القاضي إسماعيل الأكوع رئيس هيئة الآثار في صنعاء (ص٢٠) .

[4] – انظر مصاحف صنعاء (ص٥) من مقالة السيدة حصة صباح السالم الصباح.

[5] – في مشرق العالم الإسلامي ومغربه .

بجامعة صنعاء وتم نشرها في العدد /٢٢/ لسنة ١٩٩٩م ، وأشرف على بحثي فيها أستاذي يوسف ذنون الموصلي والدكتور / عبدالحق القاضي اليمني، وحاولت أن تكون دراستي شاملة لها في الخط والرسم والتنقيط واسم السورة وعدد الآيات ، وأثبت أنها من القرن الثالث الهجري ، وكان أهم ما في البحث الخاتمة التي أكدت فيها أن هذه اللوحة لا تختلف عن ما في المصحف الأميري المطبوع في مصر عام ١٣٣٧هـ فالتطابق يدل على حفظ الآيات الموجودة في هذه اللوحة من القرن الثالث الهجري حتى الآن .

بعد كل هذه الإشادة بمصاحف صنعاء وأصالتها وشرف المسلم بها وبالمخطوطات القرآنية القديمة عامة مما تكلم عنه موريس بوكاي وحصة صباح السالم الصباح . نعم وبعد حفظ القرآن كما رأينا بالسطور وبالصدور في كتابة القرآن في عهد الرسول ﷺ وأبي بكر وعثمان- رضي الله عنهما- ومع مقارنة المصاحف الحالية مع بعضها ومع الحفظ بالصدور بالسند إلى رسول الله بما لا يحصى من الأسانيد بعد كل هذا التوثيق للقرآن الكريم ، طلع علينا توبي لستر بادعائه أن هذه المصاحف القديمة التي وجدت في سقف الجامع الكبير تخالف ماعليه مصاحف المسلمين الآن ونقل هذا عن الدكتور جيرد بوئن الألماني[1] مع أن جيرد بوئن نفى هذا بخط يده كما سيمر ذلك برسالته (ص١٠٢) في هذا الكتاب .

الفرع الثالث : ترجمة توبي لستر وقوله عن مصاحف صنعاء القديمة فيما نقل الأستاذ الكريم / فهمي هويدي الكاتب المصري المعاصر:

لم نكن على إطلاع على هذا الأمر أولاً لولا ما نشرته صحيفة الشرق الأوسط في عدد رقم ٧٣٤٩ وذلك يوم الاثنين في ١٩٩٩/١/١١م (ص٩) من الصحيفة وذلك في مقالة للأستاذ الكريم فهمي هويدي تحت عنوان ((غارة أخرى على القرآن تطعن في تنزيله وصدقيته)) وإليك نص ما قال :

((هذا عدوان جديد على القرآن يطعن في تنزيله وصدقيته ، يأتي بعد ستة أشهر من محاولة تزييف بعض السور القرآنية والترويج لها عبر شبكة المعلومات الدولية (الانترنت) التي تحدثنا عنها في هذا المكان في شهر يونيو (حزيران) الماضي، غير أن هذا العدوان الجديد أخطر من ثلاثة أوجه: أولها أنه يشكك في أن القرآن منزل من عند الله ، وثانيها أنه يرتدي لبوس البحث الأكاديمي الهادئ والرصين، وثالثها أنه يستشهد بوقائع محددة تحتاج إلى

---

[1] – ادعى ذلك في مجلة انتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٤).

تحقيق. الذين شنوا غارة حزيران على القرآن أشخاص مجهولون ومقاصدهم كانت واضحة ومفضوحة، وأداؤهم كان فقيراً إلى حد البؤس، بحيث لا يكاد ينطلي على أحد ، أما عن الغارة الأخيرة فلها صاحب أعلن عن نفسه ، وحدثنا عن (اكتشاف) لم يسمع به أحد ، دقق به دراسته عن القرآن (وتأليفه) أعني أنه لا يتحدث فقط عن انطباعاته ورؤيته الشخصية ، ولكنه يقدم لنا هذه الرؤية موظفاً (معلومات) سنأتي على ذكرها حالاً. الدراسة التي نتحدث عنها نشرتها مجلة اتلانتك مونثلي وهي مجلة شهرية محترمة تصدر في واشنطن. وكانت موضوع الغلاف لعدد يناير (كانون الثاني) لسنة ٩٩م التي دخلنا لتونا فيها . على غلاف ذلك العدد الأخير من المجلة ظهر عنوان كبير بسؤال : ما هي حقيقة القرآن؟ وتحت العنوان صورة لمصحف اخترقته عدسة مكبرة كتبت عليها عبارة تقول : ((دأب الباحثون على النظر إلى القرآن بنفس الطريقة التي كانوا ينظرون بها إلى الإنجيل، غير أنه يتعين عليهم الآن أن يتعاملوا معه بمنتهى الحذر!)) .

ولأنه موضوع الغلاف ، فإن رسالة ناشري المجلة سلطت عليه الضوء ، وقدمت لنا الكاتب الذي أعده ، ومن التقديم عرفنا أن هذا الشخص ــ توبي لستر ــ حديث التخرج نسبياً من الجامعة ، حيث أنهى دراسته في جامعة (فرجينيا) عام ٨٧م . وبعد تخرجه ذهب في عام ٨٨م إلى اليمن ضمن مجموعة من المتطوعين الذين ينخرطون في ما يسمى بفيلق (السلام) وهم الشبان الذين ترسلهم الولايات المتحدة الأمريكية لقضاء فترة الخدمة العسكرية في القيام ببعض الأعمال التطوعية في بلدان العالم الثالث. قضى الشاب سنتين في اليمن ، ثم عاد إلى الولايات المتحدة، وظهر بعد ذلك في الضفة الغربية موظفاً في وكالة الغوث الأمريكية. هناك قضى سنتين من ٩٢ إلى ٩٤ ــ شهد خلالهما المرحلة الأخيرة من الانتفاضة الفلسطينية، وخلال السنوات الأربع التي قضاها في اليمن وفلسطين تعلم اللغة العربية ، وصار (خبيراً) بوسعه أن يخوض في أصل القرآن وتاريخ الإسلام والمسلمين.

وللدقة فإن الرجل لم يزعم لنفسه تخصصاً في الموضوع ، ولم يقل إن وجوده في المنطقة العربية شجعه على التعرف على تاريخها وثقافتها ، بل إن العكس هو الصحيح، لأن مقدمة الناشرين أقنعتنا بأنه مجرد (هاو) يوزع اهتماماته بين موضوعات شتى يعالج بها مختلف جوانب الحياة الأمريكية، ولم يسبق له الكتابة عن الإسلام أو المسلمين، ومن ثم فإن دراسته عن أصل

القرآن هي أول اقتراب له من الموضوع، وهو الاقتراب الذي أراد منه أن ينسف الموضوع كله ويقتلعه من جذوره!

هو إذن باحث مبتدئ من الوزن الخفيف ، رحبت المجلة بما كتبه وأبرزته على غلافها ، وأفسحت لمقالته ١٢ صفحة لأسباب نستطيع أن نفهمها، نحن الذين أصبحنا نرى احتفاء وتهليلاً في العديد من الدوائر الغربية بأي كلام أو أي شخص يطعن في الإسلام ويجلد المسلمين . لم يخف الكاتب دهشته من المكانة التي يحتلها القرآن في قلوب وحياة المسلمين وقال صراحة أن تلك الدهشة انتابته حين زار اليمن لأول مرة عام ٨٨م ووجد أن للقرآن حضوراً قوياً وعميقاً في المجتمع. وأن آياته كانت تستلفت نظره في كل مكان يذهب إليه، من قاعات الدراسة إلى دواوين الحكومة، مروراً بالطائرات والمطاعم. أثارت الظاهرة حساسيته وفضوله ، وربما استياءه أيضا فأشار في مقالته إلى أنه ما من مكان في الغرب يتمتع فيه كتاب بذلك النفوذ وتلك القدسية التي يتمتع بها القرآن في العالم العربي والإسلامي .

وهو ينزع عن القرآن صفة التنزيل والقدسية استهل الكاتب مقالته بالقصة التالية:

وفي عام ١٩٧٢م بينما كان العمال يشتغلون في عملية ترميم سقف مسجد صنعاء الكبير ، عثروا بين اثنتين من طبقات سقفه العتيق على مجموعة كبيرة من رقائق الجلد التي امتلأت بالكتابات ومعها تل من بقايا اللفافات والمخطوطات، وقد تآكلت كلها وطمست معالمها بفعل الرطوبة والأمطار والفئران وقوارض الحشرات . لم يفهم العمال شيئا من المخطوطات التي صادفتهم ، وغاية ما فعلوه أنهم جمعوها وملأوا بها حوالي عشرين من أجولة البطاطا ، ثم وضعوها إلى جوار إحدى منارات المسجد. وحين علم بالأمر القاضي إسماعيل الأكوع مسؤول الآثار في اليمن آنذاك، ذهب إلى المكان، وتفحص بعض المخطوطات جيداً ، وأدرك أنه بصدد كشف كبير وغير عادي ، وأن مهمته فحص تلك الكمية الكبيرة من المخطوطات المتآكلة والمهترئة تتجاوز بكثير ما هو متوفر لديه من إمكانيات ، من ثَمّ فإنه قرر أن يستعين بالخبرة الدولية لتحقيقها . وبعد سنوات أتيح لأحد الباحثين الألمان أن يطلع على نماذج منها، ونجح الرجل في أن يقنع الحكومة الألمانية بتمويل عملية ترميم وحفظ ذلك الكم الكبير من بقايا المخطوطات .

وحين بدأ العمل في المشروع تبين أن مجموعة الرقوق والمخطوطات التي عثر عليها تضم آلاف القطع الصغيرة والشظايا التي كتبت عليها بخطوط حجازية قديمة نصوص من القرآن . ولما كان الشائع بين المسلمين أن هناك نسخة واحدة من القرآن – أضاف الكاتب ــ فإن ظهور نسخة أخرى يرجع عمرها إلى القرن الأول أو الثاني الهجري يعد اكتشافاً هائلا من شأنه أن يقلب مجمل التفكير الإسلامي رأسا على عقب ، باعتبار أن هذه النسخة تعد أقدم نص قرآني يعثر عليه حتى الآن ، الأهم من تلك أن الرقائق التي عثر عليها تضمنت نصوصاً مختلفة عن تلك الواردة في القرآن المتداول الآن بين المسلمين وهذا هو المقصود بــ((الانقلاب)) الذي يمكن أن يحدثه الكشف في العقل الإسلامي المعاصر.

قال الكاتب توبي ليستر إن أول من عكف على دراسة تلك الشظايا من الرقوق والمخطوطات ، وأدرك أهمية محتواها في سنة ١٣٨١هـ كان الألماني جيرد بوئن الأستاذ المتخصص في الخطوط العربية والدراسات القرآنية ، الذي يعمل بجامعة (سارلاند) في مدينة (ساربروكين) . وهو الرجل الذي أوفدته الحكومة الألمانية للإشراف على عملية الترميم . وقد نسب الكاتب إلى البروفيسور بوئن قوله أنه تم ترميم وتجميع ١٥ ألف صفحة مما وصفه بــ((القرآن اليمني)) وهو الآن محفوظ في مركز المخطوطات اليمنية ، ولكن الجهات المسؤولة في صنعاء حريصة على كتم الأمر حتى لا تحدث بلبلة في العالم الإسلامي .

أضاف أن الباحث الألماني أشرك معه ألمانياً آخر من العاملين بذات الجامعة اسمه (جراف فون بوتمر) وأن الاثنين نشرا مقالات تضمنت إشارات عامة وغير مفصلة إلى الاكتشافات التي وقعا عليها ، وقصدا ألا يتحدثا عن كل ما وجداه من باب الحذر وحتى لا تمنعهما الحكومة اليمنية المترددة من مواصلة مهمتهما .

بعدما أنهى الباحثان الألمانيان مهمتهما في عام ١٩٩٧م عادا إلى بلدهما ومعهما ٣٥ ألف صورة ميكروفيلمية للرقوق والمخطوطات اليمنية ، وأصبح بوسعهما بعد ذلك أن يتكلما ويكتبا بحرية أكثر عما وجداه ، أشار الكاتب إلى هذه المعلومة ، لكنه لم يذكر ما إذا كان الأستاذان الألمانيان قد نشرا شيئا خلال العام الذي انقضى بعد عودتهما وانتهاء مهمتهما . ومن الواضح أن ذلك لم يحدث ، لأنهما لو كانا قد نشرا شيئا لاستخدمه كاتب

المقال واحتفى به . هذه المعلومات أوردها الكاتب في صفحتين ، مستهلا بها مقاله المنشور على ١٢ صفحة ، وقد خصص الجزء الأخير من مقالته للحديث عن الدراسات الغربية التي تحدثت عن وضع القرآن ، وهي دراسات ليست جديدة، ولكن فكرة (الوضع) شائعة منذ سنوات بعيدة في كتابات المستشرقين وغيرهم من الذين دأبوا على الطعن في الإسلام وتجريحه ، ولم يفته أن يشير إلى كتابات بعض العرب والمسلمين الذين حاولوا العبث بالقرآن والنيل من نصوصه ، وفي مقدمتهم الدكتور / طه حسين (كتابه المبكر عن الشعر الجاهلي) ومحمد أركون ونصر أبو زيد والباكستاني فضل الرحمن .

استفزت المقالة عددا كبيرا من المسلمين في الولايات المتحدة وكندا ، وتلقيت من بعضهم رسائل عاجلة عبرت عن غضبهم الذي هم محقون فيه لاريب ، أما نص المقالة فقد تلقيته عبر الفاكس من الأستاذ علي رمضان زغلول مدير المجلس الإسلامي الأمريكي، ومع النص خلاصة لبيان الاحتجاج الذي أصدره المجلس بهذه المناسبة ، ووصف المقالة بأنها تعبير عن (الحقد ونفث السموم لزرع الشك في صدق النص القائم) وأنها (محاولة كيدية للتحريض ضد مشاعر المسلمين) .

من ناحيتي أذهب إلى أن الاحتجاج ضروري ، لكنه لا يكفي إذا اقتصر على اتهام الكاتب وكشف مقاصده ، وأزعم في هذا الصدد أن الرد الموضوعي والحاسم يكون باستجلاء حقيقة المعلومات التي أوردها الكاتب في مقالته[1] . ولذلك فإنني أناشد الجهة المعنية في الحكومة اليمنية أن تصدر بيانا تعلن فيه الحقيقة كاملة ، وتقدم للناس كافة المعلومات الصحيحة عن الكشف الذي تحدثت عنه المجلة الأمريكية ، وأضع خطا تحت كلمة (المعلومات) راجيا أن يكون البيان إخباريا لا دعائيا ، لأنه من حق أي واحد أن يتساءل مثلا بعد قراءة بيان المجلس الإسلامي الأمريكي ، ليكن الكاتب حاقدا ومغرضا وشريرا ، لكن قولوا لنا بالضبط : هل ما قاله صحيح أم لا؟

السؤال موجه إلى المسؤولين في صنعاء))[2][3].

---

[1] – لذلك كان هذا البحث في الرد وكان هذا الكتاب بطلب من القاضي إسماعيل الأكوع الرئيس الأسبق للهيئة العامة للآثار والمخطوطات في صنعاء ، وأرجو الله تعالى أن يكون كما طلب الأستاذ فهمي هويدي .

[2] – انتهى صحيفة الشرق الأوسط عدد ٧٣٤٩ بتاريخ ١٩٩٩/١/١١ (ص٩) .

٣ – انظر (ص٢٤) من هذا الكتاب لترى غلاف مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م وهي تحذر العلماء في معالجة موضوع القرآن تحذيراً شديداً .

الفرع الرابع : أقوال توبي لستر بمصاحف صنعاء :

وفعلا راجعت نص المجلة اتلانتك مونثلي في عــــدد ينــاير ١٩٩٩م والصادر في واشنطن فوجدت ما نقل الأستاذ فهمي هويدي كان صحيحاً بــل وأوسع مما قال في إثارة توبي لستر لشبهات كثــيرة عــن القــرآن الكريــم وإعجازه ثم عن شبهات حول مصاحف صنعاء نفسها فمن الأقوال في مقالته:

القول الأول لتوبي لستر : ((إن بعض هــذه القصاصـات أظــهرت انحرافات صغيرة ، ولكنها جالبة للانتباه ، عن النص القرآني المعيــاري. إن مثل هذه الانحرافات ، وإن كانت لا تثير دهشة مؤرخي النصوص ، تتـناقض على نحو مزعج للعقيدة الإسلامية الأصلية القائلة بأن القرآن الكريــم وصــل إلينا اليوم، بكل بساطة ، يمثل كلام الله الكامل الســرمدي الــذي لا يعتريــه التغيير.

إن الجهد العلماني بصفة رئيسة لإعادة تفسير القرآن ــ والذي يقوم في أحد جوانبه على شواهد النصوص كالتي زودتنا بها القصاصات اليمنيةــ تقلق وتغيظ عدداً كبيراً من المسلمين ، مثلما تقلــق المحــاولات لإعــادة تفســير التوراة والإنجيل لحياة عيسى كثيرا من المسيحيين المحافظين))[١] .

وليت الكاتب سكت عند هذا وإن كان غير صحيح لكنه حاول أن يعزو ما قاله عن هذا التغير في المصاحف إلى الدكتور جيرد بوئن الألماني[٢] فقال:

القول الثاني لتوبي لستر : ((لقد بدأ (بوين) يحس أن ما تدل عليــه المصاحف اليمينة، كما يبدو، هو أن نصاً متطوراً قد أوحي إلى النبي محمــد في القرن السابع الميلادي وليس مجرد كلام الله في صورته الكاملة))[٣].

---

١ – انتهى من مجلة انتلاتك مونثلي عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٤) .

٢ – هو الخبير الألماني الدكتور جيرد بوئن الذي أرسلته الحكومة الألمانيــة الاتحاديــة لــترميم المخطوطات في اليمن ومنها المخطوطات القرآنية ، وذلك بطلب من القاضي إسماعيل الأكــوع رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب في اليمن ــ إذ ذاك ، وقد قام جيرد بوئن بالإشراف علـى اختيار وطباعة صور اللوحات الملونة للمخطوطات القرآنية المكتشفة في خزانة الجامع الكبــير. مصاحف صنعاء (ص٢١) من مقالة القاضي إسماعيل الأكــوع ــ وخــلال مقــابلتي للقــاضي إسماعيل أبان لي أن د/جيرد بوئن خبير بتاريخ المخطوطات في القرون الثلاثة الهجرية الأولىــ وهو الذي قام بترتيب معرض مصاحف صنعاء الدائم بدار المخطوطات ، كما أخــبرني بذلــك الأستاذ الكريم محمد حسين السدمي مدير عام المخطوطات والمتاحف.

٣ – انتهى من مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٤) .

القول الثالث لتوبي لستر : ولم يكتف الكاتب بنقله هذا الكلام الذي تبرأ منه جيرد بوئن كما سنرى بل حاول الرجوع في هذا إلى بعض الأساتذة في الولايات المتحدة الأمريكية وغيرها فقال : ((وليس (بوئن) وحده بهذا الحماس يقول (اندروس رين) أستاذ الدراسات الدينية في جامعة كالكاري الذي يتصدر الدراسات القرآنية اليوم : إننا ما زلنا ننتظر أثر المخطوطات اليمنية ، إن قراءاتها المختلفة وترتيب آياتها مهم جداً ، والكل متفق على ذلك إن هذه المخطوطات تقول : إن تاريخ النص القرآني المبكر مسألة أوسع بكثير جداً مما كان يتوقعه الكثيرون: لقد كان النص أقل استقراراً وبالتالي فقد كان أقل جدارة مما كان يزعم دائماً))[١] .

القول الرابع لتوبي لستر: ويقول توبي لستر عن (جراف فون بوتمر) مؤرخ الفن الإسلامي الذي مقره جامعة (سارلاند) : ((إن (فون بوتمر) انتهى عام ١٩٩٧م من التقاط أكثر من (٣٥,٠٠٠) صورة مايكرو فلم للقصاصات وجاء بتلك الصور مؤخراً إلى ألمانيا ، وهذا يعني أن (فون بوتمر) و(بوين) وغيرهما من العلماء سيجدون الفرصة سانحة فوراً لفحص النصوص بدقة ونشر ما يتوصلون إليه بحرية وهو طموح يثير النشوة عند بوئن))[٢].

القول الخامس لتوبي لستر: ثم إن هذا الكاتب توبي لستر حاول أن يسقط تاريخ الأمة الإسلامية كلها بل ويسقط الجهاد الإسلامي الذي استمر ١٤ قرناً، فإنه قد وصل في زعمه إلى التطور التاريخي للقرآن الكريم فقال : ((يقول (آرستيفن همفريز) أستاذ الدراسات الإسلامية في جامعة كليفورنيا في سانتا باربارا : ((إن جعل تاريخ للقرآن سيؤدي بالتالي إلى سلب شرعية الخبرة التاريخية للأمة الإسلامية كلها . إن القرآن هو ميثاق الأمة وهو الوثيقة التي أظهرتها للوجود . ومن الناحية المثالية ـــ ولو أنه ليس كذلك من الناحية الواقعية – دائماً فإن التاريخ الإسلامي كان يمثل الجهود للسعي وراء أوامر القرآن وتنفيذها في الحياة البشرية فإذا كان القرآن وثيقة تاريخية ، فإن الجهاد الإسلامي لأربعة عشر قرناً لم يعد له معنى بالتالي))[٣] .

---

١ – انتهى من مجلة اتلانتك مونثلي عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٣) .

٢ – انتهى من مجلة اتلانتك مونثلي عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٢) .

٣ – انتهى من مجلة اتلانتك مونثلي عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٣).

القول السادس لتوبي لستر : والعجيب في الأمر أنه اتهم السلطات اليمنية بإبعاد الأنظار عما يقوم به الفريق الألماني لأن الموقف الإسلامي يقتضي بأن كل شيء قد قيل وانتهى عن تاريخ القرآن فيقول هذا الكاتب الغربي : ((بدت السلطات اليمنية مترددة في السماح به – أي بالسماح بترميم مصاحف صنعاء ــ على أية حال ويقول (بوئن) : إنهم يرغبون في إبقاء الأمر بعيداً عن الأنظار ، ونحن نرغب في ذلك أيضاً ، وإن كان لأسباب مختلفة ، إنهم لا يريدون جلب الانتباه لحقيقة وجود ألمان وغيرهم يعملون في قضية المصاحف. إنهم لا يريدون أن يعلنوا عن وجود عمل جار أبداً وذلك لأن الموقف الإسلامي يقضي بأن كل شيء يمكن أن يقال عن تاريخ القرآن قد قيل قبل ألف عام))[1] **وفي هذا اتهام للسلطات اليمنية بإخفاء أمر مصاحف صنعاء.**

القول السابع لتوبي لستر : واستهل توبي لستر مقالته في إشارته إلى أن ما وجد في خزينة سقف الجامع الكبير كان يمثل مقبرة فيها كتب تالفة وصفحات مفردة أثرت عليها الرطوبة وقضمتها عبر السنين الفئران والحشرات فقال : ((في عام ١٩٧٢م[2] وفي أثناء ترميم الجامع الكبير في صنعاء ــ اليمن عثر قدراً عمال يشتغلون في مستودع بين سقف البناء الداخلي وسقفه الخارجي على منطقة قبر رائعة ، ولو أنهم لم يدركوا حينئذ . وكان لجهلهم مبرراته إذ أن المساجد لا تضم قبوراً ، في العادة ، وأن هذا الموضوع لم يحتو على بلاطات أضرحة أو رفات بشر أو مجوهرات .. إنه لم يحتو في الواقع إلا مزيجاً من رقوق قديمة ووثائق ورقية لا تجلب الانتباه ــ كتب تالفة وصفحات مفردة لنصوص عربية ، كبستها قرون من المطر والرطوبة وقضمتها عبر السنين الفئران والحشرات))[3] .

---

[1] – انتهى من مجلة اتلانتك مونثلي عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٢).

[2] – الصحيح أن اكتشاف هذه المصاحف تم في عام ١٣٨٥هـ الموافق ١٩٦٥ ثم أعيدت إلى سقف المسجد بعد فترة ثم استخرجت عام ١٣٩٢هـ – ١٩٧٢م كما جاء في مقالة العلامة الفاضل القاضي إسماعيل الأكوع رئيس هيئة الآثار في كتاب مصاحف صنعاء (ص٢٠-٢١) .

[3] – انتهى من مجلة انتلانتك مونثلي في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٣).

الفرع الخامس : منهجنا في الرد هو البحث العلمي والدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة:

وأمام هذا الكم الهائل من الكلام الذي لا نوافق عليه لن نكون إلا باحثين وموضوعيين يدفعنا إسلامنا إلى الحكمة والموعظة الحسنة إن شاء الله لقوله سبحانه في قرآنه: ((ادع إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة))[1]، ولذلك فإن الرد على كلام توبي لستر في مصاحف صنعاء سيكون بعدة أمور:

١-مقارنات واقعية بين مخطوطات مصاحف صنعاء في القرن الأول الهجري والثاني والثالث مع المصاحف الحالية المطبوعة.

٢-موقف القاضي إسماعيل الأكوع حفظه الله من ادعاء الكاتب توبي لستر أن جيرد بوئن ذهب إلى التطور التاريخي للقرآن الكريم بدليل مصاحف صنعاء .

٣-إظهار القاضي إسماعيل الأكوع مصاحف صنعاء في عدة مجالات دولية ومحلية .

٤-الصحيح أنه كان مع مصاحف صنعاء في الجامع الكبير ثعابين لا فئران ، وهذه الثعابين حفظت هذه المصاحف من القوارض والحشرات على مدى القرون العديدة .

الفرع السادس : مقارنات واقعية بين مخطوطات مصاحف صنعاء القديمة من القرن الأول الهجري والثاني والثالث مع المصاحف المعاصرة :

لابد لنا قبل أن نقوم بالمقارنة من عدة أمور تمهيداً لفهم المقارنة في دقائقها:

أ- على أي أساس نعين تاريخ المخطوطة؟

قبل الدخول في المقارنة لابد أن نبين كيفية تحديد تاريخ المخطوطة من القرن الأول الهجري أو الثاني أو الثالث .

لقد توصل العلماء في العصر الحديث إلى طريقتين في تحديد عمر المخطوطة **أما الطريقة الأولى فهي أوصاف حروف المخطوطات** : حيث تم الاعتماد على مراجع في هذا الموضوع أساسها جميعاً رؤية آثار مخطوطة مؤرخة تحدد تاريخ المخطوطة ، ومن خلال الدراسة لهذه الآثار حددت بعض المراجع صفات الحروف في القرن الأول الهجري أو الثاني أو الثالث ، هذا بالإضافة إلى المراجع القديمة لعلماء الإسلام القدماء في شذرات هنا وهناك .

---

[1] - الآية ١٢٥ من سورة النحل .

وإليك أسماء هذه المراجع التي اعتمدنا على ما تيسر لنا منها :
الكتاب الذي نشره مهرجان العالم الإسلامي عام ١٩٧٦م[1]. يؤخذ وصف الحروف أيضاً مما كتبه الدكتور جيرد بوئن الألماني عند عزو لوحات مخطوطات مصاحف صنعاء من القرن الأول الهجري والثاني والثالث ومن كتاب صبح الأعشى للقلقشندي . وكتاب The ABBASID TRADITION Qur'ansof the 8th to the 10th cent yries[2] للمؤلف FRANCOIS DEROCTHE

ومن كتاب الفهرست لابن النديم . هذه المصادر يستطيع الباحث عن طريقها أن يحدد تاريخ الخط في القرون الهجرية الثلاثة الأولى .

وذكرت الباحثة سهيلة الجبوري كتباً ومراجع كثيرة في تحديد صفات الحروف منها : كتاب دراسات في تاريخ الخط العربي منذ بدايته إلى نهاية العصر الأموي لصلاح الدين المنجد ، ومنها المخطوطات القديمة التي عرف تاريخها :

١-الكتابات في العصر الراشدي المسكوكات من سنة (٢٠-٤٠هـ/٦٤١-٦٦١م) (انظر أرقام النقود في سجل المتحف العراقي) .
٢-البرديتان المؤرختان سنة ٢٢هـ .
٣-مصادر الحروف العربية على النقود الأموية المعربة وغير المعربة (٤١-١٣٢هـ) .
٤-الدراهم الإسلامية الساسانية للحجاج بن يوسف الثقفي في المتحف العراقي.
٥-مصدر كتابة قبة نسيج من الحرير للخليفة مروان بن الحكم ٦٤هـ .
٦-مصدر كتابة قبة الصخرة (من الفيفساء) مؤرخة (٧٢هـ/٦٩١م).[3]

كما ذكرت مصادر كثيرة أخرى وعزت كل مصدر من هذه المصادر إلى مكان وجودها في متاحف العالم.

---

1 - The Quranic Art of Calligraphy and Illumation (522 لوحة) Martin Lings First published 1976.
الطبعة الأولى ١٩٧٦ نشر وإنتاج : مهرجان العالم الإسلامي وإنتاج : مهرجان العالم الإسلامي
published and produced by the world of Islam Festival Trust.
Filmset and printed in England by wester ham press ltd, Westerham, kent.

2- Published in the unted states by the nour Foundation in association witk A zimuth Editions and oxford university press new york .

٣ - علمت من أستاذي يوسف ذنون أن الخط المرصع بالفسيفساء يختلف شكلا عن الخط المكتوب باليد مباشرة ، فلا تكون المقارنة دقيقة علماً أنها شاهدة على حفظ القرآن من القرن الأول الهجري رسماً وكتابة.

أما الطريقة الثانية فهي باستخدام الكربون ١٤ :

قالت مجلة الأطلال ــ حولية الآثار العربية السعودية في العدد الثالث عشر (١٤١١هــ/١٩٩٠م) التي يرأس تحريرها د/ عبدالله حسن المصري ــ تحت عنوان :

طريقة ونتائج تزمين الآثار باستخدام الكربون ١٤

((لقد بذل العلماء جهوداً كبيرة من أجل إيجاد طريقة لتزمين الآثار؛ وذلك باستخدام التطور الكبير الذي طرأ على العلوم الطبيعية كالكيمياء والفيزياء..إلخ وكذلك التطور التكنولوجي الذي طرأ على أجهزة البحث العلمي ومعدات القياس .

ولقد تم اكتشاف أكثر من طريقة لتزمين الآثار سوف نقتصر الحديث على أهمها ، وهي طريقة التزمين بالكربون المشع ، وهي تعتمد على تزمين بقايا المواد العضوية بقياس النشاط الإشعاعي للكربون ١٤ .

ويرجع الفضل في اكتشاف أكثر تلك الطريقة للعالم ((ليبي)) الذي استخدمها عام ١٩٤٧م ، وقام معهد الدراسات النووية بشيكاغو بتطويرها وتصحيح لبعض معادلاتها حتى اليوم ، وهي من أدق الطرق المستخدمة في تزمين الآثار المحتوية على بقايا مواد عضوية أو كربونية))(١) .

ثم فصلت المجلة فكرة تلك النظرية ثم قالت :

((والعينات التي يتم تزمينها بهذه الطريقة هي التي تحتوي على كربون مثل الفحم والمواد المتفحمة والنصف متفحة وفحم المستنقعات من الأخشاب والمحارات الخارجية للأصداف والكائنات البحرية والعظلم وأوراق الشجر والرق والمنسوجات.. الخ))(٢) .

ومن المعلوم أن مصاحف صنعاء قد كتبت كلها على رقوق - جمع رق – مما يمكن الباحثين من دراسة تاريخها من خلال استخدام الكربون ١٤ .

لكن لابد من القول أن الكربون ١٤ لا يعطي تاريخاً أدق من البحث بطريقة أوصاف حروف المخطوطات في كل قرن، فقد نشرت مجلة الأطلال في جداول تحدد أموراً منها أنها تبين أن مدافن في جنوب الظهران يرجع تاريخها

---

١ – مجلة الأطلال العدد ١٣ (ص٧٤) .

٢ – مجلة الأطلال العدد ١٣ (ص٧٥) .

إلى ١٥٥٠ سنة سابقة ± ١٩٠ سنة[١] أي أن الأثر تاريخه خلال ٣٨٠ سنة ، ولأثر آخر في أبها أرجع تاريخه من خلال كربون ١٤ إلى ١٤٤٠ سنة سابقة ± ١٢٠ سنة[٢] أي أن الأثر تاريخه خلال ٢٤٠سنة .

لذلك كانت طريقة أوصاف حروف المخطوطات أدق إذ أنها تحدد خلال قرن واحد أو أقل صفات الحروف . وهذه الطريقة هي التي اتبعها الباحث الألماني الدكتور جيرد بوئن في تحديد تاريخ مصاحف صنعاء كما أخبرني القاضي إسماعيل الأكوع[٣] .

ب ــ **الخط** : الكتابة العربية التي وصلت إلى الصحابة نسبت إلى ثلاث نفر من طيء ببقة[٤] فتعلمه منهم قوم من أهل الأنبار[٥] ، ثم تعلمه أهل الحيرة[٦] من أهل الأنبار[٧] ، أما الصحابة المهاجرون فقد تعلموا الكتابة من أهل الحيرة، فعن عامر الشعبي[٨] رضي الله عنه قال سألت المهاجرين من أين

---

١ – مجلة الأطلال العدد ١٣ في جدول (ص٧٦) .

٢ – مجلة الأطلال عدد ١٣ في جدول (ص٧٧) .

٣ – وهذه الطريقة هي التي اتبعها المؤلف في بحثه المنشور في مجلة كلية الآداب بصنعاء رقم ٢٢ لسنة ١٩٩٩م تحت عنوان دراسة لوحة مخطوطة من القرن الثالث الهجري ، وهذه الطريقة هي التي اتبعها أيضاً الباحث بشير بن حسن الحميري في بحثه دراسة لوحة مخطوطة للقرآن الكريم في القرن الأول الهجري ، ونال بها الطالب إجازة في دراسة المخطوطات القرآنية من القرن الأول الهجري من المؤلف ، فالمؤلف قد نال إجازة من الأستاذ يوسف ذنون في دراسة المخطوطات القرآنية القديمة.

٤ – بقة بالفتح وتشديد القاف اسم موضع قريب من الحيرة ، وقيل حصن كان على فرسخين من هيت كان ينزله جذيمة الأبرش ملك الحيرة ، وقد جاءت هذه الكلمة في العقد الفريد لابن عبدربه الأندلسي (١٥٧/٤) بلفظ بقعة .

٥ – الأنبار مدينة على الفرات غرب بغداد بنيت في العهد الفارسي جددها أبو العباس السفاح، وكان يقال لها الأهراء ، فلما دخلتها العرب قالت لها الأنبار ، وكانت قد فتحت الأنبار في زمن الخليفة الأول أبو بكر الصديق رضي الله عنه سنة ١٢هـ على يد خالد بن الوليد ــ معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٧٦/٢) والبداية والنهاية للحافظ ابن كثير (٣٤٨/٦-٣٤٩) .

٦ – الحيرة مدينة كانت على ثلاثة أميال من الكوفة ، وهي مسكن بعض العرب في الجاهلية ويقال لها الحيرة الروحاء ــ معجم البلدان لياقوت الحموي (٣٧٥/٢-٣٧٦) – .

٧ – انظر فتوح البلدان القسم الثالث (ص٥٧٩).

٨ – هو أبو عمرو عامر بن شراحيل الشعبي اليماني الأصل الكوفي ، كان عالم الكوفة بسائر العلوم الدينية ، ولد سنة ٢٠هـ وتوفي رحمه الله سنة ١٠٤هـ/٦٤١م ــ وانظر وفيات الأعيان لابن خلكان (١١٢/٣) –.

تعلمتم الكتابة؟ قالوا من أهل الحيرة وسألنا أهل الحيرة من أين تعلمتم الكتابة قالوا من أهل الأنبار[1] .

أما نوع الخط فهو الخط الذي سمي فيما بعد ذلك بالخط الكوفي مع أنه ليس كوفي المنشأ بل هو من أهل الحيرة[2] وذلك نظراً لاشتهار الكوفة كأحد مدائن الإسلام بعد ذلك .

ومن ملاحظتي لخطوط المصاحف في القرون الهجرية الثلاثة الأولى أدركت أنها جميعاً من الخط الكوفي الذي صار يتحقق ــ أي يتحسن ــ رويداً رويداً حتى وصل في القرن الثالث إلى ما هو أوضح وأحسن مما هو عليه في القرن الأول ثم الثاني الهجريين ، ولكل خط في كل قرن من هذه القرون وصف خاص لحروفه .

جـ ــ **تحسين الخط الكوفي** : طرأت تحسينات أخرى على الخط الكوفي وهي كما يلي :

١ ــ **تنقيط أبي الأسود الدؤلي** : لم يكن العرب عارفين بشكل الحروف والكلمات في عهدهم الأول كما يظهر من المخطوطات الأثرية وذلك لأن سلامة لغتهم وصفاء سليقتهم وذلاقة ألسنتهم كل ذلك كان يغنيهم عن الشكل ، ولكن حين دخل الإسلام أقوام جدد لا يعرفون العربية لزم تشكيل النص القرآني.

واختلفت الرواية في من ابتدأ بتنقيط المصاحف من التابعين ، فروى أن المبتدئ بذلك كان أبا الأسود الدؤلي[3]، وذلك أنه أراد أن يعمل كتاباً في العربية يقوم الناس به ما فسد من كلامهم ، إذ كان قد نشأ ذلك في خواص الناس وعوامهم ، فقال : أرى أن ابتدئ بإعراب القرآن أولاً ، فأحضر من يمسك المصحف ، وأحضر صبغاً يخالف لون المواد ، وقال للذي يمسك المصحف عليه : إذا فتحت فاي فاجعل نقطة فوق الحرف، وإذا كسرت فاي فاجعل نقطة تحت الحرف، وإذا ضممت فاي فاجعل نقطة أمام الحرف، فإن

---

[1] – كتاب المصاحف للسجستاني وذلك بسنده حتى عامر الشعبي ثم المهاجرين (ص٩) .

[2] – مجلة المورد مقالة الأستاذ يوسف ذنون ــ المجلد الخامس عشر العدد الرابع شتاء ١٩٨٦ (ص١٢) .

[3] – أبو الأسود هو ظالم بن عمرو بن سفيان بن جندل الديلي ويقال الدؤلي ، كان من سادات التابعين وأعيانهم ، صحب علي بن أبي طالب رضي الله عنه ، وهو بصري وكان من أكمل الرجال رأياً وأسدهم عقلاً . وهو أول من وضع النحو ، قيل إن عليا رضي الله عنه وضع له= =الكلام كله ثلاثة أضرب : اسم وفعل وحرف ، ثم رفعه إليه وقال له : تمم على هذا ، توفي أبو الأسود بالبصرة سنة ٦٩هـ/ ٦٨٨م في طاعون الجارف ، وعمره خمس وثمانون سنة رضي الله عنه – انظر وفيات الأعيان (٢/٥٣٥-٥٣٩) .

أتبعت شيئاً من هذه الحركات غنة يعني تنوياً فاجعل نقطتين ، ففعل ذلك حتى أتى على آخر المصحف[1] .

٢ ــ **الإعجام** : وهو تنقيط كل من الباء بنقطة تحتها والنون بنقطة فوقها والتاء بنقطتين فوقها والجيم بنقطة تحتها والخاء بنقطة فوقها والضاد بنقطة فوقها والزاي بنقطة فوقها..الخ ، وترى كمثال على ذلك اللوحة رقم (٣) .

ولم يكن الإعجام موجوداً بشكل كامل في كل حرف في القرن الأول الهجري، فقد جاء نادراً ، وهذا واضح في اللوحتين المخطوطتين في القرن الأول الهجري اللوحة رقم (٥) واللوحة رقم (٧) .

وترى أيها القارئ تنقيط أبي الأسود الدؤلي كمثال عليه في اللوحات رقم (١٥،١١،٢) .

٣ ــ **تشكيل الخليل بن أحمد الفراهيدي**[2] :

قام الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م بتشكيل آخر يختلف عن تشكيل أبي الأسود الدؤلي وأيسر منه اعتمدته الأمة الإسلامية بعد ذلك في تشكيل المصاحف ، وترى تشكيل الفراهيدي في اللوحة رقم (٤) وذلك مع الإعجام .

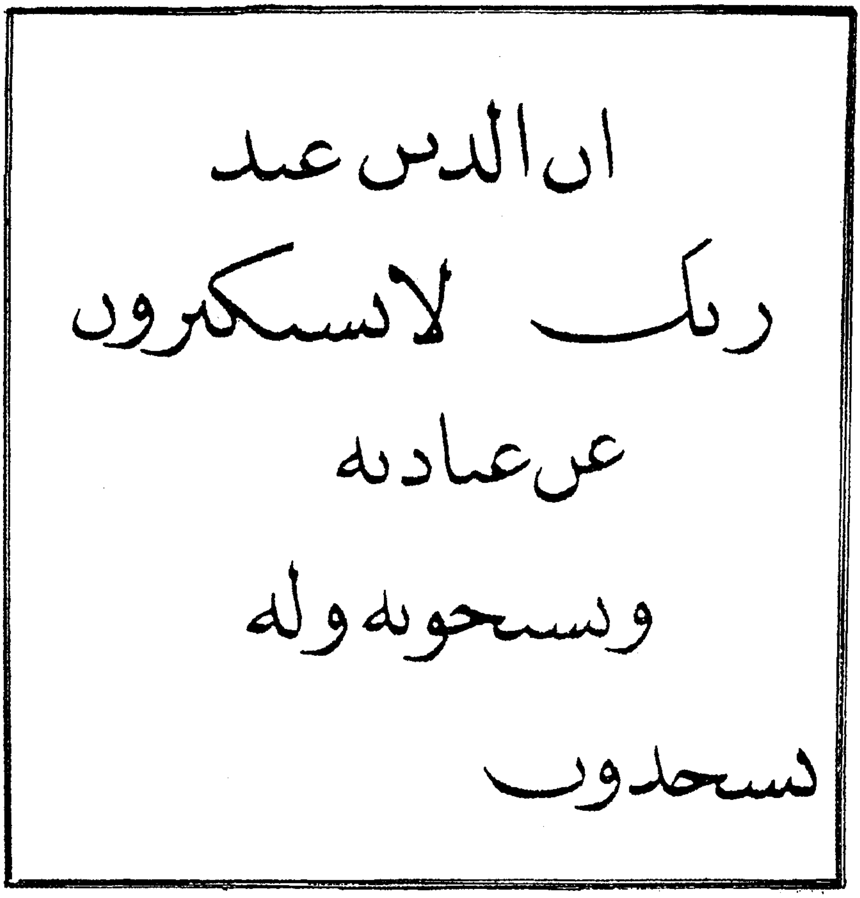
وطرأت أيضاً على المصاحف تحسينات كثيرة أخرى ليس لها علاقة بالرسم العثماني كالتخميس والتعشير وتقسيم المصحف إلى أجزاء وأحزاب بإشارات على الهامش وكتابة علامات السجدة على الهامش أيضاً وكتابة اسم السورة مع كونها مدنية أو مكية في مستطيل خاص إلى غير ذلك من تحسينات أخرى.



---

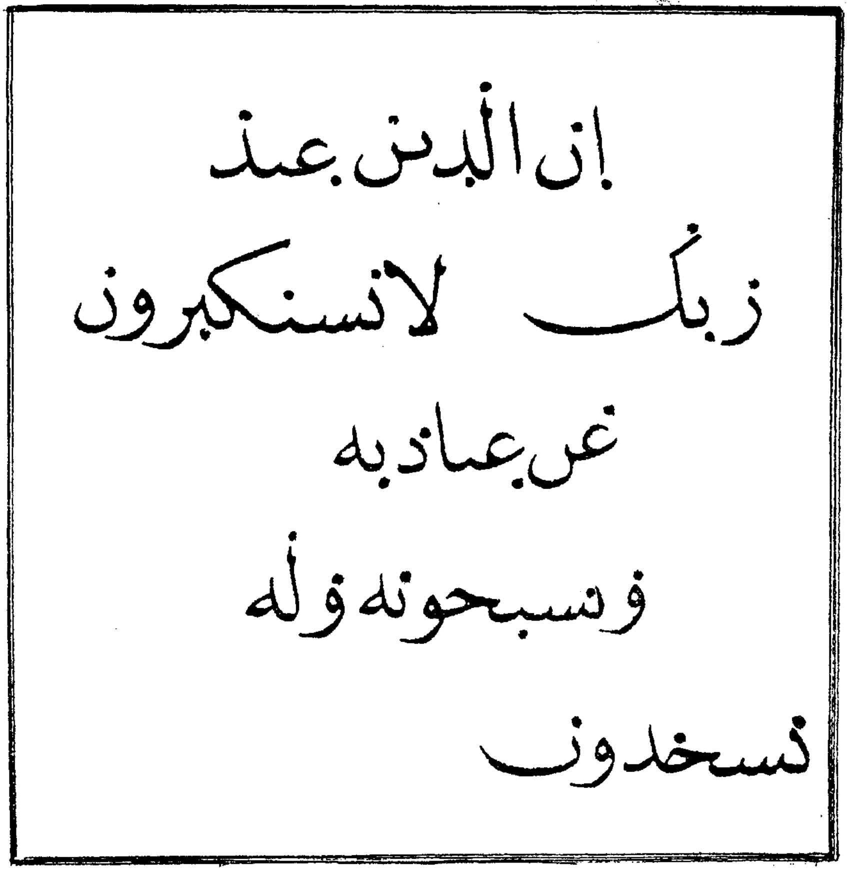
[1] – المقنع لأبي عمرو الداني (ص١٢٩) .

[2] – هو أبو عبدالرحمن الخليل بن أحمد بن عمرو بن تميم الفراهيدي ، كان إماماً في علم النحو وهو الذي استنبط علم العروض وأخرجه إلى الوجود وحصر أقسامه ، أقام الخليل في خص من أخصاص البصرة لا يقدر على فلس ، وأصحابه يكسبون بعلمه الأموال ، وللخليل من التصانيف كتاب ((العين)) في اللغة وهو مشهور ، وكتاب ((العروض)) وكتاب ((الشواهد)) وكتاب ((النقط والشكل)) وكتاب ((النغم)) . وقد أخذ عنه سيبويه علم الأدب ، وكانت ولادته في سنة مائة للهجرة وتوفي سنة (١٧٠هـ/٧٨٦م) ــ انظر وفيات الأعيان (٢/٢٤٤).



لوحة رقم (١)

الآية ٢٠٦ آخر سورة الأعراف مكتوبة في عصرنا لكنها في تكررها في اللوحات الأربع تمثل أشكال تحسين كتابة المصحف في التاريخ الإسلامي ، واللوحة رقم (١) تمثل أحد أشكال كتابة المصحف في مراحله الأولى دون إعجام ولا تنقيط ولا تشكيل .



لوحة رقم (٢)

الآية ٢٠٦ آخر سورة الأعراف مكررة مكتوبة في عصرنا لكنها تمثل أحد أشكال تحسين كتابة المصحف في الرسم العثماني وذلك بتنقيط أبي الأسود الدؤلي باللون الأحمر دون إعجام ودون تشكيل الخليل بن أحمد الفراهيدي.

ان الذين عند
ربك لايستكبرون
عن عبادته
ويسبحونه وله
يسجدون

لوحة رقم (٣)

الآية ٢٠٦ آخر سورة الأعراف مكررة مكتوبة مع الإعجام واللوحة تمثل أحد أشكال كتابة المصحف في مراحله التالية في الإعجام الكامل للحروف التي يلزمها إعجام لكن دون تنقيط أبي الأسود الدؤلي ولا تشكيل الخليل بن أحمد الفراهيدي.

إِنَّ ٱلَّذِينَ عِندَ
رَبِّكَ لَا يَسْتَكْبِرُونَ
عَنْ عِبَادَتِهِۦ
وَيُسَبِّحُونَهُۥ وَلَهُۥ
يَسْجُدُونَ ۩ (٢٠٦)

لوحة رقم (٤)

الآية ٢٠٦ آخر سورة الأعراف مكررة مكتوبة في عصرنا تحمل آخر أشكال تحسين كتابة المصحف وهو بالإعجام وتشكيل الخليل بن أحمد الفراهيدي وترقيم الآية وإشارة للدلالة على موضع السجود أما كلمة وجوب السجود فقد وضع تحتها خط



صورة للمعرض الدائم لمصاحف صنعاء في اليمن عندما افتتحه في عام ١٩٨٤م رئيس مجلس الوزراء عبدالعزيز عبدالغني وعلى اليمين القاضي إسماعيل الأكوع رئيس الهيئة العامة للآثار والمخطوطات وعلى اليسار د/جيردبوئن الألماني رئيس الفريق الألماني في تنظيم المعرض وعلى اليسار أيضاً الأستاذ/محمد حسين السدمي ـ مشاراً إليه بسهم ـ مدير عام المتاحف والمخطوطات أحد أهم المنظمين للمعرض أيضاً .



صورة لمعرض مصاحف صنعاء في اليمن عند افتتاحه في عام ١٩٨٤م ويظهر تحت السهم الأول على اليسار رئيس مجلس الوزراء عبدالعزيز عبد الغني وعلى يمينه تحت السهم د/ جيردبوئن الألماني وعلى يمينه القاضي إسماعيل الأكوع ويظهر في الصورة جانب من مخطوطات المصاحف القديمة وهي تشهد بحفظ القرآن الكريم .



صورة لمعرض مصاحف صنعاء عند افتتاحه عام ١٩٨٤م ويظهر في الصورة رئيس مجلس الوزراء عبدالعزيز عبد الغني والقاضي إسماعيل الأكوع وقد غمرهما السرور بهذا المعرض الشاهد على حفظ القرآن الكريم.



صورة لمعرض مصاحف صنعاء في دار المخطوطات ، والتقطت هذه الصورة للمؤلف د/غسان حمدون ، وهو إلى جهة اليمين ، ومدير عام دار المخطوطات الأستاذ / عبد الملك المقحفي ، وهو إلى جهة اليسار وذلك بتاريخ ١٨/محرم/١٤٢١هـ الموافق ٢٤/٤/٢٠٠٠م ، وتمثل الصورة أحد الأنشطة المستمرة التي دعا إليها القاضي إسماعيل الأكوع للتعرف على مصاحف صنعاء ونشرها كدليل على حفظ القرآن من القرن الأول الهجري والثاني والثالث وحتى الآن .

د ــ **المقارنات الواقعية** : إن القول الأول لكاتب المجلة الأمريكي توبي لستر يوضح أن مصاحف صنعاء القديمة تخالف ما عليه المصاحف الحالية لأن الجهد العلماني يقوم في أحد جوانبه على شواهد النصوص كمصاحف صنعاء القديمة وهذه الاختلافات تقلق وتغيظ عدداً كبيراً من المسلمين مثلما تقلق المحاولات لإعادة تفسير التوراة والإنجيل لحياة عيسى كثيراً من المسيحيين المحافظين على حسب قول كاتب المجلة. وبما أن كاتب المجلة ليس من أصحاب الاختصاص فقد عزا ما قال إلى الدكتور جيرد بوئن الألماني في موضوع المصاحف،أما موقف جيرد بوئن ورده على توبي كاتب المجلة في هذا الادعاء فسيأتينا في رسالته بخط يده من (ص١٠٢-١٠٥) ، وأما الادعاء بحد ذاته فلا بد من الرد عليه بواقع مصاحف صنعاء القديمة في القرن الأول والثاني والثالث الهجري ومقارنتها بالمصاحف الحالية.

وأضعك أيها القارئ أمام واقعين واقع دراسة مطولة لأصحاب الاختصاص للوحة أو لوحتين في آخر الكتاب بملحق في الإنترنت - إن شاء الله -، وواقع الدراسة السريعة بالمقارنة، وستكون المقارنة في الصفحات التالية طبقاً للمصاحف التي صورتها من مصاحف صنعاء القديمة بدار المخطوطات والتي تحتوي مصاحف صنعاء المكتشفة في سقف الجامع الكبير بصنعاء عام ١٩٦٥م صورتها لي دار المخطوطات بتاريخ ١٨/محرم/١٤٢١هـ الموافق ٢٤/٢/٢٠٠٠م وكما ستكون المقارنة بواقع كتاب مصاحف صنعاء[١] الذي أشرف على تصوير لوحاته ودراستها المختصرة المخطوطة جيرد بوئن الألماني[٢] كما سيمر، قارنت كل ذلك من مصاحف صنعاء القديمة مع المصاحف الحالية[٣]، وقبل المقارنة لابد من تبيان أن الألفات قد لا تكتب في المخطوط وتكتب في المطبوع وهذا قليل جداً مع أن اللفظ للمخطوط يكون طبق المطبوع وهذا لا يشكل اختلافاً ما دام اللفظ واحداً. وإليك الوثيقة في التصوير : من دار المخطوطات في صنعاء ..

---

١ - انظر (ص١١١-١١٢) لوصف هذا الكتاب .

٢ - انظر ترجمته (ص٦٠) .

٣ - قمت بمقارنة بين مصاحف قديمة -من غير مصاحف صنعاء - والمصاحف الحالية في كتابي إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى ص١٢٣-١٢٤-١٢٥ و ص١٢٨-١٢٩ وأشرت إلى الكتب التي نقلت منها اللوحات المخطوطة القديمة ، أما المصحف الحالي الذي اعتمدت عليه للمقارنة فهو بخط عثمان طه طبع في السعودية ، وافقت لجنة على طبعه عام ١٤٠٥هـ وهذا المصحف موافق في كتابته للمصحف الأميري المطبوع عام ١٣٣٧هـ طبع بموافقة لجنة من العلماء منهم شيخ الأزهر رحمه الله تعالى .

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية اليمنية
وزارة الثقافة والسياحة
الهيئة العامة للآثار والمخطوطات والمتاحف

الرقم :
التاريخ : ٤ ربيع أول ١٤٢١هـ
الموافق : ٦/٦/٢٠٠٠م
المرفقات :

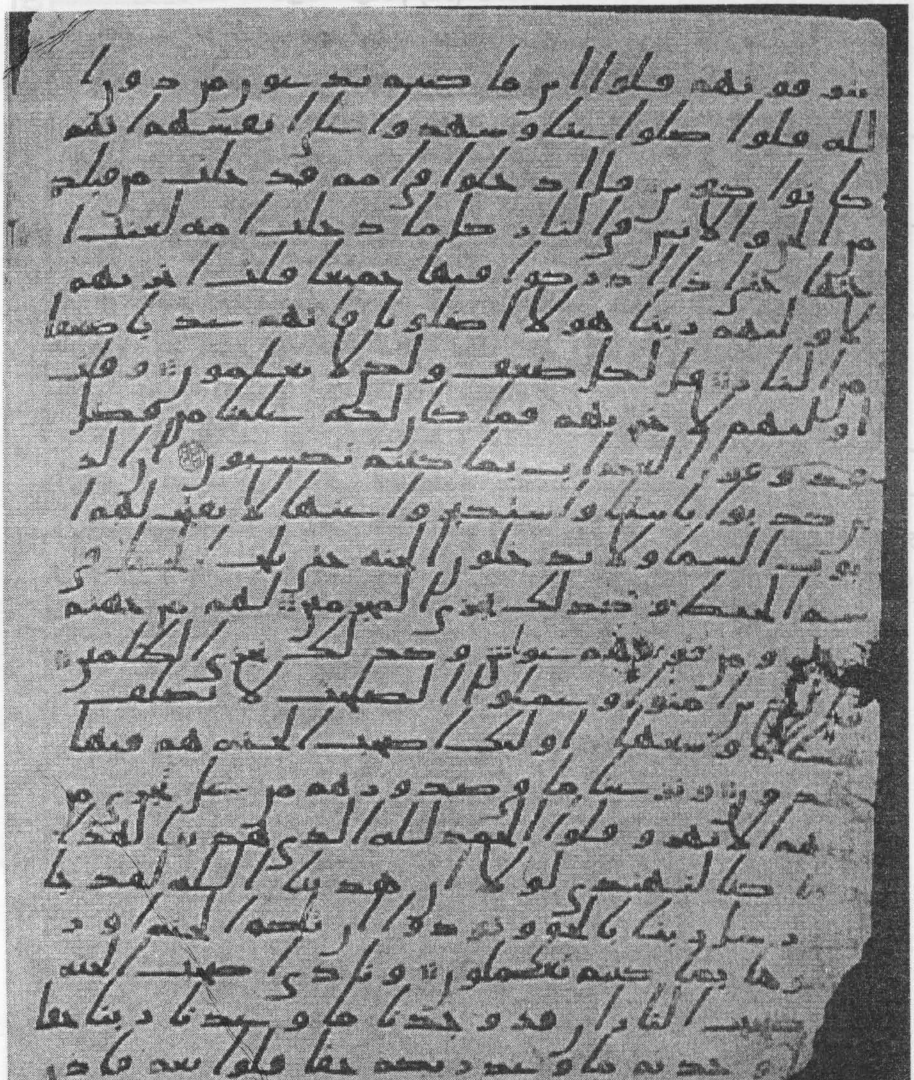
إلى من يهمه الأمر

قامت دار المخطوطات في صنعاء بتصوير مخطوطات قرآنية قديمة لمصاحف صنعاء بحسب النظام ، وذلك للباحث د/ غسان حمدون بتاريخ ٢٤/٤/٢٠٠٠م الموافق ١٨/محرم/١٤٢١هـ ، وهذا بناء على طلب من عميد المعهد العالي للتوجيه والإرشاد الأستاذ/ محمد حسن المعمري إلى رئيس الهيئة العامة للآثار د/يوسف محمد عبدالله وموافقته بحسب النظام ، وذلك ليستعين بها الباحث في دراسته العلمية ولما فيه خدمة المصلحة العامة .

والحمد لله رب العالمين ،،،

مدير عام دار المخطوطات في صنعاء
عبد الملك المقحفي

تلفون : ٦/٥/٤/٢٧٦٧٦٣ - فاكس : ٢٧٥٣٧٩ - ص.ب : ١١٣٦ - صنعاء



لوحة مخطوطة في القرن الأول الهجري رقم (٥)

وصف اللوحة المخطوطة رقم (٥)

١. المصدر : كتاب مصاحف صنعاء . لوحة رقم (٣) صفحة ٤٢ .
٢. الحجم : الطول ٣٣,٨سم العرض : ٢٦,٢ سم .
٣. المحتوى : سورة الأعراف من منتصف الآيـــة : ٣٧ إلـــى منتصـــف الآية٤٤.
٤. تاريخها : القـــرن الـــهجري الأول حســـب تقديـــر د. جـــيرد بوئـــن الألماني[١] في كتاب مصاحف صنعاء[٢].
٥. الوصف العام : اللوحة بها أثر رطوبة في الجهة الخارجيـــة (اليمنـــى للرق) وبها قطع من نفس الجهة أخذ كلمة ودخل إلى السطر الذي بعـده ، وفيها علامة تعشير[٣] في السطر التاسع .
٦. لا يوجد خلاف بين المخطوط والمطبوع المعاصر الآتي إلا في كلمـــة ((كلما)) فبينما وردت في المخطوط بكلمتين منفصلتين هكذا ((كل مـــا)) وردت في المطبوع بنفس الحروف ((كلما)) وهذا لا يؤثر على المنطـوق والمعنى واحد .

---

[١] – انظر : ص٢١ من كتاب مصاحف صنعاء ، مقالة القاضي إسماعيل الأكوع رئيـس الهيئـة العامة للآثار ودور الكتب في الجمهورية ، لتدرك أن تاريخ مخطوطـــات هـــذا الكتـــاب عينـــه الدكتور/جيرد بوئن الألماني ، وانظر ص٤٢ من الكتاب نفسه .
[٢] – انظر كتاب مصاحف صنعاء (ص٤٣) .
[٣] – أي انتهاء عشر آيات من السورة حسب العلامة .

يَتَوَفَّوْنَهُمْ قَالُوٓا۟ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ
قَالُوا۟ ضَلُّوا۟ عَنَّا وَشَهِدُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا۟ كَـٰفِرِينَ ٣٧
قَالَ ٱدْخُلُوا۟ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِكُم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ
فِى ٱلنَّارِ ۖ كُلَّمَا دَخَلَتْ أُمَّةٌ لَّعَنَتْ أُخْتَهَا ۖ حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُوا۟ فِيهَا
جَمِيعًا قَالَتْ أُخْرَىٰهُمْ لِأُولَىٰهُمْ رَبَّنَا هَـٰٓؤُلَآءِ أَضَلُّونَا فَـَٔاتِهِمْ
عَذَابًا ضِعْفًا مِّنَ ٱلنَّارِ ۖ قَالَ لِكُلٍّ ضِعْفٌ وَلَـٰكِن لَّا تَعْلَمُونَ ٣٨
وَقَالَتْ أُولَىٰهُمْ لِأُخْرَىٰهُمْ فَمَا كَانَ لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ
فَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْسِبُونَ ٣٩ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟
بِـَٔايَـٰتِنَا وَٱسْتَكْبَرُوا۟ عَنْهَا لَا تُفَتَّحُ لَهُمْ أَبْوَٰبُ ٱلسَّمَآءِ وَلَا يَدْخُلُونَ
ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى
ٱلْمُجْرِمِينَ ٤٠ لَهُم مِّن جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِن فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ ۚ
وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلظَّـٰلِمِينَ ٤١ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟
ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَآ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ

ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٤٢﴾ وَنَزَعْنَا مَا فِى صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ
تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ وَقَالُوا۟ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى هَدَىٰنَا لِهَٰذَا
وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِىَ لَوْلَآ أَنْ هَدَىٰنَا ٱللَّهُ ۖ لَقَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ ۖ
وَنُودُوٓا۟ أَن تِلْكُمُ ٱلْجَنَّةُ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٤٣﴾
وَنَادَىٰٓ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقًّا
فَهَلْ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقًّا ۖ قَالُوا۟ نَعَمْ ۚ فَأَذَّنَ

لوحتان لمصحف مطبوع حالي رقم (٦) للمقارنة مع اللوحة المخطوطة في القرن الأول الهجري رقم (٥)



لوحة مخطوطة في القرن الأول الهجري رقم (٧)

وصف اللوحة المخطوطة رقم (٧)

١. المصدر : كتاب مصاحف صنعاء . لوحة رقم (٤) صفحة ٤٤ .
٢. الحجم : الطول ٣٧,١ سم العرض : ٢٨ سم .
٣. المحتوى : سورة لقمان من الآية ٢٤ إلى آخر السورة الآية ٣٤ ، ومن أول السجدة إلى منتصف الآية ٤ من نفس السورة .
٤. تاريخها : القرن الهجري الأول كما حدده جيربوئن في كتاب مصاحف صنعاء[1] .
٥. الوصف العام : اللوحة مخرومة من الأطراف وقطـــع فـــي منتصـــف الصفحة أخذ حوالي كلمتين ، وآثار الرطوبة ، وتسرب الرطوبة ظـــــاهر عليها. كما وفيها شق أيضاً في طرفها الأعلى ووسطها بها بعـــض نقــط الإعجام على بعض الحروف.
٦. لا يوجد خلاف بين المخطوط السابق والمطبوع المعاصر الآتي إلا في كلمة ((أنّما)) حيث كتبت في المخطوط منفصلة في كلمتين هكذا ((أن ما)) أما في المطبوع فهما متصلتان لكن بنفس الحـــروف ، واللفــظ واحــد ، والمعنى واحد .

[1] - انظر كتاب مصاحف صنعاء (ص٤٤) .

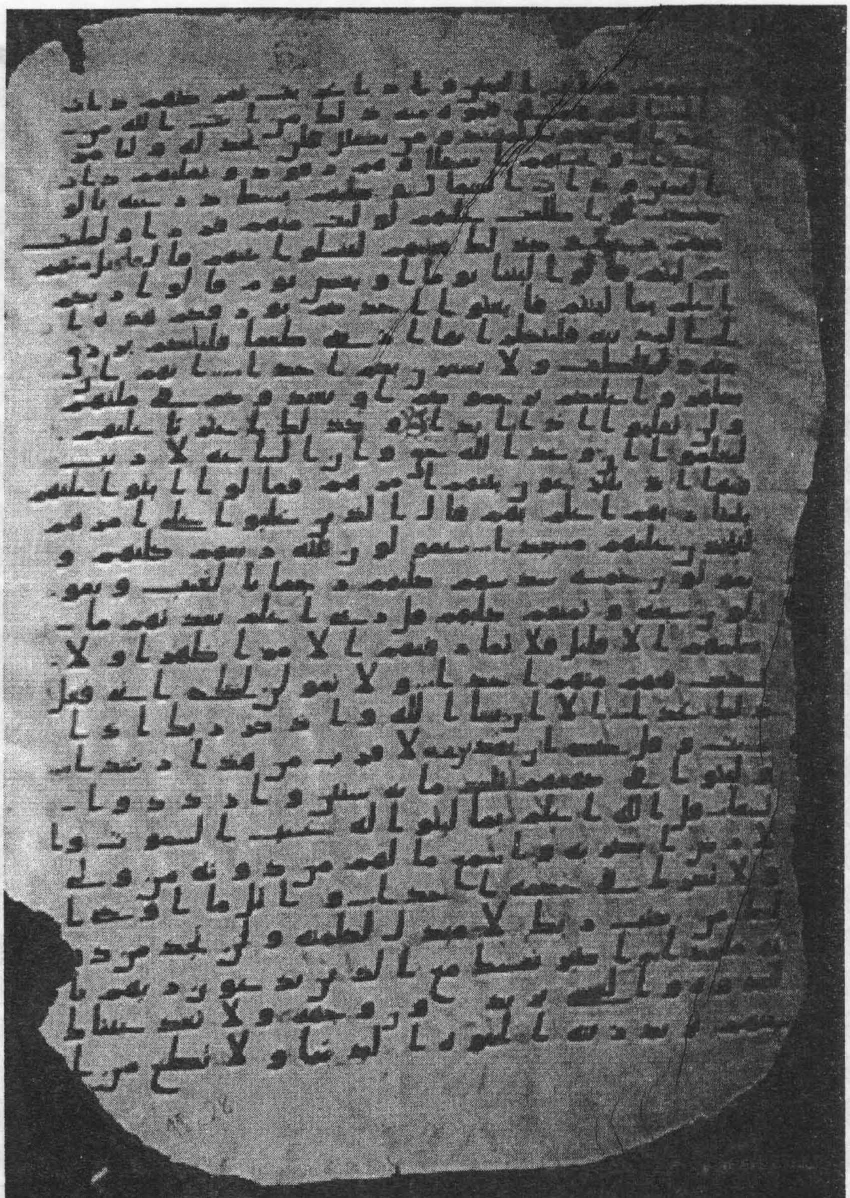
عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٢٤﴾
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ۚ قُلِ
ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٥﴾ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ
وَٱلْأَرْضِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٦﴾ وَلَوْ أَنَّمَا فِى ٱلْأَرْضِ
مِن شَجَرَةٍ أَقْلَٰمٌ وَٱلْبَحْرُ يَمُدُّهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ
مَّا نَفِدَتْ كَلِمَٰتُ ٱللَّهِ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾ مَّا خَلْقُكُمْ
وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَٰحِدَةٍ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٨﴾
أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ
وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ
بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ
مِن دُونِهِ ٱلْبَٰطِلُ وَأَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْعَلِىُّ ٱلْكَبِيرُ ﴿٣٠﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّ
ٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِنِعْمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنْ ءَايَٰتِهِۦٓ ۚ إِنَّ
فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ﴿٣١﴾ وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوْجٌ
كَٱلظُّلَلِ دَعَوُا۟ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمْ إِلَى ٱلْبَرِّ

فَمِنْهُم مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ
﴿٣٢﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُوا۟ رَبَّكُمْ وَٱخْشَوْا۟ يَوْمًا لَّا يَجْزِى وَالِدٌ
عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ
حَقٌّ ۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ
ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ
وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ
وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الٓمٓ ﴿١﴾ تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ لَا رَيْبَ فِيهِ مِن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ
﴿٢﴾ أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ ۚ بَلْ هُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ لِتُنذِرَ قَوْمًا
مَّآ أَتَىٰهُم مِّن نَّذِيرٍ مِّن قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣﴾ ٱللَّهُ
ٱلَّذِى خَلَقَ

لوحتان لمصحف مطبوع حالي رقم (٨) للمقارنة مع اللوحة المخطوطة في القرن الأول الهجري رقم (٧)



لوحة مخطوطة في القرن الثاني الهجري رقم (٩)

وصف اللوحة المخطوطة رقم (٩) .

١. المصدر : دار المخطوطات في صنعاء . وهي تحت رقم (٩).

٢. الحجم : الطول ٤٩ سم العرض : ٣٥ سم .

٣. المحتوى : سورة الكهف رقم (١٨) من الآيـــة ١٧ إلـــى قســم مــن الآية٢٨.

٤. تاريخها : القرن الثاني الهجري كما قدر المؤلف[١].

٥. الوصف العام : اللوحة بها قطع كبير في الجهة السفلية اليسرى ، وآثار رطوبة في الأعلى للجهة اليمنى ، بعض الحروف عليها نقط إعجام وفيـها علامة تدل على اكتمال عشر آيات أخرى من السورة ، وذلك في السـطر الثالث عشر .

٦. لا يوجد خلاف في الرسم بين المخطوط والمطبوع المعاصر الآتــي، ونقط الإعجام على كلمة (يشرك) بياء الغيبة في المصحف المطبوع علــى قراءة عاصم ، وأعجمت بتاء الخطاب في المخطوط وهي على قراءة ابن عامر الشامي[٢] ، ولا تعارض في المعنى بين القراءتين .

---

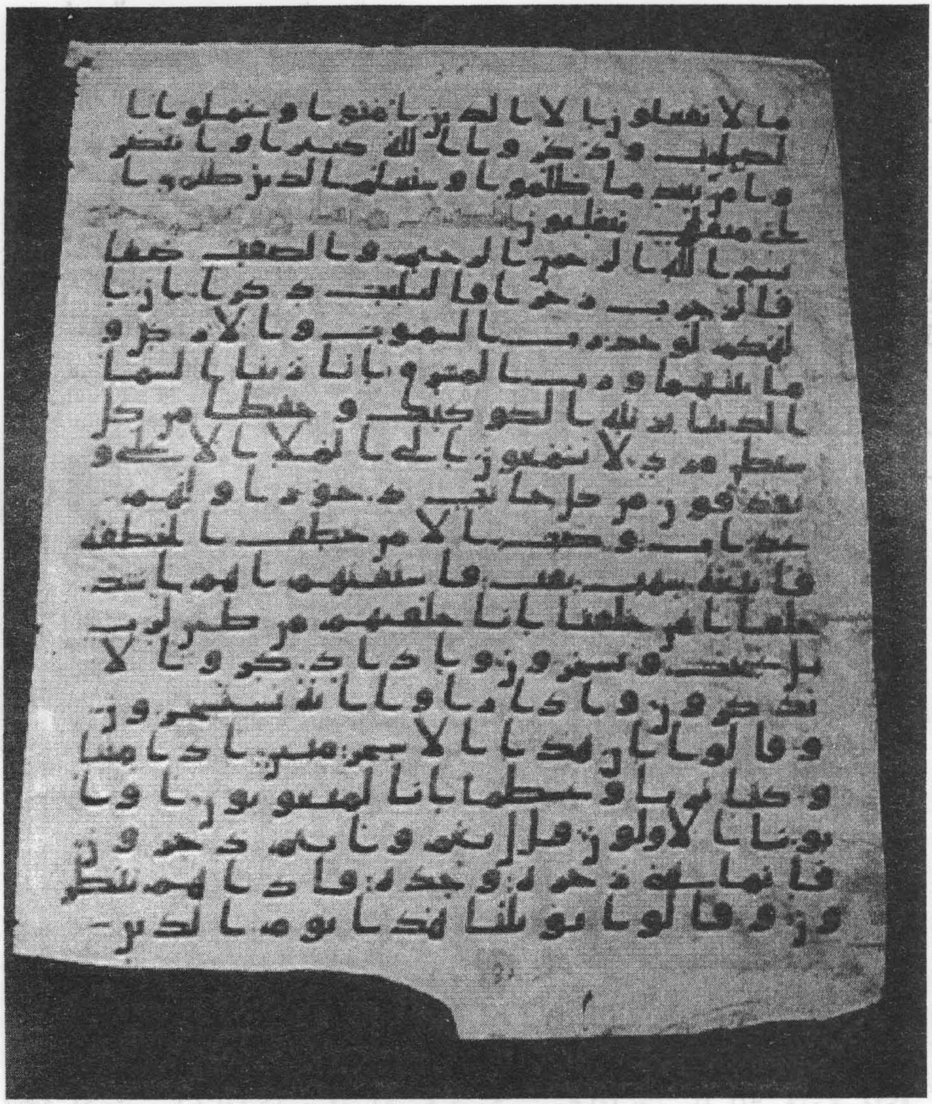
١ - رأينا مصادر تحديد صفات الحروف القديمة (ص٦٣-٦٤).

٢ - انظر البدور الزاهرة لعبد الفتاح القاضي (ص١٩١) ، وكتاب النشر في القراءات العشر لابن الجزري (٢/٣١١) ، وللقراء أسانيد حتى الصحابة ثم إلى رسول الله صلى الله عليه وسـلم فـي هاتين القراءتين ، وهما من القراءات السبع المتواترة التي رواها جمع عن جمع حتى رسـول الله ﷺ ويستحيل تواطؤهم على الكذب، وهذا يفيد العلم القاطع.

كَهْفِهِمْ ذَاتَ
ٱلْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ وَهُمْ فِى فَجْوَةٍ
مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن
يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا
وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ ٱلْيَمِينِ وَذَاتَ ٱلشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم
بَٰسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِٱلْوَصِيدِ ۚ لَوِ ٱطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ
فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾ وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ
لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا
يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟
أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ
طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ
بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ
أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾

وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ
ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُوا۟
ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُوا۟ عَلَىٰٓ
أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ
رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا
بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ۚ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ
بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ ۗ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا
وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ
إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ
إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا
﴿٢٤﴾ وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا
﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ
أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ
فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾ وَٱتْلُ مَآ أُوحِىَ إِلَيْكَ مِن كِتَابِ
رَبِّكَ ۖ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَن تَجِدَ مِن دُونِهِۦ مُلْتَحَدًا ﴿٢٧﴾

لوحتان لمصحف مطبوع حالي رقم (١٠) للمقارنة مع اللوحة المخطوطة في القرن الثاني الهجري رقم (٩)



لوحة مخطوطة في القرن الثاني الهجري رقم (١١)

وصف اللوحة المخطوطة رقم (١١) .

١. المصدر : دار المخطوطات في صنعاء . وهي تحت رقم (١٢).
٢. الحجم : الطول ٤٣,٥ سم العرض : ٣٥ سم .
٣. المحتوى : كلمتان من آخر الآية رقم ٢٢٦ والآية الأخيرة ٢٢٧ من سورة الشعراء . ومن أول الصافات إلى آخر الآية ٢٠ .
٤. تاريخها : القرن الهجري الثاني .
٥. الوصف العام : بصفة عامة اللوحة لا زالت في حالة جيدة بالرغم من آثار بعض الرطوبة ولا يفصل بين السورتين أي فاصل سوى البسملة. نقط الإعجام موجودة فيها بشكل متفرق ، ونقط إعراب أبي الأسود الدؤلي موجود غالباً في أواخر الكلمات وهو باللون الأحمر .
٦. لا يوجد خلاف بين المخطوط السابق والمطبوع المعاصر الآتي في رسم الكلمات سوى علامة بعد كلمة ((قل)) في السطر الثالث قبل الأخير في المخطوط وليس لها علاقة في رسم المصحف على كل حال.

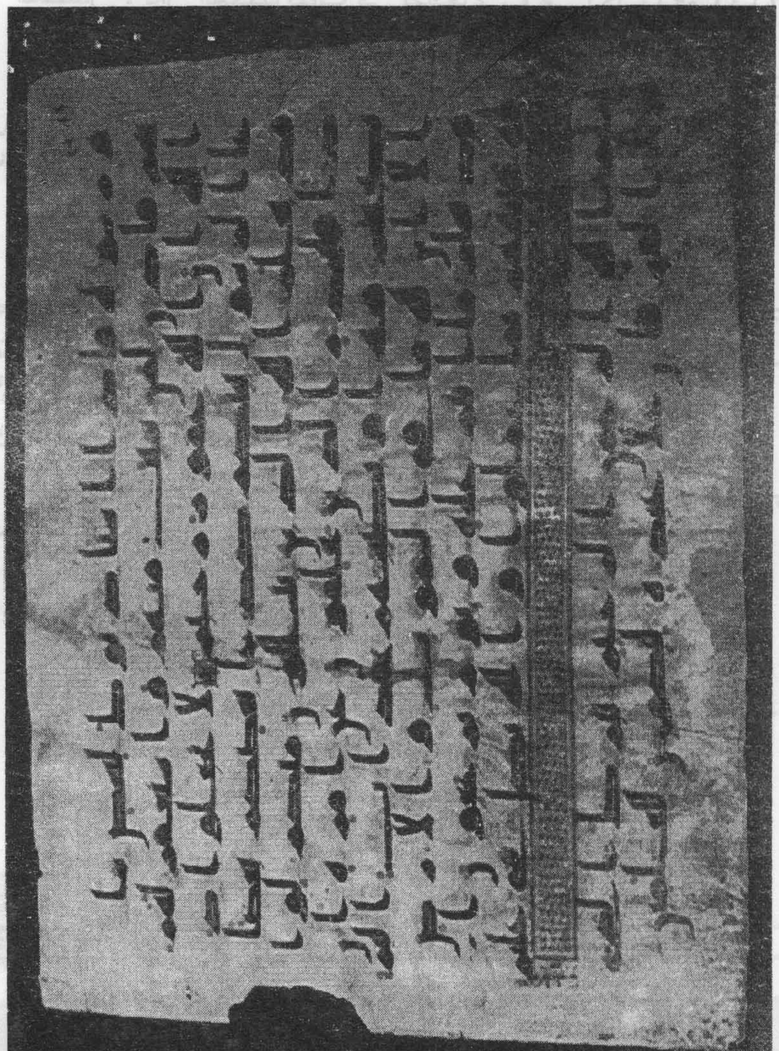
مَا لَا يَفْعَلُونَ ﴿٢٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِينَ
ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَذَكَرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا وَٱنتَصَرُواْ مِنۢ
بَعْدِ مَا ظُلِمُواْۗ وَسَيَعْلَمُ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ أَيَّ مُنقَلَبٍ يَنقَلِبُونَ ﴿٢٢٧﴾

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَٱلزَّٰجِرَٰتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَٱلتَّٰلِيَٰتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾
إِنَّ إِلَٰهَكُمْ لَوَٰحِدٌ ﴿٤﴾ رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ
ٱلْمَشَٰرِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِزِينَةٍ ٱلْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا
مِّن كُلِّ شَيْطَٰنٍ مَّارِدٍ ﴿٧﴾ لَّا يَسَّمَّعُونَ إِلَى ٱلْمَلَإِ ٱلْأَعْلَىٰ وَيُقْذَفُونَ
مِن كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًاۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ
ٱلْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُۥ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا
أَم مَّنْ خَلَقْنَآۚ إِنَّا خَلَقْنَٰهُم مِّن طِينٍ لَّازِبٍۭ ﴿١١﴾ بَلْ عَجِبْتَ
وَيَسْخَرُونَ ﴿١٢﴾ وَإِذَا ذُكِّرُواْ لَا يَذْكُرُونَ ﴿١٣﴾ وَإِذَا رَأَوْاْ ءَايَةً يَسْتَسْخِرُونَ
﴿١٤﴾ وَقَالُوٓاْ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا

أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿١٦﴾ أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿١٧﴾ قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَٰخِرُونَ
﴿١٨﴾ فَإِنَّمَا هِىَ زَجْرَةٌ وَٰحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنظُرُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا۟ يَٰوَيْلَنَا هَٰذَا
يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿٢٠﴾

لوحة لمصحف مطبوع حالي رقم (١٢) للمقارنة مع اللوحة المخطوطة في القرن الثاني الهجرية رقم (١١).



لوحة مخطوطة رقم (١٣) في القرن الثالث الهجري

وصف اللوحة المخطوطة رقم (١٣) .

١. المصدر : دار المخطوطات في صنعاء . وهي تحت رقم (٢١).
٢. الحجم : الطول ٢٩ سم العرض : ٤٠ سم .
٣. المحتوى : سورة النور (رقم ٢٤) الآية ٦٢ إلى آخر السورة وذلك في نهاية الآية رقم ٦٤ ، وسورة الفرقان (رقم٢٥) الآية الأولى عدا الكلمة الأخيرة .
٤. تاريخها : القرن الثالث الهجري كما قدّر المؤلف .
٥. الوصف العام : يظهر قطع في الجهة اليسرى من اللوحة ، وآثار رطوبة في معظمها ، وهناك سطر زخرفة بين السورتين ، وفيها علامة تعشير في السطر الثالث ، وبها نقط إعجام شبه زائل ، ونقط إعراب أبي الأسود الدؤلي موجودة غالباً على نهايات الكلمات باللون الأحمر ، وداخل الكلمة في بعض الأحيان .
٦. لا يوجد خلاف بين المخطوط السابق والمطبوع المعاصر الآتي في رسم الكلمات .

وَرَسُولِهِۦ فَإِذَا ٱسْتَـْٔذَنُوكَ
لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ فَأْذَن لِّمَن شِئْتَ مِنْهُمْ وَٱسْتَغْفِرْ لَهُمُ
ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٢﴾ لَّا تَجْعَلُوا۟ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ
بَيْنَكُمْ كَدُعَآءِ بَعْضِكُم بَعْضًا ۚ قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ
يَتَسَلَّلُونَ مِنكُمْ لِوَاذًا ۚ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ
أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ أَلَآ إِنَّ لِلَّهِ
مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ وَيَوْمَ
يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌۢ ﴿٦٤﴾

سُورَةُ الفُرْقَانِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ

لوحة مصحف مطبوع حالي رقم (١٤) للمقارنة مع اللوحة المخطوطة في القرن الثالث الهجري رقم (١٣)



لوحة مخطوطة في القرن الثالث الهجري رقم (١٥)

وصف اللوحة المخطوطة رقم (١٥) .

١. المصدر : دار المخطوطات في صنعاء . طلب رئيس دار المخطوطات الأستاذ/ عبدالملك المقحفي دراستها من المؤلف ، وهي من مخطوطات مصاحف صنعاء ودراستها مطولة نشرتها في بحث متكامل في مجلة كلية الآداب بصنعاء العدد رقم (٢٢) (ص٣٣٧) لسنة ١٩٩٩م[١].

٢. الحجم : الطول ٢٤ سم العرض : ١٤ سم .

٣. المحتوى : سورة الأعلى رقم (٨٧) من أول الآية الخامسة إلى آخر السورة آية رقم ١٩ . وسورة الغاشية (رقم ٨٨) من أولها إلى نصف الآية رقم٧ .

٤. تاريخها : القرن الثالث الهجري كما أوضحتها دراسة المؤلف للوحة في الملحق في آخر الكتاب .

٥. الوصف العام : يظهر في اللوحة آثار رطوبة في القسم العلوي من الجهة اليمنى ، وليس في اللوحة تنقيط إعجام إلا في كلمة يوثرون[٢] وفيها تنقيط أبي الأسود الدؤلي ببيان الحركة من ضمة وكسرة وفتحة وتنوين ، ولا تعارض في المعنى سواء قرئت الكلمة تؤثرون كما في المطبوع المعاصر الحالي أم قرئت يؤثرون ، وذكر اسم سورة الغاشية وعدد آياتها قبلها ، وفيها علامة تدل على انتهاء عشر آيات من بدء سورة الأعلى.

---

١ – راجع البحث الأستاذ يوسف ذنون الموصلي والدكتور عبد الحق القاضي اليمني .

٢ – قرأ أبو عمرو بن العلاء البصري يؤثرون وباقي القراء بتاء الخطاب تؤثرون ــ انظر البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة (ص٣٤١) ، والمخطوط أشار للقراءتين .

فَجَعَلَهُۥ غُثَآءً أَحْوَىٰ ﴿٥﴾ سَنُقْرِئُكَ
فَلَا تَنسَىٰٓ ﴿٦﴾ إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ إِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلْجَهْرَ وَمَا يَخْفَىٰ ﴿٧﴾ وَنُيَسِّرُكَ
لِلْيُسْرَىٰ ﴿٨﴾ فَذَكِّرْ إِن نَّفَعَتِ ٱلذِّكْرَىٰ ﴿٩﴾ سَيَذَّكَّرُ مَن يَخْشَىٰ ﴿١٠﴾
وَيَتَجَنَّبُهَا ٱلْأَشْقَى ﴿١١﴾ ٱلَّذِى يَصْلَى ٱلنَّارَ ٱلْكُبْرَىٰ ﴿١٢﴾ ثُمَّ لَا يَمُوتُ
فِيهَا وَلَا يَحْيَىٰ ﴿١٣﴾ قَدْ أَفْلَحَ مَن تَزَكَّىٰ ﴿١٤﴾ وَذَكَرَ ٱسْمَ رَبِّهِۦ فَصَلَّىٰ ﴿١٥﴾
بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ
هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ﴿١٩﴾

سُورَةُ الغَاشِيَةِ

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلْغَٰشِيَةِ ﴿١﴾ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾
عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ تُسْقَىٰ مِنْ عَيْنٍ ءَانِيَةٍ ﴿٥﴾
لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ ﴿٦﴾ لَّا يُسْمِنُ وَلَا يُغْنِى

لوحة لمصحف مطبوع حالي رقم (١٦) للمقارنة مع اللوحة المخطوطة في القرن الثالث الهجري رقم (١٥)

وأخيراً : وأمام هذه المقارنة يتضح لنا أن القرآن لم يختلف أبداً ، فبقى هو هو كما كان من القرن الأول والثاني والثالث الهجري وهذا يؤكد صحة نصوص المصاحف وحفظ القرآن وسلامته من التحريف .

وأمام هذه الحقائق الواقعية بالمقارنة بين نصوص المخطوط القديم ونصوص المطبوع الحالي من القرآن يثبت الخطأ العلمي الذي ذهب إليه توبي لستر كاتب المجلة في أن القرآن قد خضع للتطور التاريخي ، حيث إن كلامه لم يستند إلى مقارنات حقيقية ، وهو لم يوضح ذلك في نصوص مصورة من مصاحف صنعاء أو غيرها ولا يستطيع ذلك ، لكنه أخطأ الخطأ الذي لا يستند إلى المقارنة التاريخية الحقيقية بين نصوص القرآن الكريم ، وكل خطأ علمي يقوم به أي كاتب من هذا النوع لابد أن يسقط أمام البحث العلمي التاريخي المقارن وصدق قول الله العظيم: ((..كذلك يضرب الله الحق والباطل فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال))[1] ، إن القرآن هو كتاب الله الوحيد الذي تكفل الله بحفظه والذي سيمكث في الأرض محفوظاً لا مبدلاً ولا مزوراً ليكون كلمته الخالدة لتستقيم البشرية على منهج الله عز وجل ، وصدق قول الله العظيم : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[2] .

الفرع السابع : موقف القاضي إسماعيل بن علي الأكوع رئيس الهيئة العامة للآثار سابقاً من ادعاءات توبي لستر بمصاحف صنعاء : ترى ماذا كان موقف القاضي رئيس الهيئة العامة للآثار ودور الكتب في اليمن سابقاً من ادعاء توبي لستر أن جيردبوئن قال بالتطور التاريخي للقرآن بدليل مصاحف صنعاء؟

القاضي إسماعيل بن علي الأكوع حفظه الله تعالى هو الذي دعا الفريق الألماني للاطلاع والصيانة لمصاحف صنعاء ورأى مقالة للأستاذ فهمي هويدي في صحيفة الشرق الأوسط تحت عنوان ((غارة أخرى على القرآن تطعن في تنزيله وصدقيته)) فقرأ المقال واعتبر نفسه- حفظه الله - هو

---

[1] - الآية ١٧ من سورة الرعد .

[2] -الآية ٩ من سورة الحجر .

المكلف بالرد بمسؤوليته تجاه الله سبحانه وتعالى[١] ، أما الطرق التي استخدمها للرد فهي ثلاثة :

الطريق الأول : الرد في صحف صنعاء .

الطريق الثاني: أنه قد استحث كاتب هذه السطور على الكتابة في هذا الموضوع والرد على هذا الكاتب فكان هذا الكتاب ؛ الذي أطلعت عليه الشيخ القاضي إسماعيل بن علي الأكوع وعدداً من علماء القرآن والإسلام واللغة العربية في صنعاء . والحمد لله استمعت إلى نصائحه في تأليف هذا الرد ، وكان لي معه جلسات طويلة أسأله فيها عن تاريخ مصاحف صنعاء وما يتعلق بالرد على الكاتب توبي لستر.

الطريق الثالث : قال لي : إنه قد اتصل شخصياً بالدكتور جيرد بوئن وبوتمر يسألهما عما نسب إليهما توبي لستر الأمريكي ، فأرسلا له رسائل تندد بمقال الكاتب ، وتستنكر ما قيل عنهما في أن مصاحف صنعاء تغاير المصاحف الحالية في لفظ الآيات الكريمة ، وقال لي إنه قد نشر الرد على الكاتب الأمريكي في : ثلاث صحف وهي الثورة والشاهد وسبتمبر.

ما نشره القاضي إسماعيل بن علي الأكوع في الصحف للرد على توبي لستر:

أ ـ وإليك بعض نصوص ما نشر في صحيفة الثورة اليمنية يوم الخميس بتاريخ ٢٤/ذي القعدة / ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٩/٣/١١م بقلم القاضي إسماعيل الأكوع تحت عنوان (القاضي الأكوع والعالم الألماني جيرد بوئن يفندان المزاعم الخبيثة حول القرآن الكريم)[٢] ومما جاء في المقال :

((نشرت جريدة ((الشرق الأوسط)) في عددها ٣٤٩[٣] الصادرة يوم الاثنين ١٩٩٩/١/١١م مقال الأستاذ فهمي هويدي تحت عنوان غارة أخرى

---

١ – الحقيقة كان هذا كرماً من العلامة القاضي إسماعيل بن علي الأكوع وإلا فهو قد ترك رئاسة هيئة الآثار منذ عام ١٩٩٠م وبلغ من العمر مبلغاً كبيراً ، ولكنها الهمة العالية والغيرة على القرآن دفعته جزاه الله خيراً لكي ينبري للرد ومعالجة الموقف .

٢ – حاولنا أن نأخذ من المقال الردود العلمية للبحث العلمي فقط تاركين تبيان ما نشر في كلام جيرد بوئن الألماني للأهداف القريبة والبعيدة في كلام توبي لستر الأمريكي أو بالأحرى الأهداف التكتيكية والاستراتيجية في كلام توبي لستر ؛ وذلك لأن منهجنا في كتابنا هذا البحث العلمي والنتائج العلمية بعيداً عن الدوافع لمقال توبي لستر .

٣ – الصحيح رقم (٧٣٤٩) فقد أخذت الرقم من مدير دار المخطوطات في صنعاء الأستاذ عبدالملك المقحفي مع المقال .

على القرآن تطعن في تنزيله وصدقيته[1] .. ثم خلص الأستاذ فهمي هويدي بعد ذلك إلى القول .. ولما كنت أنا المعني بهذا الأمر ، وقد ورد اسمي في مقال توبي لستر ، إذ تم في عهد رئاستي للهيئة العامة للآثار ودور الكتب الكشف على هذه المصاحف القرآنية ، وذلك خلال ترميم الجدار الغربي للجامع الكبير الذي كانت تقع في الركن الشمالي منه الخزانة المصمتة التي تحتوي على هذا الكم الهائل من الأوراق القرآنية ، وتم كذلك في عهدي الاتصال بالحكومة الألمانية بإرسال خبير مختص في ترميم المخطوطات، فانتدبت الدكتور / بوئن وتم فحص كثير من الأوراق وترقيم ما تم تقويمه ومعرفة ما في كل قطعة من الآيات وتحديدها من السورة الواقعة فيها ، وتم على يديه تدريب فريق من أبناء اليمن الذين استطاعوا أن يحققوا قدراً كبيراً من المعرفة في صيانة وترميم وتجليد المخطوطات .. لذلك فقد كان لزاماً علي الإسراع بالرد على هذه الافتراءات الحاقدة الواردة في مقال توبي لستر ولكني تريثت حتى أستطلع رأي العالمين الألمانيين بوئن وفون بوتمر فيما نقل عنهما هذا الكاتب الأمريكي ، فجاء ردهما داحضاً ومفنداً لما نسبه إليهما من كلام لا أساس له من الصحة ، وهذا هو نص جواب الدكتور بوئن على هذه المزاعم الكاذبة التي نسبها إليه وإلى زميله فالشكر لهما على هذا التكذيب وسأكتفي بإيراد هذا النص المكتوب باللغة العربية تحت توقيعه وإلى لقاء آخر...))

ثم ذكر العلامة القاضي إسماعيل بن علي الأكوع نص المقالة التي أرسلها جيرد بوئن كاملة ، وقد راجعت القاضي إسماعيل بن علي الأكوع فأعطاني نص الرسالة التي كتبها الدكتور جيرد بوئن بيده ، ففضلت أن انقل لك أيها القارئ أكثر نصوصها ولم أحذف منها إلا كلامه عن الدوافع القريبة والبعيدة لمقالة توبي لستر الأمريكي ، أو بالأحرى إنه تكلم عن الأهداف التكتيكية والاستراتيجية مما لا دخل له في بحثنا الآن الذي هو بحث علمي موضوعي فقط ؛ يستهدف رد شبهة ظالمة أثيرت حول القرآن الكريم علماً أن المقالة نشرت كاملة في هذه الصحيفة بل في ثلاث صحف يمنية .

وإليك رسالة الدكتور / جيرد بوئن الألماني بخط يده مع توقيعه:

[1] -انظر في مقالة جريدة الشرق الأوسط للأستاذ فهمي هويدي من(ص٥٥-٥٩)من هذا الكتاب.

سعادة القاضى اسمعيل الاكوع المؤقر
تحيات مخلصة واحتراماً وبعد،

اما الحقيقة فتفتخر اليمن بكنز فريد فى العالم وهو بقايا اقدم المصاحف فى العالم ولا غروى ان الحاسدون يحسدونها عليها ! إن هذه البقايا ترجع - وبالتأكد العلمي - الى القرن الاول للهجرة ! وبمجرد وجود هذه المخطوطات فى صنعا وفى حالة وبيئة تسمح لها البقاء مدة الف سنة او اكثر فى المستقبل باذن الله تبقى هى البرهان الاثرى الوحيد لتمام القرآن فى فترة القرن الاول للهجرة ولا - كما يظنه الكثير من العلماء غير المسلمين - ابتداءً من القرن الثالث الهجري ! طبعاً يتسأل المسلمون عن فائدة مثل هذه المعلومة عن فهم علماء غير مسلمين وهم على يقين من وجود تمام المصحف منذ إمامة الخليفة الثالث عثمان بن عفان (ر) . إنه هذا من باب الاعتقاد والايمان الحسن إذ لم تصل الينا الوثيقة القرآنية الاصلية التى كُتبت بامر عثمان ولا احدى النسخ التى وُزعت بامره الى الامصار. اما البحوث العلمية فى المخطوطات القرآنية القديمة فلا تمس اعتقدات المسلمين فى شىء ! أستغرب جداً من خوف بعض المتسرعين فى الحكم أن الخبر عن وجود

« قرآن آخر » في صنعا « تستهدف الاجيال القادمة من ابناء الامة الاسلامية » كما ادّعته صحيفة البلاغ !

اما كاتب المقالة الامريكي توبي ليستر فلا اعرفه شخصيًا لكن تعرفت عليه عن طريق مكالمات هاتفية عديدة وعلمت انه من اصدقاء اليمن حيث اقام سنتين وتعرف على مشروع الترميم في دار المخطوطات . حاول في مقالته ان يستعرض بحوثًا مختلفة الاساليب والنتائج بغض النظر عن الاعتراف بها في الدوائر العلمية او عدمه ورغم ان بعض المنشورات التي يذكرها المؤلف ليست جديدة على الاطلاق . فليضيف الى مقالته طعم الاستحداث بداله ان يربط سرده بالمصاحف الصنعانية وقصة اكتشافها الخ . اما ملاحظاتي* حول المصاحف الصنعانية فهي عامة جدًا لا تحتوي على معلومات مخيفة . كنت اقترح للمجلة ان ينشروا صورة عن احدى الآيات التي تختلف فيها احد المصاحف عن الرسم العثماني كي يتبين للمطلع طبيعة الاختلاف لكنهم لم يقبلوا الفكرة لسبب مفهوم إذ ان المقالة موجهة الى امريكيين مثقفين غير متخصصين .

* المذكورة في المقالة

المهم والحمد لله لا تختلف المصاحف الصنعانية عن غيرها في متاحف العالم ودور كتبه إلا في تفاصيل لا تمس القرآن كنص مقروء وإنما الاختلاف في الكتابة فقط. هذه الظاهرة معروفة حتى من القرآن المطبوع في القاهرة حيث ورد كتابة

ابرهيم على جانب ابرهم
قران " " قرن
سيماهم " " بسيمهم على جانب بسيمهم
الخ

اما في اقدم المصاحف الصنعانية فتكثر ظاهرة حذف الالفات مثلا. اجري بحوثي في هذا المجال منذ سنوات قليلة غير اني لم انشر في هذا المجال أكثر من مقالة صغيرة فقط لأني لا ازال في مرحلة البحث. لكني اشعر عند زملائي اهتماما متزايدا بكيفية الكتابة القرآنية في القرن الاول. والاهتمام هذا ادى الى نشر بقايا مصحف مكتوب بالاسلوب الحجازي كفكسيملي قبل اسابيع في فرانسا. وأصل المخطوطة التي تشارك تفاصيل كثيرة مع اقدم المصاحف الصنعانية في حوزة المكتبة الوطنية في باريس.

وفي اكتوبر السنة الماضية حضرنا انا وزميلي فون بوطمر في مدينة ليدن الهولندية على دعوة مؤتمر مخصوص للدراسات القرآنية والقينا هناك

خطابين استنادًا على نماذج مصورة عن مصاحف
صنعانية . لا غروى ان المحاضرتان تلقت باهتمام
كبير لا من الباحثين الغربيين فحسب بل من قبل
علماء مسلمين ايضا . لم تنشر تلك المحاضرات بعد .

أريد بذكر هذا ان لا داعي لي ان اكمن شيئًا من
بحوثي عن انظار العلماء ، اما اصحاب الجهل والحقد
فليبقوا على حالهم حتى مجيء جيل جديد مثقف مهتم
بتاريخ بلادهم الفريد سعداء بتراثهم الديني متشكرين
لرواد الآثار لحفاظ عليها وصيانتها واخذهم الخبرة
والتعاون - ولو من صين !

وختاما اتمنى لكم وايانا ان تتهدأ امواج الاغتياض
نظرًا الى واقع المخطوطات الصنعانية والسلام

اعتذر من ضعف
تعبيري بالعربية ،
للاسف ...

مخلصكم
د/ جيرد - ر يوسف بوئن
D. Gerd R. Puin
زاربروكن في ١٤/٢/١٩٩٩ م

ومن خلال ما ذكرناه هنا يسقط ادعاء توبي لستر بأن الدكتور جيردبوئن الألماني ذهب إلى تطور النص القرآني[1] وبهذا يفقد توبي لستر مصداقيته بهذا النقل[2] ، علماً أنه ليس من أهل الاختصاص في دراسة المخطوطات القرآنية فاعتمد هو ومن معه في هذه المقالة على نقل خاطئ عن جيرد بوئن الألماني فقط ، فأصبحت مقالته بخصوص مصاحف صنعاء ساقطة من الناحية العلمية ، مع العلم أننا أثبتنا قبل ذلك من واقع مصاحف صنعاء القديمة أنها تدل على حفظ القرآن من القرن الأول الهجري والثاني والثالث ، وفي هذا حسم للمسألة من ناحية النقل ومن ناحية الواقع .

ب ـ رسالة الدكتور / جراف فون بوتمر الألماني :

ولقد أتحفنا القاضي إسماعيل بن علي الأكوع بالرسالة التي أرسلها الدكتور بوتمر إليه مطبوعة باللغة الإنكليزية فصورناها وترجمناها إلى اللغة العربية وإليك أكثر نصوصها المترجمة :

---

١ – ادعاء توبي لستر هذا جاء في مجلة اتلانتك مونثلي في عدد ينـاير ١٩٩٩م (ص٤٤) كما نقلنا.

٢ – اكتفينا بما كتبه الدكتور جيرد بوئن الألماني دون تعليق على أي خطأ إملائي أو نحوي أو غير ذلك في رسالة جيرد بوئن نظراً لأنه قد اعتذر في نهاية رسالته عن ذلك ، مع أن هذه الأخطاء لا تؤثر في جوهر موضوع رسالته –والله أعلم–.

((صاحب السعادة : القاضي إسماعيل الأكوع
رئيس الهيئة العامة للآثار والمكتبات الأسبق
صنعاء ـ الجمهورية اليمنية .

إنه ليؤسفني جداً أن أعلم أن المقالة التي نشرت في إحدى الجرائد الأمريكية والتي اعتمدت على دراستي التي قمت بها في صنعاء أنا والدكتور ((بوين)) قد تسببت في إثارة القلق والغضب لديكم.

وإنني أعلن وبكل وضوح أن دراستي للمخطوطات القرآنية البدائية في صنعاء لم تؤثر بأي حال من الأحوال ـ أو تدع مجالاً للشك ـ في محتوى الوحي المدون في تلك المخطوطات ولن نتشجع على فعل ذلك حتى في المستقبل)) إلى أن يقول بوتمر :

((إن فهمي وإعجابي بجدية أولئك الخطاطين الأوائل وحبهم الشديد للقرآن قد زاد بمرور السنوات لدرجة أنه منحني امتياز دراسة الوريقات المخطوطة في صنعاء والتي من بينها مخطوطات تعتبر الأقدم من مثيلاتها المحفوظة في أي مكان آخر في العالم .

وإنه لمن السخافة بمكان أن يفترض أنه قد خالجني شعور بأن أخفي سواء محتويات أبحاثي أو اتجاهاتي عن السلطات اليمنية المعنية. وأن ما نشرته قد جعلته متاحاً وفي المتناول ، وإن يكن هناك ما لم ينشر بعد فإن ذلك يعود إلى احترام شرف الموضوع والذي يتطلب أقصى درجات الحذر والحرص في تقديم أي ملاحظات أو تعليقات أو استنتاجات نهائية ناتجة عن أبحاثي . وبالتالي فإن أي ادعاء أو دعوى بأن دراساتي قد أساءت إلى الإسلام فإنها تكون قد اعتمدت فقط على تحريف متعمد للحقيقة . وليس لدي أي سبب بأن أتوقع أن أي شخص في صنعاء يعرف عن طبيعة عملي هناك ـ عملياً وعلمياً ـ أن يكون ميالاً إلى تصديق مثل وجهة النظر هذه .

إني آمل حقاً في أن هذه الملاحظات يمكن أن تساعد في تبديد أي شكوك عن اتجاه دراساتي وروحها فيما يتعلق بالمخطوطات القرآنية في صنعاء)) .

المخلص
هانس ـ كاسبار جراف فون بوتمر
التوقيع

بعد هذا النفي الشديد للدكتور جيرد بوئن الألماني لما نقله عنه توبي لستر وكذلك النفي الشديد للدكتور جراف فون بوتمر لما نقله عنه توبي لستر أيضاً يظهر أن النقل باطل من أصله ولم يصح[1] .

وإذا كان توبي لستر من أهل الاختصاص – وليس كذلك – كان عليه أن يبرز الصفحات التي تثبت تطور القرآن كما طلب منه جيرد بوئن ؛ وإذ لم يعرض توبي لستر ولا صفحة واحدة من مخطوطات صنعاء مقارنة مع المصاحف الحالية وقارنا عدداً منها مع مصاحف العصر الحالي المطبوعة[2] يتبين أن الموضوع باطل من أساسه خاصة وبمقارناتي يتبين أيضاً أن القرآن لم يخضع للتطور التاريخي وبقي محفوظاً مما يؤكد ثانية بطلان ما ذهب إليه الكاتب توبي لستر في مجلة اتلانتك مونتلي عدد يناير ١٩٩٩م نقلاً وواقعاً ، نقلاً إذ نفى جيرد بوئن نقل توبي لستر عنه في ذلك ، وواقعاً في بطلان ذلك من خلال المقارنات الواقعية .

ج ــ ولقد أتحفنا القاضي إسماعيل بن علي الأكوع برد آخر هو للدكتور غريفور شولر مدير الأبحاث الشرقية في جامعة بازل بسويسرا أتحفنا بذلك للرد على توبي لستر الأمريكي في مقالته ، بل إن شيخنا جزاه الله تعالى خيراً سمح لنا أن نصور نص الرسالة التي هي باللغة العربية بخط الدكتور غريفور شولر نفسه كوثيقة في الرد على توبي لستر .

وإليك نص الرسالة كما صورناها من رسالة الدكتور شولر باللغة العربية بخط يده :

---

[1] – التزمنا بآداب البحث العلمي الخالص فقلنا هذا عن أقوال توبي لستر الأمريكي .

[2] – انظر من الصفحة ٧٦-٩٩ في مخطوطات مصاحف صنعاء المقارنة والنتائج ..

Prof. Dr. Gregor Schoeler

الأستاذ الدكتور غريغور شولر
مدير معهد الأبحاث الشرقية
جامعة بازل
بازل/سويسرا

إلى
حضرة السيد
القاضي إسماعيل الأكوع
ص.ب. ٢٢٧٠
صنعاء

سيدي القاضي إسماعيل المحترم

تحية طيبة وبعد،

ما زالت ذكرى لقائنا في صنعاء حين كنا في ضيافتكم قبل سنوات قليلة، حيّة، حيث كانت برفقتي السيدة أورسولا.
وقد أتيحت لي في حينه فرصة الاطلاع على المخطوطات النادرة الموجودة في المتحف قرب الجامع الكبير في صنعاء، ولقد أذهلتني روعة المخطوطات المزدانة بالألوان الخلّابة وجمالها النادر.
وفي تلك الزيارة قارنت بالصدفة قطعة من مخطوطة القرآن الكريم الأقدم بطبعة حديثة للقرآن الكريم، ولم أجد فيه أيّ فارق في النص!
وأقرّ هنا بأن لجوئي إلى نسخة حديثة كان فقط بهدف الاستعانة على قراءة الخطّ الصعب للمخطوطة.

ولقد صُعقتُ عندما قرأت ادّعاءات، كاذبة لباحث أمريكي بأن نصّ مخطوطة القرآن الكريم الأقدم تختلف عن نص القرآن الكريم كما هو معروف اليوم.
ولذا قررتُ أن أكتب إليكم مُفنّدًا ذلك الرأي الخاطئ.
وختامًا أرجو لكم ولعائلتكم تمام الصحة ودوام النشاط المثمر، ودمتم في خدمة العلم!
مع جزيل الاحترام والتقدير
المخلص
غريغور شولر Gregor Schoeler

ملاحظة: لقد قرأت ما يدّعيه الباحث الأمريكي أثناء رحلة في لبنان ولم أشأ أن انتظر في الرد على ذلك إلى حين أعود إلى بازل في سويسرا لأن الادعاء أغضبني.

الفرع الثامن : إظهار القاضي إسماعيل بن علي الأكوع مصاحف صنعاء في عدة مجالات دولية ومحلية :

الواقع أن القاضي إسماعيل بن علي الأكوع استطاع أن يقوم بأنشطة مختلفة وعلى أكثر من مستوى في داخل اليمن وخارجها وفي داخل البلاد العربية وخارجها لكي يبرهن للعالم أن هذا القرآن بقي هو هو لم يتبدل ولم يتغير على مدى القرون الطويلة، ومن العجب بعد كل هذا أن يدعي الكاتب توبي لستر الأمريكي أن هذه المصاحف تغاير المصاحف الحالية ، ويدعي كذلك أن السلطات اليمنية حاولت إبعاد الأنظار عما يقوم به الفريق الألماني ، فكأن الأمر الخطير في تغير المصاحف في القرون الأولى عما هو عليه الآن يقتضي هذا الإخفاء الشديد مع أن الواقع يكذب ذلك باستدعاء القاضي إسماعيل الأكوع أولاً وأخيراً للفريق الألماني بالاطلاع على المصاحف وصيانتها ، وأجب أنت أيها القارئ عن رئيس هيئة الآثار السابق القاضي إسماعيل بن علي الأكوع هل قام بنشاطات طيبة تنشر خبر مصاحف صنعاء وتوضحها دون كتمان وأنها تشهد بحفظ القرآن الكريم أم لا؟ وإليك هذه الأنشطة:

١- معرض المؤتمر العربي التاسع للآثار في صنعاء عام ١٤٠٠م الموافق ١٩٨٠م وكان المؤتمر في شهر فبراير (شباط) وقد نشر هذا في كتاب مصاحف صنعاء (ص٢١).

٢- قام القاضي إسماعيل بن علي الأكوع بالتعاون مع السيدة حصة صباح السالم الصباح في الكويت لتقوم دار الآثار الإسلاميةفي الكويت بمعرض لمصاحف صنعاء وذلك في عام١٩٨٥م بشهر مارس.

تقول السيدة حصة صباح السالم الصباح – حفظها الله تعالى – عن هذا المعرض وعن الجهود فيه : ((ولولا هذه الجهود الخيرة لما كان بالإمكان تحقيق هذا المعرض الذي يجسد طموح ورغبة كل مسلم في إبراز نواحي الإبداع والعظمة في تاريخ حضارتنا العريقة)) أهـ. مصاحف صنعاء (ص٥) .

٣- صدر كتاب (مصاحف صنعاء) عن دار الآثار الإسلامية في الكويت عن المتحف الوطني الكويتي ، وفي الكتاب صُوَرٌ لصفحات كثيرة مخطوطة من مصاحف صنعاء ومقالات لكل من السيدة حصة صباح السالم الصباح مديرة دار الآثار الإسلامية في الكويت وللقاضي

إسماعيل بن علي الأكوع. وللدكتور عبد المحسن المدعج في قسم التاريخ في جامعة الكويت وللأستاذ الدكتور أحمد عبد الرزاق أحمد في قسم التاريخ في جامعة الكويت أيضاً[1] وللدكتور جيردبوئن الألماني ولماريلير جنكز ولأوسيلا دييبهولز[2] الخبيرة النمساوية .
صدر الكتاب في عام ١٤٠٥هـ في جمادى الآخرة الموافق من ١٩ آذار–مارس إلى ١٩ مايو ١٩٨٥م .

٤– السماح للفريق الألماني ومنه الدكتور رجيرد بوئن والدكتور بوتمر بتصوير مصاحف صنعاء ، وقد وضح في نص رسالة جيرد بوئن في الصفحة الرابعة أنه يقوم ببحوث في هذا المجال ، وذلك أيضاً وضح في رسالة بوتمر ولا تكون هذه البحوث عادة إلا من مصورات عن هذه المصاحف .

٥– قام في مدينة ميونخ في ألمانيا معرض عن حضارة اليمن خلال ثلاثة آلاف سنة ، عرض في المعرض بعض المخطوطات لمصاحف صنعاء كما قال لنا القاضي إسماعيل الأكوع وذلك في نيسان – أبريل عام ١٩٨٦ وقد صدر عن هذا المعرض باللغتين الإنجليزية والألمانية كتاب اليمن ((ثلاثة آلاف عام حضارة وفن)) .

٦– قام معرض دائم لمصاحف صنعاء عام ١٩٨٤م وذلك في دار المخطوطات في صنعاء أعلن عنه في نشرة ندوة اللجنة الوطنية و(اليونسكو) في ندوة حماية المخطوطات اليمنية ولا زال المعرض موجوداً حتى الآن يطلع عليه كل زائر لدار المخطوطات ، أعلنت عنه الندوة في ٧–٩ سبتمبر عام ١٩٩٢م[3] .

وقد جاء في بيانات الندوة نشرة أعطاني إياها الأستاذ الكريم عبدالملك المقحفي مدير دار المخطوطات أن (١٢) ألف قطعة من الرقوق القرآنية موجودة في دار المخطوطات تضم فيها ٨٠٠ مصحف بينها أكثر من (١٠٠) مصحف مزخرف ، ينحصر تاريخ الجميع ما بين القرن الأول إلى القرن الخامس الهجري إضافة إلى مجموعة وثائق رقية محدودة العدد .

---

١ – المرجع في أعمال هؤلاء هو كتاب مصاحف صنعاء (ص٣) قسم اللغة العربية .
٢ – المرجع في أعمال هؤلاء هو كتاب مصاحف صنعاء (ص٣) قسم اللغة الإنكليزية.
٣ – انظر (ص٧٣–٧٤) لترى افتتاح المعرض بشكل رسمي .

٧-استدعاء القاضي إسماعيل الأكوع الفريق الألماني لصيانة مصاحف صنعاء جاء ذلك في كتاب مصاحف صنعاء (ص٢١-٢٢) .

وأريد أن أسأل كل منصف أي إخفاء كان من قبل الهيئة العامة للآثار في رئاسة القاضي إسماعيل الأكوع؟ وأي نشاط أوسع مع هذا النشاط في نشر خبر مصاحف صنعاء!؟ وما ذلك إلا لأن الحق لا يُستحيى منه ، والحق أن المصاحف القديمة تثبت حفظ القرآن على مر القرون في القرن الأول الهجري وحتى الآن .

مصاحف قديمة في المكتبة الشرقية للجامع الكبير :

أما في المكتبة الشرقية للجامع الكبير التابعة لوزارة الأوقاف فقد عرض فيها عدد من المصاحف من أهمها مصحف بالخط الكوفي وينسب للإمام علي رضي الله عنه ، وهو على الصحيح من خطوط القرن الثالث الهجري كما بين لي أستاذي الكريم يوسف ذنون[1] حسب أوصاف الخط ، وفي مكتبة الجامع هذه أيضاً يعرض على كل زائر مصحف آخر يرجع خطه إلى آخر القرن الأول الهجري في ست وثمانين صفحة ، وهو لا يشمل القرآن كله وقد سمحت لي وزارة الأوقاف بتصويره بأفلام قد تم إخراجها الرائع بنفس مساحة الأصول .

من كل هذه النشاطات التي قام بها رئيس الهيئة العامة للآثار الأسبق والسماح بالتصوير في المكتبة الشرقية للجامع الكبير يتبين أمران :

---

[1] - هو أستاذي يوسف ذنون خطاط ودارس للخطوط العربية على مدى التاريخ الإسلامي ، وهو من مدينة الموصل في شمال العراق ولد عام ١٩٣٢م ، وهو متخرج من دار المعلمين عام ١٩٥١م ، مُجاز بالخط من أكبر خطاطي العالم الإسلامي ومنهم حامد الآمدي ، له مؤلفات مطبوعة ومخطوطة وبحوث منشورة في المجلات العلمية ، ساهم في إعداد وتنظيم العديد من المهرجانات الدولية ، درس الخط وحاضر في تاريخه في كثير من الجامعات العربية والأجنبية وهو الآن رئيس جمعية الخطاطين وعضو اللجنة الاستشارية للثقافة والفنون في بلده ، ومتفرغ للبحث العلمي .

أولاً : إن الهيئة العامة للآثار السابقة في صنعاء لم تبخل ولم تخف من هذه المخطوطات كما ادعى الكاتب توبي لستر الأمريكي .
ثانياً : إن هذه الجرأة في إظهار هذه المخطوطات نبعت من الحرص على نشر القرآن وبيان حفظه على مر الأيام والقرون .

الفرع التاسع : خزانة مصاحف صنعاء القديمة لم تكن مقبرة :

لابد أن أرد على كلام الكاتب في المجلة الذي أشار به إلى أنهم وجدوا مقبرة في سقف المسجد توجد بها المصاحف كما ذكرنا قوله.

إن كلمة المقبرة في التعبير العربي تشير إلى أن في داخل هذا القبر ميت وليس بحي، وهذا القرآن الذي كتب على هذه المصاحف ليس ميتاً فهذا التعبير وهذا التشبيه مرفوض في اللغة العربية لعدة أمور :

أولاً : إنك اعترفت في مقالك بقوة تأثير القرآن الكريم في العصر الحاضر بقولك : ((يعد القرآن حالياً أعظم كتاب في العالم في تأثيره الإديولوجي))[1] .

وكتاب في هذا التأثير العظيم في التاريخ المعاصر لا يعد في مقبرة ولا يعد ميتاً .

ثانياً : إن هذه المصاحف أشارت بل أكدت حفظ القرآن الكريم على مر القرون في القرن الأول الهجري وحتى الآن بتطابقها مع المصاحف الحديثة ، ومصاحف في هذه الأهمية لكتاب هو أكثر الكتب تأثيراً في العالم لا يعد مهملاً كالميت ولا الخزانة التي حوته مقبرة ؛ بل أحييت هذه الخزانة في مصاحف صنعاء القرآن إحياءً آخر **فتجلى كتاب الله محفوظاً لكل البشر .**

ثالثاً : قال الله تعالى في كتابه المجيد : ((وكذلك أوحينا إليك روحاً من أمرنا))[2] فالقرآن روح يحيا به الفرد المسلم بل الأمة المسلمة إذا رجعت إليه الرجوع الصحيح ، وقد جزع الكاتب توبي لستر نفسه لقوة هذا التأثير المتوقع في العصر الحديث للقرآن فقال : **((فثمة علماء ومن بينهم مسلمون، يشعرون بأن مثل هذه الجهود التي ترمي في جوهرها إلى وضع القرآن في مكانه في التاريخ ، ستبعث روح الانبعاث الإسلامي بشكل من الأشكال.**

---
[1] – مقالة توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٤) .
[2] – الآية ٥٢ من سورة الشورى .

ـ إعادة حيازة الرواية بالتقدم إلى الأمام عن طريق النظر إلى الوراء . وهكذا فإن هذا النوع من التفكير ، المقتصر على النقاش العلمي البحثي ، يمكن أن يكون مع ذلك قوياً جداً ـ كما تشير تواريخ حركة النهضة الأوربية وحركة الإصلاح ـ يمكن أن تقود إلى تغيير اجتماعي رئيس.

إن القرآن ، على أية حال ، يعد حالياً أعظم كتاب في العالم في تأثيره الإديولوجي))[1] .

إن بدء انتشار الإسلام في العصر الحديث في العالم وفي أمريكا خاصة[2] في محاولة لتنفيذ عملي صحيح للقرآن في جيل إسلامي فريد يدل دلالة واضحة على بدء بزوغ فجر جديد بتأثر عميق بالقرآن الكريم . فتوقع هؤلاء العلماء المسلمين وغير المسلمين منهم هو في مكانه المناسب إن شاء الله تعالى ويكون بهذا **القرآن قد تجلى في العصر الحديث في جيل قرآني جديد فريد .**

وبناء على هذا فمن الخطأ الفادح القول بأن هذه المصاحف المفيدة فيما ذكرنا أنها في مقبرة .

الفرع العاشر : في خزانة مصاحف صنعاء القديمة في الجامع الكبير ثعابين لافئران و لاحشرات:

ذهب الكاتب توبي لستر كما رأينا إلى أن هذه المصاحف قضمتها عبر السنين الفئران والحشرات وذلك خطأ لثبوت أمرين :

---

[1] – مقالة الكاتب توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م في (ص٤٤) .

[2] – ما عاد يخفى على كل بصير بواقع الإسلام في الولايات المتحدة الأمريكية أن الإسلام ينتشر بها بسرعة ، فلقد نقلت صحيفة الأهرام المصرية في العدد المنشور في ٢/رمضان/١٤٢٠هـ الموافق ١٠/ديسمبر/١٩٩٩م في الصفحة الأولى ما أشار إلى أن الرئيس الأمريكي بيل كلينتون يقول إن الإسلام أحد أسرع الأديان انتشاراً في الولايات المتحدة الأمريكية وجاء ذلك أيضاً في صحيفة الثورة اليمنية الصفحة الأولى في ٣ / رمضان / ١٤٢٠هـ. ترى هل يستطيع توبي لستر الأمريكي بادعائه الخاطئ أن يرد مسلماً واحداً عن الإسلام؟؟ الجواب :لا . ولكنا أردنا في كلامنا السابق واللاحق أن نزيل غبار التشكيك من أمام من أراد أن يتعرف على القرآن والإسلام من غير المسلمين في الغرب أو الشرق .

١- **الأمر الأول** : لو كان مع المصاحف هذه -وهي رقوق- لو كان معها حشرات وفئران لقرضت وأكلت هذه المصاحف عبر مئات السنين ولو سألنا هل يمكن قدوم واستقرار هذه الحشرات والقوارض بشكل عام؟

فالجواب : مصيرها الموت لالتهام الثعابين لها كما سيأتي .

٢- **الأمر الثاني** : ثبت وجود ثعابين في خزانة المصاحف : كانت مع هذه المصاحف في داخل الخزانة في سقف الجامع الكبير ثعابين تقتات بالحمام الذي كان يدخل إلى المسجد قبل أن يوضع الحاجز البلوري بين الحرم الداخلي وباحة المسجد في عام ١٩٧٩م تقريبا ويعشش هذا الحمام في السقف فتلتقفه هذه الثعابين في الأعشاش، ويشير إلى هذا القاضي إسماعيل الأكوع بقوله في كتاب مصاحف صنعاء : ((ووجدت هنالك ثعابين كثيرة كانت تعيش في تلك الخزانة وتصطاد الحمام والعصافير ، فقتل العمال منها ما ظفروا به منها، وفر منها ما فر))[١] .

صفات الثعابين العلمية :

ولا يمكن أن تتعايش الثعابين مع الفئران والحشرات بل تلتهمها الثعابين كما هو معروف ، فقد جاء في كتاب مذكرات في علم الحيوان الزراعي[٢] : ((وتستطيع الثعابين أن تبتلع حيوانات أكبر كثيراً من حجم رأسها الطبيعي ، والسبب في ذلك يرجع إلى أن النصف الأيمن والأيسر للفك السفلي مرتبطان معاً بواسطة رباط من نسيج عضلي مطاطي والجلد الذي يسمح بابتعادهما عن بعضهما البعض لمسافة كبيرة أثناء تناول الطعام، وأثناء ابتلاع الفريسة تندفع فتحة القصبة الهوائية إلى الأمام بين الفكين ليستمر الثعبان في التنفس))[٣] **ثم جاء في الكتاب ((تتغذى الثعابين أساساً على القوارض وبعضها على الأسماك والضفادع والحشرات وبيض بعض**

---

١ - مصاحف صنعاء (ص٢٠) .

٢ - هذا الكتاب تأليف الأستاذ الدكتور السيد أحمد عبد السلام فرحان والأستاذ الدكتور السيد أبو المعاطي السيد والأستاذ الدكتور السيد عبد الغني عنتر ــ وهذا الكتاب مقرر على طلبة كلية الزراعة قسم الحيوان والنيماتولوجيا في جامعة القاهرة ــ كلية الزراعة بجامعة القاهرة عام ١٩٩٧م .

٣ - مذكرات في علم الحيوان الزراعي (ص١٦٩) .

الحيوانات وتضم فصائل منها.. فصيلة الثعابين الأصليـــة Coluberidae وتضم الأنواع الشائعة من الثعابين ومنها الناشر المصري وهو نوع شــرس يتغذى على القوارض والضفادع والطيور وطوله حوالي متر))[١] .

ومن خلال أسئلتي لبعض من رأى هذه الثعابين تبين لي أن الثعــابين التي كانت موجودة في سقف المسجد مع المصاحف في الخزانة التي كــانت قد أخفيت قبل ألف سنة هي من هذا النوع لكنها لم تؤذ أحداً .

صفات القوارض العلمية :

وجاء في هذا الكتاب. مذكرات في علم الحيوان الزراعي عن القوارض:

((رتبة القــوارض **Order Rodentia** : الثدييــات القارضـــة ــ **gnawing mammals** مثــل الفــئران **rater** والســنجاب **Squirrels** وتشتمل القوارض على ما يقرب من ٤٠% من مجموع أنواع الثدييات . تمتاز بوجود زوجين من القواطع شبيهة الشفرات في حدتها وتستعمل فـــي قــرض أغلفة البذور الصلبة والقشور . لهذه الحيوانات أهمية بيئية كبيرة نظراً لقدرتها التناسلية الفائقة وقدرتها على غزو جميع البيئات الأرضيـــة والتــأقلم عليــها ويتبعها حوالي ١٥٩١ نوعاً))[٢] ومما جاء في الكتاب نفســـه تحــت عنــوان الأهمية الاقتصادية عن القوارض : ((تنزل بالمواد المخزونة خسائر بالغة فــي وقت قصير، هذا يفسر كثرتها في الشون[٣] والمخازن إذا أهملت مقاومتها))[٤].

فوجود الفئران والحشرات أمر ليس له مرجع توثيقي علمي فيما أعلــم بل المرجع الرئيس الوحيد هو كتاب مصاحف صنعاء عن القاضي إســماعيل الأكوع الذي يوضح وجود الثعابين كما رأيناه ، بل والأهم من ذلك أن وجــود هذه الثعابين يتنافى مع وجود هذه الفئران والحشرات ، إذ أن الثعابين تلتـــهم هذه الحشرات من خلال صفاتها . هذا من الناحية العلمية كما مر .

---

١ – المرجع السابق (ص١٦٩) .
٢ – من كتاب مذكرات في علم الحيوان الزراعي (ص١٩٩).
٣ – الشَّوْنَة : مخزن الغَلَّة ــ انظر معجم تاج العروس ، مادة (شون).
٤ – المرجع السابق (ص٢٠٣) .

إن وجود هذه الكمية الكبيرة من المصاحف دون قرض القوارض لها يوضح أن القوارض السريعة التناسل لم تسلط على هذه المصاحف وكذلك الحشرات ولا يمكن وجود هذه المؤذيات مع الثعابين علمياً.

ترى لماذا كانت هذه الثعابين مع المصاحف في الخزانة؟ لا شك أن الحكمة واضحة وهي أن تبقى هذه المصاحف القرآنية محفوظة من القرن الأول الهجري والثاني والثالث شاهدة على حفظ القرآن الكريم للعالم كله كما شاهدنا في دراستنا، وتأكيداً لذلك كانت دراستي للمصاحف المقارنة ، وتأكيداً لذلك أقول:

الثعابين عبر سنين طويلة لم تؤذ أحداً في المسجد :

لم تؤذ هذه الثعابين على كثرتها في الخزانة أحدا من المصلين في المسجد ، وكان أندر من النادر خروجها فلقد سألت الشيخ الجليل الكريم محمد بن عبدالرحمن الطير الذي بلغ من العمر ٧٩ عاماً وهو جار المسجد من زمن أبيه وبيته مطل على المسجد وهو أمين المكتبة الغربية في المسجد ويصلي الصلوات الخمس كل يوم فيه ، سألته هل رأيت هذه الثعابين؟ فقال : ((كان عمري (١٥) سنة لما رأيت مرة واحدة فقط ثعبانين ينتقلان على سطح المسجد!! وبيتي مقابل المسجد مطل على سطحه، ولم أسمع أن الثعابين لدغت أحداً في المسجد ولم أسمع ذلك من أبي ، وخروجها نادر جداً جداً بل سمعت من أبي قصة عجيبة في عدم إيذائها ... ، علماً أن والدي توفي عام ١٩٦٥م وعمره (٨٥) عاماً . فمنذ سنة ١٨٨٠م نحن متأكدون لم تلدغ الثعابين أحداً ولم نسمع عن قبل هذا التاريخ أنها لدغت أحداً)) .

وسألت الشيخ ناجي العميسي البالغ من العمر (٦٥) سنة ويصلي الصلوات الخمس في المسجد سنتين كاملتين قبل ٤٠ سنة فقال : ((لم أر في المسجد ولا ثعبان)).

إذن هذه الثعابين كان لها عمل واحد وهو التهام كل مؤذ للمصاحف من حشرات وقوارض وغير ذلك ، مهمتها الحفاظ على هذه المصاحف لتبقى شاهدة بأن القرآن هو كلمة الله التي لا تتبدل ولا تتغير عبر القرون ، ولقد تنبأ الدكتور/ جيرد بوئن ببقاء مصاحف صنعاء لألف سنة أخرى كما ذكر في رسالته إلى الشيخ إسماعيل الأكوع كما مر . ونرجو الله أن يحفظها ويحفظ القائمين على حفظها اللهم آمين .

وأخيراً من سخر هذه الثعابين لحفظ المصاحف!!؟؟ :

يا سبحان الله حتى الثعابين التي سخرها الله مارست دورها العظيم في المحافظة على مصاحف صنعاء في سقف المسجد الكبير بقدر من الله عز وجل فالتهمت كل حشرة وكل قارضة وكل ما يمكن أن يؤذي المصاحف على مر القرون..ولم تؤذ أحداً.

يا سبحان الله حتى الثعابين مارست دورها في تجلي مصاحف صنعاء شاهدة على حفظ القرآن بل وفي تجلي كتاب الله بعد القرون والقرون والقرون..[1].

ونريد أن نسأل هذا الكاتب توبي لستر الأمريكي بعد هذا كله ما هو مصدره في قوله أن هنالك في السقف في الخزانة مع المصاحف فئران وحشرات؟ طالما عرضنا مصدرنا من كتاب مصاحف صنعاء من مقال لرئيس هيئة الآثار إذ ذاك ، وطالما تكلمنا عن خصائص الثعابين في أكل الفئران والحشرات في بحث علمي ، **وطالما أبطلنا علمياً إمكانية وجود الفئران مع المصاحف والثعابين ، فما هو مصدرك..!! .**

ونريد أن نقول لتوبي لستر: إذا كان الدكتور الألماني جيرد بوئن والدكتور الألماني بوتمر قد نفيا كلامك المنقول عنهما في عدم تطابق مصاحف صنعاء القديمة مع المصاحف الحالية فلماذا قلت هذا الكلام على لسانهما؟ ، ونقول له : إذا كانت المصاحف الحالية من خلال الدراسة تثبت تطابق المصاحف اليمنية القديمة مع المصاحف الحالية فما كلامك الجديد في هذه المسألة؟؟

---

[1] – ولا زالت المصاحف حتى الآن محفوظة وإنا لننكر كل الإنكار ما أذاعته أحد الإذاعات العالمية الغربية من خبر وهو سرقة مصاحف صنعاء ، والحق كانت هنالك محاولة فاشلة لسرقة بعض وثائق الأوقاف في أملاكها العقارية في صنعاء عام ١٩٩٩م ، وقبض على المحاولين في الجامع الكبير في صنعاء وذلك الساعة ١,٥ ليلاً وفي الصباح الساعة السابعة تذيع إحدى الإذاعات الغربية العالمية باللغة العربية سرقة مصاحف صنعاء بعد خمس ساعات ونصف بخبر كاذب لم يصح ، ولم يحاول أحد إذ ذاك سرقة مصاحف صنعاء . وقد تأكدت من ذلك بنفسي ، ومصاحف صنعاء التي وجدت في سقف الجامع الكبير لم تكن في المسجد بل في دار المخطوطات مقابل المسجد ، ترى ما الدوافع لنشر هذا الخبر الكاذب بعد ٥,٥ ساعة من الحادث؟ هل هو الحسد على هذه المصاحف المثبتة لحفظ القرآن؟ أم كما قالوا : ((من كان له عدو يراه في المنام))؟ إن هذه الأحلام لم تصح عن مصاحف صنعاء المحفوظة بيد الأمين الأستاذ الكريم عبد الملك المقحفي المدير العام لدار المخطوطات في صنعاء حفظه الله تعالى وحفظ أعوانه جميعاً من كل سوء اللهم آمين .

المطلب السادس: تطابق حفظ القرآن غيباً في القراءة الواحدة عند قراء العالم الإسلامي ورجوعهم كلهم بالسند إلى رسول الله ﷺ فيما يقرؤون:

إن مصادر التشريع الإسلامي كلها ترجع أخيراً إلى مصدرين رئيسين وهما كتاب الله تعالى وسنة محمد ﷺ.

ولأهمية هذين المصدرين في الإسلام حرص المسلمون على أن يتلقوا هذين المصدرين بالسند شخصاً بعد شخص من التالي للآية القرآنية أو الراوي للحديث النبوي بالتسلسل حتى النبي ﷺ .

ونشأت حول هذه الأسانيد للقرآن والسنة علوم مهمة في دراسات اتصال السند وعدمه وجرح وتعديل رجال السند إلى غير ما هنالك من علوم وفيرة عظيمة ، نشأ علم الأسانيد لتلاوة قراءات القرآن الكريم و كتب تراجم القراء ومن قبلهم ومن قبلهم .. بالسند حتى النبي ﷺ كل ذلك ليسلم حسن تلاوة النص القرآني ويتلى كما تلاه النبي ﷺ.

الفرع الأول : كتب رجال سند القراءات للقرآن الكريم :

حرصاً على السند الصحيح لقراءات القرآن حتى النبي ﷺ ألف علماء القراءات كتباً في رجال القراءات وطبقاتهم كان أهمها : كتاب معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لأبي عبد الله محمد بن أحمد الذهبي المؤرخ العظيم المتوفى سنة ٧٤٨هـ، وكتاب نهاية الدرايات في أسماء رجال القراءات لابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ وكتاب غاية النهاية في طبقات القراء للمؤلف نفسه وغير ذلك من الكتب .

وكان قراء القرآن يحرصون على صحة السند كما يحرصون ويسرون بعلو السند أي قلة أشخاصه حتى النبي ﷺ[١] .

---

[١] – قال ابن الجزري رحمه الله تعالى : ((وإذا كان صحة السند من أركان القراءة كما تقدم تعين أن يعرف حال رجال القراءات كما يعرف أحوال رجال الحديث ، لا جرم اعتنى الناس بذلك قديماً ، وحرص الأئمة على ضبطه عظيماً ، وأفضل من علمناه تعاطى ذلك وحققه وقيد شوارده ومطلقه ، إمام الغرب والشرق الحافظ الكبير الثقة ـــ أبو عمرو عثمان بن سعيد الداني ـــ مؤلف التيسير وجامع البيان وتاريخ القراء وغير ذلك ومن انتهى إليه تحقيق هذا العلم وضبطه وإتقانه ببلاد الأندلس والقطر المغربي ، والحافظ الكبير ـــ أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمداني ـــ مؤلف الغاية في القراءات العشر وطبقات القراء وغير ذلك ومن انتهى إليه معرفة أحوال النقلة وتراجمهم ببلاد العراق والقطر الشرقي .
ومن أراد الإحاطة بذلك فعليه بكتابنا ((غاية النهاية في أسماء رجال القراءات أولي الرواية والدراية)).=

الفرع الثاني : المقصود بصحة سند قراءة القراء :

ونقصد بصحة السند بأن يروي القراءة العدل الضابط تلقياً عن مثله كذا حتى ينتهي السند إلى رسول الله ﷺ وتكون مع ذلك مشهورة عند أئمة هذا الشأن الضابطين له غير معدودة عندهم من الغلط أو مما شذ بها بعضهم[1]، ويكون هذا العدل الضابط قد تلقى القراءة عن شيخه تلقياً . ولابد من تجويد الحروف عن الشيوخ قال ابن الجزري في التجويد: ((ولا شك أن الأمة كما هم متعبدون بفهم معاني القرآن وإقامة حدوده متعبدون بتصحيح ألفاظه وإقامة حروفه على الصفة المتلقاة من أئمة القراءة المتصلة بالحضرة النبوية الأفصحية العربية التي لا تجوز مخالفتها ولا العدول عنها إلى غيرها))[2].

هكذا ومن فضل الله على أمة محمد ﷺ أن القراء العدول الضابطين قد تلقوا مشافهة قراءاتهم بالسند وبحسن نطق الحروف كما نطقها رسول الله ﷺ ومن فضل الله على الأمة الإسلامية أن قراءها كثيرون كثيرون .. ينتشرون في العالم الإسلامي كله بل وخارجه في أمريكا وأوربا و .. في عصرنا ، وكل واحد له سنده المتصل إلى رسول الله ﷺ ، ومن العجب ومن فضل الله أنك تجد أحدهم في القراءة الواحدة يطابق الآخر في أحكام التجويد بل يماثل في كل حرف بل في صفة كل حرف[3] كل قارئ في العالم الإسلامي له سند بنفس القراءة إلى النبي ﷺ.

الفرع الثالث : تماثل واضح في القراءة الواحدة عند القارئين :

أضرب على ذلك مثالاً في أخذي عن شيخين لرواية واحدة ولقراءة واحدة فقد أخذت علم التجويد أثناء دراستي الجامعية الأولى من الشيخ سعيد

=وأعلى ما وقع لنا باتصال تلاوة القرآن على شرط الصحيح عند أئمة هذا الشأن أن بيني وبين النبي ﷺ أربعة عشر رجلاً)) ـ أ هـ النشر في القراءات العشر(١/١٩٣).
أما أبو العلاء الحسن بن أحمد العطار الهمداني فهو إمام العراقيين ومؤلف الكتاب المذكور رحل في طلب القراءات والحديث إلى عدة بلدان وكان يقرئ نصف نهاره القرآن والعلم ونصفه الآخر الحديث وكان لا يغشى السلاطين ولا يأخذه في الله لومة لائم توفي سنة ٥٦٩هـ رحمه الله تعالى ـ انظر غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري (١/٢٠٤ـ٢٠٦) .

[1] – انظر النشر (١/١٣) ، و(١/٢١٠) .

[2] – النشر (١/٢١٠) .

[3] – صفات الحروف هي كالهمس والجهر والاستعلاء والاستفال والصفير والقلقلة والاستطالة والتفشي وغير ذلك ، وقد أوضحت كتب علم التجويد كل صفات الحروف .

عبدالله شيخ قراء مدينة حماه ، ، وجئت إلى اليمن السعيد في عام ١٩٩٣م وما أثار انتباهي وأنا أسير في ساحة التحرير في صنعاء إلا تلاوة للقرآن هي كتلاوة شيخي الشيخ سعيد عبد الله ١٠٠% في الغنات والمدود وصفات الحروف والشيخ سعيد إذ ذاك في مكة و... سمعت هذه التلاوة من مذياع مسجد المتوكل في صنعاء فأسرعت للصلاة مقتدياً بهذا الإمام المتقن ، وعلمت بعد ذلك أنه الشيخ الكريم المقرئ يحيى الحليلي فتلقيت عليه بعض علوم قراءات القرآن الكريم بعد ذلك .

وعلمت أن الشيخ يحيى الحليلي يشترك بالسند مع الشيخ المقرئ في صنعاء محمد حسين عامر[1] .

فأخذت على هذا الشيخ الكريم محمد حسين عامر قراءات للقرآن الكريم في ثلاث سنوات توفي بعدها رحمه الله تعالى .

وأما شيخي الأول في علم التجويد فقد تابعت على تلميذه الشيخ فايز عبد القادر تلاوة رواية حفص عن عاصم للقرآن كله ، وأخذت بعد ذلك إجازة من الشيخ سعيد عبدالله بالرواية التي أخذتها عن تلميذه فايز عبد القادر بعد اطلاعه.

المهم أخذت إجازة بالسند إلى رسول الله ﷺ من الشيخين في رواية حفص عن عاصم أما سند الشيخ فايز عبد القادر من عنده حتى رسول الله عليه الصلاة والسلام فهو كما يلي :

وأخبرته : أني تلقيت ذلك عن الشيخ سعيد عبد الله المحمد الحسي شيخ القراء في مدينة حماة السورية والمدرس بجامعة أم القرى في مكة المكرمة ، وأخبرني بأنه تلقى عن العلامة الشيخ نوري بن أسعد الشحنة ، وهو عن الشيخ أحمد البابولي ، وهو تلقى عن الشيخ محمود الكيزاوي ، وهو تلقى عن الشيخ أحمد الرفاعي الشهير بالحلواني ، وهو تلقى عن الشيخ أحمد المرزوقي شيخ القراء بمكة المكرمة (حرسها الله تعالى) وهو تلقى عن الشيخ إبراهيم العبيدي ، وهو تلقى عن الشيخ عبد الرحمن بن حسن الأجهوري ، وآخرين من المشايخ ، وهو تلقى عن الشيخ عبدو السجاعي ، وهو تلقى عن الشيخ/أحمد بن رحيب البقري ــ أبو السماح ــ وهو تلقى عن الشيخ محمد بن

---

[1] – هو شيخي محمد حسين عامر اليماني شيخ المقارئ في صنعاء الحافظ المتقن لقراءات القرآن الكريم أخذ علم القراءات عن شيوخه ، ونشر هذا العلم بين المسلمين من مثقفين ومتعلمين في صنعاء ومن ذلك تدريسه في الكلية العليا للقرآن الكريم في صنعاء ، توفي رحمه الله تعالى في رمضان ١٤١٩هـ الموافق ١٩٩٨م.

قاسم البقري ـــ أبو الأكرم ـــ وهو تلقى عن الشيخ عبد الرحمن اليمني ، وهو تلقى عن الشيخ شحاذة اليمني ، وهو تلقى عن الشيخ ناصر الطبلاوي ، وهو تلقى عن الشيخ زكريا الأنصاري ، وهو تلقى عن الشيخ رضوان بن أبي النعيم العقبي ، ومحمد النويري ، ومحمد القلقيلي ، وهم تلقوا عن الشيخ إمام القراء: **محمد بن الجزري** ، وهو عن شيخه أبي محمد عبدالرحمن بن أحمد بن علي ابن المبارك بن معالي البغدادي الواسطي المصري ، وقرأ هو على محمد بن أحمد بن عبد الخالق بن علي بن سالم بن مكي تقي الدين أبي عبد الله الصائغ المصري الشافعي ، وقرأ هو على شيخ قراء مصر أبي الحسن علي بن شجاع بن سالم بن علي المعروف بالكمال الضرير ، وبصهر الشاطبي ، وقرأ هو **على الإمام الشاطبي** القاسم بن فيرُّه بن خلف بن أحمد الرعيني الأندلسي ، وقرأ الشاطبي علىعلي بن محمد بن علي بن هذيل ، وهو قرأ على أبي سليمان داود بن نجاح ، وهو قرأ على أبي عمرو الداني قال أبو عمرو الداني فحدثنا بها أبو الحسن طاهر بن غلبون المقري، قال : نبأنا بها أبو الحسن علي بن محمد بن صالح الهاشمي المقري بالبصرة، وقال: حدثنا أبو العباس أحمد بن سهل الأشناني ، قال : قرأت على ابن محمد بن الصباح، وقال : قرأت على حفص، وقال : قرأت على عاصم . وقرأت بها القرآن كله على شيخنا أبي الحسن ، وقال لي : قرأت بها القرآن على الهاشمي ، وقال : قرأت على الأشناني عن عبيد عن حفص عن عاصم .

وهو **عاصم بن أبي النجود** ، وكنيته أبو بكر التابعي ، قرأ بها على عبدالله بن حبيب السلمي ، وزر بن حبيش الأزدي ، وهو قرأ على عثمان بن عفان ، وعلي بن أبي طالب ، وعبد الله بن مسعود ، وأبي بن كعب ، وزيد ابن ثابت ـــ رضي الله عنهم ـــ وهم قرؤوا على النبي ﷺ .

أما سندي عن طريق الشيخ محمد حسين عامر شيخ المقارئ في صنعاء إلى رسول الله ﷺ فهو كما يلي:

يروي عن شيخه الحافظ الأستاذ محمد حسين عامر عن شيخه الفاضل السيد الجمالي علي بن عبد الله الطايفي عن شيخه الفاضل حمزة بن عبدالرحمن البهلولي عن شيخه محمد بن يحيى الجنداري عن شيخه الإمام في القراءات العماد يحيى بن هادي الشرقي عن شيخه الفاضل ياقوت بن أحمد الماس المهدي عن شيخه هادي بن حسين القارني عن شيخه علي بن عثمان

العجمي الإستانبولي عن شيخه الكامل سلطان محمود أبو محمد الحاج عبدالله ابن محمد بن يوسف وهو قرأ على أبيه محمد بن يوسف عن أبيه يوسف عن شيخه الشيخ محمد المقري عن شيخه الشيخ محمد المصري المدفون بخارجة المدرسة التي بناها الوزير محمد باشا ببقعة أبي أيوب الأنصاري عن شيخه الشريف ناصر الدين بن عبد الله بن محمد بن سالم الطبلاوي عن شيخه شيخ الإسلام القاضي زكريا بن محمد الأنصاري شارح الجزرية عن شيخه أبي العباس أحمد بن أبي بكر القلقيلي، وأبي نعيم محمد العقبي ، وطاهر بن محمد ابن علي النويري شيخ القراء بالديار المصرية، وهؤلاء قرؤا على إمام القراء **أبي الخير محمد بن محمد بن محمد الجزري** الشافعي وهو قرأ على أبي محمد عبدالرحمن بن أحمد عن شيخه محمد بن رافع عن شيخه أبي علي الحسن بن عبد الكريم بن عبد السلام عن شيخه أبي الفتح عبدالله بن محمد بن يوسف القرطبي عن شيخه العلامة شيخ القراء الأعيان من فاق كل الأقران ، أبي القسم بن فيرُّه بن خلف الرعيني الشاطبي عن شيخه أبي عبدالله محمد بن علي بن أبي العاص عن شيخه أبي عبدالله محمد بن الحسن بن محمد القرشي عن شيخه أبي داود سليمان بن نجاح ، وأبي الحسن علي بن عبد الرحمن وأبي الحسن يحيى بن إبراهيم البياع عن **أبي عمرو الداني** ، قال الداني: قرأت رواية حفص على أبي الحسن قال قرأت بها على الهاشمي قال قرأت بها على الأشناني قال قرأت بها على أبي محمد عبيدالله بن الصباح قال قرأت بها على حفص بن سليمان الكوفي قال قرأت بها على الإمام عاصم بن ابي النجود الكوفي قال قرأت بها على عبدالله بن حبيب السلمي وأبي مريم زر بن حبيش عن الإمام عليٍ بن ابي طالب رضي الله عنه وأرضاه، وعن عثمان بن عفان وأبي بن كعب وزيد بن ثابت وعبدالله بن مسعود رضي الله تعالى عنهم جميعاً عن النبي ﷺ . رزقنا الله تعالى العمل بكتابه ووفقنا إلى رضاه آمين اللهم آمين .

وأخيراً ماذا يدل تماثل بل تطابق تلاوة القرآن للرواية والقراءة الواحدة في العالم الإسلامي كله شرقه وغربه وشماله وجنوبه مع الأسانيد المتنوعة ، بل وتطابق هذه التلاوة مع تلاوة سائر أنحاء العالم سواء أكان في العالم الإسلامي أم خارجه كأستراليا وأمريكا وأوروبا والصين والهند مع الأسانيد المتنوعة؟؟؟ إنه يدل على حفظ القرآن بهذه القراءة بل والقراءات لفظاً فلفظاً وكلمة فكلمة .

وهذا التطابق والتماثل في كل قراءة للقرآن الكريم ليس خاصاً في زماننا بل عام في كل العصور من زمن النبي ﷺ حتى الآن كما تشير الأسانيد.

فلو درست تاريخ هؤلاء الرجال الذين جاءوا بالأسانيد لوجدت أنهم متسلسلون على مر الزمان من عصر النبي ﷺ وحتى الآن ، وهذا يدل على تواتر القرآن الكريم بمعنى أنه يرويه في وقت واحد جمع عن جمع يستحيل تواطؤهم على الكذب على مر العصور وحتى زماننا هذا وذلك إن دل على شيء فإنما يدل على حفظ القرآن في الصدور .

الفرع الرابع : تحري صحة القراءة :

لقد كان المسلمون الأوائل من رجال الحديث يتحرون صحة الحديث بدراسة أسانيد الحديث الشريف في عدة أمور ليتأكدوا من قبول الحديث أو عدم قبوله ، ونشأ علم الجرح والتعديل وعلم مصطلح الحديث وغيره من العلوم لهذا الغرض .

ولئن كان المسلمون اعتنوا بأحاديث النبي ﷺ فقد كانوا أكثر عناية بالقرآن الكريم إذ وضعوا أركاناً ثلاثة لقبول القراءة منها التواتر[1] .

يقول المسيورينيه في رسالة له سماها الشعر قبل الإسلام : ((الرواية في ذاتها متهمة ولا يصح الأخذ بها علمياً إن كانت رواية ككل الروايات ، ولكن المسلمين عنوا عناية خاصة بالرواية حتى أصبحت من الطرق العلمية، لأن كثيراً من أحكام الدين مبنية عليها ، ولا يمكن أن تكون قاعدة علمية أثبت وأصح مما وضعوه في رواية الحديث وما قرروه من الشروط في ذلك ، مما يصح الآن أن يكون من أحدث الطرق العلمية))[2] .

وأخيراً : إن الله تعالى حفظ القرآن في الصدور صدور المؤمنين به على مر القرون ، وهذا مهم كالحفظ بالسطور الذي قد تمحوه صروف الدهر، اللهم إلا ما شاهدناه في محافظة الثعابين على مصاحف صنعاء وحفظ بعض اللوحات المخطوطة القرآنية في بعض الأماكن في العالم كما مر ، وبهذا الحفظ الذي اجتمعت له الصدور والسطور تظهر معجزة حفظ القرآن التي

---

[1] – منجد المقرئين (ص١٥) .

[2] – بلاغة العرب لأحمد ضيف (ص٦١) .

تكلم عنها القرآن بإخباره عن هذا قبل ألف وأربعمائة عام تقريباً قال تعالى في قرآنه : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[1] إن هذا مـــن معجـزات القرآن في إخباره عن المغيبات المستقبلية ، إنه تجلي كتاب الله في حفظه فـي الصدور صدور القراء على مدى الزمان وحتى الآن .

تجليه بالحفظ لأنه كتاب الله تعالى الذي يلزم للبشرية في كل حين، فهو في حفظه حجة على كل من لم يؤمن به – عافانا الله تعالى – .



[1] – الآية ٩ من سورة الحجر .

المبحث الثاني

التنبؤ بانتصار المسلمين وسيادتهم

لقد بدأ الرسول محمد ﷺ بدعوة الناس إلى عقيدة القرآن في مكة المكرمة ولم يكن لدعوته فئة تؤمن بعقيدته وتؤيدها ، وذلك في العالم كله بما يحمل من الملل والنِّحل، فالفرس ومن والاهم من العرب والروم ومن والاهم من العرب أيضاً والوثنيون من العرب واليهود في الجزيرة العربية كل هؤلاء يخالفون بعقائدهم العقيدة الإلهية في القرآن ، بل حارب هؤلاء جميعاً الرسول محمداً ﷺ وهذا واضح بكل وسائل التعذيب والحرب النفسية التي شنتها قريش التي تعبد الأوثان على النبي ﷺ وصحابته في مكة المكرمة ، وواضح كذلك في تلك المعارك الطاحنة التي قاتل بها الوثنيون من قريش الرسول ﷺ وصحابته في غزوة بدر وأحد والأحزاب بعد الهجرة إلى المدينة المنورة ، والتي حاول بها اليهود أيضاً بقبائلهم الكيد بمحمد ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم – حتى نقضوا معاهداتهم معه ، أما الفرس والروم فلقد كان بينهم وبين المسلمين معارك في موقعة القادسية وموقعة اليرموك وأخيراً انتصر النبي ﷺ ثم صحابته – رضوان الله عليهم – على كل من عادى عقيدتهم.

كل ذلك إن دل على شيء فإنما يدل على عدم امتداد العقيدة الإلهية في القرآن لكل تلك العقائد ، لذلك لم يحظَ المسلمون بأي تأييد خارجي لهم وبأي قوة من هذه القوى تشد من أزرهم وهم في محنة وشدة بمكة المكرمة.

بدأت الدعوة الإسلامية في مكة المكرمة سرية لمدة ثلاث سنوات ، وتعليل ذلك أن مكة كانت مركز دين العرب ، وكان بها سدنة الكعبة والقوام على الأوثان والأصنام المقدسة عند سائر العرب ، فالوصول للمقصود في الإصلاح فيها يزداد عزلة وشدة عما لو كان بعيداً عنها ، فالأمر يحتاج إلى عزيمة لا تزلزلها المصائب ولا الكوارث لذلك كان من الحكمة أن تكون الدعوة إلى عقيدة القرآن في بدء أمرها سرية لئلا يفاجأ أهل مكة بما يهيجهم ، وكان من الطبيعي في هذه المرحلة السرية أن يعرض الرسول محمد رسول الله ﷺ دعوته على ألصق الناس به وآل بيته وأصدقائه ومن توسم فيه خيراً ، فأجابه من هؤلاء جمع كانوا من السابقين الأولين[1].

---

[1] – انظر الرحيق المختوم (ص٦٥) بتصرف .

وبعد هذه السنين الثلاث من الدعوة السرية قال الله تعالى مخاطباً نبيه محمداً ﷺ ((فاصدع بما تؤمر وأعرض عن المشركين))[1] وقال تعالى ((وأنذر عشيرتك الأقربين واخفض جناحك لمن اتبعك من المؤمنين))[2] .

فقد أمر الله الرسول محمداً ﷺ بالجهر بالدعوة ، واستجاب الرسول لأمر ربه ، فعن ابن عباس رضي الله عنهما : أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء فصعد إلى الجبل فنادى ((يا صباحاه)) . فاجتمعت إليه قريش فقال ((أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟ قالوا: نعم، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد)) فقال أبو لهب : ألهذا جمعتنا تباً لك فأنزل الله عز وجل : ((تبت يدا أبي لهب وتب)) إلى آخرها[3].

صبت قريش في مكة حربها النفسية وتعذيبها على الرسول ﷺ وصحابته صباً بعد الجهر بالدعوة ، أما الحرب النفسية بالشائعات الكاذبة فقد رموه ﷺ بالجنون قال تعالى: ((وقالوا يا أيها الذي نزل عليه الذكر إنك لمجنون))[4]، ورموا القرآن الذي أنزل بالسحر قال تعالى ((وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات قال الذين كفروا للحق لما جاءهم هذا سحر مبين))[5] أي ظاهر كونه سحراً ، وحكمهم بذلك على الآيات لعجزهم عن الإتيان بمثلها[6]، إلى غير ذلك من الشائعات الكاذبة التي حاولت قريش في مكة أن تلصقها بالنبي ﷺ وصحابته كذباً وزوراً، فلقد تمكنت قريش أولاً بما أوتيت من كذبها وذكائها أن تحجم دعوة الرسول ﷺ بنسبة عالية فمنعت القبائل من نصرته ﷺ .

قال الزهري : ((وكان ممن يسمى لنا من القبائل الذين أتاهم رسول الله ﷺ ودعاهم وعرض نفسه عليهم بنو عامر بن صعصعة ،ومحارب بن خصفة ، وفزارة ،وغسان ، ومرة ، وحنيفة ، وسليم ، وعبس ، وبنو نصر ، وبنو البكاء ، وكندة ،وكلب ، والحارث بن كعب ، وعذرة ، والحضارمة ، فلم يستجب منهم أحد))[7].

---

[1] – الآية ٢٤ من سورة الحجر .
[2] – الآيتان ٢١٤-٢١٥ من سورة الشعراء .
[3] – رواه البخاري في فتح الباري (٨/٦٠٩-٦١٠-٤٩٧٢).
[4] – الآية ٦ من سورة الحجر .
[5] – الآية ٧ من سورة الأحقاف .
[6] – انظر روح المعاني (٨/٢٦) .
[7] – انظر الرحيق المختوم (ص١١٧) .

وفي داخل مكة المكرمة قامت قريش بحملة إيذاء شديدة لـــترد عـــن الإسلام النبي محمداً ﷺ وصحابته الكرام رضي الله عنهم .

فمن إيذائهم للنبي ﷺ : عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضـــي الله عنهما في قوله تعالى: ((ولا تجهر بصلاتك ولا تخافت بها))[1] قـــال نزلـــت ورسول الله ﷺ مختف بمكة ، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بـــالقرآن ، فإذا سمع المشركون سبوا القرآن ومن أنزله ومن جاء به ، فقـــال الله تعـــالى لنبيه ﷺ: ((ولا تجهر بصلاتك)) أي بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن ((ولا تخافت بها)) عن أصحابك فلا تسمعهم ((وابتغ بين ذلك سبيلا))[2] .

وعن عبدالله بن مسعود رضي الله عنه أن النبي ﷺ كان يصلي عنـــد البيت وأبو جهل وأصحاب له جلوس إذ قال بعضهم لبعض: أيكم يجيء بسلى جزور بني فلان فيضعه على ظهر محمد إذا سجد؟ فانبعث أشقى القوم فجـــاء به، فنظر حتى إذا سجد النبي ﷺ وضعه على ظهره بين كتفيه وأنا أنظـــر لا أغني شيئاً ، لو كانت لي منعة . قال : فجعلوا يضحكون ويحيل بعضهم علـــى بعض، ورسول الله ﷺ ساجد لا يرفع رأسه ، حتى جاءته فاطمة فطرحت عن ظهره ، فرفع رأسه ثم قال : ((اللهم عليك بقريش)) ثلاث مرات. فشق ذلـــك عليهم إذ دعا عليهم قال : وكانوا يرون أن الدعوة في ذلك البلد مستجابة. ثـــم سمى : ((اللهم عليك بأبي جهل ، وعليك بعتبة بن ربيعة ، وشيبة بن ربيعة ، والوليد بن عتبة ، وأمية بن خلف، وعقبة بن أبي معيط)) وعد الســـابع فلـــم نحفظه. قال فوالذي نفسي بيده ، لقد رأيت الذين عد رسول الله ﷺ صرعـــى في القليب ، قليب بدر[3] ، وليس كل هذا إلا غيض من فيض في إيذاء قريـــش في مكة لرسول الله محمد ﷺ .

أما أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم فقد قاسوا ألوانـــاً من العذاب ، من ذلك :

كان بنو مخزوم يخرجون بعمار بن ياسر وبأبيه وأمه ، وكانوا أهـــل بيت إسلام، إذا حميت الظهيرة يعذبونهم برمضاء مكة ، فيمر بـــهم رســـول

---

[1] – الآية ١١٠ من سورة الإسراء .

[2] – رواه البخاري في فتح الباري (٤٧٢٢/٢٥٧/٨) .

[3] – رواه البخاري في فتح الباري (٢٤٠/٤١٦/١) .

الله ﷺ فيقول فيما بلغني : ((صبراً آل ياسر ، موعدكم الجـــنة)). فأمـــا أمـــه فقتلوها ، وهي تأبى إلا الإسلام[1] .

وأنواع الإيذاء المختلفة للصحابة رضي الله عنهم دفعت النبي ﷺ إلى أن يأذن لعدد من أصحابه بالهجرة الأولى إلى الحبشة وذلك في سنة خمـــس لبعثة النبي محمد ﷺ[2] ثم هاجر النبي وأصحابه جميعاً إلى المدينة المنورة.

في كل هذه الأجواء في مكة المكرمة من الحرب النفســـية والإيـــذاء الشديد للنبي ﷺ وأصحابه – رضي الله عنهم – يأتي وعد الله بالنصر في كلام الله لا في ميزان البشر والعقل البشري ، يأتي بنبوءة صادقة لم تتخلف بعـــد وهي انتصار المسلمين على كفار مكة المكرمة في قرآن نزل في العهد المكي قبل الهجرة فقال تعالى : **((أم يقولون نحن جميع منتصـــر ســـيهزم الجمـــع ويولون الدبر))**[3][4] والكلام عن قريش التي حـــاربت دعـــوة الرســـول ﷺ وصحابته رضي الله عنهم أي أيقول هؤلاء الكفار من قريش : نحـــن جميـــع ممن محمد قصدنا بسوء ومكروه ، وأراد حربنا وتفريق جمعنا فقال الله جـــل ثناؤه : سيهزم الجمع يعني جمع كفار قريش ((ويولون الدبر)) يقول : ويولون أدبارهم المؤمنين بالله عند انهزامهم عنه[5]. وهل صدق إخبار القرآن بذلك؟

نعم لقد صدق إخبار القرآن في غزوة بدر عندما انتصر المسلمون بعد الهجرة على كفار قريش وهزم جمعهم وولوا الدبر .

وهذا الإخبار – والأمور لا يتوقع فيها بميزان العقـــل البشـــري أي نصر– دليل على أن هذا من إعجاز القرآن الكريم في إخباره عن المغيبـــات المستقبلية، ودليل على أن هذا الكلام من كلام الله تعالى لا من كلام البشر .

---

[1] – رواه ابن اسحاق في السيرة النبوية (٣٩٥/١) تخريج قوله ((صبراً آل ياسر فـــإن موعدكـــم الجنة)) ، رواه الحاكم في المستدرك على شرط مسلم ولم يخرجاه ـــ المستدرك على الصحيحيـــن (٥٦٤٦/٤٣٢/٣) ـــ وقال الهيثمي رواه الطبراني ورجاله ثقات ـــ مجمع الزوائد ومنبع الفوائـــد (٢٩٣/٩)–.

[2] – الرحيق المختوم (ص٨١) .

[3] – الآيتان ٤٤–٤٥ من سورة القمر .

[4] – الصحيح أن سورة القمر مكية كلها وهو قول الجمهور ـــ انظر تفسير الجامع لأحكام القـــرآن للقرطبي – (١٢٥/١٧) – .

[5] – انظر جامع البيان للطبري (١٤٢/٢٦).

المبحث الثالث: طوفان نوح

من الإخبار عن المغيبات في القرآن إخباره عن مغيبات قد اندرست في التاريخ من ذلك قصة نوح عليه السلام وفي هذا إعجاز تاريخي للقرآن، إذ ما أورده القرآن كله حقائق علمية .

المطلب الأول : ما جاء في تاريخ طوفان نوح في التوراة والواقع التاريخي :

قال الكاتب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه ((التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)) :

الطوفان

خصصت الفصول ٦،٧،٨ من سفر التكوين لرواية الطوفان . وبصورة أدق لروايتي الطوفان ، لأن هناك روايتين غير موضوعتين الواحدة إلى جانب الأخرى ، بل البعض الآخر من الفصول في تلاحم ظاهري خلال تتابع مختلف المراحل.

والحق أنها مفرقة في مقاطع متداخل بعضها ببعض . وفي هذه الفصول الثلاثة تناقضات جلية يمكن تفسيرها بأنها ناتجة عن وجود مصدرين متمايزين:

المصدر اليهودي ، والمصدر الكهنوتي ، وقد رأينا سابقاً أنهما يشكلان خليطاً متناثراً . فكل نص أصلي قد قطع إلى فقرات أو إلى جمل . وعناصر أحد المصدرين تتوالى مع عناصر المصدر الآخر ، حتى أن المرء ليضطر خلال مائة سطر تقريباً من النص الفرنسي ، إلى الانتقال في الرواية من مصدر إلى آخر سبع عشرة مرة . والرواية في مجملها هي ما يلي :

لما كان فساد الناس قد عم ، فقد عزم الله على إفنائهم مع جميع الخلائق الأخرى .. فأخبر نوحاً ((عليه السلام)) وأمره بأن يصنع فلكاً ، وأن يحمل فيه زوجته وأولاده الثلاثة مع زوجاتهم الثلاث وغيرهم من المخلوقات الحية الأخرى. والمصدران يختلفان بالنسبة إلى هذه الأخيرات . فبينما يشير في مقطع من الرواية (هو من أصل كهنوتي) أن نوحاً ((عليه السلام)) قد أخذ معه زوجاً من كل نوع، يثبت في مقطع آخر (من أصل يهودي) أن الله أمره بأن يحمل معه من الحيوانات الطاهرة فقط سبعة من كل نوع ذكراً وأنثى ، ومن الحيوانات النجسة زوجاً واحداً . ولكن بعد ذلك بقليل يثبت أن نوحاً ((عليه السلام)) لم يدخل معه في الفلك إلا زوجاً واحداً من كل واحد من

الحيوانات . والاختصاصيون مثل الأب ((دوفو)) ، يؤكدون بأن المعنى هو مقطع من الرواية اليهودية المحرفة[1].

ثم إنَّ فقرة (من مصدر يهودي) تذكر أن عامل الطوفان كان ماء المطر. ولكن فقرة أخرى (من أصل كهنوتي) تظهر أن سببه ماء المطر وينابيع الأرض معاً[2] .

وقد غمرت المياه الأرض كلها حتى أصابت ذرى الجبال ، وانعدمت بها كل حياة. وبعد أن غيض الماء خرج نوح بعد سنة من فلكه التي استوت على جبل أرارات.

ولنضف هنا أيضاً أن الطوفان ، بحسب المصادر ، كان ذا مدة مختلفة. هي أربعون يوماً حتى غاض الماء حسب الرواية اليهودية ، ومائة وخمسون يوماً حسب الرواية الكهنوتية.

هذا وإن الرواية اليهودية ، لا تحدد الوقت الذي جرى فيه هذا الحادث في حياة نوح . ولكن الرواية الكهنوتية تذكر بأنه وقع لنوح ((عليه السلام)) من العمر ستمائة سنة . وهذه الرواية بالذات توحي ببعض الملاحظات على أقلمتها في أنسابها بالنسبة إلى آدم وإبراهيم ((عليهما السلام)) . فلما كان نوح ((عليه السلام)) قد ولد حسب الحسابات المجراة في إفادات سفر التكوين بعد ١٠٥٦ سنة من آدم (انظر لائحة أجداد إبراهيم) فيكون الطوفان قد حصل بعد ١٦٥٦ سنة من خلق آدم. وهذا وإن سفر التكوين يذكر بأن الطوفان قد حصل قبل ٢٩٢ سنة من ولادة إبراهيم((عليه السلام)).

هذا وقد أصاب الطوفان حسبما هو وارد في سفر التكوين ، كل النوع البشري ، وأعدم جميع الكائنات الحية التي خلقها الله على الأرض . ثم أعيد بناء الإنسانية انحداراً من أبناء نوح ((عليه السلام)) الثلاثة ونسائهم، بحيث

---

[1] – إننا مسلمون نعتقد بما ورد في القرآن ولا نزيد على ذلك وهو قوله تعالى مخاطباً نوحاً عليه السلام : ((فاسلك فيها من كل زوجين اثنين وأهلك إلا من سبق عليه القول منهم ولا تخاطبني في الذين ظلموا إنهم مغرقون)). الآية ٢٧ من سورة المؤمنون .

[2] – لقد ذكر القرآن الكريم العامل الأساسي الذي حقق الطوفان فقال تعالى ((كذبت قبلهم قوم نوح فكذبوا عبدنا وقالوا مجنون وازدجر ، فدعا ربه أني مغلوب فانتصر ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر وفجرنا الأرض عيوناً فالتقى الماء على أمر قد قدر)) والواضح من هذه الآية أنه ماء السماء وماء عيون الأرض ــ (المترجم) الشيخ حسن خالد مفتي الجمهورية اللبنانية رحمه الله تعالى لكتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (ص٥٧) .

أنه لما ولد إبراهيم ((عليه السلام)) بعد ثلاثة قرون تقريباً وجد الإنسانية وقد تشكلت في مجتمعات . فكيف أمكن في قليل من الزمن حصول هذا التجدد للبناء الإنساني؟! هذه الملاحظة البسيطة تنزع عن هذه الرواية كل سمة من سمات الحق.

وبالإضافة إلى ماسبق ، فإن المعطيات التاريخية تبرهن على تناقضها مع المعارف الحديثة . فهي تضع إبراهيم ((عليه السلام)) فيما بين سنة ١٨٠٠و١٨٥٠ قبل المسيح ((عليه السلام)) . وإذا كان الطوفان كما يوحي به سفر التكوين في أنسابه ، يقع قبل ثلاثة قرون تقريباً من إبراهيم ((عليه السلام)) ، فينبغي أن يقع في القرن الواحد والعشرين أو الثاني والعشرين قبل المسيح . وهذا الزمن (الذي تسمح المعارف العلمية بتأكيده) ازدهرت فيه في عديد من المناطق على الأرض مدنيات انتقلت آثارها إلى الأجيال اللاحقة .

وللتمثيل على ذلك نسوق الفترة التي سبقت المملكة الوسطى (٢١٠٠ قبل المسيح) تقريباً في مصر . وهي تاريخ المرحلة الأولى المتوسطة قبل الأسرة الحادية عشرة ، بينما كانت في بابل الأسرة الثالثة لأور. ونحن نعرف تماماً بأنه لم يكن ثمة من انقطاع في هذه المدنيات ، وبالتالي ليس من فناء عام أصاب الإنسانية جمعاء كما أرادته التوراة.

وعلى هذا فإنه لا يمكن اعتبار الروايات الثلاث للتوراة كما لو كانت حاملة للناس سردا للوقائع مطابقا للحقيقة ، لأننا لا يسعنا إذا كنا موضوعيين إلا التقرير بأن النصوص التي هي موضع الحديث ، والتي وصلت إلينا لا تعبر عن الحقيقة. وهل يمكن أن يكون الله قد أوصى بشيء غير الحقيقة؟! إنه لا يمكننا تصور أنه يعلم الناس بواسطة الأوهام، بل الأوهام المتناقضة فوق ذلك[1] !! الأمر الذي ينتهي بنا إلى الوصول بصورة طبيعية إلى إثارة افتراض تشويه حصل بواسطة الناس ، أو تقاليد نقلت حرفيا من جيل إلى جيل ، أو نصوص بعد تثبيت هذه التقاليد.

وعندما نعلم أن مؤلفا مثل سفر التكوين قد حرف مرتين على الأقل في مدى ثلاثة قرون ، فكيف ندهش بأن نجد فيه مستحيلات أو روايات غير متفقة مع حقيقة الأشياء منذ أن أمكن أن يسمح تقدم المعارف الإنسانية بأن نحصل

---

[1] - أي هذا ما ذهبت إليه النصوص .

على الأقل ، إذا لم نعرف كل شيء ، من خلال بعض الأحداث على معرفة كافية لنقدر على الحكم بدرجة ما عليه الروايات القديمة المختصة بها من التوافق معها.

وماذا ثمة أكثر منطقاً من أن نبقي على هذا التفسير لأخطاء النصوص التوراتية التي لا تقحم إلا الإنسان . إنه لمن المؤسف ألا يتبناه أغلبية المفسرين يهوداً كانوا أو مسيحيين . وعلى كل فإن الأدلة المسوقة جديرة بأن تستوقف الانتباه))[1] .

المطلب الثاني : القرآن لم يذكر تاريخاً لطوفان نوح فهو لم يعتمد على القصة في التوراة: **بينما لم يذكر القرآن هذه التواريخ في كل مكان ذكر فيه قصة نوح ومن ذلك قوله تعالى في قرآنه المجيد[2] :**

(٢٤) وَلَقَدۡ أَرۡسَلۡنَا نُوحًا إِلَىٰ قَوۡمِهِۦٓ إِنِّي لَكُمۡ نَذِيرٞ مُّبِينٌ (٢٥)
أَن لَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّا ٱللَّهَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيۡكُمۡ عَذَابَ يَوۡمٍ أَلِيمٖ
(٢٦) فَقَالَ ٱلۡمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قَوۡمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرٗا
مِّثۡلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمۡ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ
ٱلرَّأۡيِ وَمَا نَرَىٰ لَكُمۡ عَلَيۡنَا مِن فَضۡلِۭ بَلۡ نَظُنُّكُمۡ كَٰذِبِينَ
(٢٧) قَالَ يَٰقَوۡمِ أَرَءَيۡتُمۡ إِن كُنتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٖ مِّن رَّبِّي وَءَاتَىٰنِي رَحۡمَةٗ
مِّنۡ عِندِهِۦ فَعُمِّيَتۡ عَلَيۡكُمۡ أَنُلۡزِمُكُمُوهَا وَأَنتُمۡ لَهَا كَٰرِهُونَ (٢٨)

---

[1] – التوراة الإنجيل والقرآن والعلم للكاتب الطبيب الفرنسي موريس بوكاي (ص٥٦–٥٩) .

[2] – الآيات الآتية من سورة هود من (٢٥–٤٩).

وَيَٰقَوۡمِ لَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مَالًاۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِۚ وَمَآ
أَنَا۠ بِطَارِدِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْۚ إِنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَلَٰكِنِّيٓ أَرَىٰكُمۡ
قَوۡمًا تَجۡهَلُونَ ﴿٢٩﴾ وَيَٰقَوۡمِ مَن يَنصُرُنِي مِنَ ٱللَّهِ إِن طَرَدتُّهُمۡۚ
أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣٠﴾ وَلَآ أَقُولُ لَكُمۡ عِندِي خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ
أَعۡلَمُ ٱلۡغَيۡبَ وَلَآ أَقُولُ إِنِّي مَلَكٞ وَلَآ أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزۡدَرِيٓ
أَعۡيُنُكُمۡ لَن يُؤۡتِيَهُمُ ٱللَّهُ خَيۡرًاۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ إِنِّيٓ إِذٗا
لَّمِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالُواْ يَٰنُوحُ قَدۡ جَٰدَلۡتَنَا فَأَكۡثَرۡتَ
جِدَٰلَنَا فَأۡتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٣٢﴾ قَالَ
إِنَّمَا يَأۡتِيكُم بِهِ ٱللَّهُ إِن شَآءَ وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ ﴿٣٣﴾ وَلَا يَنفَعُكُمۡ
نُصۡحِيٓ إِنۡ أَرَدتُّ أَنۡ أَنصَحَ لَكُمۡ إِن كَانَ ٱللَّهُ يُرِيدُ أَن يُغۡوِيَكُمۡۚ
هُوَ رَبُّكُمۡ وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿٣٤﴾ أَمۡ يَقُولُونَ ٱفۡتَرَىٰهُۖ
قُلۡ إِنِ ٱفۡتَرَيۡتُهُۥ فَعَلَيَّ إِجۡرَامِي وَأَنَا۠ بَرِيٓءٞ مِّمَّا تُجۡرِمُونَ ﴿٣٥﴾
وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤۡمِنَ مِن قَوۡمِكَ إِلَّا مَن قَدۡ ءَامَنَ
فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَفۡعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَٱصۡنَعِ ٱلۡفُلۡكَ بِأَعۡيُنِنَا
وَوَحۡيِنَا وَلَا تُخَٰطِبۡنِي فِي ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِنَّهُم مُّغۡرَقُونَ ﴿٣٧﴾

وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟
مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾
فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَن يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ عَلَيْهِ عَذَابٌ
مُّقِيمٌ ﴿٣٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمْرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا
مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَن سَبَقَ عَلَيْهِ ٱلْقَوْلُ
وَمَنْ ءَامَنَ ۚ وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٤٠﴾ ۞ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟
فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْر۪ىٰهَا وَمُرْسَىٰهَآ ۚ إِنَّ رَبِّى لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٤١﴾ وَهِىَ
تَجْرِى بِهِمْ فِى مَوْجٍ كَٱلْجِبَالِ وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبْنَهُۥ وَكَانَ
فِى مَعْزِلٍ يَٰبُنَىَّ ٱرْكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٤٢﴾
قَالَ سَـَٔاوِىٓ إِلَىٰ جَبَلٍ يَعْصِمُنِى مِنَ ٱلْمَآءِ ۚ قَالَ لَا عَاصِمَ
ٱلْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ ٱللَّهِ إِلَّا مَن رَّحِمَ ۚ وَحَالَ بَيْنَهُمَا ٱلْمَوْجُ فَكَانَ
مِنَ ٱلْمُغْرَقِينَ ﴿٤٣﴾ وَقِيلَ يَٰٓأَرْضُ ٱبْلَعِى مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ
أَقْلِعِى وَغِيضَ ٱلْمَآءُ وَقُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَٱسْتَوَتْ عَلَى ٱلْجُودِىِّ ۖ وَقِيلَ
بُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٤﴾ وَنَادَىٰ نُوحٌ رَّبَّهُۥ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ
ٱبْنِى مِنْ أَهْلِى وَإِنَّ وَعْدَكَ ٱلْحَقُّ وَأَنتَ أَحْكَمُ ٱلْحَٰكِمِينَ ﴿٤٥﴾

قَالَ يَٰنُوحُ إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ إِنَّهُۥ عَمَلٌ غَيۡرُ صَٰلِحٖۖ فَلَا تَسۡـَٔلۡنِ
مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۖ إِنِّيٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلۡجَٰهِلِينَ ﴿٤٦﴾
قَالَ رَبِّ إِنِّيٓ أَعُوذُ بِكَ أَنۡ أَسۡـَٔلَكَ مَا لَيۡسَ لِي بِهِۦ عِلۡمٞۖ وَإِلَّا
تَغۡفِرۡ لِي وَتَرۡحَمۡنِيٓ أَكُن مِّنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ﴿٤٧﴾ قِيلَ يَٰنُوحُ
ٱهۡبِطۡ بِسَلَٰمٖ مِّنَّا وَبَرَكَٰتٍ عَلَيۡكَ وَعَلَىٰٓ أُمَمٖ مِّمَّن مَّعَكَۚ
وَأُمَمٞ سَنُمَتِّعُهُمۡ ثُمَّ يَمَسُّهُم مِّنَّا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٨﴾ تِلۡكَ
مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلۡغَيۡبِ نُوحِيهَآ إِلَيۡكَۖ مَا كُنتَ تَعۡلَمُهَآ أَنتَ وَلَا قَوۡمُكَ
مِن قَبۡلِ هَٰذَاۖ فَٱصۡبِرۡۖ إِنَّ ٱلۡعَٰقِبَةَ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٤٩﴾

إن أقوى الأدلة الحديثة في عدم اقتباس القرآن من التوراة والإنجيل هو عدم تعارض القرآن مع العلم الحديث المحقق بشيء ومن ذلك عدم تعارض القرآن مع الواقع التاريخي، يقول الدكتور مراد هوفمان الألماني ((أما ما يذهب إليه الفرنسي المسلم موريس بوكاي في كتابه عن الإنجيل والقرآن والعلوم الطبيعية من أن المقارنة الممحصة أثبتت له أن القرآن هو الكتاب السماوي الوحيد الذي لا تتعارض آياته مع ما أقره العلم الحديث، فإن هذه وجهة نظر أخرى، جديرة بالإعجاب))[١] .

---

[١] – الإسلام كبديل لمراد هوفمان (ص٤٢) .

المطلب الثالث : الطوفان ثبت وقوعه وتحقق الإعجاز

ولكن هل الطوفان وقع وهل هناك حقائق تاريخية تثبته؟

يجيب على هذا السؤال الأستاذ سعيد حوى رحمه الله تعالى في كتابه الأساس في التفسير بقوله : ((وقد وجد المتتبعون لحفريات مابين النهرين الكثير مما له علاقة بقصة نوح ، كانت بمثابة رد على الفكر الإلحادي الذي غلب عليه الإنكار .

وقد تبين من خلال الحفريات ، أن قصة الطوفان كانت مشتهرة على مدى العصور القديمة عند أهل المنطقة ، ولعل من أبرز الآثار التي أشارت إليها ما اشتهر باسم ملحمة (جلجامش) هذه الملحمة الأسطورية التي كتبت – فيما يبدو – بعد الطوفان بقرون كثيرة ، وفيها كلام واضح عن الطوفان، وعن نوح عليه السلام ، وهذه الملحمة واحدة من آثار كثيرة عثر عليها ، تشير إلى الطوفان وإلى نوح عليه السلام))[١] .

المطلب الرابع : لم يذكر القرآن الكريم أن الطوفان قد عم الأرض كلها وإنما ذكر أن قوم نوح قد أهلكوا بالغرق فقال سبحانه : ((وقوم نوح لما كذبوا الرسل أغرقناهم))[٢] .

وقال سبحانه عن قوم نوح : ((إنهم كانوا قوم سوء فأغرقناهم أجمعين))[٣] فالغرق كما صرح به القرآن تناول قوم نوح ولم يذكر القرآن أنه تناول غيرهم.

وفي هذا إعجاز للقرآن بإخباره الصحيح عن الطوفان الذي ثبت تاريخياً ولم يعين له القرآن تاريخاً أخطِئ به كما حدث فيما يسمى بالكتاب المقدس وهذا دليل على ربانية القرآن بإعجازه إذ أثبت التاريخ القديم والحفريات أن ما جاء في القرآن صحيحاً دون خطأ في التاريخ مع تعميم الأمم كلها بأنها قد غرقت في هذا التاريخ على فرض ثبوت أن الطوفان قد عم

---

١ – الأساس في التفسير (٢٥٦٠/٥) عند تفسير الآيات عن قصة الطوفان في سورة هود.

٢ – الآية ٣٧ من سورة الفرقان .

٣ – الآية ٧٧ من سورة الأنبياء .

الأرض من الناحية الواقعية ، فالقرآن لا ينفي أن الطوفان قد عم الأرض كلها ولكنه أثبت أن قوم نوح قد أهلكوا بالغرق إلا من استـُـثني منهم .

بعد كل هذا الإعجاز للقرآن في إخباره عن المغيب في بطون التاريخ وبعد الخطأ في تعيين التاريخ في التوراة وعدم وجود هذا الخطأ في القرآن مع الخطأ في تعميم الطوفان لكل الأرض في التوراة وعدم وجود هذا في القرآن، بعد كل هذا يدعي بعض المستشرقين وتوبي لستر أن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل بل ويدعي توبي لستر أن قصة نوح في القرآن قد اعتمدت على التوراة والإنجيل[1] فيا للخطأ العلمي الفاضح في اتهام رسول الله ﷺ بالكذب والاقتباس، ويالِلإعجاز المبين للقرآن الكريم[2].

---

[1] - انظر مجلة اتلانتك مونثلي وما كتب توبي لستر بها (ص٥٤) .

[2] - إن الإعجاز التاريخي في القرآن يؤكد أنه من عند الله . أما الخطأ التاريخي فهل يثبت أن ما نقل في التوراة في موضوع الطوفان ليس من كلام الله العليم؟

وأترك هنا الكلام في أساس هذا الأمر للكاتب الفرنسي وهو يتكلم في نهاية القرن العشرين وهو موريس بوكاي في كتابه المنتشر – في البلاد العربية – إذ يقول : ((.. وهكذا ظهر العهد القديم كصرح لأدب الشعب اليهودي من أصوله حتى العصر المسيحي ، وقد حررت الأجزاء التي يتألف منها ، وتمت وروجعت فيما بين القرنين العاشر والأول قبل المسيح . وليست هذه وجهة نظر شخصية ندلي بها هنا عن تأريخ تحريرها ، بل لقد أخذت معطياتها التاريخية الأساسية من فصل (التوراة) المكتوب لدائرة المعارف العالمية ـ طبعة ١٩٧٤م (١/٢٤٦-٢٥٣) من قبل سندروز وهو أستاذ في جامعة الدومينيكان في سولشوار . ولابد لكي نفهم ما هو العهد القديم من أن نتذكر هذه المعلومات المثبتة تماماً في أيامنا هذه من اختصاصيين ذوي خبرة رفيعة .

فقد اختلط الوحي بكل هذه الكتابات . ولا نعرف اليوم إلا ما تركه لنا منه الذين عالجوا نصوصه حسب هواهم ووفقاً للظروف التي وجدوا فيها، والضرورات التي واجهوها)) تابع التوراة والإنجيل والقرآن والعلم لموريس بوكاي (ص٣٠) وبالمقابل فإن القرآن قد دون في عهد محمد ﷺ وبقي من ذلك الوقت محفوظاً في الصدور وفي السطور ...

المبحث الرابع

نجاة جسد فرعون بعد غرقه في البحر مذكور في القرآن فقط!! :

ومن الإعجاز التاريخي في القرآن إخباره عن أمور قد اندرست في التاريخ وذكرها القرآن وحده ، ومن ذلك نجاة جسد فرعون بعد غرقه .

المطلب الأول : غرق المصريين في التوراة :

تصف التوراة أن شق البحر لنجاة موسى وقومه كان بسبب يد موسى وريح شديدة ــ لا عصا موسى ــ أرسلها الله فانكشفت اليابسة ، ونجا بنو إسرائيل عليها والمياه سور لهم يميناً وشمالاً حتى إذا وصلوا الجهة الثانية ودخل المصريون ، أطبق البحر بأمر الرب عليهم فغرقوا جميعاً ، فشكر موسى الرب بترنيمه وتسبيحه هو وجميع الشعب .. جاء في التوراة الحالية (ومد موسى (عليه السلام) يده على البحر فأجرى الرب البحر بريح شرقية شديدة كل الليل وجعل البحر يابسة ، وانشق الماء . فدخل بنو إسرائيل وسط البحر على اليابسة ، والماء سور لهم عن يمينهم عن يسارهم، وتبعهم المصريون ودخلوا وراءهم.... فمد موسى يده على البحر ــ بأمر الرب ــ فرجع عند إقبال الصبح إلى حاله الدائمة ، فغرقوا جميعاً ولم يبق منهم ولا واحد .. سفر الخروج ١٢/٣٦[1] ورأى إسرائيل المصريين أمواتاً على شاطئ البحر .. (وحينئذ رنم موسى وبنو إسرائيل هذه التسبيحة للرب .. الرب رجل الحرب والرب اسمه .. من مثلك بين الآلهة يا رب.. فأخذت مريم النبية أخت هارون الدف بيدها وخرجت جميع النساء وراءها يدفون ويرقصن ..) سفر الخروج ١٥[2] .

المطلب الثاني : فوارق واضحة :

بينما المجموعة الآتية من الآيات بينت أن انفلاق البحر كان بضرب العصا عصا موسى لا بيده والريح قال الله تعالى في قرآنه :

((فلما تراءى الجمعان قال أصحاب موسى إنا لمدركون * قال كلا إن معي ربي سيهدين * فأوحينا إلى موسى أن اضرب بعصاك البحر فانفلق

---

[1] – الصور اليهودي للأنبياء بميزان الإسلام (ص١٧٠) .

[2] – التصور اليهودي للأنبياء بميزان الإسلام (ص١٧٠-١٧١) .

فكان كل فرق كالطود العظيم * وأزلفنا ثمَّ الآخرين * وأنجينا موسى ومن معه أجمعين* ثم أغرقنا الآخرين* إن في ذلك لآية وما كان أكثرهم مؤمنين * وإن ربك لهو العزيز الرحيم))[1] .

وقال الله عز وجل في قرآنه في قصة موسى وفرعون : ((ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون وجاءهم رسول كريم * أن أدوا إلي عباد الله إني لكم رسول أمين * وأن لا تعلوا على الله إني آتيكم بسلطان مبين * وإني عذت بربي وربكم أن ترجمون* وإن لم تؤمنوا لي فاعتزلون * فدعا ربه أن هؤلاء قوم مجرمون * فأسر بعبادي ليلاً إنكم متبعون * واترك البحر رهواً إنهم جند مغرقون * كم تركوا من جنات وعيون * وزروع ومقام كريم * ونعمة كانوا فيها فاكهين * كذلك وأورثناها قوماً آخرين * فما بكت عليهم السماء والأرض وما كانوا منظرين ولقد نجينا بني إسرائيل من العذاب المهين * من فرعون إنه كان عالياً من المسرفين * ولقد اخترناهم على علم على العالمين * وآتيناهم من الآيات ما فيه بلاء مبين))[2] .

المطلب الثالث : نجاة جسد فرعون بعد غرقه في القرآن العظيم:

وقال الله في قصة موسى وفرعون ونجاة جسد فرعون بعد غرقه في البحر :

((وقال موسى يا قوم إن كنتم آمنتم بالله فعليه توكلوا إن كنتم مسلمين* فقالوا على الله توكلنا ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين * ونجنا برحمتك من القوم الكافرين * وأوحينا إلى موسى وأخيه أن تبوءا لقومكما بمصر بيوتاً واجعلوا بيوتكم قبلة وأقيموا الصلاة وبشر المؤمنين * وقال موسى ربنا إنك آتيت فرعون وملأه زينة وأموالاً في الحياة الدنيا ربنا ليضلوا عن سبيلك ربنا اطمس على أموالهم واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا حتى يروا العذاب الأليم * قال قد أجيبت دعوتكما فاستقيما ولا تتعبانّ سبيل الذين لا يعلمون * وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجنوده بغياً وعدواً حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين * آلآن

---

[1] – الآيات من ٦١–٦٨ من سورة الشعراء .

[2] – الآيات ١٧–٣٣ من سورة الدخان .

وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين * **فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون))**[1] .

وبهذا يكون القرآن هو الكتاب الوحيد الذي بين أن جسد فرعون قد نجا وهذا إخبار عن مغيب غاب في بطون التاريخ فهل أثبتته الدراسات التاريخية العلمية الحديثة؟؟ وهل كثير من الناس غافلون عن إعجاز القرآن في هذا، فقد قال الله تعالى عن فرعون وغرقه : ((فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون))[2].

المطلب الرابع: أثبتت الكشوفات التاريخية نجاة جسد فرعون:

أتركك أيها القارئ الآن مع الكاتب الفرنسي موريس بوكاي الذي رأى جسد فرعون موسى بالمومياء في صالة المومياءات الملكية للمتحف المصري بالقاهرة قال موريس بوكاي في كتابه ((التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)) :

ذكر الكتابات المقدسة لموت فرعون زمن الخروج:

يشكل موت فرعون زمن الخروج نقطة هامة جداً في روايات القرآن والتوراة . وهي تنبثق عن نصوص شديدة الوضوح غير مذكورة فقط في الأسفار الخمسة أو التوراة بل في مزامير داود أيضاً ، وقد أوضحنا ذلك آنفاً.

والعجيب أن الكتاب المسيحيين يمرون بذلك بصمت . فهذا الأب دوفو يساند النظرية التي تفيد بأن الخروج من مصر كان في الجزء الأول أو في وسط حكم رمسيس الثاني ، دون أن يحاول التأكد فيما إذا كان فرعون قد هلك في هذا الخروج . وهو مالم يسمح في كل الافتراضات بأن يحدد وقوع الحادث إلا في آخر فترة الحكم. ولا يبدو مدير مدرسة التوراة في القدس في كتابه ((تاريخ إسرائيل القديم)) مهتماً بأي نوع من التعارض بين النظرية التي يسندها ويدافع عنها ، وبين معطيات كتابي التوراة .

ويحدد **P.monter** في كتابه ((مصر والتوراة)) الخروج من حكم منفتاح. ولكنه لا يذكر كلمة عن موت فرعون الذي كان على رأس الملاحقين للهاربين.

---

[1] - الآيات من ٨٤-٩٢ من سورة يونس .
[2] - الآية ٩٢ من سورة يونس .

هذا الموقف العجيب يتناقض مع موقف اليهود . فهو في الغالب منشد في طقس من مزمور داود رقم ١٣٦ الذي في آيته ١٥ يشكر الله الذي أغرق فرعون وجيشه في بحر القصب . إنهم يعرفون التوافق بين هذه الآية وعبارة سفر الخروج [١٤، ٢٨، ٢٩] ((واندفعت المياه وغمرت العربات وفرسان كل جيش فرعون الذين دخلوا وراءهم في البحر ، فلم يبق منهم أحد قط)) فليس بالنسبة إليهم أقل شك بأن فرعون أبيد مع جميع فرقه . هذه النصوص بالذات موجودة في التوراة المسيحية .

على أن الشراح المسيحيين يبعدون عمداً ، وضد كل وضوح موت فرعون. ويثير بعضهم ذكر ما هو وارد في القرآن ، محرضين قراءهم على إجراء مقارنات عجيبة وهكذا يمكننا أن نقرأ في ترجمة التوراة المجراة بإشراف المدرسة التوراتية في القدس الشرح التالي المتعلق بموت فرعون للأب كوروايبه الأستاذ في المدرسة المذكورة ((أشار القرآن [السورة ١٠ آية ٩٠-٩١] إلى ذلك ، فرعون مع جيشه قد غرق حسب الأعراف الشعبية [وهو مالم يقله النص المقدس] واستقر في عمق البحر وتحت سلطة أركان بحريته ((الفقمة)) .

إن القارئ غير المزود بالمحتوى القرآني ، يعقد صلة بين التأكيد القرآني المناقض ــ كما هو نظر الشارح ــ للنص التوراتي ، والخرافة المضحكة الصادرة عن الأعراف الشعبية المذكورة في الشرح بعد نسبة هذه الإفادة إلى القرآن .

وحقيقة الخبر القرآني في هذا الموضوع بعيدة عما ينسبه إليها هذا الكاتب . والآيات ٩٠-٩٢ من السورة ١٠[١] في القرآن تفيد في الواقع أن بني إسرائيل تجاوزوا البحر بينما كان يتبعهم فرعون بجنوده . وأن فرعون عندما أدركه الغرق قال : ((آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين)) وأن الله أجابه : ((آلآن وقد عصيت قبل وكنت من المفسدين، فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية وإن كثيراً من الناس عن آياتنا لغافلون))[٢] .

---

[١] – هي سورة يونس .

[٢] – مرت الآيات سابقاً .

هذا كل ما تحويه هذه الآية فيما يخص موت فرعون. وهنا كما في غيره من مواضع القرآن ، ليس لأوهام شارح التوراة المبسوطة آنفاً مجال ، لأن القرآن يخبر ببساطة ووضوح تامّيْن بأن بدن فرعون سينجو وهذه هي النقطة الأساسية !!

في العصر الذي كان فيه الرسول ﷺ يضع القرآن في متناول الناس ، كانت أبدان كل الفراعنة الذين شك الناس في هذا العصر الحديث خطأ أو صواباً بأنهم اهتموا بالخروج ، موجودة في قبور وادي الملوك في ((طيبا)) في الضفة المقابلة للأقصر من النيل . وقد كان الناس في هذا الزمن يجهلون كل هذا الواقع ولم يكتشفوه إلا في أواخر القرن التاسع عشر . وقد ثبت كما يقول القرآن ، بأن بدن فرعون الخروج قد نجا .. أياً كان هذا الفرعون ، فإنه اليوم في صالة المومياءات الملكية في المتحف المصري في القاهرة ميسرة رؤيته للزائرين . والحقيقة هي إذن مختلفة جداً عن الخرافة المضحكة المنسوبة خطأ إلى القرآن من قبل الأب كورواييه .

المطلب الخامس : ثم تابع موريس بوكاي القول عن مومياء فرعون ـ منفتاح :

لقد اكتشف ((لوريت)) منفتاح المحنط ابن رمسيس الثاني الذي يتضافر كل شيء على إقناع الفكر بأنه فرعون الخروج ، سنة ١٨٩٨ في طيبا في وادي الملوك . وقد نقل من هناك إلى القاهرة وحل ((اليوت سميث)) عصابته في الثامن من تموز سنة ١٩٠٧ وضبط محضر هذه العملية . وفحص البدن في كتاب المومياء الملكية سنة ١٩١٢ . وحالة حفظ المومياء كانت مرضية في هذا العصر مع بداية التلف في عدة مواضع . ومن هذا التاريخ أصبحت المومياء معروضة على الزائرين في متحف القاهرة مكشوفاً منها الرأس والعنق[1] وبقية البدن مغطاة بإحكام بقطعة قماش إلى درجة أنه حتى في هذه الأشهر الأخيرة لم يؤخذ لها أية صورة غير تلك التي أخذت لها من ((اليوت سميث)) سنة ١٩١٢.

---

[1] – فقد كان في هذا لمن خلفه آية .

وفي حزيران سنة ١٩٧٥ سمحت لي المراجع العليا المصرية بفحص أجزاء بدن فرعون الذي ظل حتى هذا التاريخ مغطى ، وبأن آخذ له بعض الصور. وعندما قورن وضع المومياء الحالي مع وضعه منذ أكثر من ستين عاماً ، ظهر بوضوح بأن بعض التلف قد أصابها ، وأن بعض الأجزاء قد اختفت منها ، كما أن الأقمشة التي كانت ملفوفة بها لم تكن أحسن حالاً منها بسبب لمس الأيدي لبعض أجزائها . وبعامل الزمن ــ إذا أمكن القول ــ وعوامل أخرى .

ولقد أوضح تماماً هذا التلف الطبيعي ، بأنه بسبب تغير شروط الحفظ بين يوم اكتشافها للناس في آخر القرن التاسع عشر في قبر تحت الأرض ((طيبا)) ، حيث كانت ترقد منذ أكثر من ثلاثة آلاف عام . والآن هي معروضة ضمن حافظ زجاجي بسيط ، لا يعزلها بشكل محكم عن الخارج، ولا يمنع عنها التلوث ببعض الميكروبات العضوية . وهي خاضعة لانحرافات في الحرارة وغير محمية من الإصابة برطوبة فصلية .

وهكذا فإن المومياء اليوم ، ليست موجودة في مثل الشروط التي مكنتها بأن تتجاوز تقريباً ثلاثة آلاف سنة ، بعيداً عن كل هذه المسببات للتلف، لقد فقدت لفافاتها التي كانت تحميها ، ومعطيات الوجود في وسط مغلق في قبر كانت فيه الحرارة أكثر ثبوتاً ، والهواء أقل رطوبة منه في القاهرة في بعض مراحل السنة. ولا شك أنها حتى وهي في القبر تحت الأرض، يفرض أن تصادف، حسب الواقع القديم ، زيارة مكسري القبور ، أو الحيوانات القارضة التي أحدثت فيها بعض الأضرار .ولكنها شروط تبدو إلى حد ما أكثر مناسبة مما هي فيه اليوم لمقاومة عادية الزمن .

وخلال محاولتي الاختبار للمومياء في حزيران سنة ١٩٧٥ أنجزت أبحاث خاصة ، حقق بموجبها كل من الدكتور المليجي ورمسيس دراسة رائعة بأشعة إكس . بينما أجرى الدكتور مصطفى المنيلاوي بواسطة سيلان مادة على سطح حاجز الصدر، اختباراً في داخل القفص الصدري والبطن محققاً أول سبر لداخل الجسم مطبق على مومياء . وقد توصل إلى رؤية وتصوير بعض التفصيلات الهامة جداً في داخل الجسم . وبالإضافة إلى اختبار المجهري لبعض الأجزاء الساقطة من جسد المومياء بشكل طبيعي ، وهو الاختبار الذي سيجري في باريس من الأستاذ ((مينو)) والدكتور ((بريجتون)) فتستكمل دراسة عامة، طبية ــ قانونية ، يقوم بها

الأستاذ/سقالدي . ولا أظن أنه يمكن الحصول على نتائجها ، مع أسفي الكبير، في نفس الوقت الذي ينتهي فيه تحرير هذا الكتاب .

والذي يمكن أن يستخلص منذ الآن من هذه الدراسة ، هو ملاحظة أضرار عظيمة كثيرة ، مع أضرار مادية هامة ــ قد يكون جزء منها مميتاً ــ دون أن يكون ممكناً بعد ، إثبات ما إذا كان بعضها قد حصل قبل أو بعد موت فرعون ، الذي مات حقيقة ، إما غرقاً حسب روايات الكتب المقدسة أو باهتزازات شديدة جداً ناتجة عن جروح سبقت غرقه في البحر ، أو الاثنين معاً.

وإن تضافر كل هذه الأضرار ، مع القلق الذي ذكرت أسبابه ، يجعل المحافظة الجيدة على بدن مومياء فرعون ، أمراً مشكوكاً فيه إذا لم تتخذ لها وسائل الحفظ والترميم في المستقبل القريب . هذه الوسائل مفروض فيها أن تحذر اختفاء الشاهد المادي الوحيد الذي لا يزال موجوداً في أيامنا عن موت فرعون الخروج ، ونجاة بدنه بمشيئة الله .

إنها لأمنية بأن يجتهد الإنسان في حفظ معالم تاريخه. بيد أنه هنا يطلب ما هو أكثر ، يطلب تجسيداً في بدن موميائي للإنسان الذي عرف موسى وقاوم عروضه ولاحقه في هربه ثم فقد حياته في ذلك . وقد نجت جثته بإرادة الله من العدم وأصبحت آية للناس كما قد سجل القرآن ذلك[1].

يا لها من التماعة عجيبة للآيات القرآنية ، تلك المختصة بجسد فرعون المعروض في صالة المومياءات الملكية للمتحف المصري في القاهرة، والتي تقدم لكل باحث في معطيات الاكتشافات الحديثة براهين صحة الكتابات المقدسة)) انتهى كلام موريس بوكاي[2] .

المطلب السادس : إعجاز القرآن في نجاة جسد فرعون المغيب وهو لمن خلفه آية :

يبدو في الآية الكريمة : ((فاليوم ننجيك ببدنك لتكون لمن خلفك آية)) إعجازان تاريخيان :

---

[1] – إن مومياء رمسيس الثاني شاهد آخر على تاريخ موسى كان غرض دراسة مقارنة مع حياة مومياء منفتاح . إنها تحتاج نفس الوسائل الترميمة ــ المترجم خالد حسد خالد مفتي لبنان ــ رحمه الله تعالى ــ انظر حاشية كتاب التوراة والإنجيل والقرآن والعلم (ص٢٨٠) .

[2] – التوراة والإنجيل والقرآن والعلم لموريس بوكاي (٢٧٦-٢٨٠) .

الإعجاز الأول : أن فرعون قد نجا بدنه وهذا إخبار عن مغيب عن الناس عند نزول القرآن فقد أشار موريس بوكاي قبل إلى أنه ((في العصر الذي كان فيه الرسول ﷺ يضع القرآن في متناول الناس وكانت أبدان كل الفراعنة موجودة في قبور وادي الملوك في ((طيبا)) في الضفة المقابلة للأقصر من النيل . وقد كان الناس في هذا الزمن يجهلون كل هذا الواقع ولم يكتشفوه إلا في أواخر القرن التاسع عشر وقد ثبت كما يقول القرآن بأن بدن فرعون الخروج قد نجا أيا كان هذا الفرعون، فإنه اليوم في صالة المومياء الملكية في المتحف المصري في القاهرة ميسرة رؤيته للزائرين)) وهكذا ثبت إعجاز القرآن بنجاة جسد فرعون خاصة ولم تذكره التوراة ولا الإنجيل.

الإعجاز الثاني في الآية : أن جسد فرعون باكتشافه ورؤيته كان علامة وأمارة لمن يأتي بعده .... فهل حصل ما أشار إليه القرآن؟ اللهم نعم، وإنه أمارة في رؤيته في المتحف على أن ظلم الظالمين لا يدوم أمام قوة العزيز الجبار.. إنه أمارة على صدق موسى عليه السلام .. إنه أمارة على صدق محمد ﷺ في دعوى الرسالة لكل من يرى جسد فرعون في المتحف المصري أو يسمع عنه هناك.

وبعد هذا فإن التوراة والإنجيل لم يبينا أن فرعون موسى قد نجا بدنه فكيف يقال أن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل وهذه حقائق التاريخ واضحة في تصديق القرآن؟!! جاء القرآن بهذا الواقع بعد ثلاثة آلاف سنة فمن أين يأتي الاقتباس من التوراة والإنجيل والأمر ليس فيهما؟؟!! إنه الإعجاز التاريخي للقرآن في نجاة جسد فرعون واضح في صالة المومياء الملكية للمتحف المصري في القاهرة ، إنه إعجاز القرآن التاريخي الذي يجعل القرآن يتجلى للغرب والشرق بل وللعالم كله في أنه كلام الله الذي لا يأتيه الباطل من بين يده ولا من خلفه وصدق الله العظيم : ((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى))[١] .

---

[١] – الآية ٣ من سورة النجم .

الفصل الثاني
الإعجاز البياني في القرآن

المبحث الأول : فصاحة القرآن وبلاغته
المطلب الأول : الفصاحة لغة واصطلاحاً

الفصاحة لغة : البيان ، والفصيح في اللغة : المنطلق اللسان في القول الذي يعرف جيد الكلام من رديئه ، وأفصح اللبن: ذهب اللبأعنه ، وفَصُحَ اللبن إذا أخذت عنه الرغوة .

وأفصحت الشاة والناقة : خلص لبنها ، وأفصح الصبح : بدا ضوؤه واستبان، وكل ما وضح فقد أفصح[١].

الفصاحة اصطلاحاً : قال ابن القيم[٢] الجوزية عنها : هي خلوص الكلام من التعقيد[٣]. وموصوفها الكلمة والكلام والمتكلم يقال: كلمة فصيحة، وكلام فصيح في النثر ، وقصيدة فصيحة في النظم، ومتكلم فصيح[٤].

المطلب الثاني : شروط الفصاحة :

١. أن تخلص الكلمة من تنافر الحروف أي أن تكون متباعدة المخارج فكلمة هعخع غير فصيحة ، لتقارب مخارج الحروف.

---

١ – انظر لسان العرب لابن منظور مادة (فصح) .

٢ – هو محمد بن أبي بكر بن أيوب الدمشقي (أبو عبدالله ، شمس الدين) ولد في دمشق سنة ٦٩١هـ/١٢٩٢م ، فقيه ، أصولي ، مفسر ، متكلم ، نحوي ، لازم شيخه ابن تيمية وسجن معه في قلعة دمشق ، فلما مات ابن تيمية أفرج عنه ، وكان ينال من علماء عصره وينالون منه ، قال ابن كثير ((لا أعرف في زماننا من أهل العلم أكثر عبادة منه)) وكان مغرماً بجمع الكتب فجمع مكتبة عظيمة ، من تصانيفه: أعلام الموقعين ، وشرح منازل السائرين ، والتفسير القيم ، وكل تصانيفه مرغوب فيها توفي سنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م وصلي عليه بالجامع الأموي بدمشق ــ البدر الطالع (١٤٣/٢) ومعجم المؤلفين (١٦٤/٣) .

٣ – الفوائد المشوق إلى علوم القرآن (ص٩) .

٤ – حلية اللب المصون على الجوهر المكنون (ص٢١) .

٢. أن تخلص الكلمة من الغرابة الحوشية وعدم ظهور المعنى والاستعمال.
٣. أن يخلص الكلام من ضعف التأليف بأن لا يجري على المطرد من قواعد العربية.
٤. أن يخلص الكلام من تنافر الكلمات .
٥. أن يخلص الكلام من التعقيد بأن لا يكون الكلام ظاهرة الدلالة لخلل في النظم أو المعنى[١] .
٦. اشترط بعض أهل اللغة أن لا تكون الكلمة مبتذلة : إما لتغيير العامة لها إلى غير أصل الوضع وإما لسخافتها في أصل الوضع[٢] .

المطلب الثالث : البلاغة لغة واصطلاحاً :

ـ البلاغة لغة : هي مأخوذة من البلوغ .

وأما البلوغ : الانتهاء إلى أقصى المقصد والمنتهى ، مكاناً كان ، أو زماناً، أو أمراً من الأمور المقدرة ، وربما يعبر به عن المشارفة عليه ، وإن لم ينته إليه[٣]. والبليغ من الرجال: حسن الكلام فصيحه يبلغ بعبارة لسانه كنه مافي قلبه[٤].

البلاغة اصطلاحاً : هي مطابقة الكلام لمقتضى الحال مع فصاحته[٥] .

والحال هو الأمر الداعي إلى التكلم على وجه مخصوص ومقتضاه يختلف بحسب اختلاف مقامات الكلام ، فإن مقام التنكير يخالف مقام التعريف، ومقام الذكر يخالف مقام الحذف ، وخطاب الذكي يخالف خطاب الغبي ، فمقتضى الحال هو الاعتبار المناسب أي الأمر الذي اعتبر مناسباً بحسب تتبع تراكيب البلغاء[٦] .

---

١ – انظر شرح عقود الجمان (ص٤–٥) باختصار .
٢ – انظر المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي (١/١٨٩) .
٣ – تاج العروس مادة (بلغ) .
٤ – انظر لسان العرب مادة (بلغ) .
٥،٦ – شرح عقود الجمان للسيوطي (٦–٧) .

وتطلق الفصاحة على الكلمة وعلى الكلام ولكن البلاغة لا تطلق إلا على الكلام[١].

وإذا نظرنا إلى آيات القرآن الكريم من خلال شروط الفصاحة ومعنى البلاغة وما يقتضيه الحال من الكلام بها لوجدنا أن آيات القرآن جاءت في ذروة الفصاحة والبلاغة .

المطلب الرابع : بعض نواحي البلاغة في القرآن[٢]:

الفرع الأول : الإيجاز والاختصار في القرآن الكريم :

وهو على قسمين وجيز بلفظه ووجيز بحذف[٣] :

فأما الوجيز : بلفظه فهو عند أرباب هذه الصناعة أن يكون اللفظ بالتشبيه إلى المعنى أقل من القدر المعهود عادة ، وسبب حسنه أنه يدل على التمكن من الفصاحة والملكة في البلاغة وحصول ملاذ كثيرة دفعة واحدة، واللفظ لا يخلو إما أن يكون مساوياً لمعناه وهو المقدر أو أقل منه وهو المقصود .

أما المقدر فكقوله تعالى : ((إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون))[٤] .

أمر الله في أول هذه الآية بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى ، ونهى في وسطها عن الفحشاء والمنكر والبغي ، ووعظ في آخرها وذكر ، فجمع في هذه ضروباً من البيان وأنواعاً من الإحسان ، فذكر العدل والإحسان والفحشاء والمنكر بالألف واللام التي هي للاستغراق أي استغراق الجنس المحتوي على جميع أنواعه وضروبه .

وجمع فيها بين الطباق اللفظي والطباق المعنوي ، أما اللفظي ففي قوله ــ إن الله يأمر وينهى ــ وأما المعنوي ففي قوله ــ العدل والإحسان وإيتاء

---

١ - انظر شرح عقود الجمان (ص٣) .

٢ - يتوسع الرماني المتوفى سنة ٣٨٤هـ ــ ٩٩٤م ، في كتابه (النكت في إعجاز القرآن الكريم) في الكلام عن البلاغة فيقول : ((والبلاغة على عشرة أقسام : الإيجاز والتشبيه والاستعارة والتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين والمبالغة وحسن البيان)) ، ثم فسرها الرماني جميعاً ــ انظر كتابه (ص.٧) في ثلاث رسائل في إعجاز القرآن .

٣ - أفردنا الحذف في القرآن ببحث خاص (ص٢٢٥-٢٢٩)

٤ - الآية : ٩٠ من سورة النحل .

ذي القربى ــ وقوله ــ الفحشاء والمنكر والبغي ــ فإن الثلاثة الأواخر أضداد الثلاثة الأول لأن الثلاثة الأول من الفعل الحسن والثلاثة الأواخر من القبيح فطابق بين الحسن والقبيح مطابقة معنوية .

ثم بين خصوصية ذوي القربى بإعادة الإيصاء عليهم والإيتاء لهم مع أن الأمر بالإحسان قد تناولهم وبدأ بالعدل لأنه فرض وتلاه بالإحسان لأنه مندوب إليه وقد يجب فاحتوت الآية على حسن النسق وعطف الجمل بعضها على بعض فقدم العدل وعطف عليه الإحسان الذي هو جنس عام وخص منه نوعاً خاصاً وهو إيتاء ذي القربى .

ثم أتى بالأمر مقدماً وعطف عليه النهي بالواو ثم رتب جمل المنهيات كما رتب جمل المأمورات في العطف بحيث لم يتأخر في الكلام ما يجب تقديمه ولم يتقدم عليه ما يجب تأخيره .

ثم ختم ذلك كله بأمور مستحسنة ودعا إلى سبيله بالحكمة والموعظة الحسنة فاحتوت الآية على ضروب من المحاسن والقضايا وأشتات من الأوامر والنواهي والمواعظ ما لو بث في أسفار عديدة لما أسفرت عن وجوه معانيها ولا احتوت على أصولها ومبانيها ، سبحان من لا يشبه خَلْقَهُ ذاتاً ولا كلاماً ولا أحكاماً ، وفي القرآن العظيم من هذا النمط كثير ، وقد وقع آيات كثيرة قلت حروفها وكثرت معانيها[١].

الفرع الثاني : التشبيه :

التشبيه نوع من أشرف أنواع البلاغة وأعلاها . قال المبرد[٢] في الكامل: ((لو قال قائل هو أكثر كلام العرب لم يبعد)) . وعرف التشبيه جماعة بأنه الدلالة على مشاركة أمر لأمر في معنى، والغرض منه تأنيس النفس بإخراجها من خفي إلى جلي ، وإدنائه البعيد من القريب ليفيد بياناً ، وإليك مثالاً من تشبيهات القرآن قال الله تعالى :

---

[١] – الإيجاز والاختصار من الفوائد المشوق إلى علوم القرآن وعلم البيان لابن القيم الجوزية (ص٦٨-٦٩).

[٢] – هو أبو العباس محمد بن يزيد الأزدي البصري يلقب بالمبرد ، كان إماماً في النحو واللغة، وله التواليف النافعة في الأدب منها : الكامل ، والروضة ، والمقتضب وغير ذلك ، كان فصيحاً وصحيحاً موثقاً صاحب نوادر وطرف ، نزل بغداد وكان له فيها مجلس يؤمه العلماء والأدباء والشعراء ولد سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م وتوفي سنة ٢٨٥هـ/٨٩٨م . تهذيب سير أعلام النبلاء (٥٥٨/١/٢٥٣٧) ومعجم المؤلفين (٧٧٣/٣/١٦١٤) ووفيات الأعيان (٣١٣/٤/٦٣٦) .

((إنما مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض مما يأكل الناس والأنعام حتى إذا أخذت الأرض زخرفها وازينت وظن أهلها أنهم قادرون عليها أتاها أمرنا ليلاً أو نهاراً فجعلناها حصيداً كأن لم تغن بالأمس كذلك نفصل الآيات لقوم يتفكرون))[1] .

فإن فيه عشر جمل وقع التركيب من مجموعها بحيث لو سقط منها شيء اختل التشبيه، إذ التشبيه تشبيه حال الدنيا في سرعة تقضيها وانقراض نعيمها واغترار الناس بها بحال ماء نزل من السماء وأنبت أنواع العشب وزين بزخرفها وجه الأرض، كالعروس إذا أخذت الثياب الفاخرة حتى إذا طمع أهلها فيها وظنوا أنها مسلمة من الجوائح أتاها بأس الله فجأة فكأنها لم تكن بالأمس . وقال بعضهم: وجه تشبيه الدنيا بالماء أمران . أحدهما : أن الماء إذا أخذت منه فوق حاجتك تضررت وإن أخذت قدر الحاجة انتفعت به فكذلك في الدنيا . والثاني أن الماء إذا طبقت عليه كفك لتحفظه لم يحصل فيه شيء ، فكذلك الدنيا[2] .

إن بلاغة وفصاحة القرآن جاءت مع نظمه وفي نظمه إعجاز ـ كما سيمر ـ فجاء القرآن في مستوى أعلى في الإعجاز البياني لاجتماع البلاغة والفصاحة مع الإعجاز بالنظم ، أما العلامة عبدالقاهر الجرجاني فإنه يُرجع جمال الاستعارة وروعتها في القرآن إلى نظمها العجيب البديع[3] .

المبحث الثاني

إعجاز نظم القرآن

المطلب الأول : النظم لغة واصطلاحاً

لغة : التأليف ، وضم شيء إلى شيء آخر . وكل شيء قرنته بآخر فقد نظمته. والنظم : المنظوم باللؤلؤ والخرز ، ووصف بالمصدر يقال : نظم من لؤلؤ[4].

---

[1] – الآية ٢٤ من سورة يونس .

[2] – انظر الإتقان في علوم القرآن (٢/٥٥).

[3] – انظر دلائل الإعجاز للجرجاني(ص١٣٣)

[4] – معجم تاج العروس للزبيدي مادة (نظم) .

اصطلاحاً : نظم القرآن : لفظه ، وهي العبارة التي تشتمل عليها المصاحف صيغة ولغة[1] ويقصد بنظم القرآن طريقة تأليف حروفه ، وكلماته، وجمله ، وسبكها مع أخواتها في قالب محكم ، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض مع أخواتها في قالب محكم ، ثم طريقة استعمال هذه التراكيب في الأغراض التي يتكلم عنها ، للدلالة على المعاني بأوضح عبارة في أعذب سياق وأجمل نظم . والفرق بين الأسلوب والنظم : أن دائرة الأسلوب أوسع وأشمل ولايدرك الأسلوب بالجملة الواحدة ، بينما النظم يمكن إدراكه في الجملة الواحدة بل وحتى في الكلمة الواحدة[2] .

إن المتأمل في كلمات القرآن وجمله يجدها آتية على لغات العرب، ولكن عند تلاوة القرآن تلاحظ أنك تسمع شيئاً جديداً لا هو بنثر العرب ولا هو بشعرهم ، وترى أنه يشدك بإيقاع حروفه وألفاظه وجمله بسبق على كل ما كتب بالعربية!! وأعجب ذلك أنك ترى أن كل حرف في كل كلمة له مكانه المناسب في النظم القرآني الفريد ...

يقول مصطفى صادق الرافعي الأديب المصري المعاصر[3] :

المطلب الثاني : الحرف الواحد من القرآن في موضعه معجز[4]

فالحرف الواحد من القرآن معجز في موضعه ، لأنه يمسك الكلمة التي هو فيها ليمسك بها الآية والآيات الكثيرة ، وهذا هو السر في إعجاز جملته إعجازاً أبدياً فهو أمر فوق الطبيعة الإنسانية ، وفوق ما يتسبب إليه الإنسان إذ هو يشبه ... الحي تمام المشابهة ، وما أنزله إلا الذي يعلم ((السر)) في السموات والأرض .

---

1 – معجم تاج العروس للزبيدي مادة (نظم) .

2 – مباحث في إعجاز القرآن (ص١٤١).

3 – هو مصطفى بن صادق بن عبد الرزاق الرافعي الأديب ، كاتب ، شاعر ، أصله من طرابلس الشام، ولد في مصر انتخب عضواً في المجمع العلمي العربي بدمشق من آثاره : ديوان شعر في ثلاثة أجزاء ، وتاريخ آداب العرب في جزأين ، والسحاب الأحمر والمساكين وإعجاز القرآن – معجم المؤلفين (٨٦٧/٣) ـ ومن آثاره السامية أيضاً كتابه من وحي القلم في ثلاثة أجزاء وكتابه تحت راية القرآن رد فيه على طه حسين في آرائه بالشعر الجاهلي العربي .

4 – العناوين الموضوعية لما نقلنا عن الرافعي هي تحليلية مني تسهيلاً على القارئ.

فأنت الآن تعلم أن سر الإعجاز هو في النظم، وأن لهذا النظم ما بعده؛ وقد علمت أن جهات النظم ثلاث : في الحروف ، والكلمات والجمل ، فهاهنا ثلاثة فصول ....

المطلب الثالث

ومن المباحث التي طرحها الرافعي ــ رحمه الله تعالى ــ في هذا الإعجاز :

مخارج الحروف وصفاتها أخِذ أكثرها من ألفاظ القرآن ونغماته:

إن هذه المخارج وهذه الصفات إنما أخذ أكثرها من ألفاظ القرآن لا من كلام العرب وفصاحتهم؛ لأن هنا موضع القول فيه ، فإن طريقة النظم التي اتسقت بها ألفاظ القرآن ، وتألفت لها حروف هذه الألفاظ ، إنما هي طريقة يتوخى بها إلى أنواع من المنطق وصفات من اللهجة لم تكن على هذا الوجه من كلام العرب ، ولكنها ظهرت فيه أول شيء على لسان النبي ﷺ ، فجعلت المسامع لا تنبو عن شيء من القرآن ، ولا تلوي من دونه حجاب القلب ، حتى لم يكن لمن يسمعه بد من الاسترسال إليه والتوفر على الإصغاء، لا يستمهلهم أمر من دونه وإن كان أمر العادة، ولا يستنسئه الشيطان وإن كانت طاعته عندهم عبادة، فإنه إنما يسمع ضرباً خالصاً من الموسيقى اللغوية في انسجامه واطراد نسقه واتزانه على أجزاء النفس مقطعاً ونبرة نبرة كأنها توقعه توقيعاً لا تتلوه تلاوة[1] .

المطلب الرابع : العرب ونظم الحروف

فكان العرب يترسلون أو يحذمون[2] في منطقهم كيفما اتفق لهم ، لا يراعون أكثر من تكييف الصوت؛ دون تكييف الحروف التي هي مادة الصوت، إلا أن يتفق من هذه قطع في كلامهم تجيء بطبيعة الغرض الذي تكون فيه ، أو بما تعمل لها المتكلم ، على نمط من النظم الموسيقي ، إن لم يكن في الغاية ففيه ما عرفوه من هذه الغاية .

فلما قرئ عليهم القرآن ، رأوا حروفه في كلماته ، وكلماته في جُمله ، ألحاناً لغوية رائعة ، كان[3] لائتلافها وتناسبها قطعة واحدة، قراءتها هو

---

[1] – إعجاز القرآن للرافعي (ص١٨١) والكتاب جزء من كتابه تاريخ آداب العرب .

[2] – يحذمون : يسرعون ، يقال : حذم في قراءته أي أسرع – انظر القاموس المحيط مادة (حذم)–.

[3] – لعل سقطاً في الكلام هنا من الطباعة والصواب ((كأنها)) والله أعلم.

توقيعها[1] فلم يفتهم هذا المعنى ، وأنه أمر لا قبل لهم به ، وكان ذلك أبين في عجزهم ، حتى إن من عارضه منهم ، كمسيلمة جنح في خرافاته إلى ما حسبه نظما موسيقياً أو باباً منه وطوى عما وراء ذلك من التصرف في اللغة وأساليبها ومحاسنها ودقائق التركيب البياني ، كأنه فطن إلى أن الصدمة الأولى للنفس العربية، إنما هي في أوزان الكلمات وأجراس الحروف دون ما عداها ، وليس يتفق ذلك في شيء من كلام العرب إلا أن يكون وزناً من الشعر أو السجع[2] .

المطلب الخامس : جرب أن ترتل قطعة من نثر فصحاء العرب

وأنت تتبين ذلك إذا أنشأت ترتل قطعة من نثر فصحاء العرب أو غيرهم على طريقة التلاوة في القرآن ، مما تراعى فيه أحكام القراءة ، وطرق الأداء ، فإنك لابد ظاهر بنفسك على النقص في كلام البلغاء وانحطاطه في ذلك عن مرتبة للقرآن ، بل ترى كأنك بهذا التحسين قد نكرت الكلام وغيرته، فأخرجته من صفة الفصاحة، وجردته من زينة الأسلوب، وأطفأت رواءه، وأنضبت ماءه، لأنك تزنه على أوزان لم يتسق عليها في كل جهاته فلا تعدو أن تظهر من عيبه مالم يكن يعيبه إذا أنت أرسلته في نهجه وأخذته على جملته .

وحسبك بهذا اعتباراً في إعجاز النظم الموسيقي في القرآن، وأنه ممالا يتعلق به أحد، ولا ينفق على ذلك الوجه الذي هو فيه، لترتيب حروفه باعتبار من أصواتها ومخارجها، ومناسبة بعض ذلك لبعضه مناسبة طبيعية في الهمس والجهر، والشدة والرخاوة والتفخيم والترقيق ؛ والتفشي والتكرير، وغير ذلك مما أوضحنا في صفحات الحروف من باب اللغة في تاريخ آداب العرب[3] .

---

[1] – كل الذين يدركون أسرار الموسيقى وفلسفتها النفسية ، لا يرون في الفن العربي بجملته شيئا يعدل هذا التناسب الذي هو طبيعي في كلمات القرآن وأصوات حروفها ، وما منهم من يستطيع أن يغتمز في ذلك حرفا واحداً ، ويعلو القرآن على الموسيقى أنه مع هذه الخاصة العجيبة ليس من الموسيقى ــ المعلق عبدالله المنشاوي .

[2] – المرجع السابق (ص١٨٢-١٨٣) .

[3] – المرجع السابق (ص١٨٢-١٨٣) .

المطلب السادس : إعجاز التغني في القرآن

إن إيقاع التغني في القرآن هو إيقاع فريد ، فليس القرآن بإيقاع الشعر في أوزانه وليس بسرد النثر بلا إيقاع جميل إنه جمع المحاسن .. محاسن الإيقاع الجميل ومحاسن التخلص من التقيد بوزن التفعيلة فأعطى المعنى كاملاً طليقاً منسجماً مع النفس بإيقاعه الفريد ..

يقول الدكتور صبحي الصالح : ((إن هذا القرآن – في كل سورة منه وآية ، وفي كل مقطع منه وفقرة، وفي كل مشهد منه وقصة ، وفي كل مطلع منه وخاتم ـ يمتاز بأسلوب إيقاعي غني بالموسيقى مملوء نغماً[1] ، حتى ليكون من الخطأ الشديد في هذا الباب أن نفاضل فيه بين سورة وأخرى، أو نوازن بين مقطع ومقطع ، لكننا حين نومئ إلى تفرد سورة منه بنسق خاص إنما نقرر ظاهرة أسلوبية بارزة نؤيدها بالدليل ، وندعمها بالشاهد ، مؤكدين أن القرآن نسيج واحد في بلاغته وسحر بيانه ، إلا أنه متنوع تنوع موسيقى الوجود في أنغامه وألحانه! ...

وأن هذه الموسيقى الداخلية لتنبعث في القرآن حتى من اللفظة المفردة في كل آية من آياته ، فتكاد تستقل ـ بجرسها ونغمها ـ بتصوير لوحة كاملة فيها اللون زاهياً أو شاحباً ، وفيها الظلّ شفيفاً أو كثيفاً ..

وحين تتسمع همس السين المتكررة تكاد تستشف نعومة ظلها مثلما تستريح إلى خفة وقعها في قوله : ((فلا أقسم بالخنس . الجوار الكنس . والليل إذا عسعس . والصبح إذا تنفس))[2] . بينما تقع الرهبة في صدرك

---

[1] – قال رسول الله ﷺ : ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت بالقرآن يجهر به)) رواه البخاري (٧٥٤٤/٢٦٨/٤) وقال ﷺ ((ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي أن يتغنى بالقرآن)) رواه البخاري (٥٠٢٣/١٣١/٦) ورواه مسلم (٢٣٢/٥٤٥/١) ورواه أبو داود (١٤٧٣/٧٦/٢) والنسائي (١٨٠/٢). ومما قال ابن الأثير في شرح هذا الحديث : قال الشافعي معناه تحسين القراءة وترقيقها ويشهد له الحديث الآخر ((زينوا القرآن بأصواتكم)) ـ سيمر تخريج الحديث ـ انظر النهاية في غريب الحديث والأثر لابن الأثير (٣٩١/٣)-.
لهذا الحديث وغيره آثرنا أن نكتب هذا المطلب تحت عنوان إعجاز التغني في القرآن حرصاً منا على الالتزام بنصوص الكتاب والسنة في ألفاظ المصطلحات ، ولكن هذا لا يعني أن استعمال بعض المؤلفين لعبارة الإيقاع الموسيقي في القرآن وإعجاز النغم في القرآن لا يعني أن هذا خطأ منهم في استعمال هذه التعابير ، فإنما أرادوا أن يبينوا أن القرآن معجز في تغنيه ومن هؤلاء مصطفى صادق الرافعي وصبحي الصالح ـ رحمهما الله تعالى ـ فالمسمى واحد وإن اختلف الاسم ..

[2] – الآيات من ١٥-١٨ من سورة التكوير.

وأنت تسمع لاهثاً مكروباً صوت الدال المنذرة المتوعدة مسبوقة بالياء المشبعة المديدة في لفظة ((تحيد)) بدلاً من ((تنحرف)) أو ((تبتعد)) في قوله : ((وجاءت سكرة الموت بالحق ذلك ما كنت منه تحيد))[1] .

وتقرأ قوله تعالى ((فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز))[2] ، فلا ترى في المعجم غير كلمة ((زحزح)) تصور مشهد الإبعاد والتنحية بكل ما يقع في هذا المشهد من أصوات ، وما يصاحبه من ذعر الذي يمر بحسيس النار ويسمعه ويكاد يصلاه!

وليأخذنك من الغيظ مثل ما يأخذ جهنم حين تتسمع لفظ ((تميز)) من قوله تعالى ((تكاد تميز من الغيظ))[3] ، وليستولين عليك القلق وأنت تكرر هاء السكت في أكثر فواصل سورة الحاقة ، فتنسى وأنت تتلو قوله تعالى ((ماأغنى عني ماليه ، هلك عني سلطانيه))[4] أن الذي هلك سلطانه من أوتي كتابه بشماله لا أنت ولا سلطانك ، فتظل من الآيات في قلق شديد .

وما أحسب شفتيك إلا منقبضتين استقباحاً واستهجاناً لحال الكافر الذي يتجرع صديده ولا يكاد يسيغه ، في قوله ((ويسقى من ماء صديد . يتجرعه ولا يكاد يسيغه))[5] فستشعر في لفظ ((التجرع)) ثقلا وبطئاً يدعوان إلى التقزز والكراهية!

ولا أحسبك إلا مستشعراً عنف لفظة الكبكبة في قوله ((فكبكبوا فيها هم والغاوون))[6] حتى لتكاد تتصور أولئك المجرمين يكبون على وجوههم أو على مناخرهم ويلقون إلقاء المهملين . فلا يقيم أحد لهم وزناً!

فإن يك هذا كله في اللفظة المفردة ، تعبر مستقلة عن لوحة كاملة، فكيف بالآية التي تتناسق في جوها الكلمات ، أو في السورة التي تنسجم حول فكرتها جميع الآيات!

---

[1] – الآية ١٩ من سورة ق .

[2] – الآية ١٨٥ من سورة آل عمران وقارن بالكشاف ٢٣٥/١ .

[3] – الآية ٨ من سورة الملك .

[4] – الآيتان ٢٨-٢٩ من سورة الحاقة .

[5] – الآية ٧ من سورة إبراهيم ، وقارن بالكشاف (٢٩٧/٢) .

[6] – الآية ٩٤ من سورة الشعراء .

من ذا الذي يقرأ في قوله تعالى:((يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران))[1] ، ثم لا يتخيل في جو هذه الآية وحدها الشواظ الناري يتطاير، والنحاس الملتهب يذوب فوق رؤوس المجرمين وهم يحاولون النفاذ من أقطار السماوات!

ومن ذا الذي يقرأ سورة كاملة من سور القرآن ــ طويلة أو قصيرة ومكية أو مدنية ــ ثم لا يوقظ نسقها الرائع قلبه ، ويهز إيقاعها العجيب مشاعره؟

إن المرء ليحار إذا قرأ مثلاً سورة ((الرحمن)) ، فيتساءل : هل انبعث إيقاعها الرخي المنساب من مطلعها أم من ختامها أم من خلال آياتها ؟ وإذا هو يقطع بأن النغم يسري فيها كلها : في فواصلها ومقاطعها ، وفي ألفاظها وحروفها، وفي انسياقها وانسيابها ، حتى لو انتقى على حدة مقطع واحد من مقاطعها ، أو موضوع واحد من موضوعاتها الجزئية ، والتمس في أجزائه النغم والإيقاع لكان في كل جزء منه نغمة ، وفي كل حرف منه لحن من ألحان السماء!

وعلى هذا الأساس من انفراد القرآن بحفاظه على تناسقه الإيقاعي ــ سواء أحُلِلتَ على تعاقب سوره وحدة كاملة ، أم اقتطعت بغير تعمد بعض أجزائه على حدة ــ على هذا الأساس يحلو لنا أن نقتطف من سور قرآنية متنوعة بعض مواقف الدعاء ، ثم نقفو بآذاننا مواطن السحر في إيقاعها الجذاب .

والدعاء ــ بطبيعته ــ ضرب من النشيد الصاعد إلى الله ، ولا يحلو وقعه في نفس الضارع المبتهل إلا أن تكون ألفاظه منتقاة ، فلا غرو إذا بدا النبي الكريم ﷺ في دعائه المأثور كالحريص على شيء من التقطيع المقصود، من سجع لطيف، أو طباق رشيق ، أو رنة شافية . أما القرآن نفسه فلم ينطق عن لسان النبيين والصديقين والصالحين إلا بأحلى الدعاء نغماً ، وأروعه سحر بيان! وإذا تذكرنا أن ابتهال الصالحين كثير في القرآن رغباً أو رهباً ، طمعاً أو خوفاً، استعجالاً لخير أو دفعاً لشر[2] ، أدركنا سراً من أسرار التنغيم ينبعث من كل مقطع في كتاب الله .

---

[1] – الآية ٣٥ من سورة الرحمن .

[2] – قارن بإحياء علوم الدين (الغزالي) ١/٣٠١-٣٧٢ . ((كتاب الأذكار والدعوات)).

ومن سحر القرآن أن النغم الصاعد فيه خلال الدعاء يثير بكل لفظة صورة ، وينشئ في كل لحن مرتعاً للخيال فسيحاً : فنتصور مثلاً ــ ونحن نرتل دعاء زكريا ــ شيخاً جليلاً مهيباً على كل لفظة ينطق بها مسحة من رهبة وشعاع من نور ، ونتمثل هذا الشيخ الجليل ــ على وقاره ــ متأجج العاطفة، متهدج الصوت ، طويل النفس ، ما تبرح أصداء كلماته تتجاوب في أعماق قلوبنا شديدة التأثير . بل إن زكريا في دعائه ليحرك القلوب المتحجرة بتعبيره الصادق عن حزنه وأساه خوفاً من انقطاع عقبه ، وهو قائم يصلي في المحراب لا يني ينادي ((ربه)) نداءً خفياً ، ويكرر اسم ((ربه)) بكرة وعشياً ، ويقول في لوعة الإنسان المحروم وفي إيمان الصديق الصفي : ((رب إني وهن العظم مني واشتعل الرأس شيباً ، ولم أكن بدعائك رب شقياً . وإني خفت الموالي من ورائي وكانت امرأتي عاقراً فهب لي من لدنك ولياً يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا))[1] وإن البيان لا يرقى هنا إلى وصف العذوبة التي تنتهي في فاصلة كل آية بيائها المشددة وتنوينها المحول عن الوقف ألفاً لينة كأنها في الشعر ألف الإطلاق : فهذه الألف اللينة الرخية المنسابة تناسقت بها ((شقيا ــ وليا ــ رضيا)) مع عبدالله زكريا ، ينادي ربه نداء خفيا!!

ولقد استشعرنا هذا الجو الغنائي كله ونحن نتصور نبياً يبتهل وحده في خلوة مع الله ، وكدنا نصغي إلى ألحانه الخفية تصاعد في السماء ، فكيف بنا لو تصورنا جماعة في الصديقين الصالحين وصفهم الله بأنهم من أولي الألباب ((الذين .. يتفكرون في خلق السماوات والأرض)) ــ كيف بنا لو تصورنا هؤلاء يشتركون ذكراناً وإناثاً ، شباناً وشيباً ، بأصوات رخية متناسقة تصعد معاً وتهبط معاً وهي تجأر إلى الله وتنشد هذا النشيد الفخم الجليل : ((ربنا ما خلقت هذا باطلاً سبحانك فقنا عذاب النار.

ربنا إنك من تدخل النار فقد أخزيته وما للظالمين من أنصار.

ربنا إننا سمعنا منادياً ينادي للإيمان أن آمنوا بربكم فآمنا .

ربنا فاغفر لنا ذنوبنا وكفر عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار . ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ولا تخزنا يوم القيامة إنك لا تخلف الميعاد))[2].

---

[1] - أوائل سورة مريم في الآية (٤-٦) .

[2] - الآيات من ١٩١-١٩٤ من سورة آل عمران .

إن في تكرار عبارة (ربنا) لما يلين القلب ، ويبعث فيه نداوة الإيمان، وإن في الوقوف بالسكون على الراء المذلقة المسبوقة بهذه الألف اللينة لما يعين على الترخيم والترنيم ....

وبعد ... فذلك شأن الإيقاع في القرآن : ليست الفاصلة فيه كقافية الشعر تقاس بالتفعيلات والأوزان ، وتضبط بالحركات والسكنات ، ولا النظم فيه يعتمد على الحشو والتطويل ، أو الزيادة والتكرار ، أو الحذف والنقصان، ولا الألفاظ تحشد حشداً ، وتلصق إلصاقاً ، ويلتمس فيها الإبهام والإغراب ، بل الفاصلة طليقة من كل قيد ، والنظم بنجوة من كل صنعة ،والألفاظ بمعزل عن كل تعقيد : إن هو إلا أسلوب يؤدي غرضه كاملاً غير منقوص ، يلين أو يشتد ، ويهدأ أو يهيج! ينساب انسياباً كالماء إذ يسقي الغراس ، أو يعصف عصفاً كأنه صرصر عاتية تبهر الأنفاس))![١]

مما يزيد إعجاز التغني في القرآن وضوحاً عند الجهر به عدة أمور:

١- مراعاة أحكام تجويد القرآن الكريم عامة ومخارج الحروف خاصة.

٢- تجميل الصوت عند تلاوة القرآن فقد قال النبي ﷺ : (زينوا القرآن بأصواتكم)[٢] فينبغي التغني بالقرآن ويكون التغني بتحسين القراءة وترقيقها ودليلهم الحديث السابق[٣] .

٣- الخشوع عند تلاوة القرآن الكريم بالشعور بأنه كلام رب العالمين مع حسن امتثال قارئه لأوامر الله بالقرآن ، والعجيب أن القرآن يحسن التغني به مع الخاشع المجوّد ولو لم يكن حسن الصوت وذلك لإيقاع التغني في النظم يقول ابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ-١٤٢٩م رحمه الله : ((هذه سُنّة الله تبارك وتعالى

---

١ - انظر مباحث في علوم القرآن لصبحي الصالح (٣٣٤) .

٢ - رواه أبو داود في سننه (١٤٦٨/٧٥/٢) ، والنسائي في سننه (١٧٩/٢) وابن ماجه في سننه (١٣٤٢/٤٢٦/١) قال عبد القادر أرنؤوط وإسناد الحديث صحيح في سنن أبي داود ـ جامع الأصول (٤٥٤/٢-٩٠٩/٤٥٥) .

٣ - انظر النهاية في غريب الحديث والأثر (٣٩١/٣) ثم قال : قال ابن الأعرابي : كانت العرب تتغنى بالركباني إذا ركبت وإذا جلست في الأفنية . وعلى أكثر أحوالها ، فلما نزل القرآن أحب النبي ﷺ أن تكون هجيراهم بالقرآن مكان التغني بالركباني.

فيمن يقرأ القرآن مجوداً مصححاً كما أنزل تتلذذ الأسماع بتلاوته، وتخشع القلوب عند قراءته ، حتى يكاد أن يسلب العقول ويأخذ بالألباب ، سر من أسرار الله تعالى يودعه من يشاء من خلقه، ولقد أدركنا من شيوخنا من لم يكن له حسن الصوت ولا معرفة بالألحان إلا أنه كان جيد الأداء ؛ قيماً باللفظ ، فكان إذا قرأ أطرب المسامع ؛ وأخذ من القلوب المجامع، وكان الخلق يزدحمون عليه، ويجتمعون على الاستماع إليه ، أمم من الخواص والعوام، يشترك في ذلك من يعرف العربي[١] ومن لا يعرفه من سائر الأنام مع تركهم جماعات من ذوي الأصوات الحسان ، عارفين بالمقامات والألحان لخروجهم عن التجويد والإتقان))[٢] .

أثر نظم القرآن في بلغاء العرب :

ولقد كان هذا النظم عينه هو الذي صفّى طباع البلغاء بعد الإسلام، وتولى تربية الذوق الموسيقي اللغوي فيهم ، حتى كان لهم من محاسن التركيب في أساليبهم ــ مما يرجع إلى تساوق النظم واستواء التأليف ــ ما لم يكن مثله للعرب من قبلهم ، وحتى خرجوا عن طرق العرب في السجع والترسل على جفاء كان فيهما ، إلى سجع وترسل تتعرف في نظمها آثار الوزن والتلحين، على ما يكون من تفاوتهم في صفة ذلك ومقداره ، ومبلغهم من العلم به ، وتقدمهم في صنعته .

ولولا القرآن وهذا الأثر من نظمه العجيب ، لذهب العرب بكل فضيلة في اللغة، ولم يبق بعدهم للفصحاء إلا كما بقي من بعد هؤلاء في العامية ، بل لما بقيت اللغة نفسها ، كما بسطناه في موضعه[٣] .

---

١ – لعله يقصد العربية .

٢ – النشر في القراءات العشر (٢١٢/١) ومما قال صاحب النشر في هذا : ((وبلغنا عن الأستاذ الإمام أبي محمد عبدالله بن علي البغدادي .. أنه كان قد أعطي من ذلك حظاً عظيماً، وأنه أسلم جماعة من اليهود والنصارى من سماع قراءته)) ــ النشر (٢١٣/١) .

٣ – إعجاز القرآن للرافعي (ص١٨٣) .

المطلب السابع : النظم القرآني والانفعال النفسي عند السامع

ليس يخفي أن مادة الصوت هي مظهر الانفعال النفسي، وأن هذا الانفعال بطبيعته إنما هو سبب في تنويع الصوت ، بما يخرجه فيه مداً أو غنة أو ليناً أو شدة ، وبما يهيئ له الحركات المختلفة في اضطرابه وتتابعه على مقادير تناسب ما في النفس من أصولها، ثم هو يجعل الصوت إلى الإيجاز والاجتماع، أو الإطناب والبسط، بمقدار ما يكسبه من الحدرة ، والارتفاع والاهتزاز وبعد المدى ونحوها، مما هو بلاغة الصوت في لغة الموسيقى .

فلو اعتبرنا ذلك في تلاوة القرآن على طرق الأداء الصحيحة لرأيناه ابلغ ما تبلغ إليه اللغات كلها في هز الشعور واستثارته ومن أعماق النفس، وهو من هذه الجهة يغلب بنظمه على كل طبع عربي أو أعجمي ، حتى إن القاسية قلوبهم من أهل الزيغ والإلحاد ومن لا يعرفون .. لله آية في الآفاق ولا في أنفسهم لتلين قلوبهم وتهتز عند سماعه ، لأن فيهم طبيعة إنسانية ، ولأن تتابع الأصوات على نسب معينة بين مخارج الأحرف المختلفة ، هو بلاغة اللغة الطبيعية التي خلقت في نفس الإنسان ، فهو متى سمعها لم يصرفه عنها صارف من اختلاف العقل أو اختلاف اللسان ، وعلى هذا وحده يؤول الأثر الوارد أن في الصوت الحسن يزيد القرآن حسناً لأنه يجنب هذا الكمال اللغوي ما يعد نقصاً منه إذا لم تجتمع أسباب الأداء في أصوات الحروف ومخارجها، وإنما التمام الجامع لهذه الأسباب صفاء الصوت ، وتنوع طبقته واستقامة وزنه على كل حرف.

وما هذه الفواصل التي تنتهي بها آيات القرآن إلا صور تامة للأبعاد التي تنتهي بها جمل الموسيقى ، وهي متفقة مع آياتها في قرار الصوت اتفاقاً عجيباً يلائم نوع الصوت والوجه الذي يساق عليه بما ليس وراءه في العجب مذهب، وتراها أكثر ما تنتهي بالنون والميم، وهما الحرفان الطبيعيان في الموسيقى نفسها، أو بالمد، وهو كذلك طبيعي في القرآن ، فإن لم تنته بواحدة من هذه ، كأن انتهت بسكون حرف من الحروف الأخرى ، كان ذلك متابعة لصوت الجملة وتقطيع كلماتها ، ومناسبة اللون المنطق بما هو أشبه وأليق بموضعه ، وعلى أن ذلك لا يكون أكثر من أنت واجده إلا في الجمل القصار،

ولا يكون إلا بحرف قوي يستتبع القلقلة أو الصفير أو نحوهما مما هو ضروب أخرى من النظم الموسيقي[1] .

المطلب الثامن : التأثير النفسي بنظم القرآن

وهذه هي طريقة الاستهواء الصوتي في اللغة ، وأثرها الطبيعي في كل نفس، فهي تشبه في القرآن الكريم أن تكون صوت إعجازه الذي يخاطب به كل نفس تفهمه ، وكل نفس لا تفهمه ، ثم لا يجد من النفوس على أي حال إلا الإقرار والاستجابة، ولو نزل القرآن بغيرها لكان ضرباً من الكلام البليغ الذي يطمع فيه أو في أكثره، ولما وجد فيه أثر يتعدى أهل هذه اللغة العربية إلى أهل اللغات الأخرى ، ولكنه انفرد بهذا الوجه للإعجاز ، فتألفت كلماته من حروف لو سقط واحد منها أو أبدل بغيره أو اقتحم معه من حرف آخر لكان ذلك خللاً بيناً، أو ضعفاً ظاهراً في نسق الوزن وجرس النغمة ، وفي حسن السمع وذوق اللسان، وفي انسجام العبارة وبراعة المخرج وتساند الحروف وإفضاء بعضها إلى بعض ، ولرأيت لذلك هجنة في السمع، كالذي تنكره من كل مرئي لم تقع أجزاؤه على ترتيبها، ولم تتفق على طبقاتها ، وخرج بعضها طولاً وبعضها عرضاً ، وذهب ما بقي منها إلى جهات متناكرة[2] .

المطلب التاسع: مواقع الكلمات وإيقاع النظم

ولو تدبرت ألفاظ القرآن في نظمها ، لرأيت حركاتها الصرفية واللغوية تجري في الوضع والتركيب مجرى الحروف أنفسها فيما هي له من أمر الفصاحة فيهيئ بعضها لبعض، ويساند بعضها بعضاً ، ولن تجدها إلا مؤتلفة مع أصوات الحروف، مساوقة لها في النظم الموسيقي ، حتى إن الحركة ربما كانت ثقيلة في نفسها لسبب من أسباب الثقل أيها كان ، فلا تعذب ولا تساغ وربما كانت أوكس النصيبين في حظ الكلام من الحرف والحركة، فإذا هي استعملت في القرآن رأيت لها شأناً عجيباً ، ورأيت أصوات الأحرف والحركات التي قبلها قد امتهدت لها طريقاً في اللسان واكتنفتها بضروب من النغم الموسيقي حتى إذا خرجت فيه كانت أعذب شيء وأرقه ، وجاءت متمكنة في موضعها، وكانت لهذا الموضع أولى الحركات بالخفة والروعة :

---

[1] – المرجع السابق (ص١٨٣–١٨٥) .

[2] –المرجع السابق (ص١٨٥).

من ذلك لفظة (النذر) جمع نذير؛ فإن الضمة ثقيلة فيها لتواليها على النون والذال معاً، فضلاً عن جسأة هذا الحرف ونبوّة في اللسان، وخاصة إذا جاء فاصلة للكلام. فكل ذلك مما يكشف عنه ويفصح عن موضع الثقل فيه؛ ولكنه جاء في القرآن على العكس وانتفى من طبيعته في قوله تعالى : ((ولقد أنذرهم بطشتنا فتماروا بالنذر))[1] ، فتأمل هذا التركيب ، وأنعم ثم أنعم على تأمله وتذوق مواقع الحروف وأجر حركاتها من حس السمع وتأمل مواقع القلقلة في دال (قد) ، وفي الطاء من (بطشتنا) وهذه الفتحات المتوالية فيما وراء الطاء واو (تماروا) ، مع الفصل بالمد، كأنها تثقيل لخفة التتابع في الفتحات إذا هي جرت على اللسان، ليكون ثقل الضمة عليه مستخفاً بعد ، ولكون هذه الضمة قد أصابت موضعها كما تكون الأحماض في الأطعمة. ثم ردد نظرك في الراء من (تماروا) فإنها ما جاءت إلا مساندة لراء (النذر) حتى إذا انتهى اللسان إلى هذه انتهى إليها من مثلها، فلا تجف عليه ولا تغلظ ولا تنبو فيه ، ثم أعجب لهذه الغنة التي سبقت الطاء في نون (أنذرهم) وفي ميمها، وللغنة الأخرى التي سبقت الذال في (النذر)[2] .

المطلب العاشر

أما الدكتور محمد عبدالله دراز فيقول مايلي عن:

الإيقاع في تلاوة القرآن

دع القارئ المجود يقرأ القرآن يرتله حق ترتيله نازلاً بنفسه هوى القرآن ، وليس نازلاً بالقرآن على هوى نفسه ، ثم انتبذ منه مكاناً قصياً لا تسمع فيه جرس حروفه ، ولكن تسمع حركاتها وسكناتها ، ومداتها وغناتها ، واتصالاتها وسكتاتها ،ثم ألق سمعك إلى هذه المجموعة الصوتية وقد جردت تجريداً وأرسلت ساذجة في الهواء ؛ فستجد نفسك منها بإزاء لحن غريب عجيب لا تجده في كلام آخر لو جرد هذا التجريد ، وجود هذا التجويد.

ستجد اتساقاً وائتلافاً يسترعي من سمعك ما تسترعيه الموسيقى والشعر، على أنه ليس بأنغام الموسيقى ولا بأوزان الشعر . وستجد شيئاً آخر لا تجده في الموسيقى ولا في الشعر . ذلك أنك تسمع القصيدة من الشعر فإذا هي تتحد

---

[1] - الآية (٣٦) من سورة القمر .

[2] - المرجع السابق (ص١٩٣-١٩٤) .

الأوزان فيها بيتاً بيتاً ، وشطراً شطراً ، وتسمع القطعة من الموسيقى فإذا هي تتشابه أهواؤها وتذهب مذهباً متقارباً . فلا يلبث سمعك أن يمجها ، وطبعك أن يملها ، إذا أعيدت وكررت عليك بتوقيع واحد . بينما أنت من القرآن أبداً في لحن متنوع متجدد ، تتنقل فيه بين أسباب وأوتاد وفواصل[١] على أوضاع مختلفة يأخذ منها كل وتر من أوتار قلبك بنصيب سواء. فلا يعروك منه على كثرة ترداده ملالة ولا سأم. بل لا تفتأ تطلب منه المزيد .

هذا الجمال التوقيعي في لغة القرآن لا يخفى على أحد ممن يسمع القرآن، حتى الذين لا يعرفون لغة العرب. فكيف يخفى على العرب أنفسهم[٢].!!

المبحث الثالث

إعجاز أسلوب القرآن

المطلب الأول : الأسلوب لغة واصطلاحاً

لغة : الأسلوب : السطر من النخيل،والطريق يأخذ فيه . وكل طريق ممتد فهو أسلوب . والأسلوب الوجه والمذهب . يقال : هم في أسلوب سوء . ويجمع على أساليب . وقد سلك أسلوبه: طريقته . وكلامه على أساليب حسنة. والأسلوب : الفن . يقال أخذ فلان في أساليب من القول ، أي أفانين منه[٣] .

واصطلاحاً : تواضع المتأدبون وعلماء العربية على أن الأسلوب هو الطريقة الكلامية التي يسلكها المتكلم في تأليف كلامه واختيار ألفاظه ، أو هو المذهب الكلامي الذي انفرد به المتكلم في تأدية معانيه ومقاصده من كلامه، أو هو طابع الكلام أو فنه الذي انفرد به المتكلم كذلك[٤] .

وعلى هذا فأسلوب القرآن الكريم هو طريقته التي انفرد بها في تأليف كلامه واختيار ألفاظه[٥] .

---

١ – هل أنت بحاجة إلى معرفة مسميات هذه الألقاب؟ الحرف المتحرك يتلوه حرف ساكن يقال لهما ((سبب خفيف)) . والحرفان المتحركان يتلوهما ساكن ((وتد مجموع)) والحرفان المتحركان لا يتلوهما ساكن ((سبب ثقيل)) والحرفان المتحركان يتوسطهما ساكن ((وتد مفروق)) وثلاثة أحرف متحركة يعقبها ساكن ((فاصلة صغيرة)) وأربعة أحرف متحركة يعقبها ساكن ((فاصلة كبيرة)) –المؤلف محمد عبدالله دراز .

٢ – النبأ العظيم (ص١٠١–١٠٢) .

٣ – انظر تاج العروس ولسان العرب مادة (سلب) .

٤،٥ – مناهل العرفان في علوم القرآن للزرقاني (٢/٣٢٥)

المطلب الثاني : خصائص أسلوب القرآن الكريم

١ ــ خطاب العامة وخطاب الخاصة : وهاتان كذلك غايتان متباعدتان عند الناس ، فإن الكاتب إذا أراد مخاطبة العامة لابد أن يخاطبهم على قدر عقولهم ومقتضيات حالهم فيوضح ويبين ، ولو خاطب بهذا الأسلوب الخاصة لعدّ كلامه معيباً ، لأن الخاصة تكفيهم اللمحة والإشارة ، وهكذا تجد أن هناك أسلوباً للخاصة وآخر للعامة، ولا يمكن أن تخاطبهما بجملة واحدة ، كل هذا في كلام الناس ، ولكنك واجد خلاف هذا في القرآن الكريم، فإن الجملة الواحدة تلقى إلى العلماء والجهلاء ، والأذكياء والأغبياء[١].

٢ ــ إقناع العقل وإمتاع العاطفة : في النفس الإنسانية قوتان قوة تفكير وقوة وجدان ، وكل منهما تحتاج إلى مالا تحتاجه الأخرى ، والحكماء والعلماء لا يخاطبون إلا العقل والفكر، والأدباء والشعراء لا يخاطبون غالباً إلا الوجدان ، فإنك لا تجد فيلسوفاً يخاطب عاطفتك ، أو شاعراً يخاطب عقلك، فالحكماء هم الذين يقنعون العقل ، والشعراء والأدباء هم الذين يمتعون العاطفة ولا تجد من يجمع بينهما في الخطاب إلا ما تجده من كتاب الله تعالى.

٣ــ البيان والإجمال : وهذه كذلك عجيبة لا نجدها عند الكُتّاب ، فمن أراد أن يجمل لابد أن يذهب إلى الإبهام أو الإلباس، ومن أراد تحديد غرضه وتوضيحه لم تتسع تلك لتأويل، فهذان الطرفان لا يجتمعان إلا في كتاب الله ، فإنك إذا قرأت القطعة من القرآن وجدت الإحكام والدقة ...

ويخيل إليك أنك أحطت بها وبمعانيها ، ولكنك لو رجعت إليها كَرّة أخرى لاستخرجت منها معنى آخر جديداً غير الذي فهمته من قبل[٢] ...

يقول الدكتور عبدالله دراز : ((اقرأ قوله تعالى: ((والله يرزق من يشاء بغير حساب)) (البقرة:٢١٢) وانظر هل ترى كلاماً أبين من هذا في عقول الناس ، ثم انظر كم في هذه الكلمة من مرونة ، فإنك لو قلت في معناها: إنه

---

١ – لكن ينهل كل صنف من هؤلاء منها كل على حسب ما عنده من مؤهلات .

٢ – النبأ العظيم (ص١١٣-١١٨) باختصار من كتاب إعجاز القرآن الكريم للدكتور / فضل عباس وسناء فضل عباس (ص١١٠-١١١).

سبحانه يرزق من يشاء بغير محاسب يحاسبه ولا سائل يسأله لماذا يبسط الرزق لهؤلاء ويقدره على هؤلاء؟ أصبت. ولو قلت: إنه يرزق بغير تقتير، ولا محاسبة لنفسه عند الإنفاق خوف النفاذ أصبت، ولو قلت : إنه يرزق من يشاء من حيث لا ينتظر ولا يحتسب أصبت ، ولو قلت إنه يرزقه بغير معاتبة ومناقشة له على عمله أصبت ، ولو قلت : يرزقه رزقاً كثيراً لا يدخل تحت حصر وحساب أصبت، فعلى الأول يكون الكلام تقريراً لقاعدة الأرزاق في الدنيا وأن نظامها لا يجري على حسب ما عند المرزوق من استحقاق بعلمه أو عمله ، بل تجري وفقاً لمشيئته وحكمته سبحانه في الابتلاء، وفي ذلك ما فيه من التسلية لفقراء المؤمنين، ومن الهضم لنفوس المغرورين من المترفين. وعلى الثاني يكون تنبيهاً على سعة خزائنه وبسطة يده جل شأنه، وعلى الثالث يكون تلويحاً للمؤمنين بما يستفتح الله لهم من أبواب النصر والظفر حتى يبدل عسرهم غنى من حيث لا يظنون، وعلى الرابع والخامس يكون وعداً للصالحين إما بدخولهم الجنة بغير حساب، وإما بمضاعفة أجورهم أضعافاً كثيرة لا يحصرها العد، ومن وقف على علم التأويل واطلع على معترك أفهام العلماء في آية رأى من ذلك العجب العاجب[1].

المطلب الثالث : التصوير الفني في أسلوب القرآن

إن أول من طرق التصوير الفني في القرآن واعتبره من الإعجاز في الأسلوب هو صاحب الظلال ــ رحمه الله تعالى ــ وذلك على مدى التاريخ الإسلامي كله بفتح فتحه الله تعالى عليه في أوائل كتاباته الإسلامية فقال :

التصوير الفني

التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن ، فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني ، والحالة النفسية ، وعن الحادث المحسوس ، والمشهد المنظور ، وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية، ثم يرتقي بالصورة التي يرسمها فيمنحها الحياة الشاخصة ، أو الحركة المتجددة . فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة؛ وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا النموذج الإنساني شاخص حيّ ، وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية. فأما الحوادث والمشاهد ، والقصص والمناظر ، فيردها شاخصة حاضرة، فيها

---

[1] - النبأ العظيم (ص١١٧-١١٨) في الحاشية .

الحياة ، وفيها الحركة ؛ فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت لها كل عناصر التخييل . فما يكاد يبدأ العرض حتى يحيل المستمعين نظارة، وحتى ينقلهم نقلاً إلى مسرح الحوادث الأول، الذي وقعت فيه أو ستقع ، حيث تتوالى المناظر ، وتتجدد الحركات ، وينسى المستمع أن هذا كلام يتلى ، ومثل يضرب، ويتخيّل أنه منظر يعرض، وحادث يقع. فهذه شخوص تروح على المسرح وتغدو ، وهذه سمات الانفعال بشتى الوجدانات ، المنبعثة من الموقف، المتساوقة مع الحوادث ، وهذه الكلمات تتحرك بها الألسنة، فتنم عن الأحاسيس المضمرة. إنها الحياة هنا ، وليست حكاية الحياة .

فإذا ما ذكرنا أن الأداة التي تصور المعنى الذهني والحالة النفسية؛ وتشخص النموذج الإنساني أو الحادث المروي ، إنما هي ألفاظ جامدة ، لاألوان ولا شخوص تُعبِّر ، أدركنا **بعض أسرار الإعجاز في هذا اللون من تعبير القرآن.**

والأمثلة على هذا الذي نقول هي القرآن كله ، حيثما تعرض لغرض من الأغراض التي ذكرناها ، حيثما شاء أن يعبر عن معنى مجرد، أو حالة نفسية ، أو صفة معنوية ، أو نموذج إنساني، أو حادثة واقعة ، أو قصة ماضية ، أو مشهد من مشاهد القيامة، أو حالة من حالات النعيم والعذاب ، أو حيثما أراد أن يضرب مثلاً في جدل أو محاجة ، بل حيثما أراد هذا الجدل إطلاقاً ، واعتمد فيه على الواقع المحسوس ، والمتخيل المنظور .

وهذا هو الذي عنيناه حينما قلنا : ((إن التصوير هو الأداة المفضلة في أسلوب القرآن)) . فليس هو حلية أسلوب ، ولا فلتة تقع حيثما اتفق. إنما هو مذهب مقرر ، وخطة موحدة ، وخصيصة شاملة ، وطريقة معيّنة، يَفْتَنُّ في استخدامها بطرائق شتى ، وفي أوضاع مختلفة ، ولكنها ترجع في النهاية إلى هذه القاعدة الكبيرة: قاعدة التصوير .

ويجب أن نتوسع في معنى التصوير ، حتى ندرك آفاق التصوير الفني في القرآن . فهو تصوير باللون ، وتصوير بالحركة ، وتصوير بالتخييل؛ كما أنه تصوير بالنغمة تقوم مقام اللون في التمثيل. وكثيراً ما يشترك الوصف، والحوار، وجرس الكلمات ، ونغم العبارات ، وموسيقى السياق ، في إبراز صورة من الصور ، تتملاها العين والأذن ، والحس والخيال، والفكر والوجدان.

وهو تصوير حي منتزع من عالم الأحياء ، لا ألوان مجردة وخطوط جامدة. تصوير تقاس الأبعاد فيه والمسافات ، بالمشاعر والوجدان[1] .

ثم يضرب أمثلة كثيرة على التصوير الفني للقرآن فيقول في أحدها :

ويريد أن يبين للناس أن الصدقة التي تبذل رياء ، والتي يتبعها المن والأذى، لا تثمر شيئاً ولا تبقى، فينقل إليهم هذا المعنى المجرد ، في صورة حسية متخيلة على النحو التالي : ((ياأيها الذين آمنوا لا تبطلوا صدقاتكم بالمنّ والأذى ، كالذي ينفق ماله رئاء الناس ، ولا يؤمن بالله واليوم الآخر . فمثله كمثل صفوان عليه تراب ، فأصابه وابل فتركه صلداً))[2] .

ويدعهم يتملون هيئة الحجر الصلب المستوى، غطته طبقة خفيفة من التراب، فظنت فيه الخصوبة، فإذا وابل من المطر يصيبه ، وبدلاً من أن يهيئه للخصب والنماء ــ كما هي شيمة الأرض حين تجودها السماء ــ إذا به ــ كما هو المنظور ــ يتركه صلداً ، وتذهب تلك الطبقة الخفيفة التي كانت تستره، وتخيل فيه الخير والخصوبة .

ثم يمضي في التصوير لإبراز المعنى المقابل لمعنى الرياء ، ومعنى الذهاب بالصدقة التي يتبعها المن والأذى :

((ومثل الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله وتثبيتاً من أنفسهم، كمثل جنة بربوة ، أصابها وابل ، فآتت أكلها ضعفين، فإن لم يصبها وابل فطل))[3].

فهنا الوجه الثاني للصورة ، والصفحة المقابلة للصفحة الأولى ، فهذه الصدقات التي تنفق ابتغاء مرضاة الله ، هي في هذه المرة كالجنة ، لا كحفنة من تراب، وإذا كانت حفنة التراب هناك على وجه صفوان ، فالجنة هنا فوق ربوة، وهذا هو الوابل مشتركاً بين الحالتين ، ولكنه في الحالة الأولى يمحو ويمحق ، وفي الحالة الثانية يربي ويخصب، في الحالة الأولى يصيب الصفوان، فيكشف عن وجه كالح كالأذى، وفي الحالة الثانية يصيب الجنة ، فيمتزج بالتربة ويخرج ((أُكُلاً)) . ولو أن هذا الوابل لم يصبها ، فإن فيها من

---

[1] – التصوير الفني في القرآن (ص٣٨-٣٩) .
[2] – الآية ٢٦٤ من سورة البقرة .
[3] – الآية ٢٦٥ من سورة البقرة .

الخصب والاستعداد للإنبات ، ما يجعل القليل من المطر يــــهزها ويحييــها! ((فإن لم يصبها وابل فطل)) .

ولا أريد أن أتعرض هنا لذلك التناسق العجيب في جو الصورة، وفــي تماثل جزئياتها، وفي توزيع هذه الجزئيات على الرقعة فيها . حيــث يكــون الصفوان تغشيه طبقة خفيفة من التراب ، مثلاً للنفس المؤذية تغشيها الصدقــة تبذل رياء (والرياء ستار رقيق يخفي القلب الغليظ) وحيث توضع الجنة فــوق ربوة، في مقابل الحفنة من التراب فوق الصفوان .

فهذا التقسيم والتوزيع، وهذا التقابل والتنسيق، متروك كله إلى فصــل سيجيء من فصول هذا الكتاب[1] .

المطلب الرابع : من آفاق التناسق الفني في القرآن :

ثم يوضح صاحب الظلال بعض آفاق التناسق الفني في القرآن فيقول:

((ثم نرقى إلى أفق آخر من آفاق التناسق الفنـــي ، فــي التصويــر القرآني .

قلنا : إن القرآن يرسم صوراً ويعرض مشاهد ، فينبغي أن نقــول: إن هذه المشاهد وتلك الصور ، يتوافر لها أدق مظاهر التناسق الفني فـــي مــاء الصورة ، وجو المشهد ، وتقسيم الأجزاء ، وتوزيعها في الرقعة المعروضة.

وقد ألمعنا إلى شيء من هذا فــي فصــل((التصويــر الفنــي)) عنــد استعراض صورة الذي ينفق ماله رئاء الناس ، وصورة الصفوان عليه تراب؛ مع صورة الذين ينفقون أموالهم ابتغاء مرضاة الله، وصورة الجنة فوق الربوة. وما بين هذه الصور جميعاً من توازن في الأجزاء وتقابل في الأوضاع .

هذا اللون من التناسق ، هو مفتاح الطريق إلى التناسق الذي نعنيه هنا بالذات .

والذي نعنيه هو :

أولاً : ما يسمى ((بوحدة الرسم)) . وحتى المبتدئــون فــي القواعــد يعرفون شيئاً عن هذه الوحدة، فلسنا في حاجة إلى شرحها . ويكفي أن نقول : إن القواعد الأولية للرسم تحتم أن تكون هناك وحدة بين أجزاء الصورة، فــلا تتنافر جزئياتها.

---

[1] - التصوير الفني في القرآن (ص٣٩-٤٠).

وثانياً : توزيع أجزاء الصورة ـ بعد تناسبها ـ على الرقعة بنسب معينة حتى لا يزحم بعضها بعضاً ، ولا تفقد تناسقها في مجموعها .

وثالثاً : اللون الذي ترسم به ، والتدرج في الظلال ، بما يحقق الجو العام المتسق مع الفكرة والموضوع .

والتصوير بالألوان يلاحظ هذا التناسق كما يلاحظه "التوزيع" في المشاهد المسرحية والسينمائية . والتصوير في القرآن يقوم على أساسه ، وإن كانت وسيلته الوحيدة هي الألفاظ ، وبذلك يسمو الإعجاز فيه على تلك المحاولات[1] .

المبحث الرابع
قمة الإعجاز البياني

إن بلاغة القرآن سامية ومع ذلك فقد يقول قائل لقد أتى العرب بكلام بليغ أيضاً بشعرهم فما وجه إعجاز القرآن في هذه المسألة؟

والجواب على ذلك : إن إعجاز القرآن لا يبلغه كلام العرب في النظم والأسلوب ، فاجتماع البلاغة السامية مع نواحي الإعجاز الأخرى يجعل إعجاز القرآن يسمو على كلام العرب الذي يخلو من إعجاز النظم والأسلوب، فوجود البلاغة عندهم لا يرقى ببيانهم إلى مستوى القرآن الكريم البياني .

ولا شك أن العرب لما سمعوا القرآن شعروا بإعجازه فلم يستطيعوا أن يستجيبوا لتحديه بأن يأتوا بمثله ، ولم يكونوا يميزوا بين إعجاز النظم وإعجاز الأسلوب مع البلاغة في القرآن الكريم ، فإن علوم العربية في النظم والبلاغة والأسلوب والنحو .. إنما دونت في عصور متأخرة عن عصر النبي محمدﷺ، ولو أنهم كانوا يتقنون استعمال هذه العلوم سليقة ، فقدوم القرآن إليهم في إعجاز نظمه وأسلوبه مع بلاغته أشعرهم بأنهم عاجزون عن الإتيان بمثله، وليس الأمر محصوراً بإعجاز النظم والأسلوب بل هناك أمور أخرى تفاجؤوا بها في القرآن فشعروا بإعجازه وعدم الاستجابة لصنع مثله .

---

[1] – تابع التصوير الفني في القرآن (ص١١٤-١١٥) .

والحق أن القرآن قد بلغ قمة الإعجاز البياني باجتماع نواحي الإعجاز مع سموه في البلاغة إلى الحد الذي يعجز الخلق عن الإتيان بمثله ، وهذا وضحه الباقلاني في كتاب إعجاز القرآن بمقارنات رائعة بين كلام أدباء العربية وكلام رب العالمين[1] في القرآن الكريم ..

كل هذا مع سمو القرآن في الفصاحة أيضاً إلى حد الإعجاز **فاجتمعت في القرآن على هذا عدة نواح في الإعجاز البياني وهي إعجاز الفصاحة وإعجاز البلاغة وإعجاز النظم وإعجاز الأسلوب ، وأعطى اجتماعها للقرآن رتبة سامية ترقى على كل كلام إلى يوم القيامة مع دوام تحدي القرآن أن يأتوا بمثله أيضاً إلى يوم القيامة أيضاً ..**

فكم وكم من علماء باللغة العربية وليس في العالم العربي والإسلامي فحسب بل في العالم كله وخاصة في صورة "دكاترة" وأساتذة غير مسلمين يتخصصون في دقائق اللغة العربية، بل يدعون أنهم يعطون أرقى الشهادات العليا في العربية.. في الغرب والشرق ... ومع هذا الكم الهائل من علماء العربية فإن القرآن لا يزال يتحداهم دائماً أن يأتوا بمثله ، فماذا كان الجواب؟ الجواب هو في عجزهم جميعاً عن مماثلة القرآن .. ولو بسورة منه..

---

[1] – ذهب إلى فكرة الإعجاز البلاغي في القرآن الكريم الرماني والباقلاني إلا أن الباقلاني قد بسط القول في ذلك أكثر من الرماني وقام بموازنات رائعة في ذلك بين أداء كلام العرب وكلام رب العالمين ، انظر كتابه إعجاز القرآن (ص٤٨) وانظر ترجمته وترجمة الرماني (ص١٨٢) و(ص١٨٣) من هذا الكتاب .

المبحث الخامس
اللغة العربية قبل الإسلام

لقد بلغت اللغة العربية قبل الإسلام مكانة سامية عند أدباء العرب بل وعند كثير من عامتهم إذ أصبحت القصائد الشعرية بمثابة الصحف في عصرنا في انتشارها بين العامة والخاصة، وكان للمسابقات الشعرية مكانة سامية في سوق عكاظ فصعد مستوى الأدب العربي إلى مكانة سامية قال عتبة بن أبي سفيان[1] في ذلك : ((إن للعرب مكاناً هو أرق من الهواء وأعذب من الماء، مرق من أفواههم مروق السهام من قسيها بكلمات مؤلفات ، إن فُسرت بغيرها عطلت ، وإن بُدلت بسواها من الكلام استصعبت . فسهولة ألفاظهم توهمك أنها ممكنة إذا سُمعت ، وصعوبتها تعلمك أنها مفقودة إذا طلبت))[2]

ولما جاء القرآن الكريم تحدى العرب أن يأتوا بمثله فلم يستطيعوا ، بل وتحداهم أن يأتوا بسورة منه فلم يستطيعوا ، فآمن بعضهم أما بعضهم الآخر فقد كفر ولما خرس منهم اللسان عن معارضة القرآن اتجهوا نحو القتال بالسنان ، وكانت النتيجة أن انتصر رجال القرآن والإسلام أخيراً في الحرب في معارك كثيرة فلم يرجعوا إلى اللسان ولم يقفوا أمام تحدي القرآن .

---

[1] – وهو أخو معاوية ولد على عهد رسول الله ﷺ ولاه عمر بن الخطاب رضي الله عنه الطائف وصدقاتها توفي بمصر سنة ٤٤هـ/٦٦٤م وكان فصيحاً خطيباً – الاستيعاب في أسماء الأصحاب للقرطبي المالكي (٣/١٢١) .

[2] – زهر الآداب للحصري (٣/٤٨) .

المبحث السادس
تحدي القرآن

ولم يكن مكان التحدي بالقرآن الكريم في زمن قوة الإسلام ودولته فحسب ؛ بل كان مكان التحدي أيضاً يوم كان المسلمون مضطهدين معذبين ، مما دعا كثيراً منهم للهجرة أولاً إلى خارج الجزيرة العربية إلى أفريقيا حيث هناك ملك مسيحي عادل في الحبشة اسمه النجاشي ، وقد أسلم وآمن بمحمدﷺ رسول الله على أيدي هؤلاء الصحابة المهاجرين رضوان الله عليهم.

كما دعاهم هذا الاضطهاد والتعذيب من قريش الوثنية آنذاك إلى هجرتهم جميعاً إلى المدينة المنورة ، لقد كانوا من قريش نفسها -رضوان الله عليهم - لكن لما نطقوا بلا إله إلا الله وأبوا عبادة الأوثان صُبّ العذاب عليهم صباً ، وفي هذا الجو من الاضطهاد والتعذيب الشديد تلا رسول الله محمد ﷺ آيات التحدي بالقرآن أن يأتوا بمثله تلا قوله الله تعالى في سورة الإسراء المكية: **((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً))**[١] ثم تحداهم القرآن في العهد المكي أيضاً أن يأتوا بعشر سور من مثله ولو مفتريات فقال سبحانه في قرآنه المجيد: **((أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين، فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله))**[٢] .

---

١ - الآية ٨٨ من سورة الإسراء . سورة الإسراء ، مكية - انظر فنون الأفنان في عيون علوم القرآن (ص٣٣٨) - .

٢ -الآيتان ١٤،١٣ من سورة هود ، سورة هود مكية - انظر فنون الأفنان (ص٣٣٨) -.

ثم تحداهم القرآن في العهد المكي أيضاً أن يأتوا بسورة من مثل هـذا القرآن فقال الله تعالى **((أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله))**[1].

كما تحداهم القرآن في العهد المدني عندما كان للإسلام دولـة وقـوة وجيش تحداهم أن يأتوا بسورة من مثل القرآن ويستعينوا لذلك بأعوانهم ، فقال سبحانه **((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسـورة مـن مثلـه وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولـن تفعلـوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين))**[2] .

وأخيراً فلا يزال التحدي بهذه الآيات السابقة يقـرع رؤوس الكفـرة وآذانهم في بلاد الإسلام وخارجها ، وسكت الجميع سابقاً ولاحقاً أمام تحـدي القرآن مما يثبت إعجاز القرآن أمام كل الألسنة وصدق الله العظيم إذ يقـول: **((ولن تفعلوا..))** فكان ذلك إعجاز آخر للقرآن بإخباره عن هذا المغيب فـي عدم الاستجابة للتحدي...



[1] – الآية ٣٨ من سورة يونس ، سورة يونس المشهور أنها مكية ـــ انظر الإتقـان فـي علـوم القرآن (١/١٦) -.

[2] – الآيتان ٢٣،٢٤ من سورة البقرة ، وسورة البقرة مدنية – انظر فنون الأفنان في عيون علوم القرآن (ص٣٣٧)-.

المبحث السابع
أدباء شعراء أسلموا

إن مما يدل على إعجاز القرآن الكريم البياني أن كثيراً من الأدباء الشعراء أسلموا في عهد النبي ﷺ ، وأذعنوا أمام تحدي القرآن بإيمانهم به بأنه من عند الله جل جلاله ، وكان الشعراء يمثلون الفئة الأدبية المثقفة في العصر الجاهلي قبل الإسلام ، فيتناقل الناس شعرهم بين القبائل بسرعة فائقة جداً ، فيتأثر به العرب على اختلاف مستوياتهم ومن هؤلاء الشعراء :

١ ـ **لبيد بن أبي ربيعة** : أحد أصحاب المعلقات السبع أو القصائد السبع الطوال[١] التي تعتبر من أنفس أشعار العرب في جاهليتهم ، وهو الذي قال عنه ابن سلام المتوفى سنة ٢٢٤هـ / ٨٣٩م[٢] : ((كان لبيد بن ربيعة ، فارساً شاعراً شجاعاً وكان عذب المنطق ، رقيق حواشي الكلام[٣]، وكان مسلماً رجل صدق))[٤].

لقد آمن لبيد بالقرآن الكريم لما رأى مستواه السامق يعلو على شعر الشعراء والفصحاء البلغاء. ففي السنة التاسعة للهجرة تزعم لبيد وفد بني عامر إلى النبي ﷺ ، فأعلن العامريون إسلامهم، واستقبل لبيد عهداً جديداً من حياته حافظ فيه على مثله السمحة في الكرم والأنفة وعون الضعيف وإقالة المعوز من عثرته ، وامتنع عما حرم الإسلام من طقوس الجاهلية وعاداتها[٥]

أقام لبيد في المدينة المنورة يقرأ القرآن والرسولﷺ والصحابة في المدينة واكتتب منهم سورة الرحمن علم القرآن فخرج بها ولقيه أخوه إربد، وسأله عن النبي ﷺ فقال : يا أخي ما رأيت مثله!! ، وجعل يذكر صدقه وبره

---

١ – مقدمة ديوان لبيد بن ربيعة للدكتور عمر فاروق الطباع (ص٥) وانظر شرح المعلقات السبع للإمام الأديب أبي عبدالله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني (ص٨٧) .

٢ – هو أبو عبيد القاسم بن سلام كان أبوه رومياً ، اشتغل بالأدب والحديث والفقه ، كان ذا دين وسيرة جميلة له كتب كثيرة منها : الأمثال ، ومعاني الشعر ، قدم بغداد فعلّم كتبه، ثم حج وتوفي في مكة ، وقيل بالمدينة سنة ٢٢٤هـ/٨٣٩م ـ انظر وفيات الأعيان (٦٠/٤) وقد ذهب إلى أن أباه كان رومياً ياقوت الحموي أيضاً ـ انظر معجم الأدباء (٢٥٤/١٦) .

٣ – يريد أن الناظر المتأمل يعرف جودة الكلام وحسن ديباجته من عند أول النظر ـ اهـ باختصار من تعليقات الأديب أبي فهر محمود محمد شاكر – رحمه الله تعالى – على طبقات فحول الشعراء.

٤ – طبقات فحول الشعراء لابن سلام (١٣٥/١) .

٥ – مقدمة ديوان لبيد للدكتور فاروق الطباع (ص٨).

وحسن حديثه ، فقال له إربد هل معك من قوله شيء؟ قال نعم فأخرجها لــه فقرأها عليه[1] ولبيد من المعمرين[2].

قال ابن قتيبة[3] المتوفى سنة ٢٧٦هـ-٨٨٩م عن لبيد : ((ولم يقل في الإسلام إلا بيتاً واحداً واختلف في البيت .. وقال له عمر رضي الله عنه : أنشدني من شعرك فقرأ سورة البقرة . وقال ما كنت لأقول شعراً بعد إذ علمني الله سورة البقرة وآل عمران))[4] .

أما أقدم الطبعات لديوان لبيد فهي طبعة فيينا سنة ١٨٨٠م ، وغالب الظن أن الذي بين أيدينا من شعر لبيد جزء من النسخة التي رواها الطوسي وهي التي ترجمها المستشرق هوبر **(A.Huber)** إلى الألمانية ثم طبعها المستشرق بروكلمان **(Brockel Mann)** في ليدن سنة ١٨٩١م[5] .

ومن النماذج الدالة على إحكام عبارة لبيد وعمق معانيه قوله في رثاء أخيه إربد :

بلينا وما تبلى النجوم الطوالع	وتبقى الجبال بعدنا والمصانع[6]
فلا جزع إن فرق الدهر بيننا	فكل امرئ يوماً به الدهر فاجع
وما المرء إلا كالشهاب وضوئه	يحور[7] رماداً بعد إذ هو ساطع[8]
وما المال والأهلون إلا وديعة	ولابد يوماً أن ترد الودائع[9]

---

١ - الأغاني (١٣١/١٥) .

٢ - الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص١٤٩) .

٣ - هو أبو محمد عبدالله بن مسلم بن قتيبة الدينوري ، النحوي ، اللغوي ، سكن بغداد وكان ثقة ديّناً فاضلاً ، وتصانيفه كلها مفيدة منها : أدب الكاتب ، والمعارف ، والشعر والشعراء ، وكتاب الخيل وغير ذلك ولد سنة ٢١٣هـ ومات فجأة سنة ٢٧٦هـ /٨٨٩م – انظر وفيات الأعيان (٤٢/١)، وانظر تاريخ بغداد (١٠٧/١٠) -.

٤ - انظر الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني (٣٠٨/٣) .

٥ -مقدمة فاروق الطباع لديوان لبيد (ص٨-٩) .

٦ - المصانع : المباني والقصور.

٧ -يحور رماداً : يصير رماداً .

٨ - الأغاني لأبي فرج الأصبهاني (١٣٣/١٥) .

٩ - الأبيات من ديوان لبيد شرحه الدكتور فاروق طباع (ص٧٩-٨٠) .

٢ ــ **الخنساء** : وهذا لقبها ، وهي تماضر بنت عمرو بن الشريد كانت تقول الشعر في زمن النابغة الذبياني[1]، وكانت تضرب للنابغة الذبيلني في الجاهلية قبة حمراء من أدم بسوق عكاظ ، وتأتيه الشعراء ، وتعرض عليه أشعارها فأنشده الأعشى أبو بصير ، ثم أنشده حسان بن ثابت ثم الشعراء ، ثم جاءت الخنساء السَّلمية فأنشدته فقال لها النابغة: ((والله لولا أن أبا بصير أنشدني آنفاً لقلت إنك أشعر الجن والإنس)) فقال حسان : ((والله لأنا أشعر منك ومن أبيك ومن جدك ..)) ثم قال للخنساء أنشديه فأنشدته ، فقال : ((والله ما رأيت ذات مثانة أشعر منك)) فقالت الخنساء: ((لا والله ولا ذا خُصْيَيْن))[2].

مات أخو الخنساء صخر من أثر طعنة في الجاهلية قبل الإسلام فكانت أخته الخنساء ترثيه ولم تزل تبكيه حتى عميت[3] . ورثته بشعر عظيم جمع في ديوان لها ولأهمية الديوان في الأدب العربي بل والعالمي قال د/عمر فاروق الطباع: ((وقد قام المستشرق (دي كوبيه **de coppier**) بترجمة ديوان الخنساء إلى الفرنسية سنة ١٨٨٩ وللمستشرق (غبر يالي **G.Gabrieli**) دراسة بالإيطالية تناول فيها حياة هذه الشاعرة وشعرها وفي الألمانية بحث للمستشرق (رودو كاناكيس **N.Rhodokanakis**) في الخنساء ومراثيها)[4] ويعتبر شعرها من أسمى ما قيل في الشعر العربي في المراثي ومما قالت في صخر :

وإن صخراً لتأتَمُّ الهداةُ به　　　كأنه عَلَمٌ في رأسِهِ نارُ

وقالت فيه :

من حدث الأيام عينك تهملُ　　　وتبكي على صخرٍ وفي الدهر مَذْهلُ[5]

---

[1] – هو زياد بن معاوية الذبياني ، وكان أحد شعراء السياسة القبلية في العصر الجاهلي اشتهر بنظم شعر عرف بالاعتذاريات ، وهي قصائد وجهها للملك النعمان بن المنذر وقد عده ابن سلام من شعراء الطبقة الأولى من الجاهليين ــ انظر معجم الشعراء للدكتور عفيف عبدالرحمن (ص٢٦٦) ، وطبقات فحول الشعراء (٥٦/١).

[2] – الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص١٩٧-١٩٨) .

[3] – انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص١٩٩) .

[4] – مقدمة ديوان الخنساء للدكتور عمر فاروق الطباع (ص١٣) .

[5] – انظر طبقات فحول الشعراء (٢١٠/١).

اعتنقت الخنساء الإسلام مع قومها في نحو الثامنة للهجرة ، وقد اشتهر قومها بحسن بلائهم في الذود عن العقيدة الإسلامية والجهاد في سبيل الله تعالى[1] .

وزارت الخنساء السيدة عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ [2] .

قاتل أولادها الأربعة في وقعة القادسية وقتلوا جميعاً فلم يؤلمها الثكل بل قالت بعد أن أنبئت بموتهم : ((الحمد لله الذي شرفني بقتلهم))[3] وما صبرها هذا وقد بكت صخراً أخاها قبل إلا بسبب إيمانها بالقرآن الذي أنبأ بالبعث وأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون .

توفيت الخنساء رضي الله عنها في سنة ٢٤هـ/٦٤٥م[4].

٣ ـ **حسان بن ثابت الأنصاري** : وهو أشعر شعراء القرى العربية قبل الإسلام[5] ، كان شاعر قبيلة وبلاط قبل الإسلام ؛ فكان شاعر الخزرج وشاعر بلاطي نصارى العرب من الغساسنة والمناذرة ، كما اتصل بأبي قابوس النعمان الثالث ملك الحيرة ، ولما وفد النبي ﷺ وصحابته رضوان الله عليهم على المدينة أسلم حسان ، وأصبح ممن ينافحون عن العقيدة الإسلامية، ويذودون عن النبي ﷺ وصحبه ، وينقضون مزاعم الجاهليين من شعراء قريش، وأصبح شاعر الرسول ﷺ[6] ، ومما قال فيه أبو عبيدة المتوفى سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م : ((فضل حسان بن ثابت على الشعراء بثلاث : كان شاعر الأنصار في الجاهلية وشاعر النبي ﷺ في أيام النبوة وشاعر اليمن كلها في الإسلام))[7].

---

١ – انظر مقدمة ديوان الخنساء للدكتور عمر فاروق الطباع (ص١١) .

٢ – انظر الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص١٩٩) .

٣ – انظر مقدمة ديوان الخنساء للدكتور عمر فاروق الطباع (ص١١) .

٤ – معجم الشعراء لعفيف عبدالرحمن (ص٨٦) .

٥ – انظر طبقات فحول الشعراء لابن سلام (٢١٥/١) .

٦ – من مقدمة ديوان حسان للدكتور فاروق الطباع (ص٥-٧) .

٧ – الإصابة (٣٣٥/١) .

ومن شعر حسان بن ثابت في مدح الغساسنة النصارى قبل إسلامه:

لله در عصابة نادمتم ... يوماً بجلق[1] في الزمان الأول
يمشون في الحلل المضاعف نسجها ... مشي الجمال إلى الجمال البزل[2]
أولاد جفنة حول قبر أبيهم ... قبر ابن مارية الكريم المفضل
يغشون حتى ما تهر كلابهم ... لا يسألون عن السواد المقبل
بيض الوجوه كريمةٌ أحسابُهم ... شُمُّ الأنوفِ من الطراز الأول[3]

أسلم حسان بن ثابت ومدح النبي ﷺ بأبيات فريدة شيمتها الصدق والوفاء فمن ذلك قوله :

أغرّ عليه للنبوة خاتم ... من الله مشهودٌ يَلوح ويُشْهدُ
نبي أتانا بعد يأس وفترة ... من الرسل والأوثان في الأرض تعبَدُ
فأمسى سراجاً مستنيراً وهادياً ... يلوح كما لاح الصقيل المهند[4]

قال ابن سعد : عاش في الجاهلية ستين ، وفي الإسلام ستين ، ومات وهو ابن عشرين ومائة[5] .

ولم يسلم هؤلاء الشعراء الثلاثة فقط بل **أسلم من شعراء الجاهلية كعب بن مالك الأنصاري وعبدالله بن رواحة الأنصاري وعمرو بن معد يكرب الزبيدي والحطيئة والنابغة الجعدي وغيرهم ، وأسلم من شعراء وأدباء النصارى عدي بن حاتم الطائي والقطامي وكعب بن جعيل التغلبي وغيرهم**[6] مما يبين أن القرآن الكريم كان قمة في الإعجاز البياني ، وكان فوق كلام الشعراء الأدباء مما دعاهم للإيمان فآمنوا واهتدوا.

عدم إيمان بعض شعراء العرب لا ينفي إعجاز القرآن :

وحقاً إن بعض بلغاء العرب لم يسلموا كالوليد بن المغيرة والأعشى ولكنهم علموا أن القرآن لا يجارى في التحدي بأن يؤتى بمثله أو بسورة منه ، وهذا سنراه في الوليد بن المغيرة في الإعجاز التأثيري للقرآن (ص١٩٢) .

---

1 – جلق : موضع قريب من دمشق .

2 – البزل جمع بازل وهو البصير الذي استكمل الثامنة وطعن في التاسعة .

3 – ديوان حسان بن ثابت شرحه الدكتور عمر فاروق الطباع (ص١٦٣-١٦٤) .

4 – المرجع السابق (ص٤٩) .

5 – الإصابة (١/٣٣٥) .

6 – انظر ترجماتهم من (ص٢١٠-٢١٣) من هذا الكتاب .

أما الأعشى ميمون بن قيس فقد عده ابن سلام من الطبقة الأولى من شعراء العرب[1] ، بل كان أكثر الطبقة الأولى من شعراء العرب عروضاً وأذهبهم في فنون الشعر وأكثرهم مدحاً وهجاء وفخراً ووصفاً[2] .

لقد علم أن القرآن من عند الله تعالى لكنه أخر إسلامه لملذاته قال ابن قتيبة عنه:

((وكان جاهلياً قديماً وأدرك الإسلام في آخر عمره ورحل إلى النبي ﷺ ليسلم ، فقيل إنه يحرم الخمر والزنا فقال : أتمتع منهما سنة ثم أسلم فمات قبل ذلك بقرية اليمامة .. ألقاه بعيره فقتله))[3] ، وأضاف ابن قتيبة أن قريشاً أرشوه بمائة ناقة حتى أخر إسلامه مع قولهم له : أن النبي ﷺ يحرم الخمر والزنا والقمار[4] .
وكذلك يا أخي الحال في كل زمان ومكان فقد تمنع في كثير من الأحيان الملذات والرشوات المحلية والدولية من حمل المبادئ السامية كدخول الإسلام والإيمان بالقرآن ، اللهم إنا نسألك العفو والعافية ...

إن إيمان هؤلاء الشعراء بأن القرآن كلام الله وهم في قمة الأدب العربي في الجاهلية مع تحدي القرآن أن يأتوا بمثله أو بسورة منه كل ذلك دليل واضح على سمو القرآن الأدبي والبياني .



---

[1] – طبقات فحول الشعراء (١/٥١-٥٢) .
[2] – طبقات فحول الشعراء (١/٦٥) .
[3] – الشعر والشعراء ولابن قتيبة (ص١٣٥-١٣٦) .
[4] – الشعر والشعراء لابن قتيبة (ص١٣٦) .

المبحث الثامن
كُتّاب في إعجاز القرآن البياني

أدرك العرب الأوائل إعجاز القرآن البياني سريعاً بفطرتهم السليمة وبمعرفتهم بفنون البيان بالبديهة ، لذلك كان إيمانهم بالقرآن قوياً راسخاً ، دفعهم لأن يقدموا أسمى ما عندهم من مال ودماء في سبيل الله تعالى لتحقيق مبادئ القرآن في أقارب الأرض وأقاصيها ، لكن بعد أن توسعت دولة الإسلام بتوفيق الله تعالى لهؤلاء العرب المؤمنين وصارت أكبر دولة في تاريخ العالم ابتعد العرب من أبناء وأحفاد عن البيئة اللغوية العربية الفطرية ، وصار إدراك الإعجاز يتطلب دراسات واعية مفصلة وصاحب هذا تدوين علوم اللغة العربية والعلوم الإسلامية ، وكان ذلك ليدرك العربي ومن تعلم القرآن على يديه في البلاد المفتوحة إعجاز القرآن البياني وسموه اللغوي ، فانتقل الإعجاز من مرحلة التذوق الفطري إلى مرحلة التذوق بالبحث العلمي الذي لا بد له من دراسة واسعة للغة العربية وأساليبها وكلام فصحائها ورجال العربية فيها لتؤهله هذه الدراسات لإدراك سمو القرآن اللغوي والبياني ، لذلك تصدى كُتاب مسلمون من العرب ومن غيرهم للكتابة في إعجاز القرآن البياني بعد أن أدركوا سمو القرآن على كل ما كتب وسيكتب باللغة العربية، وكان من هؤلاء الكُتاب من تنبه إلى نقاط في الإعجاز البياني والسمو اللغوي لم يتنبه لها آخرون وإليك بعض هؤلاء الكتّاب:

١ ـ **الجاحظ** : هو عمرو بن بحر الكناني البصري المعتزلي ، ذكر إعجاز القرآن ودلل عليه في بعض أماكن كتابه البيان والتبيين، وكتاب الحيوان، وتكلم في إعجاز القرآن في كتاب حجج النبوة ، وله كتاب نظم القرآن ، وحق للجاحظ أن يكتب في إعجاز القرآن ، وكيف لا وله كتب كثيرة في نصرة الدين خاصة كتاب الرد على من ألحد في كتاب الله عز وجل ، ولد الجاحظ سنة ١٥٠هـ/٧٦٧م وتوفي سنة ٢٥٥هـ/٨٦٩م[١].

٢ ـ **أبو الحسن علي بن عيسى الرماني** : ألف كتاباً أسماه النكت في إعجاز القرآن[٢] ، وقد أشار إلى هذا ياقوت الحموي في معجم الأدباء لكن

---

١ - انظر معجم الأدباء (٦/٧٤-١١٤)، ومعجم المؤلفين (٢/٥٨٢/١٠٥٤١) .

٢ - انظر الإعجاز في نظم القرآن (ص٣٤) .

سمى كتاب الرماني إعجاز القرآن، وصرح بأن الرماني من المعتزلة[1] ، توفي الرماني سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م.

٣ ـ **حَمْد بن محمد بن إبراهيم الخطابي الشافعي:** هو الأديب اللغوي من ذرية زيد بن الخطاب ومن مدينة بست من بلاد كابل، له كتب منها: غريب الحديث ، وأعلام السنن في شرح صحيح البخاري، وبيان إعجاز القرآن[2] توفي سنة ٣٨٨هـ / ٩٩٨م.

٤ ـ **أبو بكر الباقلاني : هو محمد بن الطيب البصري ثم البغدادي المعروف بالباقلاني** ، عالم بالعقيدة الإسلامية ، من تصانيفه : تمهيد الأوائل وتلخيص الدلائل ، ومناقب الأئمة ونقض المطاعن على سلف الأمة ، وإعجاز القرآن ، ونكت الانتصار لنقل القرآن وغير ذلك ، توفي رحمه الله تعالى سنة ٤٠٣هـ/١٠١٣م[3].

٥ ـ **الشريف الرضي** : هوأبو الحسن محمد بن الطاهر الحسيني الموسوي صاحب المناقب الأديب الشاعر المفلق ، له كتب منها : ديوانه في أربعة مجلدات ، وتلخيص البيان في مجازات القرآن ، تكلم فيه عن إعجاز القرآن ، توفي سنة ٤٠٦هـ /١٠١٥م[4] .

٦ ـ **القاضي عبد الجبار بن أحمد الهمداني** : ألف كتاب ((المغني في أبواب التوحيد والعدل)) في عشرين جزءاً ، لم يطبع منه إلا الجزء السادس عشر في إعجاز القرآن.

والقاضي عبد الجبار معتزلي ، توفي سنة ٤١٥هـ/١٠٢٥م[5] .

٧ ـ **أبو بكر عبدالقاهر بن عبدالرحمن الجرجاني** : هو نحوي مشهور، كان من كبار أئمة العربية صنف في النحو كتاب (المغني في شرح الإيضاح) فيما يقارب ثلاثين مجلداً ، و(المقصد في شرح الإيضاح) في ثلاثة مجلدات ،

---

[1] – انظر معجم الأدباء (٧٣/١٤) .

[2] – انظر الإعجاز في نظم القرآن (ص٤٠) والبداية والنهاية (٢٣٦/١١) ، ومعجم الأدباء (٢٦٨/١٠)، ووفيات الأعيان (٢١٤/٢) .

[3] – انظر معجم المؤلفين (٣٧٣/٣) .

[4] – انظر الإعجاز في نظم القرآن (ص٤٩) ، تهذيب سير أعلام النبلاء (٢٧٩/٢) ، ومعجم الأدباء (٢٦٣/٣) ، ووفيات الأعيان (٤١٤/٤) .

[5] – انظر تهذيب سير أعلام النبلاء (٢٧٣/٢) ومعجم المؤلفين (٦٥٣١/٤٦/٢) .

ودلائل الإعجاز ، وكتاب العروض، وكان شافعي المذهب أشعري الأصـــول[1] توفي سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م.

٨ ــ **محمود بن عمر الزمخشري** صاحب الكشاف : حقّ للزمخشـــري أن يكتب في إعجاز القرآن البلاغي وهو مؤلف كتاب أساس البلاغة ، بل له كتاب خاص في إعجاز سورة الكوثر ، ولد الزمخشـــري ســـنة ٤٦٧هــــ/١٠٧٥م وتوفي سنة ٥٣٨هـ/١١٤٤م، وكان معتزلياً وداعياً لمذهب الاعتزال[2] .

٩ ــ **ابن أبي الإصبع المصري**:هو عبدالعظيم بن عبدالواحد المعروف بابن أبي الإصبع ، وهو أديب وشاعر من آثاره : بدائع القرآن ، وتحرير التحبير في البديع ، والبرهان في إعجاز القرآن[3] ، توفي سنة ٦٥٤هـ/١٢٥٦م.

١٠ ــ **عز الدين بن عبد السلام** : هو عبدالعزيز بن عبدالسلام بـــن أبـــي القاسم ، شيخ الإسلام الدمشقي الشافعي ، كان لايخاف في الله لومة لائم فلمـــا أعطى حاكم دمشق الملك الصالح إسماعيل صفد والشقيف للصليبيين نال منــــه ابن عبدالسلام على المنبر، فعزله، وحبسه، ثم أطلقه، فنزح إلى مصر، فأكرمـه أهل مصر، له كتب منها (الإشارة إلى الإيجاز في بعض أنواع المجاز) تحــدث فيه عن الإعجاز في القرآن الكريم[4] ،توفى سنة ٦٦٠هـ/١٢٦٢م.

وممن تكلم بالإعجاز أيضاً الواسطي المتوفى سنة ٣٠٦هـ/٩١٨م وفخـــر الدين الرازي المتوفى ســـنة ٦٠٦هـــــ/١٢٠٩م والزملكـــاني المتوفـــى ســـنة ٧٢٧هـ/١٣٢٦م ، وغيرهم كثير في التاريخ الإسلامي.

أما في العصر الحديث فقد تكلم في إعجاز القرآن البيـــاني مصطفـــى صـــادق الرافعي[5] في كتاب إعجاز القرآن والبلاغة النبوية والدكتور/ محمد عبـــدالله دراز[6] في كتاب (النبأ العظيم) وسيد قطب في كتابيه (التصوير الفني في القـــرآن) و(فـــي ظلال القرآن) ، وبنت الشاطئ (عائشة عبدالرحمن) في كتابـــها (الإعجـــاز البيـــاني للقرآن الكريم) ، وأستاذي الشيخ سعيد حوّى في كلامه عن الوحدة القرآنية في كتابـــه (الأساس في التفسير)، ومحيي الدين رمضان في كتابه (وجوه من الإعجاز الموسيقي في القرآن) وغيرهم .

---

[1] – الإعجاز في نظم القرآن (ص٥٢) وفوات الوفيات (٣٧٠/٢) .

[2] – انظر كتاب تهذيب سير أعلام النبـــلاء (٥٦٨/٢) ومعجـــم الأدبـــاء (١٢٧/١٩) ومعجـــم المؤلفيـــن (٨٢٢/٣/١٦٦٦٨) ووفيات الأعيان (١٦٨/٥) .

[3] – انظر معجم المؤلفين (١٧٢/٢) .

[4] – انظر الإعجاز في نظم القرآن (ص٧٦) ، فوات الوفيات (٣٥٠/٢) .

[5] – انظر ترجمته (ص١٥٣) .

[6] – انظر ترجمته (ص٢٨) .

المبحث التاسع
المعتزلة وإعجاز القرآن الكريم

بعد إثبات الإعجاز البياني للقرآن الكريم من الذين كتبوا فيه وبعد شهادة الإعجاز بأن القرآن كلام الله بعد كل هذا خرج علينا الكاتب في المجلة توبي لستر بآراء مفادها: (أن المعتزلة لم يكونوا يقرون بإعجاز القرآن ولما ضعف نفوذ مذهبهم أصبح المعتقد الرسمي معتقد الإعجاز أي العجز عن محاكاة القرآن)[1] والحق أن المعتزلة لم يذهبوا إلى عدم القول بإعجاز القرآن بل أكده عامتهم .

لقد أوضحنا أن من الذين كتبوا في إعجاز القرآن من المعتزلة الجاحظ والرماني والقاضي عبدالجبار والزمخشري فقالوا بإعجاز القران البياني وكتبهم شاهدة على ذلك .

لكن شذ عن طريق المعتزلة ولم يقل بإعجاز القرآن الجعد بن درهم وهو مؤدب مروان الحمار آخر خلفاء بني أمية ، قال المدائني عن الجعد: وكان زنديقا[2] ، وكذلك شذ عن طريق المعتزلة عيسى بن صبيح فلم يقل بإعجاز القرآن وانفرد عن أمثاله بهذا الأمر العظيم[3]. ولا يمثل هذان الشخصان فكر المعتزلة وآراءهم في الإعجاز، بل قال أكثرهم بإعجاز القرآن، ولئن عمي هذان الشخصان عن إعجاز القرآن فقد قال به معتزلة آخرون .

١- هذا ما ذهب إليه توبي لستر بمقالته في مجلة اتلاتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤).

٢ - انظر إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي (ص١٢٩) ، تهذيب سير أعلام النبلاء (٢٠٦/١/٨١٨)

٣ - إعجاز القرآن للرافعي (ص١٢٩) والملل والنحل للشهرستاني (٦٨/١-٦٩) .

المبحث العاشر
نهاية المعتزلة السياسية

ذهب الكاتب الأمريكي توبي لستر إلى أن في نهاية القرن العاشر كان نفوذ المذهب الاعتزالي قد ضعف لأسباب سياسية معقدة وأصبح المعتقد الرسمي معتقد الإعجاز ، أي العجز عن محاكاة القرآن[1]

أما الجواب في أن المعتزلة قالوا بإعجاز القرآن فقد بيناه ، وأما أسباب ضعف نفوذ المذهب الاعتزالي فقد كان من أهم أسبابه ما ذكره الحافظ المؤرخ ابن كثير المتوفى في ٧٧٤هـ/١٣٧٣م في كتابه البداية والنهاية إذ يقول : ((وذكر عن محمد المهدي بن الواثق أن شيخاً دخل يوماً على الواثق – الخليفة العباسي المتوفى سنة ٢٣٢هـ/٨٤٦م – فسلم فلم يرد عليه الواثق بل قال : لاسلم الله عليك . فقال : يا أمير المؤمنين بئس ما أدبك معلمك . قال الله تعالى: ((وإذا حييتم بتحية فحيوا بأحسن منها أو ردوها))[2] فلا حييتني بأحسن منها ولا رددتها. فقال ابن أبي دؤاد وكان معتزلياً : يا أمير المؤمنين الرجل متكلم . فقال : ناظرْه . فقال ابن أبي دؤاد : ما تقول يا شيخ في القرآن أمخلوق هو؟ فقال الشيخ : لم تنصفني ، المسألة لي . فقال –أي ابن أبي دؤاد: قل. قال: – أي الشيخ – هذا الذي تقوله علمه رسول الله ﷺ وأبو بكر وعمر وعثمان وعلي أو ما علموه؟ فقال ابن أبي دؤاد: لم يعلموه . قال : فأنت علمت مالم يعلموا؟ فخجل وسكت ثم قال ــ أي ابن أبي دؤاد ــ: أقلني بل علموه ، قال ــ أي الشيخ ــ : فلِمَ لا دعوا الناس إليه كما دعوتهم أنت أما يسعك ما وسعهم؟ فخجل وسكت – أي ابن أبي دؤاد – وأمر الواثق له ــ أي للشيخ ــ بجائزة نحو ٤٠٠ دينار فلم يقبلها . قال المهدي : فدخل أبي المنزل فاستلقى على ظهره وجعل يكرر قول الشيخ على نفسه ويقول : أما وسعك ما وسعهم؟ ثم أطلق الشيخ وأعطاه ٤٠٠دينار ورده إلى بلاده ، وسقط من عينيه

---

[1] – من مقالة توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد ينـاير ١٩٩٩م (ص٥٤).

[2] – الآية ٨٦ من سورة النساء .

ابن أبي دؤاد ، ولم يمتحن بعده أحداً))[1] والحق أن القرآن هو كلام الله تعالى قال ابن الجوزي: ((فقد روي عن أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه خرج إلى قريش بقوله تعالى: ((ألم غلبت الروم ....)) فقالوا هذا من كلام صاحبك قال: ((لا والله ولكنه كلام الله تعالى)) [2] رواه البيهقي بإسناده بلفظ آخر وقال: وهذا إسناد صحيح[3] .

وإنه لمما يعجب منه الإنسان أن بعض المستشرقين يمتدحون المعتزلة بل ويعتبرونهم يمثلون أصحاب الفكر الحر والاتجاه العقلاني المحمود في التفسير[4] ، ونحن نريد أن نقول لهؤلاء الغربيين نحن متمسكون بالقرآن والسنة الصحيحة في صحيحي البخاري ومسلم وغير ذلك التي تبين القرآن ؛ أما أنتم فما دمتم تعتبرون المعتزلة كذلك فلماذا لا تؤمنون بالله ورسوله وبالقرآن على طريقة المعتزلة؟ أم أن المقصود أن تشيروا إلى أقوال المعتزلة والخاصة أو النادرة كما في القول بعدم إعجاز القرآن لاثنين منهم كل ذلك منكم للتشويش على المسلمين فقط؟! .

ومن العجيب أن هذه الأقوال الخاصة والشاذة وأمثالها أدت إلى تفرق المعتزلة إلى أكثر من عشرين فرقة[5] ، بل ومن المحزن أن بعضهم أضاف إلى بعض أفكار المعتزلة عدم الاعتراف بإمامة الخليفة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – بعد رسول الله ﷺ ،وردوا رواية أبي بكر للحديث هو وأمثاله من الصحابة – رضوان الله عليهم- أيضاً[6] علماً أن

---

[1] –البداية والنهاية لابن كثير (١٠/٣٢١) .

[2] – فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لابن الجوزي (ص١٥١) .

[3] – الأسماء والصفات للبيهقي (ص٢٣٩-٢٤٠) .

[4] – قال بهذا المستشرق كولد تسيهر المجري اليهودي انظر كتاب (مذاهب التفسير الإسلامي) الفصل الثالث.

[5] – انظر التفسير والمفسرون للذهبي (١/٣٧١) وانظر الملل والنحل للشهرستاني (١/٤٦-٨٤).

[6] – جاءت روايات أبي بكر الصديق لحديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأمثاله من الصحابة في صحيح البخاري وصحيح مسلم وسنن الترمذي والنسائي وأبي داود وابن ماجه ومسند أحمد وموطأ مالك وغير ذلك من كتب السنة ؛ علماً أن الصحيح أن كل ما في البخاري صحيح وكذلك صحيح مسلم والكتب الأخرى أخضعها العلماء إلى كتب الجرح والتعديل ككتاب تهذيب الكمال للمزي وكتاب تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني وتقريب التهذيب لابن حجر أيضاً، وكتاب الضعفاء للعقيلي والجرح والتعديل للرازي وميزان الاعتدال للذهبي وغير ذلك من كتب الجرح والتعديل بحيث يكون ما يروى عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم وصحابته=

أبا بكر انتخب انتخاباً حراً في سقيفة بني ساعدة ، وخلا هذا من كثير من الديموقراطيات الحديثة وخاصة التي تُدار انتخاباتها بأموال الأغنياء وقوة الأقوياء(١) ، فأنتم أيها المستشرقون لا تفتشون عن الفكر الحر ولا تطلبون الحقيقة .

=خاضعاً لمنهج علمي صحيح أشار إليه حتى بعض الغربيين مثل المسيورينيه – انظر (ص١٢٥) من هذا الكتاب ، فأمتنا الإسلامية هي أمة السند سواء في القرآن أو في السنة .

١ – لم يعين النبي صلى الله عليه وآله وسلم رئيساً للدولة بعده من أقاربه، وترك الأمر لشورى المسلمين ؛ تركه لقول الله تعالى : ((وأمرهم شورى بينهم)) ـــ الآية ٣٨ من سورة الشورى– وفي هذا تقرير لمبدأ تكافؤ الفرص حتى في السياسة في الإسلام، وليس من المعقول أبداً أن يكون المهاجرون والأنصار في سقيفة بني ساعدة يعلمون جميعاً أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد عين أحداً من أقاربه رئيساً وخليفة على المسلمين ثم يخالفون ذلك بالإجماع ؛ بل نراهم قد انتخبوا أبا بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ خليفة بعد وفاة النبيﷺ وقبل دفنه وفي هذا تتضح بعض ملامح الشورى السياسية في الإسلام التي تنطلق من قيود الوراثة إلى تكافؤ الفرص السياسية أمام المسلمين ، فالإسلام يرفض الفكرة الوراثية في الحكم من أول بزوغه على سطح هذه الأرض كدولة ..

لقد كان انتخاب أبي بكر الصديق ـــ رضي الله عنه ـــ خيراً على المسلمين ، فقد رسخ دعائم دولة موحدة كادت تتمزق بعد وفاة النبيﷺ ، وانطلق لحرب مانعي الزكاة ـــ أحد وسائل العدالة الاجتماعية في الإسلام– ، ثم انطلق بعد توحيد العرب على الإسلام لإخضاع أكبر قوتين جاهليتين حاربتا انتشار الإسلام بفكره الحر وهما الفرس والروم، وتابع المسيرة بعد ذلك الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه .. ألم يقر القرآن بنصوصه الخالدة صحبة أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – للرسول صلى الله عليه وآله وسلم وهو في خطر من أشد الأخطار في الغار لما أراد المشركون قتله قال تعالى : ((إلا تنصروه فقد نصره الله إذ أخرجه الذين كفروا ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن الله معنا)) ـــ الآية ٤٠ من سورة التوبة – ولم تنسخ هذه الآية أبداً ، إننا نريد أن نسمع دائماً كلاماً لا يحزن قلوبنا بل يسرها بحق أبي بكر الصديق – رضي الله عنه – وأمثاله من الصحابة – رضي الله عنهم – ، ولا يحزن قلبه أيضاً انسجاماً مع أخلاق القرآن بطلب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم من أبي بكر بنص القرآن : ((لا تحزن إن الله معنا)) – رضي الله تعالى عنه وعن صحابة رسول الله ﷺ أجمعين– اللهم آمين .

المبحث الحادي عشر
الإعجاز بالصرفة مردود

إن النظام من المعتزلة والمرتضى من الشيعة ذهبا إلى أن القرآن معجز لكن بالصرفة ، أي أن الله صرف العرب عن تقليد القرآن ومحاكاته مع قدرتهم على ذلك[1] ، واعتبروا أن ذلك إعجاز والحق أن هذا القول يدل على تهاونهما في التفكير والتمحيص للوصول إلى إعجاز القرآن فأثبتا عجزهما لتهاونهما فقالا بإعجاز الصرفة .

قال تعالى في قرآنه الكريم : ((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لا يأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً))[2] .

وقال تعالى في قرآنه المجيد: ((أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله))[3].

وقال تعالى : ((أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله))[4].

أما كتب إعجاز القرآن على مدى التاريخ الإسلامي فإني لا أستطيع أن أحصيها وهي جميعاً تبين عجز البشرية أن يأتوا بمثل هذا القرآن .

ترى هذا الإعجاز العلمي للقرآن الذي وصلت شهرته إلى آفاق العالم، وقد بينا بعضه في كتابنا إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى، وهذا الإعجاز البياني الذي دفع فطاحل شعراء العرب للإيمان ، وهذا الإعجاز التشريعي الذي دفع مؤتمر باريس عام ١٩٥١ في جامعة باريس في كلية الحقوق ليقرر:

١-أن مبادئ الفقه الإسلامي لها قيمة (حقوقية تشريعية) لا يمارى فيها.

٢-وأن اختلاف المذاهب الفقهية في هذه المجموعة الحقوقية العظمى ينطوي على ثروة من المفاهيم والمعلومات ، ومن الأصول الحقوقية

---

[1] - مباحث في علوم القرآن لمناع القطان (ص٢٦١) .

[2] - الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

[3] - الآيتان ١٣،١٤ من سورة هود .

[4] - الآية ٣٨ من سورة يونس .

هي مناط الإعجاب ، وبها يتمكن الفقه الإسلامي أن يستجيب لجميع مطالب الحياة الحديثة والتوفيق بين حاجاتها))[1].

ترى هذا الإعجاز العالي الفريد ألا يدل على أن محمدا رسول الله صدقاً وحقاً؟[2] فلماذا القول بالصرفة وأنها الدليل على إعجاز القرآن فقط ؟؟

وأخيراً : إن إعجاز القرآن الكريم البياني واضح جلي في فصاحة وبلاغة ونظم وأسلوب القرآن الكريم كما أوضحنا ، ومهما كتب الكاتبون في إعجاز القرآن البياني فسيبقى القرآن يُظهر أوجه إعجاز بيانية أخرى ، وبهذا الفصل عن إعجاز بيان القرآن يسقط كلام توبي لستر إذ حاول أن يسقط المستوى الأدبي السامي للقرآن الكريم[3] ، ولقد رددنا على مفرداته في هذا الأمر وغيره مما يخص لغة القرآن ، في تسعة فصول من الباب الثالث، وأولى بالذين ليس لهم دراية بالبيان باللغة العربية أن ينظروا إلى نواح أخرى في إعجاز القرآن كالإعجاز العلمي والإعجاز في أسماء الله الحسنى والإخبار عن المغيبات والإعجاز التأثيري والتشريعي للقرآن وذلك في الترجمات الجيدة لمعاني القرآن الكريم، فإن هذا القرآن هو رسالة الله جل جلاله للعرب ولغير العرب ، لذلك جاء إعجاز القرآن بأنواع لمن يفهم العربية ولمن لا يفهمها لأن القرآن هو الرحمة المهداة عن طريق محمد صلى الله عليه وسلم إلى العالم بأسره إلى يوم الدين قال تعالى مخاطباً رسوله محمداً صلى الله عليه وسلم: ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين))[4] .

---

[1] – المدخل الفقهي للأستاذ مصطفى الزرقا (ص ، ج ، د ، هـ) .

[2] – أفردنا في هذه السلسلة كتاباً تحت اسم ((الإسلام يملك أرقى التشريعات)) سنصدره إن شاء الله تعالى لندلل على إعجاز التشريع الإسلامي .

[3] – انظر كلامه في مقالته في مجلة اتلانتك مونثلي في عدد يناير ١٩٩٩م الصادرة في واشنطن (ص٥٤).

[4] – الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

الفصل الثالث

الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم

المبحث الأول

تعريف الإعجاز التأثيري

هو وجه من وجوه إعجاز القرآن الكريم . ويتمثل فيما يتركه القــرآن الكريم من أثر ظاهر أو باطن على سامعه أو قارئه، ولا يستطيع هذا الســامع أو القارئ مقاومته ودفعه ،ولا يقتصر ذلك على المؤمنين به[1] بـــل يتعــداه أحياناً لغيرهم .

المبحث الثاني

بيان الإعجاز التأثيري

قال أبو سليمان الخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م في كتابه بيــان إعجاز القرآن : (قلت: في إعجاز القرآن وجه آخر ، ذهب عنه الناس ، فــلا يكاد يعرفه إلا الشاذ من آحادهم ، وذلك صنيعه بالقلوب ، وتأثيره في النفوس، فإنك لا تسمع كلاماً غير القرآن ــ منظوماً ولا منثوراً ــ إذا قــرع الســمع خلص له إلى القلب من اللذة والحلاوة في حال ، ومن الروعة والمهابة فــي أخرى ما يخلص منه إليه ، تستبشر به النفوس ، وتنشرح له الصدور ، حتــى إذا أخذت حظها منه ، عادت إليه مرتاعة قد عراها الوجيب والقلق ، وتغشاها الخوف والفرق ، تقشعر منه الجلود ، وتنزعج له القلوب ، يحول بين النفــس ومضمراتها وعقائدها الراسخة فيها ، فكم من عدو للرسول ﷺ مــن رجــال العرب وفتاكها أقبلوا يريدون اغتياله وقتله ، فسمعوا آيات من القرآن فلم يلبثوا حين وقعت في مسامعهم أن يتحولوا عن رأيـــهم الأول ، وأن يركنــوا إلــى مسالمته ، ويدخلوا في دينه ، وصارت عداوتهم موالاة ،وكفرهم إيماناً !!

---

[1] – انظر مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية في جامعة الكويت في بحث للدكتور محمد عطـــا أحمد يوسف ــ جزاه الله خيراً – تحت عنوان الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم (ص٢٢) .

خرج عمر بن الخطاب ـ رضي الله عنه ـ يريد رسول الله ﷺ ويعمد إلى قتله ـ فسار إلى دار أخته وهي تقرأ ((سورة طه)) ، ثم لما وقع في سمعه لم يلبث أن آمن .

وبعث الملأ من قريش عتبة بن ربيعة إلى رسول الله ﷺ ليوقفوه على أمور أرسلوه بها ، فقرأ عليه رسول الله ﷺ آيات من (حم السجدة) فلما أقبل عتبة وأبصره الملأ من قريش قالوا : أقبل أبو الوليد بغير الوجه الذي ذهب به. ولما قرأ رسول الله ﷺ القرآن في الموسم على النفر الذين حضروه من الأنصار آمنوا ، وعادوا إلى المدينة فأظهروا الدين بها ، فلم يبق بيت من بيوت الأنصار إلا وفيه قرآن))[1] .

المبحث الثالث

أمثلة واقعية للإعجاز التأثيري للقرآن

المطلب الأول : أمثلة الإعجاز التأثيري على مستوى الأفراد :

١ ـ عن ابن عباس رضي الله عنهما: ((أن الوليد بن المغيرة جاء إلى النبي ﷺ فقرأ عليه القرآن ، فكأنه رق له ، فبلغ ذلك أبا جهل ، فأتاه فقال له : يا عم إن قومك يريدون أن يجمعوا لك مالاً ، فإنك أتيت محمداً لتتعرض لما قبله. قال: قد علمت قريش أني من أكثرها مالاً ، قال : فقل فيه قولاً يبلغ قومك أنك منكر له أو إنك كاره له ، قال : وماذا أقول؟ فوالله ما فيكم رجل أعلم بالأشعار مني ولا أعلم برجزه ولا بقصيده مني ولا بأشعار الجن ، والله ما يشبه الذي يقول شيئاً من هذا ، ووالله إن لقوله الذي يقول حلاوة ، وإن عليه لطلاوة ، وإنه لمثمر أعلاه، مغدق أسفله ، وإنه ليعلو وما يعلى ، وإنه ليحطم ما تحته، قال : والله لا يرضى عنك قومك حتى تقول فيه ، قال : فدعني حتى أفكر، فلما فكر قال :هذا سحر يؤثر، يؤثر عن غيره ، فنزلت (ذرني ومن خلقت وحيداً)[2]))[3] .

---

[1] - بيان إعجاز القرآن للخطابي المتوفى سنة ٣٨٨هـ/٩٨٨م – ثلاث رسائل في إعجاز القرآن (ص٧٠-٧١) - .

[2] - الآية ١١ من سورة المدثر .

[3] - أخرجه الحاكم وصححه على شرط البخاري –المستدرك على الصحيحين (٢/٥٥٠) -.

هذه القصة من الواقع القديم تدل على أمرين اثنين الأول : إعجاز القرآن البياني وسموه اللغوي والثاني : تدل على إعجاز القرآن التأثيري في رجل لم يؤمن.

ونريد أن ندلل على هذا التأثير للقرآن في بعض أمثلة العصر الحديث:

٢ ـ قال صاحب الظلال:((ولن أذكر نماذج مما وقع لغيري ، ولكني أذكر حدثاً وقع لي وكان عليه معي شهود ستة ، وذلك منذ حوالي خمسة عشر عاماً ، كنا ستة نفر من المنتسبين إلى الإسلام على ظهر سفينة مصرية تمخر بنا عباب المحيط الأطلسي إلى نيويورك ، من بين عشرين ومائة راكب وراكبة أجانب ليس فيهم مسلم .. وخطر لنا أن نقيم صلاة الجمعة في المحيط على ظهر السفينة! والله يعلم ـ أنه لم يكن بنا أن نقيم الصلاة ذاتها أكثر مما كان بنا حماسة دينية إزاء مبشر كان يزاول عمله على ظهر السفينة ؛ وحاول أن يزاول تبشيره معنا!.. وقد يسر لنا قائد السفينة ـ وكان إنجليزياً ـ أن نقيم صلاتنا ؛ وسمح لبحارة السفينة وطهاتها وخدمها ـ وكلهم نوبيون مسلمون ـ أن يصلي منهم معنا من لايكون في ((الخدمة)) وقت الصلاة! وقد فرحوا بهذا فرحاً شديداً ، إذ كانت المرة الأولى التي تقام فيها صلاة الجمعة على ظهر السفينة .. وقمت بخطبة الجمعة وإمامة الصلاة ؛ والركاب الأجانب ـ معظمهم ـ متحلقون يرقبون صلاتنا!.. وبعد الصلاة جاءنا الكثيرون منهم يهنئوننا على نجاح (القداس)!!! فقد كان هذا أقصى ما يفهمونه من صلاتنا! ولكن سيدة من هذا الحشد ـ عرفنا فيما بعد أنها يوغسلافية مسيحية هاربة من جحيم ((تيتو)) وشيوعيته! ـ كانت شديدة التأثر والانفعال ، تفيض عيناها بالدمع ولا تتمالك مشاعرها . جاءت تشد على أيدينا بحرارة ؛وتقول ـ في إنجليزية ضعيفة أنها لا تملك نفسها من التأثر العميق في صلاتنا هذه وما فيها من خشوع ونظام وروح!.. وليس هذا الموقع الشاهد في هذه القصة ، ولكن كان في قولها : أي لغة هذه التي كان يتحدث بها ((قسيسكم)) فالمسكينة لا تتصور أن يقيم ((الصلاة)) إلا قسيس ـ أو رجل دين ـ كما هو الحال عندها في مسيحية الكنيسية ! وقد صححنا لها هذا الفهم !.. وأجبناها فقالت: إن اللغة التي يُتَحَدّثُ فيها ذات إيقاع موسيقي عجيب ، وإن كنت لم أفهم منها حرفاً.. ثم كانت المفاجأة الحقيقية لنا وهي تقول : ولكن هذا ليس الموضوع الذي أريد أن أسأل عنه .. إن الموضوع الذي لفت حسي ، هو أن (الإمام) كانت ترد في أثناء كلامه ـ بهذه اللغة الموسيقية ـ فقرات من نوع آخر غير

بقية كلامه! نوع أكثر موسيقية وأعمق إيقاعاً .. هذه الفقرات الخاصة كـــانت تحدث فيَّ رعشة وقشعريرة ! إنها شيء آخر! كما لو كان الإمام مملوءاً مـــن الروح القدس! ـــ حسب تعبيرها المستمد من مسيحيتها ـــ وتفكرنا قليلاً . ثـــم أدركنا أنها تعني الآيات القرآنية التي وردت في أثناء خطبة الجمعة وفي أثناء الصلاة! وكانت ـــ مع ذلك ـــ مفاجأة لنا تدعو إلى الدهشة ، من سيدة لا تفـهم مما نقول شيئاً !

وليست هذه قاعدة كما قلت . ولكن وقوع هذه الحادثة ووقوع أمثالـــها مما ذكره لي غير واحد ذو دلالة على أن في هذا القرآن سراً آخـــر تلتقطـه بعض القلوب لمجرد تلاوته))[1] .

هذان المثالان على الإعجاز التأثيري للقرآن على مستوى الأفراد .

المطلب الثاني : الإعجاز التأثيري في الجماعات :

وليس تأثير القرآن خاصاً بفرد ، بل يدخل هدى القرآن فـــي قلـــوب وقلوب يسكب فيها أنواره وأسراره فإذا هو بعد ذلك قد كوّن مجتمعـــاً قرآنيـــاً إسلامياً اجتمعت في أفراده تأثيرات القرآن ، فيسير هذا المجتمع إلى مـــا أراد الله منه في محو الجاهلية وإقرار الإسلام في الأرض ، كان هذا بأمثلة واقعيـة من حياة الشعوب ؛ كان هذا عندما سكب القرآن أنواره في المجتمع العربـــي كله أيام الرسول محمد ﷺ ، فانطلق هذا المجتمع لامتـــثال أوامـــر الله فـــي الأرض ، فكان الأساس لتكوين أكبر دولة موجودة في تاريخ البشرية ...

الفرع الأول : تأثير القرآن بالعرب :

ومما قال الأستاذ مصطفى صادق الرافعي رحمه الله عن تأثير القرآن الجماعي

مدى اندفاع العرب بالإسلام[2] :

ولعمرك إن هذا لعجيب ، وليس أعجب منه إلا أن أول جيل انسل مـــن هؤلاء القوم كان هو الذي تناول مفتاح العالم فأداره في أقفال الأرض[3] وقـــد خرج للغاية التي جاء بها القرآن وكأنه دار معها في الأصلاب دهراً طويـــلاً

---

[1] – في ظلال القرآن (٣/١٧٨٦) .

[2] – العنوانين تحليلية إضافية منا ، ليسهل فهم الكلام على القارئ مما أكرمنا به مصطفى صادق الرافعي رحمه الله تعالى .

[3] – كناية عن الممالك التي افتتحوها ، وقد بلغوا في ثمانين سنة ما لم يبلغه شعب مـــن شـــعوب العالم في ثمانمائة سنة .

حتى أحكمته الوراثة الزمنية ، وردت عليه من الطباع مالا يتهيأ إلا في سلالة بعد سلالة ، وجيل بعد جيل ، من قوم قد مروا منذ أولهم في أدوار الارتقاء على سنن واضح وطريق ونهج لم ينتض لهم في أثناء ذلك طبع من طباع الاجتماع ، ولا رذلت شيمة ، ولا التوت طريقة ، ولا سقطت مروءة ، ولا ضل عقل ، ولا غوت نفس ولا عرض لهم بغي ، ولا أفسدتهم عادة .. وأين هذا كله أو بعضه من قوم كانوا بالأمس عاكفين على الأوثان فأكل بعضهم بعضاً ، ولهم العادات المرذولة ، والعقائد السخيفة ، والطباع الممزوجة ، إلى غيرها مما يحمل عليه الإفراط فيما زعموه فضيلة كحمية الأنف ، واستقلال النفس ، ومما كان من عكس ذلك؛ كالتسليم للعادة والانقياد لطبيعة التاريخ ، والمضي على ما وجدوا ، ثم الموت على ما ولدوا؟

استهوت النفس العربية فصاحة القرآن :

ولولا أن القرآن الكريم قد ملك سر هذه الفصاحة وجاءهم منها بما لا قبل لهم برده ، ولا حيلة لهم معه ، مما يشبه على التمام أساليب الاستهواء في علم النفس ، فاستبد بإرادتهم ، وغلب على طباعهم ، وحال بينهم وبين ما نزعوا إليه من خلافة ، حتى انعقدت قلوبهم عليه وهم يجهدون في نقضها واستقاموا لدعوته وهم يبالغون في رفضها.. فكانوا يفرون منه في كل وجه ثم لا ينتهون إلا إليه، إذ يرونه أخذ عليهم بفصاحته وإحكام أساليبه جهات النفس العربية ....

القرآن ومقومات الأمة السامية :

وقد أومأنا في بعض ما سلف إلى أن هذا القرآن يكبر أن يكون حياً بروح عصره الذي أنزل فيه ، فلا يستطيع من لا يقول بإعجازه أن يقصره على زمن الجاهلية أو يتعلل في ذلك، وهو بعد من الإحكام والسمو وشرف الغاية وحسن المطابقة بحيث تتعرف منه روح كل أمة قد فرعت الأمم[1]، واستولت على الأمد التاريخي ، ونالت ما لا ينال إلا مع بسطة في العلم، وزيادة في المعرفة بوجوه العمل ، وفضل من القوة ، ومع كمال المنزلة في كل ذلك وأشباهه من مقومات الأمة . فذلك ما علمت ......

---

[1] – أي علت الأمم بالشرف ـــ انظر معجم تاج العروس مادة (فرع) .

صراحة القرآن مع العرب:

ثم هو على هذا كله من أمره وأمرهم لا يتأتى إليهم بالتمويه، ولايداخلهم بالنفاق ولا يتألفهم على باطلهم ، ولا ينزل في العقيدة على حكمهم، ولا يداهن في خطابهم، ولا يرفق بهم فيما يتخيلون وما يعبدون ، ولا يحكم ذلك الأمر من ناحية الدهاء والمخاتلة ، فيقرهم على طباعهم وعاداتهم، ويستدرجهم من حيث لا يعلمون ، ويمد لهم في الغي مدا من أمر ما أعجبهم ومن شأن ما استخفهم كما يصنع دهاة السياسة وقادة الأمم، وكما صنع داهية أوربا نابليون؛ الذي انتحل الكثلكة في حرب الفنديين، وأسلم في مصر [1]، وجهر بعصمة البابا في حرب إيطاليا؛ وقال مع ذلك: لو كنت أحكم شعبا يهوديا لأعدت هيكل سليمان!

استجاب العرب للقرآن مع بعدهم عنه :

ثم يكون مع هذا كله من فعله وفعلهم أن يثوب إليه الأمر ويستوسق على ما أراد ، وأن تعطيه تلك الأمة عن يد وهي صاغرة للحق وتبذل نصرها له بعد التخذيل عنه ، وتسكن إليه بعواطفها المستنفرة وتعطف عليه بقلوبها الجامحة ، وهو الراغب عن سننهم، والمسفه لأحلامهم، والطاعن عليهم وعلى آبائهم ، والمفارق لشرائعهم وعاداتهم، وهو الذي خرج من الأمة أولا، ثم أخرج الأمة كلها من نفسها آخرا كما اتفق للنبيﷺ.

ما عهدنا ذلك، ولا عهدنا أن الأمم تخرج من طبائعها النفسية وتستقيم لمن يلتوي لها مثل هذا الالتواء ، وتدخل في أمر، وتثبت على طاعته ومحبته وهو أضعف ناصرا وأقل عددا؛ إلا أن يغلبها على أنفسها، ويمتلك خيالها ، ويستبد بتصورها؛ كيف له أن يغلب على النفس بتنفيرها، ويمتلك الخيال بالعنف عليه، ويستبد بالتصور وهو يسترذله؛ ومن أين له ذلك إلا أن يأتي الفطرة التي هي أساس هذه كلها، فيملكها ثم يصوغها ثم يصرفها فإن الذي لا يدفع الطبع لا يدفع الرغبة، ومن لم يقد الأمة من رغائبها لم يقد في زمامه غير نفسه، وإن كان بعد ذلك من كان، وإن جهد وإن بالغ![2]

---

[1] – أسلم ظاهراً ولم يسلم حقيقة .

[2] – كلام الأستاذ مصطفى صادق الرافعي باختصار من كتابه إعجاز القرآن والبلاغة النبوية (ص١٣٦-١٤٢) .

الفرع الثاني : تأثير القرآن هو عامل توحد للانطلاق :

فالعرب بعد تأثرهم بالقرآن توحدوا بقيادة محمد ﷺ ثم انطلقوا ليبنوا أكبر دولة في تاريخ العالم ، يسودها العدل والرحمة والمساواة .

إن التأثير الجماعي للقرآن ليس على مستوى واحد في الجماعات والشعوب ومع ذلك كان تأثير القرآن في هذه الشعوب يدفعها للتوحد ثم يدفعها لامتثال أوامر الله جل جلاله .

فالمماليك غير العرب والعرب بقيادة الملك المظفر قطز هزموا أكبر قوة جاهلية جهلاء في عصرهم وهم التتار في معركة عين جالوت ، والأكراد والعرب توحدوا ثم هزموا أكبر قوة جاهلية جهلاء في عصرهم وهم الصليبيون في معركة حطين بقيادة صلاح الدين الأيوبي الكردي ، وقاد طارق بن زياد البربري حملة أول فتح إسلامي في أوربا فيبدأ بفتح الأندلس ، وذلك بعد أن توحد العرب والبربر تحت راية القرآن ، والأتراك الذين توحدوا وفتحوا مدينة القسطنطينية بقيادة محمد الفاتح ، ما كانت هذه الأقوام لتفعل هذا جميعاً لولا تأثير القرآن في النفوس ذلك التأثير الجماعي الذي دفعهم ليتوحدوا، ثم ليقدموا دماءهم وأرواحهم في سبيل الله جل جلاله ، ولئن ضربنا أمثلة من العصور الماضية فإن العصور الحالية تشهد نماذج جماعية طيبة في بعض بلدان العالم الإسلامي بصبر ومصابرة في سبيل الله العزيز ، ومع إصرار هذه النماذج أن تكون مصدراً للنور في العالم أصاب أهلها ظلم الظالمين في الجاهليات الحديثة ، ومع ذلك ثبتت وماذلك إلا لتأثر كل أنواع هذه النماذج بالقرآن الكريم ، وما ينقص هذه النماذج إلا مزيد من التوحد ليعظم انطلاقها .

الفرع الثالث : اعترافات بتأثير القرآن :

وقد اعترف غير المسلمين الذين لا يؤمنون بأن القرآن كلام الله بتأثير القرآن الجماعي بل والعالمي يقول توبي لستر الأمريكي : ((إن القرآن على أية حال يعد حالياً أعظم كتاب في العالم في تأثيره الإيديولوجي))[1] ولعظم تأثير القرآن اعترف مايكل إتش هيرت الأمريكي[2] بأن المؤمنين بالله وكتابه ورسوله استطاعوا أن يقيموا دولة واسعة تمتد من حدود الهند حتى المحيط

---

[1] – مجلة اتلانتك مونثلي عدد يناير ١٩٩٩ (ص٤٤) .

[2] – انظر ترجمته (ص٢١٣) من هذا الكتاب .

الأطلسي ، وهي أعظم دولة أقيمت في التاريخ حتى اليوم وفي كل مرة تكتسح هذه القوات بلداً فإنها تنشر الإسلام بين الناس[1] ، أما الكاتب الدكتور / مراد هوفمان الألماني فقد بين أن سبب معرفته بالإسلام أولاً كان بالجزائر في ٢٨/مايو/١٩٦٢م حين رأى صمود وصلابة المجاهدين الجزائريين ، ولم يفهم من أين يأتيهم هذا الدعم الخفي حتى قرأ القرآن ، وأخيراً أسلم مراد هوفمان السفير الألماني في الرباط[2] .

إن من معاني الإعجاز عدم الإدراك واللحوق كما جاء في تاج العروس[3] لذلك فسَبْقُ القرآن في تأثيره الأشد وعدم إدارك ولحوق المبادئ الأخرى به في سعة التأثير العالمي في أكبر دولة في العالم كل ذلك دليل على إعجاز القرآن التأثيري، مع أن أعداء القرآن يبذلون كل جهدهم في محاربة تأثير القرآن الفردي والجماعي بل والعالمي .

الفرع الرابع : من أسباب الإعجاز التأثيري بالقرآن :

إن الإعجاز التأثيري للقرآن الكريم لا يتكون في نفس المسلم أو نفوس الأمة المسلمة من نوع واحد من الإعجاز ، بل هو نتيجة للتأثر بأنواع إعجاز القرآن الكريم سواء أكان في الإعجاز البياني أم الإعجاز التشويعي أم الإعجاز في الإخبار عن المغيبات أو الإعجاز في أسماء الله الحسنى أو الإعجاز العلمي أو إعجاز التغني في القرآن ... ثم باستجابة الفطرة البشرية لمن فطرها في ندائه لها بالقرآن، وواجب الدعاة إلى الله الكشف عن وجوه الإعجاز هذه مما كتب الأولون والمحدثون ليكون تأثير إعجاز القرآن العالمي أشمل وأقوى.

ولئن أكثر الأولون من كتبهم في إعجاز القرآن ، فإن الكتب المعاصرة في إعجاز القرآن الكريم وأنواعه لا تكاد تحصى وهذا لأن القرآن لا تنتهي عجائبه.

---

١ – انظر كتاب الخالدون المائة (ص١٦) .

٢ – انظر ترجمته في غلاف كتابه (الإسلام كبديل) الطبعة الأولى والنقل أوسع للترجمة في الصفحة (٢٤٢) من هذا الكتاب .

٣ – انظر مادة عجز في معجم تاج العروس .

الباب الثالث
ردود على شبهات حول ربانية القرآن وإعجازه

لقد أوضحنا في ما سبق في هذه السلسلة أنواعاً من إعجاز القرآن الكريم وهي :

١-إعجاز القرآن في أسماء الله الحسنى (العقيدة الإلهية في القرآن).
٢-إعجاز القرآن العلمي .
٣-إعجاز القرآن في إخباره عن المغيبات (الإعجاز التاريخي) وأهمها إخباره عن حفظه .
٤-إعجاز القرآن البياني .
٥-إعجاز القرآن التأثيري .

ومع كل ما أوضحه الكتّاب المسلمون في هذا فقد أثار بعض المستشرقين شبهات حول بعض أنواع إعجاز القرآن الكريم.

ومع أن إعجاز القرآن البياني أصبح حقيقة واقعة فيما كتبه المسلمون ومع إسلام الشعراء الجاهليين الذين آمنوا بالقرآن ومع تحدي القرآن الدائم أن يأتوا بمثله مع كل ذلك حاول بعض المستشرقين[١] أن ينقص من قيمة القرآن من الناحية البيانية واللغوية وهذا إنكار لإعجاز القرآن البياني وسموه اللغوي.

ومن ذلك ما ادعاه الكاتب توبي لستر في تناقضات القرآن اللغوية في موضوع الالتفات فقال عن القرآن : ((.. ومن اليسير العثور على تناقضاته الظاهرة: فالله قد يشار إليه بصيغة الشخص الأول المتكلم والشخص الثالث الغائب في الجملة الواحدة))[٢] .

وهذا الادعاء يدفعنا إلى الرد عليه وعلى غيره بالفصل الآتي :

---

[١] – ستأتي أسماء المستشرقين الذين حاولوا أن ينقدوا القرآن لغوياً أوأدبياً في الفصول الآتية.

[٢] – هذا كلام توبي لستر الأمريكي في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد ينـاير ١٩٩٩م (ص٥٤) .

الفصل الأول
الالتفات في القرآن

للعرب قبل الإسلام وبعده أساليبهم في علم البيان ومن ذلك الالتفات ، فلكل لغة أساليب بيانها كما في قوله تعالى : ((الحمد لله رب العالمين* الرحمن الرحيم* مالك يوم الدين)) جاء بصيغة الغيبة عن الله عز وجل ثم جاء بعد ذلك قوله تعالى ((إياك نعبد وإياك نستعين)) جاء التوجه إلى الله تعالى بالخطاب . فانتقل الكلام من صيغة الغيبة إلى صيغة الخطاب. ولقد بحث علماؤنا الأقدمون هذا الأمر وردوا على أي تساؤل حوله فقد قال الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٤م في هذه الآيات في كشافه : (((فإن قلت) لم عدلَ عن لفظ الغيبة إلى لفظ الخطاب (قلت) هذا يسمى الالتفات في علم البيان قد يكون من الغيبة إلى الخطاب ومن الخطاب إلى الغيبة ومن الغيبة إلى المتكلم كقوله تعالى ((حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم))[١] وقوله تعالى ((والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه))[٢] وقد التفت امرؤ القيس[٣] ـ الشاعر الجاهلي الذي مات قبل الإسلام ـ ثلاث التفاتات في ثلاثة أبيات :

تطاول ليلك بالإثمدِ ونام الخلي ولم ترقدِ
وبات وباتت له ليلة كليلة ذي العائر الأرمد
وذلك من نبأ جاءني وخبرته عن أبي الأسود[٤]

---

١ – الآية ٢٢ من سورة يونس .

٢ – الآية ٩ من سورة فاطر .

٣ – هو امرؤ القيس بن حجر بن الحارث الكندي ، من الطبقة الأولى من شعراء العرب في الجاهلية ، وكان علماء البصرة يقدمونه على كل الشعراء ، وهو من أهل نجد لكنه يماني الأصل وكان أبوه ملك أسد وغطفان ، وخاله المهلهل الشاعر لقنه الشعر ، فقاله وهو غلام ، وجعل يشبب، ويلهو ، ويعاشر صعاليك العرب ، قتل أبوه فأراد أن يثأر له فلم يستطع ، فاستنجد بقيصر الروم فوعده ومطله ثم أرسل له حلة منسوجة بالذهب مسمومة مات بها في أنقرة في تركيا . الأعلام للزركلي (١١/٢) والشعر والشعراء (ص٣٧) وطبقات فحول الشعراء (٥١/١-٥٢) .

٤ – نكتة الالتفات في أبيات امرؤ القيس :
الخطاب تجريد لأن نفسه كان حقها أن تصبر وتثبت في المصائب فعل أمثالها من الملوك ، فحين لم تفعل جردها وخاطبها تأنيباً ، وحين رأى التحزن تحزن صدق جعله كالغائب فلما حقق أن=

وذلك على عادة افتنانهم في الكلام وتصرفهم فيه ، ولأن الكلام إذا نقل من أسلوب إلى أسلوب كان ذلك أحسن تطرية لنشاط السامع وإيقاظاً للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد ، وقد تختص مواقعه بفوائد ومما اختص به هذا الموضع أنه لما ذكر الحقيق بالحمد وأجرى عليه تلك الصفات العظام تعلق العلم بمعلوم عظيم الشأن حقيق بالثناء وغاية الخضوع والاستعانة في المهمات فخوطب ذلك المعلوم المتميز بتلك الصفات فقيل إياك يا من هذه صفاته نخص بالعبادة والاستعانة لا نعبد غيرك ولا نستعينه ليكون الخطاب أدل على أن العبادة له لذلك التميز الذي لا تحق العبادة إلا به))[1] .

أما أبو حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م ــ رحمه الله تعالى ــ فعند تفسير هذه الآيات من سورة الفاتحة في تفسيره البحر المحيط قال : ((والانتقال من فنون البلاغة ، وهو الانتقال من الغيبة للخطاب أو التكلم ، ومن الخطاب للغيبة أو التكلم ، ومن التكلم للغيبة أو الخطاب[2]. والغيبة تكون بالظاهر ، وتارة بالمضمر وشرطه أن يكون المدلول واحداً. ألا ترى أن المخاطب بإياك هو الله تعالى؟))[3] .

ونقول للكاتب توبي لستر ومن سار على دربهم من المستشرقين بعد ذلك : الالتفات نبه إليه علماء العربية وأقروا أنه من بلاغة اللغة العربية للأمور الآتية:

١-تطرية لنشاط السامع .

٢-إيقاظ لإصغاء السامع إلى القرآن بعدم إجرائه على أسلوب واحد، فإذا تجدد الكلام إلى أسلوب آخر كان أدعى للإصغاء .

٣-إظهار الملكة في الكلام والاقتدار على التصرف فيه .

=الحزن مخصوص به لا يتعداه بنى على الظاهر ــ انظر التبيان في علم المعاني والبديع والبيان ــ لشرف الدين حسن الطيبي (ص٢٨٧) والأبيات بنسبة لامرئ القيس في البرهان الكاشف عن إعجاز القرآن للزملكاني ــ (ص٣١٤) وفي التبيان في علم المعاني والبديع والبيان للطيبي (ص٢٨٧) وفي شرح شواهد المغني لجلال الدين السيوطي (٢/٧٣١-٧٣٢).

[1] - الكشاف للزمخشري (١/٦٢-٦٣-٦٤) طبعة مصطفى البابي الحلبي ــ القاهرة .

[2] - انظر الالتفات في كتاب حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمد الدمنهوري (ص٧٤) .

[3] - البحر المحيط (١/٤٢) .

٤-إظهار فائدة في كل موضع فيه التفات وهذه الفائدة خاصة بالإضافة إلى الفوائد العامة[١] .

أما شروط الالتفات فهي :

١-أن يكون الضمير في المنتقل إليه عائداً في نفس الأمر إلى (الملتفت) إلى المنتقل عنه ، ولا يلزم عليه أن يكون في أنت صديقي التفات.

٢-أن يكون في جملتين[٢].

ومن العجيب أن الكاتب توبي لستر[٣] ومن سبقه من المستشرقين[٤] أشاروا إلى الالتفات في جملة واحدة ، وهذا مستحيل في أن تعود الضمائر على معين بصيغ المتكلم والمخاطب والغائب في الجملة الواحدة وإلا فهاتوا برهانكم بأمثلة من القرآن الكريم ، فالحق إنما يكون الالتفات في القرآن في جمل يتنوع في كل منها العود على المُعَيَّن الواحد في صيغ المتكلم أو المخاطب أو الغائب ، كل صيغة في جملة منفصلة.

ونحب أن نجيب بأن لكل لغة أساليبها في البيان ومن ذلك الالتفات في اللغة العربية لكن في أكثر من جملة .

ونحب أن نجيب أيضاً بأن جهل الإنسان بأساليب لغة من اللغات لا يعتبر حجة على علماء اللغة وأساليبها وإلا فمتى كان الجهل حجة ودليلاً؟

ونحب أن نجيب أخيراً بأن اللغة العربية لها خصائصها ومميزاتها منذ أكثر من (١٤) قرناً من الزمن ، وإذا كانت بعض هذه الخصائص والمميزات السامية غير موجودة في لغة من اللغات فهذا قصور في تلك اللغة لا قصور في اللغة البياني وبلاغتها ، ومن ثم يبقى القرآن بإعجازه البياني العالي وسلامته اللغوية وحتى مع الالتفات الذي هو أسلوب عال من أساليب العرب في لغتهم .

---

١ – انظر البحر المحيط لأبي حيان (٤٢/١) وحلية اللب المصون (ص٧٥) والكشاف (٦٤/١).

٢ – انظر معترك الأقران في إعجاز القرآن للسيوطي (٣٧٧/١) وما بعدها ، وإعجاز القرآن للباقلاني (ص٩٩) وما بعدها .

٣ – انظر مجلة انتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤) .

٤ – ذهب سابقاً إلى الاعتراض على موضوع الالتفات في القرآن من المستشرقين (جرجيس سال) انظر كتابه أسرار عن القرآن (ص٧٥) .

الفصل الثاني

حالة القرآن الأدبية لا تدل على أنه من قول البشر

يقول الكاتب في المجلة : ((حصل الانتقاد عندما ازداد المسلمون اتصالاً بالنصارى خلال القرن الثامن فصاحب حروب الفتوحات هجوم على الأفكار الدينية ، إذ تشبث النصارى وغيرهم بحالة القرآن الأدبية المشوشة وعدوا ذلك دليلاً على كونه من قول البشر . إذ العلماء المسلمون أنفسهم كانوا يصنفون مظاهر المشكلة في القرآن بحساسية شديدة ، المفردات الغريبة ، الحذف الظاهري في النص ، التراكيب النحوية الشاذة ، القراءات القرآنية الشاذة وغير ذلك))[1] .

ونحن أمام هذه الأقوال التي تدعي أن القرآن ليس على لغة العرب ومعجزاً لكونه بحالة أدبية مشوشة لابد لنا لخطورة المقال هذا أن نقسم الرد إلى عدة أقسام:

أ- الرد على ادعاء تشبث النصارى وغيرهم .. وذلك بإثبات إيمان كثير من النصارى بالقرآن بأنه كتاب الله .

ب- الكلام في ادعائه أن في القرآن مفردات غريبة .

ج- الرد على ادعاء الحذف الظاهري في القرآن .

د- الرد على ادعاء وجود تراكيب نحوية شاذة في القرآن .

ه- أما القراءة الشاذة فقد تكلمنا عنها في بحث معجزة حفظ القرآن صفحة(٤٣-٤٨) .

قبل الدخول في الرد لابد لنا أن نبين أن الكاتب أهم ما حاوله في هذا هو الخلوص إلى إسقاط فكرة إعجاز القرآن البياني وسموه اللغوي .

---

[1] - كاتب هذا هو توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤).

المبحث الأول

الرد على ادعاء تشبث النصارى وغيرهم بحالة القرآن الأدبية المشوشة

المطلب الأول : دعا محمد ﷺ النصارى إلى الإسلام

لم يتشبث كل النصارى في البلاد التي فتحها المسلمون بدينهم بل أسلم أكثرهم وآمنوا بأن القرآن كتاب الله جل جلاله .

وقبل الدخول في الرد لابد أن نبين أن محمداً رسول الله ﷺ بعث برسائل إلى الملوك والرؤساء يدعوهم بها إلى الإسلام، فقد أرسل رسالة إلى كسرى ملك الفرس المجوسي ورسالة إلى هرقل قيصر الروم النصراني ورسالة إلى مقوقس مصر النصراني وغير ذلك من الملوك والرؤساء .

رسالة محمد ﷺ إلى هرقل ملك الروم وموقفه منها :

كان هرقل ملك الروم على علم أكيد بأن محمداً رسول الله بتحقيقه ، وقد أرسل له النبي ﷺ برسالة يدعوه بها إلى الإسلام : قال الإمام البخاري:

حدثنا أبو اليمان الحكم بن نافع قال : أخبرنا شعيب عن الزهري قال: أخبرني عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود أن عبدالله بن عباس أخبره أن أبا سفيان بن حرب أخبره أن هرقل أرسل إليه في ركب من قريش، وكانوا تجاراً بالشام في المدة التي كان رسول الله ﷺ مادَّ فيها[1] أبا سفيان وكفار قريش ، فأتوه وهم بإيلياء[2] ، فدعاهم في مجلسه وحوله عظماء الروم، ثم دعاهم ودعا بترجمانه فقال : أيكم أقرب نسباً بهذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟

فقال أبو سفيان : فقلت أنا أقربهم نسباً . فقال : أدنوه مني ، وقربوا أصحابه فاجعلوهم عند ظهره . ثم قال لترجمانه : قل لهم إني سائل هذا الرجل ، فإن كذبني فكذبوه . فوالله لولا الحياء من أن يأثروا علي كذباً لكذبت عنه. ثم كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم؟ قلت : هو فينا ذو نسب. قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله؟ قلت : لا . قال: فهل كان

---

[1] – قوله : (ماد فيها) : المدة : أي مدة الصلح بالحديبية وكانت في سنة ست ومدتها ١٠ سنوات.

[2] – إيلياء : بيت الله وهي بيت المقدس .

من آبائه من ملك؟ قلت : لا .قال : فأشراف الناس يتبعونـــه أم ضعفـــاؤهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم . قال : أيزيدون أم ينقصون؟ قلت : بل يزيدون . قـــال: فهل يرتد أحد منهم سَخْطَة لدينه بعد أن يدخل فيه؟ قلت: لا . قال : فهل كنتـم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت : لا . قال : فهل يَغْدر؟ قلـــت : لا ونحن منه في مدة لا ندري ما هو فاعل فيها. قال : ولم تمكني كلمـــة أدخـــل فيها شيئاً غير هذه الكلمة . قال : فهل قاتلتموه؟ قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه؟ قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ينال منا وننال منه. قال : مـــــاذا يأمركم؟ قلت : يقول اعبدوا الله وحده ولاتشركوا به شيئاً ، واتركوا ما يقـــول آباؤكم. ويأمرنا بالصلاة والصدق والعفاف والصلة. فقال للترجمان: قـــل لـــه سألتك عن نسبه فذكرت أنه فيكم ذو نسب، فكذلك الرسل تبعـــث فـــي نســـب قومها. وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كـــان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله. وسألتك هل كان مـــن آبائه من ملك؟ فذكرت أن لا ، قلت فلو كان من آبائه من ملك قلـــــت رجـــل يطلب ملك ابيه. وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقـــول مـــا قـــال؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنه لم يكن ليذر الكذب على الناس ويكذب علـــــى الله. وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤهم؟ فذكرت أن ضعفاءهم اتبعـــوه، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون؟ فذكرت أنـــــهم يزيـــدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتم. وسألتك أيرتد أحد سَخْطَة لدينه بعـــد أن يدخـــل فيه، فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب . وسألتك هـــل يغدر؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر . وسألتك بما يأمركم؟ فذكـــرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئاً وينهاكم عـــن عبـــادة الأوثـــان ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف ، فإن كان ما تقول حقاً فسيملك موضـــــع قدمي هاتين . وقد كنت أعلم أنه خارج لم أكن أظن أنه منكم ، فلو أني أعلـــم أني أخلص إليه لتجشمت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه .

ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ الذي بعث به دِحْيَةُ إلى عظيم بصـــرى ، فدفعه إلى هرقل ، فقرأه ، فإذا فيه :

بسم الله الرحمن الرحيم

من محمد عبدالله ورسوله إلى هرقل عظيم الروم .

سلامٌ على من اتبع الهدى ، أما بعد فإني أدعوك بدعاية الإسلام ، أسْلِمْ تسلمْ يؤتك الله أجرك مرتين . فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيّين[1] و((يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم أن لا نعبد إلا الله ولا نشركَ به شيئاً ولا يتخذَ بعضنا بعضاً أرباباً من دون الله ، فإن تولوا فقولوا اشهدوا بأنا مسلمون))[2] .

قال أبو سفيان : فلما قال ما قال ، وفرغ من قراءة الكتاب ، كثر عنده الصخب ، وارتفعت الأصوات ، وأخْرِجْنَا . فقلت لأصحابي حين أخرجنا: لقد أمر[3] أمر ابن أبي كبشة[4] ، إنه يخافه ملك بني الأصفر . فمازلت موقنا أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام .

وكان ابن الناطور ــ صاحب إيلياء وهرقل ــ أسقف على نصارى الشام يحدث أن هرقل حين قدم إيلياء أصبح خبيث النفس، فقال بعض بطارقته: قد استنكرنا هيئتك. قال ابن الناطور : وكان هرقل حزاء ينظر في النجوم ، فقال لهم حين سألوه : إني رأيت الليلة حين نظرت في النجوم ملك الختان قد ظهر ، فمن يختتن من هذه الأمة؟ قالوا : ليس يختتن إلا اليهود، فلا

---

[1] – الأريسيين : جمع أريسي وهو منسوب إلى أريس . قال ابن سيدة : الأريس : الأكار أي الفلاح عند ثعلب . وقال الجوهري : هي لغة شامية، وأنكر ابن فارس أن تكون عربية. وقال الخطابي : أراد أن عليك إثم الضعفاء والأتباع إذا لم يسلموا تقليداً له لأن الأصاغر أتباع الأكابر. انتهى من فتح الباري باختصار (٥١/١) .

ولنا (الأريسيين) هم أتباع القديس آريس الذي قال بإنسانية المسيح ، وبأنه ليس أكثر من إنسان نقل رسالة ربه ، وآريوس كان راعياً لإحدى كنائس الإسكندرية سنة ٣٢٣م ، طرد وحرم كنسياً لقناعاته هذه ، وطورد أتباعه واضطهدوا واعتبروا هراطقة .

والرسول ﷺ عندما يحمّل القيصر إثم الأريسيّين أي إثم قتلهم والقضاء عليهم إذ أصر على اتباع القائلين بالثالوث الذين اضطهدوا الأريسيين وقتلوهم ، وتحميله بالتالي إثم أتباعه ورعيته إذا لم يسلموا تقليداً له ــ انظر التعليق على طبعة دار الفكر لصحيح البخاري (٧/١) وانظر الإسلام كبديل (ص٢٢) وانظر الملل والنحل للشهرستاني (٢٢٧/١) .

[2] – الآية ٦ من سورة آل عمران .

[3] –أمر : أي عظم .

[4] – وابن أبي كبشة : أراد به النبي ﷺ نسبة إلى أحد أجداده ، أو نسبة إلى رجل من خزاعة خالف قريشاً في عبادة الأوثان .

يهمنك شأنهم ، واكتب إلى مدائن ملكك فيقتلوا من فيهم من اليهود. فبينما هم على أمرهم أُتِيَ هرقل برجل أرسل به ملك غسان يخبر عن خبر رسول اللهﷺ . فلما استخبره هرقل قال : اذهبوا فانظروا أمختتن هو أم لا؟ فنظروا إليه ، فحدثوه أنه مختتن، وسأله عن العرب فقال : هم يختتون : فقال هرقل : هذا ملك هذه الأمة قد ظهر . ثم كتب هرقل إلى صاحب له برومية ، وكان نظيره في العلم. وسار هرقل إلى حمص، فلم يَرِم حمص حتى أتاه كتاب من صاحبه يوافق رأى هرقل على خروج النبي ﷺ وأنه نبي . فأذن هرقل لعظماء الروم في دسكرة له بحمص ، ثم أمر بأبوابها فغلقت ، ثم اطلع فقال : يا معشر الروم ، هل لكم في الفلاح والرشد وأن يثبت ملككم فتبايعوا هذا النبي؟ فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب فوجدوها قد غلقت ، فلما رأى هرقل نفرتهم وأيس من الإيمان قال : ردوهم علي . وقال : إني قلت مقالتي آنفاً أختبر بها شدتكم على دينكم ، فقد رأيت . فسجدوا له ورضوا عنه، فكان ذلك آخر شأن هرقل. رواه صالح بن كيسان ويونس ومَعْمَرْ عن الزهري[1] .

وبهذا ثبت أن هرقل بعد علمه بل وتيقنه من صدق محمد ﷺ في أنه رسول الله برسالة الإسلام آثر المُلك على دخوله الإسلام ؛ بل قاتل المسلمين في غزوة مؤتة ، فقد خرج جيش الروم بمائة ألف ومعه جيش بني غسان بمائة ألف وقاتل الجيشان جيش رسول الله ﷺ في مؤتة وصحابة النبي ثلاثة آلاف مقاتل عند ذاك .

وسبب هذه المعركة هو قتل سفير رسول الله ﷺ وهو الحارث بن عمير الأزدي ، على يد شرحبيل بن عمرو الغساني حينما كان السفير يحمل رسالة النبي ﷺ إلى عظيم بصرى ، وكان أن النبي ﷺ أرسل بعد ذلك سرية زيد ابن حارثة التي اصطدمت بالرومان ومن والاهم اصطداماً عنيفاً في مؤتة.[2] ثم كان أن رأى قيصر الروم أن القضاء على قوة المسلمين واجب قبل أن تتجسد في صورة خطر عظيم لا يمكن القضاء عليه ، فكان لذلك

---

[1] - الحديث في صحيح البخاري (٦/١/ رقم ٧) .
ورواه الإمام مسلم في صحيحه (١٣٩٣/٣/رقم ١٧٧٣) مختصراً وذكره ابن كثير في تاريخه البداية والنهاية (٢٦٢/٤-٢٦٦) .
[2] - الرحيق المختوم (ص٣٥٥) .

إرساله لجيشه الذي انسحب أخيراً فلم يقاتل النبي محمداً ﷺ وصحابته في غزوة تبوك[1].

كانت العقبات تصطنع أمام طريق الدعوة إلى الله تعالى ومنعها من التبليغ الروم وأنصارهم حتى برسالة سفير النبي ﷺ .. فكان القتال فقد اكتمل فتح الشام في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وكذلك العراق ومصر، ولكن لنرَ هل ثبت النصارى في العراق وفي الشام ومصر على نصرانيتهم ؟ وهل دخلوا الإسلام مختارين أم مكرهين؟

المطلب الثاني: أدباء نصارى أسلموا مما يثبت إعجاز القرآن في حالته الأدبية :

لم يكره المسلمون أهل البلاد المفتوحة على الإسلام أبداً ومن ذلك الأدباء ، فالأخطل الشاعر النصراني المشهور أبو مالك غياث بن غوث من بني ثعلب الذي كان يشبه بأحد شعراء الجاهلية وهو النابغة الذبياني ـ وهو من أفحل شعراء الجاهلية قبل الإسلام ـ كان هذا الشاعر الأخطل يدخل على خلفاء بني أمية معاوية ويزيد وعبدالملك بن مروان ويمدحهم[2] ، بل إنه كان يهجو الفرزدق الذي كان مسلماً تعبيراً عن المعارضة القبلية السياسية[3] .

وبجانب هذا الشاعر كان عدد من الأدباء الشعراء النصارى أسلموا وآمنوا بالقرآن ؛ ولو رأوا فيه حالة أدبية مشوشة لأسقطوا إعجازه البياني وسموه الأدبي واللغوي ولم يؤمنوا به ، وإليك أيها القارئ الكريم الأدباء الشعراء النصارى الذين أسلموا:

أ ـ رباب بنت امرئ القيس بن علي :

قال أبو الفرج الأصبهاني[4] :

---

[1] – انظر الرحيق المختوم (ص٣٩٤،٣٩٩) باختصار .

[2] – الشعر والشعراء لابن قتيبة المولود سنة ٢١٣هـ والمتوفي سنة ٢٧٦هـ (ص٣٠١) .

[3] – معجم الشعراء لعفيف عبدالرحمن (ص١٣) .

[4] – هو علي بن الحسين بن محمد الكاتب صاحب كتاب الأغاني وهو أصبهاني الأصل بغدادي المنشأ كان من أعيانها وأدبائها وأفراد مصنفيها اتهمه التنوخي بالتشيع ، وله مصنفات منها الأغاني ، والقيان ، والإماء الشواعر وكتاب دعوة الأطباء وكتاب أيام العرب ، ولد سنة ٢٨٤هـ ومات سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م ببغداد ـ وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٠٧/٣) . أما في الأدب فكتابه الأغاني من عيون الأدب العربي لذلك يعتمد عليه في الأدب خاصة .

(((ونسخت) هذا الخبر من كتاب أبي عبدالرحمن الغلابي وهو أتم قال حدثنا صالح عن علي عن مجاهد عن أبي المثنى محمد بن السائب الكلبي قال أخبرنا عبدالله بن حسين بن حسن قال حدثني خالي عبدالجبار بن منظور ابن زبان الفزاري قال حدثني عوف بن خارجة المري قال والله إني لعند عمر ابن الخطاب رضي الله عنه في خلافته إذ أقبل رجل أفحج أجلى أمعر يتخطى رقاب الناس ، حتى قام بين يدي عمر ، فحياه بتحية الخلافة ، فقال له عمر ممن أنت؟ قال : أنا امرؤ نصراني أنا امرؤ القيس بن عدي الكلبي قال فعرفه عمر فقال له رجل : هذا صاحب بكر بن وائل الذي أغار عليهم في الجاهلية يوم فلج، قال : فما تريد قال : أريد الإسلام . فعرضه عليه عمر رضي الله عنه ، فقبله ثم دعا له برمح فعقد له على من أسلم بالشام من قضاعة فأدبر الشيخ واللواء يهتز على رأسه قال عوف فوالله ما رأيت رجلا لم يصل لله ركعة قط أمر على جماعة من المسلمين قبله ونهض علي بن أبي طالب رضوان الله عليه ومعه ابناه حسن وحسين عليهم السلام حتى أدركه ،وأخذه بثيابه فقال له يا عم أنا علي بن أبي طالب ابن عم رسول الله ﷺ وصهره وهذان ابناي من ابنته وقد رغبنا في صهرك فأنكحنا فقال قد أنكحتك يا علي المحياة بنت امرئ القيس ، وأنكحتك يا حسن سلمى بنت امرئ القيس وأنكحتك يا حسين الرباب بنت امرئ القيس . وقال هشام بن الكلبي : كانت الرباب من خيار النساء وأفضلهن وخطبت بعد قتل الحسين عليه السلام فقالت ما كنت لأتخذ حما بعد رسول الله ﷺ قال المدائني (حدثني) أبو إسحق المالكي قال : قيل لسكينة واسمها آمنة وسكينة لقب أمك فاطمة يا سكينة وأنت تخرجين كثيراً وأختك لا تخرج قالت: لأنكم سميتموها باسم جدتها المؤمنة – تعني فاطمة رضي الله عنها – وسميتموني باسم جدتي التي لم تدرك الإسلام – تعني آمنة بنت وهب أم رسول الله ﷺ (أخبرني) عمي قال : حدثني الكناني عن قعنب بن المحرز الباهلي عن محمد بن الحكم عن عوانة قال رثت الرباب بنت امرئ القيس أم سكينة بنت الحسين زوجها الحسين ـ رضي الله عنها ـ حين قتل فقالت :

إن الذي كان نوراً يستضاء به	بكر بلاء قتيل غير مدفون
سبط النبي جزاك الله صالحة	عنا وجنبت خسران الموازين
قد كنت لي جبلاً صعباً ألوذ به	وكنت تصحبنا بالرحم والدين

من لليتامى ومن للسائلين ومن يغني ويأوى إليه كل مسكين
والله لا أبتغي صهراً بصهركم حتى أغيب بين الرمل والطين))[1]

ب ـ **عدي بن حاتم الطائي** : كنيته أبو طريف كان رئيس قومه في الجاهلية شاعر مخضرم[2] كان نصرانياً فأسلم هو وأخته سفانة[3] . رضي الله عنهما .

يرجع نسبه إلى بيت من أكرم بيوت العرب فأبوه حاتم الطائي قال عنه ابن كثير[4] المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م : ((كان جواداً ممدحاً في الجاهلية، وكذلك كان ابنه في الإسلام ، وكان لحاتم مآثر عجيبة وأخبار مستغربة في كرمه يطول ذكرها ...))[5] **وقد منَّ رسول الله ﷺ على ابنته سَفانة بالعتق بعد الأسر** كرامة لأبيها[6] .

أسلم عدي بن حاتم سنة تسع للهجرة وكان نصرانياً قبل ذلك وثبت على إسلامه في الردة ، وأحضر صدقة قومه إلى أبي بكر الصديق ، وشهد فتح العراق ، ثم سكن الكوفة ومات بعد الستين هجرية ، وقد أسَنَّ فبلغ عشرين ومائة، وروى أحمد والترمذي من طريق عباد بن حبيش الكوفي عن عدي بن حاتم قال أتيت النبي ﷺ في المسجد فقال الناس : هذا عدي بن حاتم قال وجئت بغير أمان ولا كتاب وكان قال قبل ذلك إني لأرجو الله أن يجعل يده في يدي فقام فأخذ بيدي فلقيته امرأة وصبي معها فقالا : إن لنا إليك حاجة فقام معهما حتى قضى حاجتهما ثم أخذ بيدي حتى أتى إلى داره فألقت إليه الوليدة وسادة ، فجلس عليها وجلست بين يديه ، فقال : ((هل تعلم من إله

---

[1] – الأغاني (١٤/١٥٨) .

[2] – معجم الشعراء لعفيف عبدالرحمن (ص٦٠) .

[3] – الأغاني (١٦/٩٣) .

[4] – هو عماد الدين إسماعيل بن عمرو بن كثير البصري الدمشقي ولد سنة ٧٠١هـ في بصرى في الشام قدم إلى دمشق وعمره ست سنوات ، وتعلم بها من ابن عساكر والمزي وبرع في الفقه والتفسير والنحو وجرح وتعديل الرجال والتاريخ ، من مشايخه ابن تيمية لازمه وأحبه ، وله تصانيف كثيرة منها تفسيره والبداية والنهاية في التاريخ وكتاب التكميل في معرفة الثقات والضعفاء والمجاهيل ، وجامع المسانيد والسنن مطبوع في ٣٧ مجلداً وغير ذلك ، وقد انتفع الناس بمصنفاته توفي سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م ـ انظر البدر الطالع (١/١٥٣) –.

[5] – البداية والنهاية (٢/٢١٢) .

[6] –انظر البداية والنهاية (٢/٢١٣) .

سوى الله؟)) قلت : لا، ثم قال ((هل تعلم شيئاً أكبر من الله؟)) قلت : لا، قال ((فإن اليهود مغضوب عليهم وإن النصارى ضالون؟))[١] .

وكان عدي بن حاتم كريماً وابن كريم قال ابن عبد البر القرطبي المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٣م : ((وكان سيداً شريفاً في قومه خطيباً حاضر الجواب فاضلاً كريماً))[٢] .

وهكذا نرى من خلال النقول أنه كان نصرانياً شاعراً خطيباً فأسلم وحسن إسلامه ودلل على ذلك بحسن جهاده في سبيل الله جل جلاله.

ج ـ **عمير بن شبيم القطامي** : وهو أحد بني رتيم أسامة بن تغلب، نصراني مثل أكثر أبناء قبيلته ، لكنه أسلم بعد ذلك وكان الأخطل قريبه ... أدرك خلافة عمر بن عبدالعزيز والتقى به[٣] .

وقد تمنى الأخطل قريبه أن يكون له بعض شعره أمام الخليفة الأموي عبدالملك بن مروان[٤] وقد اعتبره الرواة للشعر أحسن الناس شعراً في الإسلام[٥] ، لكن عد ابن سلام في الطبقة الثانية من شعراء فحول الإسلام فقال: ((وكان القطامي شاعراً فحلاً ، رقيق الحواشي حلو الشعر))[٦] .

وقال ابن سلام : وكان زفر بن الحارث أسره في حرب بينهم وبين تغلب ــ وهذا قبل الإسلام ــ فمنَّ عليه وأعطاه مائة من الإبل ورد عليه ماله فقال القطامي :

من مبلغ زفــر القيســي مِدْحتَــه	عن القطامي ، قولاً غيرَ إفنــادِ[٧]
إني وإن كان قومي ليس بينـهم	وبين قومك إلا ضربة الـهادي[٨]
مثنٍ عليك بما أسلفتَ من حسن	وقد تعرض مني مَقتل بـادي

---

[١] – الإصابة في تمييز الصحابة (٢/٤٦١) .
[٢] – الاستيعاب في أسماء الأصحاب (٣/١٤٠) .
[٣] –معجم الشعراء (ص٢١٤) .
[٤] – انظر الأغاني (٣/١١٨) .
[٥] – انظر الأغاني (٣/٢٥) .
[٦] – طبقات فحول الشعراء (٢/٥٣٥) .
[٧] – ديوان القطامي : (ص١٠) وهذه الأبيات في الأغاني ٢٠: ١٢٩ ، من قصيدة نفيسة بارعة نسبت للقطامي، أفند الرجل إفناداً : كذب في قوله . والفند (بفتحتين) : الكذب ، والخطأ أيضاً .
[٨] –الهادي : العنق ، وجمعه ، هواد . وذلك لتقدمه ، كأنه يهدى صاحبه .

فلـــن أثيبــك بالنعمـــاء مشـــتمة ولـــن أبـــدل إحســـاناً بإفســـادِ[1]
فإن قدرت على يوم جزيـــت بـــه والله يجعـــلُ أقوامـــاً بمرصـــادِ[2]

قال ابن سلام : فلما بلغ زفر قوله ، قال : لا قدرت على ذلك اليوم[3].

د ـــ **كعب بن جعيل التغلبي** : قال عنه ابن سلام ((شاعر مفلق[4] قديـم في أول الإسلام ، أقدم من الأخطل والقطامي وقد لحقا به وكانا معه)) ، وعده من الطبقة الثالثة من شعراء فحول الإسلام[5] ، وقد ولد قبل الإســـلام وأدرك العصر الأموي، كان شاعر تغلب وشاعر أهل الشام ، قيل إنه عمّر طويـــــلاً وأدرك خلافة الوليد بن عبد الملك الأموي (٨٦ــ٩٦هــ)[6]، وقد ذكـــر فـــي شعراء النصرانية أولاً[7] ، ثم أصبح مسلماً بل وصحابياً ذكـــره ابـــن حجـــر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هــ/ ١٤٤٨م في الصحابة[8] .

وعندما طلب منه يزيد بن معاوية أن يهجو الأنصار أبى لأنهم نصروا رسول الله ﷺ وآووه[9] .

ترى بعد هذا الذي قد ذكرناه من دخول أدباء وشعراء من النصـــارى بالإسلام هل يصح ماذهب إليه الكاتب توبي لستر بتشبث النصـــارى بحالـــة القرآن الأدبية المشوشة فلم يؤمنوا بالقرآن؟ صحيح أن هنالك بعض الأدبـــاء

---

[1] – أثابه يثيبه : كافأه وجازاه. والمشتمة والشتم والشتيمة : السب . وقد قال النحاة إن البـــاء فـــي الاستبدال تدخل على المتروك والزائل ، وهذا القطامي أدخلها على غير المتروك ، وكـــان ينبغـــي على مذهبهم أن يقول: ((وأن أبدل إفساداً بإحسان!))لأنه أراد لن أصطنع الإفساد وأترك الإحسان.

[2] – يقول : إن جاء يوم كهذا اليوم كافأتك به ، والله يجعل أقواماً على طريـــق الخـــير ، كأنـــهم يرقبونه، فإذا جاء فعلوا الخير أو جازوا به. والمرصاد: الموضع الذي ترصد الناس فيه،أي ترقبهم.

[3] – في الديوان:((لما سمع زفر هذا البيت قال : لا أقدرك الله !))يأنف أن يؤسر ثم يمن عليـــه – انظر هذه التعليقات على الأبيات لأبي فهر محمود محمد شاكر – رحمه الله تعالى – على طبقات فحول الشعراء (٢/٥٣٦).

[4] – قال الجوهري : ((الفلق بالكسر : الداهية والأمر العجيب ، تقول منه : أفلق الرجل وافتلق ، وشاعر مفلق : قد جاء بالفلق ـــ اهـــ صحاح اللغة مادة (فلق).

[5] – طبقات فحول الشعراء (٢/٥٧١/٥٧٢) .

[6] – معجم الشعراء (ص٢٢٣).

[7] – شعراء النصرانية (٢/٢٠٣-٢١٢) .

[8] – الإصابة في تمييز الصحابة (٣/٢٩٦) .

[9] – انظر الشعر والشعراء (ص٤١١) .

الشعراء النصارى لم يسلموا للحرية الدينية في الإسلام ، وذلك واضح في الشاعر الأخطل الذي ذكرناه وصحيح في الشاعر أبي زبيد القاضي الذي لم يسلم[١] أيضاً ولكن ما الانتقاد الذي وجهه الأدباء والشعراء للقرآن؟ ومن أي مرجع أخذ الكاتب توبي لستر قوله. لا شك أن مثل هذا الكلام هو ادعاء باطل على التاريخ العربي عامة وتاريخ القرآن خاصة وذلك لأن القرآن حيث تجلى آمن به كل ذي عقل سليم منصف.

إن إيمان أدباء شعراء من النصارى ، بل وعدم اعتراض من لم يؤمن منهم على لغة القرآن ، يؤكد بشكل جازم إعجاز القرآن البياني الذي دفع كثيراً من الشعراء الأدباء الجاهليين والنصارى للإيمان بأن القرآن كلام الله جل جلاله.

المطلب الثالث : التاريخ يؤكد إسلام أكثر أهل بلاد الفتح الإسلامي بلا إكراه :

أما عن إسلام أكثر أهل البلاد المفتوحة من النصارى خاصة ومن الناس عامة فلن أجيب الكاتب الأمريكي توبي لستر إلا من كلام الكاتب الأمريكي مايكل إتش هيرت[٢] (**Michael H. Hart**) في كتابه ((المائة : تقويم لأعظم الناس أثراً في التاريخ)) ، فقد اعتبر الكاتبُ مايكل عمرَ بن

---

[١] - انظر الشعر والشعراء (ص١٦٧) .

[٢] - هو عالم فلكي رياضي ، يعمل في هيئة الفضاء الأمريكية ومتعته الأولى هي دراسة التاريخ، ألف كتابه ((المائة : تقويم لأعظم الناس أثراً في التاريخ)) ، وبعد أن فرغ من إصدار هذا الكتاب تلقى اقتراحات من العلماء والأدباء ورجال الدين بإضافة أسماء أخرى ، لكن المؤلف عنده مقاييس أخرى ثابتة لاختيار الشخصيات واستبعاد مئات غيرها ، فمقومات اختيار الشخصية هي أربعة :

أ- حقيقة وجود الشخصية .

ب- أن تكون ذات أثر كبير وعظيم .

ج- أن يكون تأثيرها العميق عالمياً متجدداً .

د- عدم معاصرة الشخصية .

وليس هذا الكتاب إلا واحداً من عشرات الكتب التي صدرت أخيراً في العالم الغربي المسيحي عن عظمة المسلمين والإسلام – انظر مقدمة أنيس منصور لكتاب (الخالدون المائة أعظمهم محمد))ﷺ الذي أخذه من كتاب مايكل بإذنه وترجمه للعربية كما يقول (ص٩-١١) من كتابه (الخالدون المائة..).

الخطاب رضي الله عنه هو الشخصية الحادية والخمسون التي أثرت في تاريخ العالم من بين شخصيات العالم القديم والحديث جميعاً ومما قال في مقالته عنه رضي الله عنه :

((وفي فترة خلافة عمر بن الخطاب التي استغرقت عشر سنوات تحققت الفتوحات الكبرى للإسلام . فغزت جيوش المسلمين سوريا وفلسطين، وكانت في ذلك الوقت جزءاً من الإمبراطورية البيزنطية ، وفي معركة اليرموك سنة ٦٣٦ انتصر العرب على قوات بيزنطة وسقطت دمشق في نفس السنة . وبعدها بسنتين سقطت القدس أيضاً . وعندما كانت سنة ٦٣٩ غزت الجيوش العربية مصر وهي الأخرى كانت تحت السيطرة البيزنطية . وفي خلال ثلاث سنوات تم للعرب الاستيلاء على مصر .

وقبل أن يصبح عمر خليفة للمسلمين بوقت قصير دخلت جيوش العرب[١] بلاد العراق ، وكانت جزءاً من الإمبراطورية الساسانية الفارسية، ولكن القوات العربية في عهد عمر قد انتصرت في معركة القادسية سنة ٦٣٧. ولم تكد تجيء سنة ٦٤٢ حتى كانت أرض العراق كلها تحت السيطرة التامة لجيوش المسلمين . واستولت الجيوش الإسلامية على بلاد فارس بعد المعركة الفاصلة في نهاوند سنة ٦٤٢ . وفي سنة ٦٤٤ مات عمر . ولم تتوقف غزوات المسلمين بسبب مقتل عمر، وإنما مضت تكمل الاستيلاء على بلاد فارس ، وعلى شمالي أفريقيا أيضاً .

وكما أن هذه الانتصارات كانت هامة ، فإن صمود قوات المسلمين في البلاد التي استولوا عليها كان شيئاً أكثر أهمية . وعلى الرغم من أن إيران قد تحولت إلى الإسلام فإنها قد استقلت عنه وظلت مسلمة أيضاً، ولم تتحرر سوريا والعراق ومصر ، فقد تحولت هذه البلاد جميعاً إلى الإسلام وازدادت بمرور الوقت عروبة .

وقد كان عمر خليفة حكيماً وسياسياً بارعاً . وقد رأى أن تظل قوات المسلمين بعيدة عن المدن تعيش في الثكنات. وفرض على المسيحيين الزكاة أو الجزية إذا لم يعتنقوا الإسلام[٢] . وهم أحرار في ذلك . **ولم يفرض الإسلام**

---

١ – لم يدخل من العرب إلا المسلمون فقد مضى الإسلام على الوثنية في جزيرة العرب كلها.

٢ – تجب الزكاة على الغني المسلم فإن كان الرجل ذمياً نصرانياً أو يهودياً فالواجب عليه الجزية .

على أحد بالقوة[1] ، ومن هذا يبدو واضحاً أن حروب العرب كانت حروباً قومية[2] ، **ولم تكن حروباً دينية تفرض الإسلام بالسيف**[3] .

وما أنجزه عمر بن الخطاب شيء باهر . فبعد وفاة الرسول عليه الصلاة والسلام كان عمر هو الشخصية التي نشرت الإسلام، فبغير هذه الغزوات السريعة ، ما كان من الممكن أن ينتشر الإسلام في هذه المساحات الشاسعة من الأرض . **ومعظم البلاد التي غزتها جيوش المسلمين ظلت عربية إسلامية حتى يومنا هذا . صحيح أن الفضل أولاً وأخيراً لمحمدﷺ وهو من أجل عظمة شخصيته وأثره البالغ في التاريخ استحق بجدارة أن يكون رقم واحد بين المائة الخالدين. ولكن كثيراً من الفضل يعود إلى عمر ابن الخطاب**[4] **بعد ذلك . فعمر ساعد بذكائه وعبقريته على نشر الإسلام وتمكينه من البلاد الأخرى .**

وربما بدا غريباً أن شخصية مثل عمر بن الخطاب ليست معروفة لدى الغرب مثل شخصيات شارلمان أو يوليوس قيصر ، ومع ذلك فقد استحق هذا

---

[1] – دأب بعض المستشرقين باتهام الإسلام بأنه انتشر في هذه البلاد المفتوحة بالسيف ؛ والله تعالى يقول: ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) – الآية ٢٥٦ من سورة البقرة – وكان معنى الآية هو الواقع بأمر القرآن على مر القرون في عهد كل الخلفاء المسلمين ؛ مالم تكن من غير المسلمين خيانة مؤثرة يستحقون بها القتال ...

[2] – قاتل النبي محمد ﷺ وصحابته قريشاً العربية قبيلة النبي محمد ﷺ في عدة معارك مشهورة وقاتل الصحابة الغساسنة العرب في غزوة مؤتة وهم مع الروم.

[3] – إن قول الله تعالى: ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) ـــ الآية ٢٥٦ من سورة البقرة ـــ كان هو الدافع لعدم إكراه أهل البلاد المفتوحة على الإسلام ، وكأن الكاتب مايكل إتش هيرت قارن ما عليه الحروب الدينية في أوربا في العصور القديمة مع فتوحات المسلمين فظن أن فتوحات المسلمين لا دينية بمعنى لا إسلامية وهذا خطأ كبير منه .

[4] – عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو ثاني الخلفاء الراشدين الأربعة ، عاش حياته على منهج القرآن الكريم والسنة بعد إسلامه، وهو ذو عبقرية فذة أتاح لها الإسلام الظهور والخروج من ظلمات الجاهلية قبل الإسلام إلى نور الإسلام إذ لا نسمع أي مجد لعمر قبل الإسلام، أما محمدﷺ فهو رسول الله بالإسلام وصاحب النبوة ومربي عمر وذلك الجيل الفريد من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين ، فما من بروز لشخصية صحابي بعبقرية إلا والفضل فيها لصاحب النبوة محمدﷺ، سواء كان الصحابي أبا بكر أم عمر أم عثمان أم علياً أم سلمان الفارسي أم أبا هريرة أم سعداً بن أبي وقاص أم عماراً بن ياسر أم الزبير بن العوام أم خالد بن الوليد أم غيرهم رضي الله عنهم أجمعين ، فمحمد هو الذي أخرج الله به الناس من الظلمات إلى النور صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم .

المكان الرفيع بين الخالدين ، ولكن الغزوات التي شنتها جيوشه ومدى ماتركته من أثر في التاريخ ، أخطر بكثير مما تركـــه كـــل مـــن يوليـــوس قيصـــر وشارلمان))[1] . انتهى كلام مايكل إتش هيرت الأمريكي .

ولست بحاجة ماسة الآن لأن أنقل للقارئ الكريم نصوص من كتـــب التاريخ الإسلامي حول هذه الأمور ، ويكفي أن أؤكد على عبارتين في كتـاب مايكل إتش هيرت الأمريكي وهي : ((ولـــم يفـــرض الإســـلام علـــى أحـــد بالقوة..)) ((ومعظم البلاد التي غزتها جيوش المسلمين ـــ أي في عهد عمـــر ـــ ظلت عربية إسلامية حتى يومنا هذا)) ، ومن المعلوم أن العرب كانوا أقلية في هذه البلاد قبل الفتح الإسلامي فعن طريق النقاش الفكري الحر بالإســـلام أصبحت البلاد المفتوحة بلاد مسلمين ينطقون بالعربية بل وبـــلاداً إســـلامية عربية من زمن عمر رضي الله عنه حتى الآن[2] ، وكلمة ((معظـــم)) لـــدى مايكل سببها في نظره فلسطين وما حل بها من نكبات علماً أن عدد المســـلمين الفلسطينيين في العالم أكثر من عدد اليهود الذين استوطنوا فلسطين مؤخراً في النصف الأخير من القرن العشرين وفي بدايته .

المطلب الرابع: نسب اليهود والنصارى الآن في بلاد الفتح الإسلامي

لابد لنا أن نعطي نسب النصارى واليهود في هذه البلـــدان فـــي عصرنـــا الحالي ليُعلم أن ما ذهب إليه توبي لستر مبني على خطأ تاريخي ، وأن ما ذهـــب إليه ما يكل إتش هيرت الأمريكي صحيحاً في البلاد التي فتحت في زمن الخليفتيـــن أبي بكر وعمر رضي الله عنهما مع العلم أن الحرية الدينية قد استمرت حتى وقتنـــا الحاضر في عدم إكراه اليهود والنصارى على الإسلام والتاريخ شاهد على هذا .

---

[1] – الخالدون المائة لأنيس منصور (ص٢١٠-٢١١) وهو ترجمة لكتاب (المائة : تقويم لأعظـــم الناس أثراً في التاريخ) (تأليف مايكل إتش هيرت).

[2] – ما حدث في قسم من فلسطين هو شأن عارض سيزول بعون الله ثم بهمة شباب الإسلام كمـــا زال الصليبيون على يد صلاح الدين الأيوبي ـــ رحمه الله تعالى ـــ وجنده .

القطر	النصارى	اليهود
سورية	١٤%	١% إلا أن أكثرهم رحل إلى فلسطين ١٣٦٧هـ
فلسطين	ربع مليون	خمسة آلاف عام ١١٨٤هـ/١٧٧٠م و ١١% قبل عام ١٣٤٠هـ/١٩٢١م
العراق	٤%	١٢٠ ألف قد رحل كثير منهم عن العراق إلى فلسطين والغرب
الأردن	٨%	لا يوجد
لبنان	مليون	لا يزيد عدد اليهود عن خمسة آلاف نسمة
مصر	٧,٥%	١٩٠ ألف غادر أكثرهم إلى فلسطين .[١]

والنصارى في كل قطر ينقسمون إلى طوائف ، فهم ينقسمون في سورية مثلا إلى ١١ طائفة[٢] .

والحق أن سكان سوريا هؤلاء وغيرهم يتكلمون اللغة العربية سواء كانوامن أصول عربية أو غير عربية ، لكن أكثر سكان سورية دخلوا الإسلام وآمنوا بالقرآن وحصل كل ذلك دون إكراه .

كل ما ذكر يؤكد صواب القول في أن القرآن تلقاه أهل البلاد المفتوحة في زمن الفتح الإسلامي بالقبول في نسبة عالية من غير إكراه.

ولابد أن أذكر بعض الحوافز التي دفعت آخرين من النصارى في البلاد المفتوحة إلى الدخول في الإسلام يقول الدكتور مراد هوفمان - سفير ألمانيا في الرباط الذي كان نصرانياً فأسلم[٣] - :

((لقد كان ثمة أسباب أو حوافز مختلفة لاعتناق تلك الشعوب الإسلام، لكن واحداً منها بعينه على جانب عظيم الأهمية ، وإن لم يتفق مع مفاهيم الغرب المسيحي ولم يناسبها أو يتملقها : ألا وهو اعتناق كثير من النصارى

---

[١] - نقلت هذه النسب والأعداد من كتاب سكان العالم الإسلامي لمحمود شاكر من (ص٤٤-٤٩) ومن (ص٥٢-٥٥) من الكتاب نفسه- ط مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٣هـ -١٩٨٣م-، علماً أنه استكمل فتح هذه الأقطار عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- ، انظر البداية والنهاية (١٦/٧-١٣٠) .

[٢] - انظر سكان العالم الإسلامي (ص٤٥).

[٣] - انظر ترجمة مراد هوفمان (ص٢٤٢) .

أنفسهم للإسلام ، نعني الهراطقة الخارجين على إجماع الكنيسة الغربي من نصارى المغرب والمشرق العربيين ، ومنهم النصارى المعروفين بالأريسيين والدوناتيين ، فقد اعتنقوا الإسلام لأنه يتفق مع اعتقادهم في رفض الطبيعة الإلهية للمسيح ، ورفض التثليث))[١] .

وأخيراً :

إن إعجاز القرآن البياني الذي معنا ، واقتراب هرقل من الإيمان بالقرآن والإسلام بعد رسالة محمد صلى الله عليه وسلم إليه، وإسلام أدباء من النصارى كرباب بنت امرئ القيس بن علي وعدي بن حاتم الطائي وعمير بن شبيم القطامي وكعب بن جعبل التغلبي وغيرهم ، وإسلام أكثر أهل البلاد المفتوحة وتأريخ مايكل إتش هيرت الأمريكي ومراد هوفمان الألماني في إسلام أهل البلاد المفتوحة ، لذلك كله نؤكد سقوط رأي توبي لستر علمياً وتاريخياً بقوله: ((وقد حصل الانتقاد فعندما ازداد المسلمون اتصالاً بالنصارى خلال القرن الثامن صاحب حروب الفتوحات هجوم على الأفكار الدينية ، إذ تشبث النصارى وغيرهم بحالة القرآن الأدبية المشوشة وعدوا ذلك دليلاً على كونه من قوله البشر))[٢] .



١ – الإسلام كبديل لمراد هوفمان (ص٢٢) .

٢ – هذا ما قاله توبي لستر في مجلة انتلانتك مونثلي ، الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤) .

الفصل الثالث
المفردات الغريبة في القرآن
المبحث الأول
المفردات الغريبة من لغة العرب

نزل القرآن الكريم بلغة العرب وعلى سننهم في التعبير وعلى الرغم من ذلك انقطعوا دون فصاحته وبلاغته وطرائقه الأسلوبية في التعبير عن الدلالات المختلفة ، وعندما لم يجد الذين كفروا به مطعناً قالوا إنه سحر ، لأن العرب كانت تؤمن بقدرة السحر على فعل الأعاجيب والتأثير على الناس. أما الذين آمنوا بالقرآن فقد أدركوا أن لغة القرآن تعلو على مستوى عامة الناس لإحاطته بأصناف التعبير المختلفة واللغات المعروفة عندهم واشتماله على الغريب . قال ابن فارس[١] : (أما واضح الكلام فالذي يفهمه كل سامع عرف ظاهر كلام العرب . وأما المشكل فالذي يأتيه الإشكال من وجوه: منها غرابة لفظه ... كقول القائل : يَمْلَخُ في الباطل مَلْخاً ، (يتردد فيه ويكثر)[٢] . وكما جاء أنه قيل : أيدالك الرجل امراته؟ قال: نعم . إذا كان مُلْفَجاً . (المدالكة : المماطلة ، الملفج : الذي أفلس)[٣]. ومنه في كتاب الله تعالى : (ومن الناس من يعبد الله على حرف)[٤] وقوله: (وسيداً وحصوراً)[٥] .

وهكذا فإن الغريب موجود في كلام العرب وفي القرآن الكريم الذي نزل على لغتهم إن من يقول إن وجود الغريب في القرآن يعد دليلاً على كونه من عند البشر يجانف الصواب ، ويركب مطية الجهل ، لأن الغريب من صميم لغة

---

١ - هو أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا الرازي كان إماماً في علوم شتى وخصوصاً اللغة فإنه أتقنها ، له كتب كثير منها : المجمل ، ومتخير الألفاظ ، وفقه اللغة ، وحلية الفقهاء ، وسيرة النبي صلى الله عليه وسلم ،وكتاب الصاحبي صنفه لخزانة الصاحب ، ومقاييس اللغة وغيرها ، توفى رحمه الله تعالى في سنة ٣٩٠هـ /١٠٠٠م - انظر معجم الأدباء (٨٠/٤) ووفيات الأعيان (١١٨/١) - .

٢ - انظر لسان العرب مادة (ملخ) .

٣ - صحاح اللغة للجوهري مادة (دلك) ومادة (لفج) .

٤ - الآية ١١ من سورة الحج .

٥ - الآية ٣٩ من سورة آل عمران .

العرب ، وكانوا يفخرون بحفظهم له . يقول ابن فارس : (ومما لايمكن نقله البتة أوصاف السيف والأسد والرمح وغير ذلك من الأسماء المترادفة ، ومعلوم أن العجم لا تعرف للأسد اسماً غير واحد، فأما نحن فنخرج له خمسين ومائة اسم)[١]

المبحث الثاني

غريب القرآن والشعر العربي

جاء تصنيف العلماء في غريب القرآن بوحي من اللغة العربية نفسها التي اشتملت على الغريب ، ولكن الغريب في القرآن اكتسب سحر التعبير القرآني ، وجاء في تراكيب وسياقات منحته طاقة تعبيرية وجعلته متلوّاً على الألسنة بسلاسة وعذوبة .

(وقد شعر العلماء ، منذ الصدر الأول للإسلام ، بحاجتهم إلى الشعر العربي للاستعانة به ، في فتح مغاليق الألفاظ، والأساليب الغريبة الموجودة في القرآن الكريم ، والأحاديث النبوية الشريفة ، فأكبوا عليه يروونه ، ويحفظونه ، ويدرسون أساليبه ومعانيه)[٢] وكان ابن عباس رضي الله عنه أول من سلك هذا الطريق في تفسيره الألفاظ الغريبة التي وردت في القرآن الكريم ، وذلك واضح من خلال إجاباته على سؤالات نافع بن الأزرق فقد فسر له الآيات التي سأل نافع عن معناها مستشهداً بأبيات من الشعر العربي ، وقد حُققت هذه الأسئلة وإجاباتها ، في كتاب مستقل ، باسم : ((غريب القرآن)) عرض وتعليق محمد إبراهيم سليم[٣]، وقد ذكر الأسئلة وإجاباتها السيوطي بسنده في الإتقان في علوم القرآن[٤].

ولنأخذ مثالاً واحداً على ما نقول : قال نافع : يا ابن عباس ، أخبرني عن قول الله عز وجل : (وابتغوا إليه الوسيلة) ! قال : الوسيلة : الحاجة. قال: أو تعرف العرب ذلك؟ قال: نعم ، أما سمعت عنترة العبسي[٥] ، وهو يقول:

---

١ - الصاحبي (ص٢١) .

٢ - فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبدالتواب (ص١١١) .

٣ - طبع الكتاب مكتبة القرآن ــ القاهرة ــ ١٤٠٨هــ ــ ١٩٨٨م

٤ - الإتقان في علوم القرآن (١/١٥٨-١٧٥) .

٥ - هو عنترة بن عمرو بن شداد ، شاعر عبس المشهور ، وهو أحد أصحاب المعلقات السبع ، عده ابن سلام من الطبقة السادسة من طبقات فحول الشعراء في الجاهلية ، كان عبداً مملوكاً، وأمره سيده أن يقاتل بقوله : كر يا عنترة فقال عنترة العبد لا يحسن الكر إنما يحسن الحلاب والصر فقال كر وأنت حر . فكر

إن الرجال لهم إليكِ وسيلة　　　　إن يأخذوك تكحلي وتخضبي[1]

وهكذا يمضي نافع يسأل ، وابن عباس يجيب ويفسر ، ويستشهد على كل تفسير ببيت من الشعر العربي ، في حوالي مائتين وخمسين موضعاً من القرآن الكريم . وإذا ما فتشنا عن قول ابن عباس في مسألة الغريب فإننا سنجد قوله الآتي: (الشعر ديوان العرب ، فإذا خفي علينا الحرف من القرآن الذي أنزله الله بلغة العرب رجعنا إلى ديوانها فالتمسنا معرفة ذلك منه)[2] ويقول أيضاً : (إذا سألتموني عن غريب القرآن ، فالتمسوه في الشعر ، فإن الشعر ديوان العرب)[3] ، ويقول : (إذا أشكل عليكم الشيء من القرآن ، فارجعوا فيه إلى الشعر ، فإنه ديوان العرب)[4] .

من خلال أقوال ابن عباس رضي الله عنه يتضح لنا أن القرآن لم تكن فيه لفظة غريبة عن أسماع العرب أو لغاتها ، وإنما المطلوب هو البحث عنها في الشعر الذي حوى لغة القوم وأحاط بها .

=وهو ينشد الشعر ، وأصبح حراً ، وهو شاعر عبس المشهور وفارسهم المغوار وأمه حبشية اسمها زبيبة وقد عمر طويلاً خاض حرب داحس والغبراء وحرب ذي قار (٦١٠م) ، وسقط قتيلاً أو مات بجراحه عام ٨ق.هـ (٦١٤م) ـ الشعر والشعراء (ص١٣٠) وطبقات فحول الشعراء (ص١٥٢) ومعجم الشعراء (ص١٩٩) وشرح المعلقات السبع للزوزني (ص١٣٧)- .

[1] – ديوان عنترة بن شداد تحقيق بدر الدين حاضري ومحمد الحمامي (ص٤٥) وهذا البيت جاء أيضاً بنسبته إلى عنترة وغيره في لسان العرب مادة (عنق) .

[2] – إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري (ص١٠٠) .

[3] – الإتقان للسيوطي (١٥٨/١) .

[4] – الفاضل لأبي العباس المبرد حققه الميمني (ص١٠) .

المبحث الثالث

كتب مؤلفة في معاني غريب القرآن

اعتنى العلماء بالتأليف في غريب القرآن لكي يتدبروه امتثالاً لقوله تعالى : (أفلا يتدبرون القرآن)[1] لأن معرفة معاني الألفاظ تساعد على فهم الجُمَل القرآنية .

ومن أبرز الكتب التي ألفها العلماء في هذا :

١-غريب القرآن لأبي سعيد أبان بن تغلب البكري الجريري المتوفى ١٤١هـ /٧٥٨م يقول عنه ياقوت الحموي : (وصنف كتاب الغريب في القرآن الكريم وذكر شواهد من الشعر)[2] .

٢-تفسير غريب القرآن / لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ/ ٨٨٩م وقد حققه أحمد صقر[3].

٣-العمدة في غريب القرآن لمكي بن أبي طالب القيسي المتوفى سنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م[4][5]

٤-مفردات ألفاظ القرآن / للراغب الأصبهاني الحسين بن محمد المتوفى: ٥٠٢هـ / ١١٠٨م[6] (مفردات غريب القرآن)[7] .

---

١ - الآية ٨٢ من سورة النساء .

٢ - انظر معجم الأدباء (١٠٨/١) وقال عنه الحموي : (وقيل عنه : كان قارئا فقيها لغويا نبيها ثبتاً وسمع من العرب وحكى عنهم له كتاب في الفضائل) .

٣ - طبعت الكتاب دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٣٩٨هـ ــ ١٩٧٨م- انظر ترجمة ابن قتيبة (ص١٧٧) من هذا الكتاب .

٤ - وهو من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية ، وكان حسن الخلق دينا كثير التواليف في علم القرآن محسناً لذلك مجوداً للقراءات عالماً بمعانيها ، ولد بالأندلس وتوفي فيها في قرطبة، من تصانيفه : التبصرة في القراءات ، والرعاية لتجويد القرآن ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ، وكتاب في غريب القرآن ــ انظر وفيات الأعيان (٢٧٤/٥) .

٥ - حققه الدكتور يوسف عبدالرحمن المرعشلي ــ طبعته مؤسسة الرسالة ــ بيروت ١٤٠٤هـ ــ ١٩٨٤م - .

٦ - هو أديب لغوي حكيم مفسر له تصانيف كثيرة منها : محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء ، ومفردات ألفاظ القرآن وجامع التفاسير وغير ذلك ــ معجم المؤلفين (٦٤٢/١) -.

٧ - طبعت الكتاب مكتبة الإنجلو المصرية.

المبحث الرابع
الغريب في القرآن دليل إعجاز

إن ادعاء وجود الغريب في القرآن وتصنيف العلماء له بالحساسية دليل على كونه من عند البشر هذا الادعاء لا يستند إلى دليل علمي صحيح، وإن نزول القرآن بلغة العرب التي اشتملت على الغريب لدليل على كونه من عند الله تعالى الذي أحاط بكل شيء علما . وهذا مصداق لقوله سبحانه ((إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون))[1] .

فكما أن في لغة العرب الغريب ففي القرآن غريب أيضا لأنه نزل بلغة العرب، ولكن مكان الإعجاز في القرآن أنه جاء على لغة العرب ومنها الغريب ومع ذلك تحداهم أن يأتوا بسورة من مثله فلم يستطيعوا فقال سبحانه: ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين))[2] فكان في هذا إعجاز وأي إعجاز للقرآن الكريم ، على أن الغريب في القرآن لا يكون إلا في مكانه المناسب .

يقول الرافعي[3] : ((وفي القرآن لفظة غريبة هي من أغرب ما فيه ، وما حسنت في كلام قط إلا في موقعها منه ، وهي كلمة ((ضيزى)) من قوله تعالى : ((تلك إذا قسمة ضيزى))[4] ، ومع ذلك فإن حسنها في نظم الكلام من أغرب الحسن وأعجبه، ولو أدرت اللغة عليها ما صلح لهذا الموضع غيرها ، فإن السورة التي هي منها وهي سورة النجم ، مفصلة كلها في الياء ، فجاءت الكلمة فاصلة من الفواصل[5] ثم هي في معرض الإنكار على العرب ، إذ

---

[1] – الآية ٢ من سورة يوسف .

[2] – الآيتان ٢٣-٢٤ من سورة البقرة .

[3] – انظر ترجمته (ص١٥٣) .

[4] – الآية ٢٢ من سورة النجم . ومعناها : هي قسمة جائرة ، والضيز : الجور ، يقال : ضازه حقه وضامه أي منعه ونقصه فهي قسمة جائرة والضيز : الجور .

[5] – إن الفواصل التي سبقت (ضيزى) والكلمة نفسها وما بعدها الفواصل فيها بالألف المقصورة، وليست السورة كلها كذلك ، أو ليس في أواخرها (أزفت الآزفة..) إلى قوله تعالى : (فاسجدوا لله واعبدوا) الآيات : ٥٧-٦٢ من سورة النجم .

وردت في ذكر الأصنام وزعمهم في قسمة الأولاد ، فإنهم جعلوا الملائكة والأصنام بنات الله مع وأدهم البنات[1] فقال تعالى: ((ألكم الذكر وله الأنثى تلك إذاً قسمة ضيزى))[2] فكانت غرابة اللفظ أشد الأشياء ملاءمة لغرابة هذه القسمة التي أنكرها ، وكانت الجملة كلها كأنها تصور في هيئة النطق بها الإنكار في الأولى والتهكم في الأخرى ، وكان هذا التصوير أبلغ ما في البلاغة ، وخاصة في اللفظة الغريبة التي تمكنت في موضعها من الفصل، ووصفت في حالة المتهكم في إنكاره من إمالة اليد والراس بهذين المدين فيها إلى الأسفل والأعلى ، وجمعت إلى كل ذلك غرابة الإنكار وبغرابتها اللفظية .

والعرب يعرفون هذا الضرب من الكلام ، وله نظائر في لغتهم ، وكم من لفظة غريبة عندهم لا تحسن إلا في موضعها ، ولا يكون حسنها على غرابتها إلا أنها تؤكد المعنى الذي سبقت له بلفظها وهيئة منطقها ، فكان في تأليف حروفها معنى حسياً ، وفي تآلف أصواتها معنى مثله في النفس))[3] ، ويضاف إلى هذا أن حرف الضاد غير مستعمل في اللغات العالمية لكن حوته اللغة العربية فزاد اللفظ غرابة بابتدائه بحرف الضاد وهذا ما ناسب غرابة قسمتهم زيادة على ما أشار إليه الرافعي – رحمه الله تعالى – .

والدليل على أن كلمة ضيزى من كلام العرب أن نافع بن الأزرق سأل عبدالله بن عباس – رضي الله عنهما – عن قوله تعالى : ((ضيزى)) قال: جائرة ، أما سمعت قول امرئ القيس :

ضازت بنو أسد بحكمهم   إذ يعدلون الرأس بالذنب[4]

ومع كل هذا اعتبر توبي لستر أن المسلمين ينظرون بحساسية شديدة للمفردات الغريبة في القرآن على أن ذلك مشكلة في القرآن[5] . وليس تفسير المسلمين للغريب وتصنيفهم به يدل على مشكلة أبداً كما رأينا بل الغريب في القرآن في مكانه المناسب وهو من لغة العرب .

---

[1] – أي دفنهن على الحياة ، كما كان من عادات بعضهم .

[2] – الآية ٢١،٢٢ من سورة النجم .

[3] – إعجاز القرآن لمصطفى صادق الرافعي (ص١٩٦) .

[4] – انظر الإتقان (١/١٧٢) .

[5] – انظر مقال توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤) .

الفصل الرابع
الحذف في اللغة العربية والقرآن

الحذف من بلاغة اللغة العربية أساسا فقد أفرده أهل البلاغة بالتأليف لأن فيه تقليلا للكلمات المنطوقة مع سرعة إعطاء المعنى المراد ، فالمعنى المراد على هذا لم يتغير ولم يتبدل بالحذف ، وإنما إذا تركنا الحذف احتيج إلى كلمات أكثر ، بل إن الحذف أبلغ من البيان قال عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ /١٠٧٨م عن الحذف: ((هو باب دقيق المسلك، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر فإنك ترى به ترك الذكر أفصح من الذكر ، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة ، وتجدك أنطق ما يكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تبن))[١] .

والحذف يكون على أنواع :

١ ـ **حذف المسند أو المسند إليه** : ففي قصة يوسف في سورة يوسف يقول الله تعالى على لسان يعقوب الصابر مخاطباً أولاده ((قال بل سولت لكم أنفسكم أمراً فصبر جميل))[٢] قال الإمام جلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م : ((قوله تعالى (فصبر جميل) يحتمل أن يكون من حذف المسند إليه أي أمري صبر جميل ، وأن يكون من حذف المسند أي فصبر جميل أجمل، قال الشيخ سعد الدين[٣] : ففي الحذف تكثير الفائدة بإمكان حمل الكلام على كل من المعنيين بخلاف ما لو ذكر فإنه يكون نصاً في أحدهما . قلت: الظاهر أن الحذف هنا لضيق المقام والضجر، وشرط الحذف

---

١ – دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني (ص١٦٢).

٢ – الآية ٨٣ من سورة يوسف .

٣ – هو السعد التفتازاني (٧١٢-٧٩٣هـ ، ١٣١٢م-١٣٩٠م) مسعود بن عمر بن عبدالله التفتازاني سعد الدين : من أئمة العربية والبيان والمنطق ، ولد بتفتازان من بلاد خراسان ، وتوفى منفياً في سمرقند ، ومن كتبه شرح مقاصد الطالبين والنعم السوابغ في شرح الكلم النوابغ للزمخشري ــ انظر الأعلام للزركلي (٢١٩/٧) .

قرينة دالة عليه وهي إما سؤال مذكور نحو (ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله)[1] أي خلقنا الله أو مقدر للعلم به))[2] .

٢ ـ **حذف المفعول به** : قال أحمد الدمنهوري[3] : (يحذف المفعول به لإرادة العموم في أفراده نحو : قد كان منك ما يؤلم ؛ أي : كل أحد ومنه (والله يدعو إلى دار السلام)[4] أي كل واحد ، ويحذف المفعول به للاستهجان ولرعاية الفاصلة ويحذف للتفهيم أي للبيان بعد الإبهام ويحذف للاختصار)[5] .

٣ ـ **حذف جواب الشرط** : مثل قول الشاعر في مناداة سلمى التي ترضى بالزواج من الفقير :

قالت بنات العم يا سلمى وإن ... كان فقيراً معدماً قالت وإن[6]

أي وإن كان الزوج فقيراً معدماً سترضين بالزواج منه فجواب الشرط على هذا محذوف .

ومنه حذف جواب الشرط من قوله تعالى : (كلا لو تعلمون علم اليقين)[7] جواب لو محذوف للتهويل أي لو تعلمون كذلك لفعلتم ما لا يوصف ولا يكتنه[8] .

---

١ – الآية ٨٧ من سورة الزخرف .

٢ – شرح عقود الجمان للسيوطي (ص٣١) باختصار .

٣ – هو أحمد بن عبدالمنعم بن يوسف الدمنهوري شيخ الجامع الأزهر كان مشاركاً في كثير من العلوم ، ولد في مصر في دمنهور الغربية من مؤلفاته الكثيرة : القول المفيد في درة التوحيد كلاهما له ، وإيضاح المشكلات من متن الاستعارات ، وإرشاد الماهر إلى كنز الجواهر في علم الحروف والأسماء ، ومنهج السلوك إلى نصيحة الملوك ، وغير ذلك توفي رحمه الله تعالى سنة ١١٩٢هـ/١٧٧٨م ـ انظر معجم المؤلفين (١/١٨٨) .

٤ – الآية ٢٥ من سورة يونس .

٥ – انظر حلية اللب المصون على الجوهر المكنون لأحمد الدمنهوري (ص٨٧-٨٨) باختصار .
– وانظر دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني(ص١٦٨) باختصار – .

٦ – البيت لرؤبة بن العجاج في ملحق ديوانه (ص١٨٦) وخزانة الأدب (٩/١٤،١٦) و(١١/٢١٦) وشرح شواهد المغني (٢/٩٣٦).

٧ – الآية ٥ من سورة التكاثر .

٨ – انظر تفسير روح المعاني للآلوسي (٣٠/٢٢٥) .

٤ ـ **حذف المضاف** : فقوله تعالى ((واسأل القرية))[١] معناه اسأل أهل القرية فأهل مضاف والقرية مضاف إليه ، والمضاف إليه أصله الجر فتغير إلى النصب بسبب حذف المضاف[٢] .

٥ ـ **الحذف في القصص القرآني** : ننظر أحياناً إلى مسلسل تلفزيوني ساعة واحدة في إحدى حلقاته فنجده يختصر سنة كاملة أو سنين من حياة أحد شخصيات المسلسل في ساعة واحدة أو أقل ، وذلك بحذف فجوات من حياة هذه الشخصية لا تهم المخرج في هذا المسلسل التلفزيوني حتى ولو كانت القصة في هذا تحكي أموراً واقعية من حياة أحد الشخصيات في هذا المسلسل. والقصص القرآني قصص واقعي ولكن القرآن عندما يعطيه لا يعطي كل شيء في حياة شخصيات القصة القرآنية فالمهم هو العبرة من القصة . يقول صاحب الظلال في هذا : ((وهذه طريقة متبعة في جميع القصص القرآني على وجه التقريب .. أما في هذه المناسبة فنضرب عليها مثلاً من قصة يوسف : فالقصة قد قسمت ثمانية وعشرين مشهداً ، فلنعرض بعض مشاهدها:

لقد قدم إخوة يوسف وهو على خزائن الأرض ، في سنوات الجدب، يطلبون القمح ، فطلب إليهم أن يحضروا أخاهم الآخر ـ شقيقه ـ فأحضروه ـ على كره من أبيه ـ ثم وضع صُواع الملك في رحله وأخذ به رهينة ، باسم أنه سارق ، ليبقيه يوسف عنده!

ثم هاهم أولاء إخوته يتنحون جانباً ليتشاوروا في أمرهم ، وقد أبى عليهم يوسف أن يأخذ أحدهم مكانه :

((فلما استيأسوا منه خلصوا نجياً . قال كبيرهم : ألم تعلموا أن أباكم قد أخذ عليكم موثقاً من الله ، ومن قبل ما فرطتم في يوسف فلن أبرح الأرض حتى يأذن لي أبي أو يحكم الله لي ، وهو خير الحاكمين. ارجعوا إلى أبيكم ، فقولوا : يا أبانا إن ابنك سرق وما شهدنا إلا بما علمنا ، وما كنا للغيب حافظين ، واسأل القرية التي كنا فيها ، والعير التي أقبلنا فيها ، وإنا لصادقون))[٣].

---

١ – الآية ٨٢ من سورة يوسف .

٢ – شرح عقود الجمان للسيوطي (ص١٠١) وانظر البحر المحيط (٦/٣٦٣).

٣ – الآيات ٨٠–٨١–٨٢ من سورة يوسف .

وهنا يسدل الستار ... لنلتقي بهم في مشهد آخر لا في مصر ولا في الطريق ، ولكن أمام أبيهم ، وقد قالوا له ما وصاهم به أخوهم دون أن نسمعهم يقولونه . إنما يرفع الستار مرة أخرى لنجد أباهم يخاطبهم :

((قال : بل سولت لكم أنفسكم أمراً ، فصبر جميل ، عسى الله أن يأتيني بهم جميعاً إنه هو العليم الحكيم))[1] .

ويسدل الستار ...

وهنا نرى مشهداً آخر بين يعقوب ــ عليه السلام ــ وبنيه ، نراه قد ابيضت عيناه من الحزن ، وهو دائم الحسرة على يوسف ، وأبناؤه يستنكرون عليه هذا كله:

((وتولى عنهم ، وقال يا أسفى على يوسف، وابيضت عيناه من الحزن فهو كظيم . قالوا : تالله تفتؤ تذكر يوسف حتى تكون حرضاً[2] أو تكون من الهالكين ، قال : إنما أشكو بثي وحزني إلى الله، وأعلم من الله مالا تعلمون . يا بني اذهبوا فتحسسوا من يوسف وأخيه، ولا تيأسوا من روح الله ، إنه لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون))[3] .

وهنا يسدل الستار ... ، ويطوون الطريق لا نعلم عنهم فيه شيئاً ، إنما يرفع الستار فنجدهم في مصر أمام يوسف:

((فلما دخلوا عليه قالوا : يا أيها العزيز مسنا وأهلنا الضر ، وجئنا ببضاعة مزجاة ، فأوف لنا الكيل وتصدق علينا ، إن الله يجزي المتصدقين)).. وهكذا.

وتسير قصص أهل الكهف ومريم وسليمان على النسق نفسه))[4] .

---

[1] – الآية ٨٣ من سورة يوسف .

[2] – قال أبو عبيدة المتوفى سنة ٢١٠هــ/٨٢٥م : ((حتى تكون حرضاً)) والحرض الذي أذابه الحزن أو العشق ، قال العرجي :

إني امرؤ لج بي حب فأحرضني حتى بكيت وحتى شفني السقم .

ــ انظر مجاز القرآن لأبي عبيدة (ص٣١٦-٣١٧) باختصار – .

[3] – الآيات ٨٤-٨٥-٨٦-٨٧ من سورة يوسف.

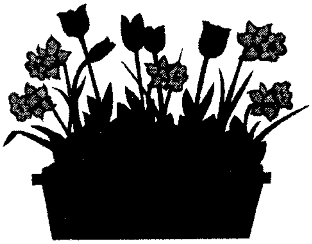
[4] – التصوير الفني في القرآن (ص١٨٨-١٨٩) .

لقد اعتبر توبي لستر أن المسلمين ينظرون بحساسية شديدة للحذف الظاهري وهو مشكلة قرآنية[1] .

وأي حساسية من هذا الحذف الذي رأيناه إنه حذف لإعطاء المعنى الذي يؤخذ من كلمات أكثر بكلمات أقل بعد الحذف ، لقد أراد الكاتب الغربي وغيره من المستشرقين[2] في كلامهم عن الحذف أن القرآن قد حذف منه بعض الأمور في أوقات مستقبلية بل قالوا : فيه حذف ظاهري كما أشار الكاتب توبي لستر الأمريكي مستغلين في هذا جهل كثير من الناس بلغة العرب وأن هذا نوع من أنواع البلاغة عند العرب .

ليس من إعجاز القرآن الكريم ركاكة الأسلوب بأن يزيد في الكلام ، إنه القرآن الذي قد جاء على لغة العرب ولكنه أسمى من كل ما قيل ، في الأدب العربي ، فلم يستطع أحد أن يرقى إلى بلاغته .. وهذا سر من أسرار الإعجاز أن يكون القرآن على أساليب العرب في بلاغتهم ومن ذلك الحذف ثم لا يرتقون إلى مستواه أبداً ..

وأخيراً إن القرآن بريء من الحذف بمعنى النقص .. وقد أتينا بمبحث كامل في معجزة حفظ القرآن[3] وصدق الله العظيم القائل : ((إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون))[4] .



---

[1] - انظر مقالته في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤).

[2] - انظر كتاب مصادر وطرق تفسير النصوص القرآنية لمؤلفه (ج. فانسبرف) الفصل الرابع (التفسير اللغوي) والفصل الخامس . والعجيب المستنكر أنه اعتبر هذا في القرآن من الألوان البيانية للأدب الوثني ، فما علاقة الوثنية بتصاريف اللغة فاللغة وعاء يحوي وقد كان شعراء وبلغاء باللغة العربية قبل الإسلام وثنيين ونصارى بل وقليل من اليهود .

[3] - وذلك من (ص٢٦-١٢٦) .

[4] - الآية ٩ من سورة الحجر .

الفصل الخامس
لا تراكيب نحوية شاذة في القرآن
المبحث الأول
الفكرة النحوية نشأت في ظل القرآن الكريم

مما لا شك فيه أن النحو العربي ارتبط ارتباطاً متيناً بالقرآن الكريم، فقد نشأت الفكرة النحوية في ظل القرآن الكريم ، وقام النحويون بدراسة التراكيب النحوية القرآنية التي فتحت أمامهم آفاقاً خصبة للبحث والتعمق والتأصيل . وإن نزول القرآن باللغة العربية جعل النحويين يتأثرون كثيراً بخصائصه وطرائقه وتراكيبه وشرعوا في كشف الأسرار التعبيرية التي اشتمل عليها .

فالذي يروم فهم النحو العربي لابد له من أن يقترب من القرآن اقتراباً كبيراً ، قال فتحي عبد الفتاح الدجني : (إننا كلما تقربنا للقرآن الكريم خاصة والشعر العربي عامة تقرب فهمنا لمسائل النحو العربي وأضحى سهلاً قريب المنال محبباً إلى النفس)[1] .

المبحث الثاني
تحدي القرآن وإسلام الشعراء يدلان على عدم وجود تراكيب نحوية شاذة في القرآن

إن القول : إن هناك تراكيب نحوية شاذة في القرآن قول لا يستند إلى دليل ولا تنهض به حجة ، فالقرآن تحدى العرب أن يأتوا بسورة من مثل سور القرآن ، وهم كانوا أهل فصاحة وبيان ، فكيف يتحدى كتاب يشتمل على تراكيب شاذة أئمة اللغة والبيان والفصاحة ثم لا يجدون ما يردون به عليه، بل إن كثيراً من شعراء العرب اسلموا وآمنوا لإعجاز القرآن البياني وسموه اللغوي فضلاً عن سلامة إعرابه وذلك كلبيد بن ربيعة ، والخنساء ، وحسان

---

[1] – النزعة المنطقية في النحو العربي للدكتور فتحي عبدالفتاح الدجني (ص٤٧) .

ابن ثابت الأنصاري ، وكعب بن مالك الأنصاري ، وعبد الله بن رواحة الأنصاري ، وعمرو بن معد يكرب الزبيدي ، والنابغة الجعدي ، والحطيئة، وعدي بن حاتم الطائي ، والقطامي ، وكعب بن جعيل التغلبي ، وغيرهم .

ولقد تتبع الإمام عبد القاهر الجرجاني المتوفى سنة ٤٧١هـ/١٠٧٨هـ موقف العرب المشركين الذين نزل القرآن بلغتهم ، فقال: (فلم يجدوا في الجميع كلمة ينبو بها مكانها ، ولفظة ينكر شأنها أو يرى أن غيرها أصلح هناك أو أشبه، أو أحرى وأخلق. بل وجدوا اتساقاً بهر العقول ، وأعجز الجمهور)[١] ، وعندما تحدث عن السياق القرآني والتراكيب النحوية أبان عن معجزة القرآن الكريم من خلال تحليله النصوص القرآنية في ضوء البحث العلمي الرصين ، فالنحو القرآني يتحول عنده إلى دراسة أسلوبية تعبيرية تكون أداة في الميدان الفني الأدبي[٢].

إن العمل التحليلي عند الجرجاني يقوم على ربط الكلمات داخل التركيب لينتهي بها إلى بيان الدلالة الكلية ، ومفهوم النظم عنده هو الدلالة النحوية في النص والاطلاع على علاقات النص التركيبية ، وهو جزء من مفهوم نظرية السياق الحديثة في دراسات اللغويين والنقاد الأسلوبيين[٣] .

إن القول بالتراكيب النحوية الشاذة وكونها دليلاً على أن القرآن من عند البشر هو كلام مردود ورأي فاسد ، وهو صدى لآراء قديمة وحديثة قال بها من لا علم لهم بالعربية وسننها في طرائق الكلام ومن لا يملكون الذوق الفني والأدبي بخلاف شعراء العرب الذين أسلموا في زمن صدر الإسلام ، وإننا نجد في جيوش المفسرين والنحويين من العرب وغيرهم الذي عنوا بإظهار مزايا القرآن الكريم وبيان أسراره التعبيرية والأسلوبية أبلغ دليل في الرد على مثل هذه الافتراءات . يقول العكبري[٤] النحوي المتوفى سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م : (فإن أولى ما عُني باغي العلم بمراعاته ، وأحق ما

---

١ – دلائل الإعجاز للجرجاني (ص٨٨) .

٢ – المصدر السابق المقدمة (ص١٣) .

٣ – المصدر السابق المقدمة (ص١٧) .

٤ – هو أبو البقاء عبدالله بن أبي عبدالله الحسين العكبري الأصل ، البغدادي المولد والدار النحوي له كتب كثيرة منها : إعراب القرآن ، وإعراب الحديث ، وشرح ديوان المتنبي ، واللباب في علل النحو ، وإعراب شعر الحماسة وانتفع بعلمه خلق كثير توفي سنة ٦١٦هـ / ١٢١٩م ببغداد – وفيات الأعيان (٣/١٠٠) .

صرف العناية إلى معاناته، ما كان من العلوم أصلاً لغيره منها ، وحاكماً عليها ولها فيما ينشأ من الاختلاف عنها، وذلك هو القرآن المجيد ..، وهو المعجز الباقي على الأبد، والمودع أسرار المعاني التي لا تنفد، وحبل الله المتين ، وحجته على الخلق أجمعين)[1] .

المبحث الثالث
جاء القرآن بالفصيح والأفصح في النحو

على أنا نقول إن القرآن جاء على لغات للعرب ولم يأت على لغة واحدة قال مجاهد بن جبر[2] : ((لا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يتكلم في كتاب الله إذا لم يكن عالماً بلغات العرب))[3] . فيقرأ القارئ للقرآن الآية على قراءة فيظن من جهل بعض لغات للعرب أنها على غير العربية وجهله لا يعتبر دليلاً إذ نزل القرآن على لغات العرب وفيها الفصيح والأفصح، ولابد أن نقول إن أركان قراءة القرآن الكريم الصحيحة ثلاثة :

١-تواتر القراءة ــ أي أن يرويها جمع عن جمع من أول السند إلى منتهاه يفيد الجزم .

٢-أن توافق القراءة الرسم العثماني .

٣-أن توافق القراءة العربية في النحو الفصيح أو الأفصح[4] .

فبعض الآيات تقرأ بالفصيح والأفصح ، وهذا من بلاغة القرآن بل وهذا من إعجازه أيضاً إذ تحدى العرب أن يأتوا بمثله في الفصيح والأفصح،[5] وهذا أبلغ في الإعجاز.

---

[1] – إملاء ما منَّ به الرحمن لأبي البقاء العكبري المقدمة (ص٩) .

[2] – هو مجاهد بن جبر المقرئ المفسر أحد الأعلام الأثبات وهو ثقة بلا مدافعة وهو من تلاميذ الصحابي الجليل عبدالله بن عباس ولد سنة ٢١هــ وتوفي سنة ١٠٤هــ/٧٢٢م ميزان الاعتدال (٣/٤٣٩-٤٤٠) والتفسير والمفسرون للدكتور الذهبي (١/١٠٤) .

[3] – التفسير والمفسرون (١/٢٦٦) .

[4] – انظر النشر في القراءات العشر (١/١٠) مع منجد المقرئين (ص١٥) .

[5] – على أنا سنطرق هذا الموضوع بإسهاب في كتابنا (مدخل إلى علم القراءات) في أركان القراءة الصحيحة مع الأمثلة – إن شاء الله تعالى –.

قال تعالى : ((أم يقولون افتراه ، قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين . فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله))[1] .

الفصل السابع
القراءات الشاذة

طرحنا هذا الموضوع باختصار من صفحة ٤٣-٤٨ في هذا الكتاب كما سنطرحه ببحث شامل في كتابنا مدخل إلى علم القراءات .

من كل ما مر يتضح لنا خطأ توبي لستر في اتهام القرآن بالحالة الأدبية المشوشة ثم خطأه وهو ينفي صحة لغة القرآن وإعجازه بقوله : ((إذ العلماء المسلمون أنفسهم كانوا يصنفون مظاهر المشكلة القرآنية بحساسية شديدة بالمفردات الغريبة ، والحذف الظاهري في النص والتراكيب النحوية الشاذة والقراءات الشاذة وغير ذلك))[2] .



[1] - الآيتان ١٣ ، ١٤ من سورة هود .

[2] - هذا ما قاله توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤).

الفصل السابع

القرآن بلسان عربي مبين

المبحث الأول

أوضح القرآن أنه مبين

لقد أوضح القرآن أنه مبين فقال الله سبحانه في كتابه : ((الـر تلـك آيات الكتاب وقرآن مبين))[١] وقال سبحانه في قرآنـه : ((إن هـو إلا ذكـر وقرآن مبين))[٢] .

وقال سبحانه : ((نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذريـن بلسان عربي مبين))[٣] .

لكن خرج علينا الكاتب في المجلة توبي لستر بأن القرآن غير مبين في كل جملة خامسة أو قريب من ذلك مع أن القرآن يزعم ـ على حد قولـه ـ مراراً وتكراراً أنه مبين[٤] مع أن الذي يعرف لغة العرب يفهم معاني آيـات القرآن .

المبحث الثاني

إسلام العرب ومنهم شعراؤهم دليل على سمو بيان القرآن

لقد كان العرب قبل نزول القرآن في قمة الفصاحة والبلاغة ثم أتاهم القـرآن فأسلم كثير من شعرائهم وبلغائهم كما مر مثل الشاعر لبيد والخنساء وحسـان ابن ثابت وعمرو بن معد يكرب الزبيدي وغيرهم ، بل وأسلم شعراء بلغـاء من النصارى كما مر أيضاً منهم عدي بن حاتم الطائي وعمـير بـن شـبيم القطامي وكعب بن جعيل التغلبي وغيرهم، ولم يدّع أحد منهم أن القرآن غـير مبين .

---

١ – الآية ١ من سورة الحجر .

٢ – الآية ٦٩ من سورة يس .

٣ – الآيات (١٩٣–١٩٥) من سورة الشعراء .

٤ – هذا ما أشار إليه توبي لستر في مجلة انتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد ينـاير ١٩٩٩م (ص٥٤) ، وادعى أن هذا رأي جيرد بوين دون أن يشير إلى المصدر في هذا الكلام .

المبحث الثالث
مصادر التفسير

ونريد هنا أن نقف وقفة عند مصادر تفسير القرآن وبيانه لنرى كيف يكون القرآن مبيناً ، فمصادر التفسير هي :

أولاً : تفسير القرآن بالقرآن ، وهو أحسن أنواع التفسير .

ثانياً : تفسير القرآن بالحديث النبوي الشريف لقوله تعالى : ((وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ولعلهم يتفكرون))[1] .

ثالثاً : تفسير القرآن الكريم بأقوال الصحابة ــ رضوان الله عليهم أجمعين ــ ذلك لأن الصحابة أدرى بتفسير القرآن لما شاهدوه ومن القرائن والأحوال التي اختصوا بها ولما لهم من الفهم التام والعلم الصحيح والعمل الصالح لا سيما علماؤهم وكبراؤهم رضوان الله عليهم .

رابعاً: تفسير القرآن بأقوال التابعين إذا اتفقوا[2] ــ فالإجماع حجة في الدين.

خامساً: تفسير القرآن الكريم على أساس من اللغة العربية بالرأي الجائز[3] ، والدليل على هذا المصدر قول الله تعالى : ((إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون))[4] ، وفي الترجيح نرجع إلى المصادر السابقة التي لا تجوز مخالفتها ومن ذلك الحقيقة الشرعية التي بينها الكتاب والسنة[5] .

---

[1] – الآية ٤٤ من سورة النحل .

[2] – انظر مقدمة تفسير ابن كثير (١/٥-٤) .

[3] – انظر التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي (١/٢٥٥،٢٦٥) .

[4] – الآية ٢ من سورة يوسف .

[5] – ليس من الرأي الجائز في التفسير ترك الحقيقة الشرعية إلى المجاز أو غيره .
أما الحقيقة الشرعية فهي اللفظ المستعمل في المعنى الموضوع له شرعاً ، فواضعها هو الشارع ، مثل كلمة الصلاة في العبادة المخصوصة المشتملة على أقوال وأفعال مخصوصة ــ انظر أصول الفقه لأستاذي الدكتور وهبه الزحيلي (١/٢٩٣) -.
فقوله تعالى ((ويقيمون الصلاة)) ــ الآية ٣ من سورة البقرة ــ وقوله تعالى: ((ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلاً)) ــ الآية ٣٧ من سورة آل عمران ــ وقوله تعالى : ((وبالآخرة هم يوقنون)) ــ الآية ٤ من سورة البقرة ــ لكل هذا تفسيرات مخصوصة ، فالمقصود بالصلاة والحج عبادتان مخصوصتان على أقوال وأفعال مخصوصة ، بيّن مراد الله تعالى بالصلاة صلاة الخوف في القرآن -الآيات ١٠٢-١٠٣ من سورة النساء - ، كما بيّنته=

المبحث الرابع

ثوابت العربية تجعلها مفهومة إلى الأبد

وأظن أن الكاتب توبي لستر قد لا يعلم سبب كون القرآن الكريم جاء بلسان عربي ،وهو أن اللغة العربية لها ثوابت قوية متينة في قواعدها وأصولها فتفهم من الشخص العربي ولو نطق بها العرب قبل ١٤٠٠عام. انظر إلى قول عمرو بن قميئة الشاعر الجاهلي عندما يقول في ديوانه المفهوم:

خليلي لا تستعجلا أن تزودا	وأن تجمعا شملي وتنتظرا غدا
فما لبثي يوماً بسائق مغنم	ولا سرعتي يوماً بسابقة الردى
وإن تنظراني اليوم أقض لبانة	وتستوجبا مَنّا علي وتحمدا
لعمرك ما نفس بجد رشيدة	تؤامرني سوء لأصرم مرثدا[1]

=السنة النبوية في كيفية صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، فإن القرآن أمر باتباعه صلى الله عليه وسلم قال تعالى: ((وما آتاكم الرسول فخذوه وما نهاكم عنه فانتهوا)) ــ الآية ٧ من سورة الحشر ــ والحج بينته آيات قرآنية وكيفية تأدية النبي صلى الله عليه وسلم لمناسك الحج ، وبهذا علمنا مراد الله بالصلاة والحج في الآيتين ، ونكون قد فسرنا بهذا القرآن بالقرآن وبالسنة ، على أن الصلاة فيها معنى الأصل اللغوي وهو الدعاء والالتجاء إلى الله تعالى ، وكذلك في الحج معنى الأصل اللغوي وهو القصد فلا يكون حج من دون قصد وبهذا توافق الحقيقة اللغوية الحقيقة الشرعية في الصلاة والحج. وأما الآخرة بقوله تعالى : ((وبالآخرة هم يوقنون)) فقد بينت آيات كثيرة اليوم الآخر يوم بعث الناس جميعاً من قبورهم ، وبينت آيات كثيرة صفات هذا اليوم ، وبهذا كشفنا عن مراد الله تعالى بالآخرة وفسرنا القرآن بالقرآن.

فبعد هذا البيان لا يصح لمفسر أن يترك مراد الله تعالى في الآيات إلى معان أخرى محتج بالمجاز أو غيره ، فالأخذ بالمجاز أو غيره في هذه الآيات وسائر الآيات التي تذكر أركان الإسلام هو فعل أهل البدع العقدية لكي يتخلصوا من الإسلام كله إلى إلحادهم بعيدين عن مراد الله الذي بينته الآيات والسنة الصحيحة كما بينته أقوال الصحابة ــ رضي الله عنهم – وأقوال التابعين ــ رحمهم الله تعالى– وتستروا في ذلك كله وراء التقية إذ يظهرون خلاف ما يعتقدون ، ونبعت فكرتهم من حقد مجوسي ليحرفوا معاني القرآن بعد أن عجزوا عن تحريف نصوصه .

[1] – مرثد اسم رجل ، جاءت هذه الأبيات في كتاب الأغاني (١٦/١٥٨–١٥٩) ، وفي ديوان عمرو بن قميئة (ص٢٩) وقد حقق الديوان وشرحه الأستاذ خليل إبراهيم العطية وطبعته وزارة الإعلام بالجمهورية العراقية عام ١٣٩٢هـ–١٩٧٢م ، وقد صدر الديوان المطبوع قبل ذلك سنة ١٩١٩م في لندن باعتناء المستشرق الإنكليزي ــ تشارلس لايل ــ(١٨٤٥م ــ١٩٢٠م) الذي قدم للعربية خدمات كثيرة في خمسين عاماً منها هذا الديوان ــ ط كمبردج ــ لندن ١٩١٩ – . وقد أخذ ديوانه من مخطوطة في مكتبة جامع الفاتح باستنبول تحت رقم (٥٣٠٣). لكن عمله كان منصباً على تقديمه للقارئ الإنكليزي لا للقارئ العربي ولم يعتن بتخريج القصائد وذكر الخلاف بين الروايات ــ انظر مقدمة ديوان ابن قميئة للأستاذ خليل إبراهيم العطية (ص١٦–١٧)–.

وهذه الأبيات ليست بعيدة البيان عن فهم القارئ العربيّ للمتوسط الثقافية مع العلم أن الشاعر ابن قميئة قد مات في العصر الجاهلي قبل الإسلام في سنة ٥٤٠م[١]، فعلى هذا يكون مات قبل مولد النبي محمد ﷺ بـ/٣٠/عاماً

وقد عمّر هذا الشاعر تسعين سنة[٢] أي أنه قد بدأ حياته قبل حياة النبيﷺ الذي ولد سنة ٥٧٠م بما يزيد عن قرن ، ومع كل هذا فإن هذه الأبيات الشعرية لابن قميئة مفهومة في مفرداتها من القارئ العربي العادي اللهم إلا كلمة لبانة فمعناها الحاجة وتجد هذا المعنى في كل قاموس عربي، ولم تتطور في هذه الأبيات القواعد النحوية العربية وقواعد الصرف ، وماذلك إلا لأن اللغة العربية تملك من الثوابت القيمة ما يجعلها مفهومة ، **وعلى هذا فإن المكتبة العربية مفهومة في كل محتوياتها من العصر الجاهلي وحتى عصرنا أي من قبل بعثة محمد ﷺ وحتى وقتنا الحالي ، بل إلى أبد الدهر**

---

[١] – مات امرؤ القيس في سنة ٥٤٠م وفي هذه السنة مات ابن قميئة عنه ، قال أبو الفرج الأصبهاني ((ولقيه امرؤ القيس في آخر عمره فأخرجه معه إلى قيصر لما توجه إليه ، فمات معه في طريقه وسمته العرب عمراً الضائع لموته في غربة وفي غير أرب ولا مطلب)) ــ الأغاني(١٥٨/١٦) لذلك قال ابن قتيبة عن ابن قميئة : ((فلما خرج امرؤ القيس إلى بلاد الروم صحبه ، وإياه عنى امرؤ القيس بقوله:

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه ... وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

الشعر والشعراء (ص٣٢٢) طبع في مدينة ليْدَن بمطبعة بريل ١٩٠٢م ــ واسم قيصر هذا جستنيار كما قال خليل إبراهيم المحقق لديوانه (ص١١) لكن قيصر غدر بامرئ القيس فأهداه حلة مسمومة فلما لبسها سقط جلده وتقرح ومات ــ معجم الشعراء (ص٢٩) ، انظر ترجمة امرئ القيس (ص٢٠٠) .

وقد راودت ابن قميئة زوجة عمه مرثد عن نفسها في غيابه ، فأبى فادعت أنه راودها فأنشد هذه الأبيات الماضية وغيرها ، وكان عمرو شاعراً فحلا متقدماً وكان شاباً جميلاً حسن الوجه مديد القامة حسن الشعر ، مات أبوه وخلفه صغيراً فكفله عمه مرثد بن سعد ــ الأغاني (١٥٨/١٦) .

[٢] – فقال لما بلغها قال :

كأني وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها يوماً عذار لجامي
على الراحتين مرة وعلى العصا ... أنوء ثلاثاً بعدهن قيام
رمتني بنات الدهر من حيث لا أدري ... فكيف بمن يرمى وليس برام
فلو أنها نبل إذاً لاقيتها ... ولكنني أرمى بغير سهام
وأهلكني تأميل يوم وليلة ... وتأميل عام بعد ذاك وعام

ديوان ابن قميئة (ص٣٨-٣٩) والأغاني (١٥٨/١٦-١٥٩) - .

لكن نولدكه شك في بلوغ ابن قميئة سن التسعين فقال ((أن الحياة البدوية الخشنة لا تمكن أحداً بلوغ هذا السن .. وأن البدوي لا يعرف على وجه التحديد سنه ويرى أن كلمة السبعين حرفت فجاءت تسعين في بيته)) انظر مجلة الآشوريات (برلين) ح٣٣ لسنة ١٩٢١ ص٤ــ١٤ ، يشير إلى بيته الذي يقول فيه : كأني وقد جاوزت تسعين حجة ... خلعت بها يوماً عذار لجامي

ــ مقدمة خليل إبراهيم عطية لديوان بن قميئة (ص٩) .

وخاصة لارتباطها بكتاب الله تعالى المحفوظ مما أدى إلى تشكيل مكتبة عربية هي من أكبر مكتبات التراث المفهوم في العالم. فمن التعقل أن نفهم بعد هذا لماذا كان القرآن قد نزل على لغة العرب؟ ولماذا أراده الله الحكيم على لغة العرب اللغة التي تملك الثوابت الأصيلة المتينة.

المبحث الخامس

حفظ القرآن للغة العربية

ولما نزل القرآن باللغة العربية وتمسك بنصه المسلمون بقيت العربية على أصالتها وثوابتها من العصر الجاهلي ، والحق يقال إن القرآن قد حافظ على اللغة العربية وحافظت اللغة العربية على القرآن ، فكان كل منهما للآخر كوعاء أسمى من الذهب فلم يتغير ولم يتغير ما بداخله .

إن هذا التعانق الشديد بين العربية والقرآن قد سما باللغة العربية في ثوابتها على مر العصور والأيام ولم يجعل العربية متغيرة ، ولكنها بنفس الوقت متنامية باشتقاقاتها الكثيرة وغير ذلك لتستوعب نمو الحضارة الإسلامية بل والحضارات الأخرى على مر العصور ، فهذا الشاعر حافظ إبراهيم يتكلم بلسان اللغة العربية مبيناً بعض خصائصها ومبيناً بعض أنواع التآمر عليها منذ بداية القرن العشرين فيقول[1] :

رجعت لنفسي فاتهمت حَصاتي ... وناديت قومي فاحتسَبْت حياتي[2]

رموني بعقم في الشباب وليتني ... عقمت فلم أجزع لقول عداتي[3]

وسعت كتاب الله لفظاً وغاية ... وما ضقت عن آي به وعظات[4]

---

[1] – ديوان حافظ إبراهيم مختارات من قصيدة (ص٢٥٣-٢٥٥) أما التعليقات فمن تحقيق أحمد أمين وأحمد الزين وإبراهيم الأبياري .

[2] – رجعت لنفسي : أي تأملت . والحصاة : الرأي والعقل . واحتسبت حياتي : عددتها عند الله فيما يدخر . يقول على لسان اللغة العربية : إنني عدت إلى نفسي وفكرت فيما آل إليه أمري ، فأسأت الظن بمقدرتي ، وكدت أصدق ما رموني به من القصور ، وناديت الناطقين بي أن ينصروني فلم أجد منهم سميعاً ، فادخرت حياتي عند الله .

[3] – العداة : الأعداء . يقول : اتهموني بأني لا ألد على حين أني في ريعان شبابي . وليتني كنت كما قالوا فلا يحزنني قولهم . وكنى بالعقم هنا عن ضيق اللغة وجمودها .

[4] – الآي : جمع آية .

فكيف أضيق اليوم عن وصف آلة ... وتنسيق أسماء لمخترعات

أنا البحر في أحشائه الدر كامن ... فهل سألوا الغواص عن صدفاتي

أرى لرجال الغرب عزا ومنعة ... وكم عز أقوام بعز لغات(١)

أتوا أهلهم بالمعجزات تفننا ... فيا ليتكم تأتون بالكلمات

أيطربكم من جانب الغرب ناعب ... ينادي بوأدي في ربيع حياتي(٢)

سقى الله في بطن الجزيرة أعظما ... يَعِزُّ عليها أن تلين قناتي(٣)

حفظن ودادي في البلى وحفظته ... لهن بقلب دائم الحسرات

وفاخرت أهل الغرب والشرق مطرق ... حياء بتلك الأعظم النخرات(٤)

أيهجرني قومي ــ عفا الله عنهم ــ ... إلى لغة لم تتصل برواة(٥)

سرت لوثة الإفرنج فيها كما سرى ... لعاب الأفاعي في مسيل فرات(٦)

فجاءت كثوب ضَمَّ سبعين رقعة ... مُشَكَّلة الألوان مختلفات

---

١ – يقال : هو في منعة : أي في قوم يمنعونه ويحمونه .

٢ – الناعب : المصوت بما هو مستكره . وربيع الحياة : أيام الشباب والقوة .

٣ – القناة : الرمح . ولينها : كناية عن الضعف . ويريد (بالأعظم) : من دفن في الجزيرة من العرب الأولين .

٤ – النخرات : البالية المتفتتة .

٥ –لم تتصل برواة : أي لم يأخذها الخلف عن السلف بطريق الرواية التي تحفظها من التغيير كما هو الشأن في العربية . ويشير إلى تلك اللغة المرقعة التي كانت مستعملة أيام نشر هذه القصيدة .

٦ – اللوثة (بالضم) : عدم الإبانة . ولعاب الأفاعي : سمها . والفرات : الماء العذب .

المبحث السادس
اللغات المتبدلة لا تستطيع حمل رسالة القرآن...

تصور لو أن القرآن نزل باللغة الإنجليزية فماذا كانت النتيجة وهي لغة تتطور وتتغير على مر السنين والقرون؟ يقول جوزيف فان إس Josef van Ess [1]: ((**ولكن مجرد نزول القرآن باللغة العربية وتمسك المسلمين بنص القرآن جعل اللغة العربية تبقى كما هي حتى الآن ، بينما نجد أن اللغة اللاتينية قد تفرعت إلى لغات مختلفة كل واحدة منها تطورت باستقلال عن الأخرى**))[2] ، فعلى هذا فاللغة الألمانية متطورة ... واللغة الفرنسية متطورة ... واللغة الإنجليزية متطورة ... وإليك ما يقول عالم اللغة الإنكليزية المعروف جارلس إف هوكت **Charlers F Hockeit** :

((**وهكذا نرى أن الألف سنة من التغيير في السمات اللغوية كانت كافية لتغيير اللغة الإنجليزية بدرجة كبيرة جداً بحيث لو أمكن أن يلتقي مواطن إنجليزي من القرن العاشر بمواطن إنجليزي أو أمريكي من القرن العشرين وجهاً لوجه لما استطاع أن يفهم أحدهما على الآخر مطلقاً**، ويكفي للتدليل على ذلك إيراد فقرتين إحداهما من القرن الثامن عشر وأخرى من القرن العاشر الميلادي ليتوضح الفرق الكبير من حيث المفردات والهجاء والتراكيب النحوية ، إذ تبدو الفقرة الثانية وكأنها لغة أجنبية أخرى لا تمت للإنجليزية بصلة إلا في بضع كلمات كالضمائر والحروف مثل **for,we,on,her,his,he**))[3] .

وإليك نصين باللغة الإنكليزية:

أما الأول فمن القرن الثامن عشر الميلادي ولا يزال مفهوماً حتى الآن

---

[1] – هو مستشرق ألماني ولد في سنة ١٩٣٤م في آخن (Aachen) وهو أستاذ كرسي في جامعة توبنجن وكان مديراً لمعهد العلوم الشرقية بالجامعة طوال سنوات عديدة ، له مؤلفات عديدة معظمها في علم الكلام الإسلامي والتصوف والفلسفة ، وله مواقف متناقضة من الإسلام– التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام (ص١٤-١٥) –.

[2] – (التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام) (ص٢٥) عن كتاب المسيحية وديانات العالم (ص٤٥-٤٧) ــ نشر الكتاب دار بيبر (piper) ١٩٨٤م وطبع في فيينا –.

[3] – صفحة ٣٦٧ من كتابه (A Course in Modern Linguistics) .

وأما النص الآخر فمن القرن العاشر الميلادي وهو غير مفهوم ويحتاج لترجمة إلى اللغة الإنكليزية الحديثة حتى يفهم وقد ذكر جارلس إف هوكت لذلك مثالين :

الأول : نص باللغة الإنكليزية من القرن الثامن عشر الميلادي مفهوم حالياً مع مرجعه في ذلك :

when these thoughts had fully taken possession of Jones, they occasioned a perturbation in his mind, which, in a constitution less pure and firm than his, might have been, at such a season, attended with very dangerous consequences. (Henry Fielding, The History of Tom Jones, 1749). ([1])

الثاني:نص باللغة الإنكليزية من القرن العاشر الميلادي مع مرجعه في ذلك[٢]:

(9) Uton we nu efstan ealle mægene godra weorca, ond geornfulle beon Godes miltsa, nu we ongeotan magon þæt þis nealæcþ worlde forwyrde; for þon ic myngige ond manige manna gehwylcne þæt he his agene dæda georne smeage, þæt he her on worlde for Gode rihtlice lifge, ond on gesyhþe þæs hehstan Cyninges. (Aelfric, Blickling Homily, 971.)

ترى لو نزل القرآن بهذه اللغة الإنكليزية فماذا كانت النتيجة؟ إنها تبدل النصوص القرآنية على مدى ١٤٠٠ عام أو يزيد ــ ولم يرد الله ذلك ــ من هنا كان علينا أن نتعقل حكمة نزول القرآن باللغة العربية وأن نفهم قوله تعالى: ((إنا أنزلناه قرآناً عربياً لعلكم تعقلون))[٣] ومن هنا كان البيان سمة من سمات القرآن على مر القرون بل وآلاف السنين إن شاء الله. وصدق الله العظيم: ((نزل به الروح الأمين على قلبك لتكون من المنذرين*بلسان عربي مبين))[٤].

---

١ – المرجع السابق (ص ٣٦٥) .

٢ – المرجع السابق (ص٣٦٦)

٣ – الآية ٢ من سورة يوسف .

٤ – الآيتان ١٩٣-١٩٤ من سورة الشعراء .

ولم أرُ لكاتب عربي أو غربي في العصر الحديث كلاماً أجمل في هذا مما تكلم به الدكتور مراد هوفمان[١] ـ السفير الألماني في الرباط ـ في كِتابه الإسلام كبديل ـ إذ قال : **((ومع أن القرآن لا يمكن ترجمته دون فقدِ جانب مهم من المعنى ، يكفي سبباً لذلك طبيعة اللغة العربية ذاتها والقادرة على صياغة جمل خبرية غير مرتبطة بالتقسيم الزمني الذي نعرفه وغير خاضعة له ، وبسبب ثراء نظمه المتساوق المترابط المحكم ، فقدْ أصبح الكتاب الوحيد الذي تعددت ترجماته[٢] في لغة واحدة ، أكثر من أي كتاب مترجم في العالم[٣]، وجاوزت طبعاته أعلى رقم لأي كتاب مترجم في تاريخ الطباعة ، فضلاً عن أنه الكتاب الوحيد الذي يحفظه عن ظهر قلب مئات الآلاف من مختلف الأجناس (حتى من غير الناطقين بالعربية) ، بل إن لغته العربية أصبحت حبلاً يعتصم به أكثر من مليار مسلم في العالم الإسلامي وحده : فتجد أن نحوه وتراكيبه اللغوية وألفاظه ومشتقاتها أسدت للغة العربية الكثير فأصبحت اللغة الوحيدة التي يستطيع الناطقون بها من متوسطي الثقافة أن يقرؤوا نصوصها التي يزيد عمرها عن ألف وأربعمائة عام[٤] ، دون حاجة إلى ترجمتها إلى ((لغة عربية حديثة))))[٥] .**

---

[١] – هو الكاتب المفكر الألماني الدكتور مراد فلفريد هوفمان ، ألماني أسلم وهو سفير ألمانيا في الرباط عاصمة المغرب العربي ، ألف كتابه الإسلام كبديل وعمره (٦٥) عاماً سنة ١٩٩٢م في الرباط وله مؤلفات أخرى منها : ١ـ طريق فلسفي إلى الإسلام . ٢ـ دور الفلسفة الإسلامية. ٣ـ يوميات مسلم ألماني ، اعتنق المؤلف الإسلام في ٢٥ سبتمبر ١٩٨٠م ، وأول معرفته بالإسلام كانت في الجزائر في ٢٨ مايو ١٩٦٢م حين رأى صمود وصلابة المجاهدين الجزائريين ، ولم يفهم من أين يأتيهم هذا الدعم الخفي حتى قرأ القرآن ـ انظر ترجمته في غلاف طبعة الإسلام كبديل الطبعة الأولى لمجلة النور الكويتية و(ص٢٠) من الكتاب نفسه-.

[٢] – أي ترجمة معانية فلا يسمى قرآناً إلا ما نزل على محمد صلى الله عليه وسلم على لغات العرب

[٣] – قال المؤلف مراد معلقاً : ((أرفق حميد الله بترجمته للقرآن قائمة من أربعين صفحة تحتوي على الترجمات التي صدرت في مختلف اللغات للقرآن : قارن القرآن الحكيم الترجمة الفرنسية ، الطبعة الثالثة عشرة عام ١٩٨٥م ، ص٦٠ وما بعدها (بالترقيم الروماني) . واليوم نجد بين أيدينا أكثر من اثنتين وعشرين ترجمة ألمانية تامة للقرآن ، على أن ترجمة واحدة فقط قام بها مسلم سني ألماني (مصري) هو محمد رسول ، الترجمة التقريبية لمعاني القرآن الكريم، الطبعة الثالثة ، كولونيا ١٩٨٨، – التعليق لمراد هوفمان هو (ص٥٠) من كتابه الإسلام كبديل باختصار- .

[٤] – أي بعد نزولها وحياً إلى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم بما يزيد على/١٤٠٠/ سنة .

[٥] – انتهى من كتاب الإسلام كبديل لمراد هوفمان (ص٤٣) .

المبحث السابع
اللغات العامية لم ترتق إلى مستوى اللغة العربية

والحق يقال : إن اللغة العربية قد تبدلت مع الزمن في بلاد الفتح الإسلامي إلى لهجات محلية عامية ، مع بقاء الأصل اللغة الأم ولكن هذه اللهجات كلها بقيت دون مستوى اللغة العربية الأم ، وهذه اللهجات العامية لم يستطع أحد أن يضع لها ضوابط وقواعد ، لذلك عمدت جميع المدارس في البلاد العربية لتدريس موادها الإنسانية والعلمية باللغة العربية لغة القرآن ، حتى أن بعض الجامعات العربية الآن تدرس موادها الإنسانية والعلمية أيضا كلها باللغة العربية وهذا واضح كما في جامعة دمشق بسورية بعد الاستقلال عن فرنسا وفي السودان في منتصف التسعينات من القرن العشرين .

إن التطور في اللغة يكون غالباً إلى الأحسن ، ومع ذلك كان كل تطور في اللهجات العامية المحلية في الوطن العربي إلى الأسوأ وجعل التطورُ اللهجات العامية هي : أقل مستوى في الأدب وأقل ضبطاً في قواعد النحو والصرف ، لذلك لم تكن اللغات العامية هي المستند في تدوين الثقافة العربية سواء المترجمة أم الأصلية ، وما ذلك إلا لأن اللغة العربية بقيت أضبط وأعلى ، وما ذلك إلا لأن القرآن جعلها في سمو أدبي عال جداً يشد إليه كل من أراد أن يكتب بالعربية .

لذلك كان من الخطأ الواضح في البلاد العربية الدعوة إلى اللهجات المحلية العامية لتحل محل اللغة العربية الأصيلة ، يقول الدكتور الطاهر أحمد مكي : ((على أن هناك جانباً ظل مزدهراً لا تعنيه الثقافة ، وإنما يرمي إلى غايات عميلة ، وتموله الشركات الكبرى وأقلام المخابرات ، ويعطي اهتماماً أكبر للهجات العامية ، فأوجدوا دارسين لها وكلفوا المتخصصين بوضع قواعدها ، وأقاموا في عدد من المدن العربية تحت مسميات مختلفة مراكز لاستقبال هؤلاء الدارسين لتدريبهم عملياً على النطق والمحادثة في المناطق التي سوف يعملون فيها ، ولو أن التجربة الحية أثبتت لهم أن أية دراسة للعامية من دون معرفة الفصحى جيداً لا تؤدي إلى شيء ، فعادوا يبدؤون دراستها من جديد،ويهتمون بأن يحصل دارسو العربية قسطاً كبيراً منها قواعد ومعجماً))[1].

---

[1] – الترجمة في ظل الحضارة الإسلامية وأثرها في الآدب والعلوم ، ملحق بمجلة الفيصل مع العدد ٢٣٩ ، (ص٥٧) .

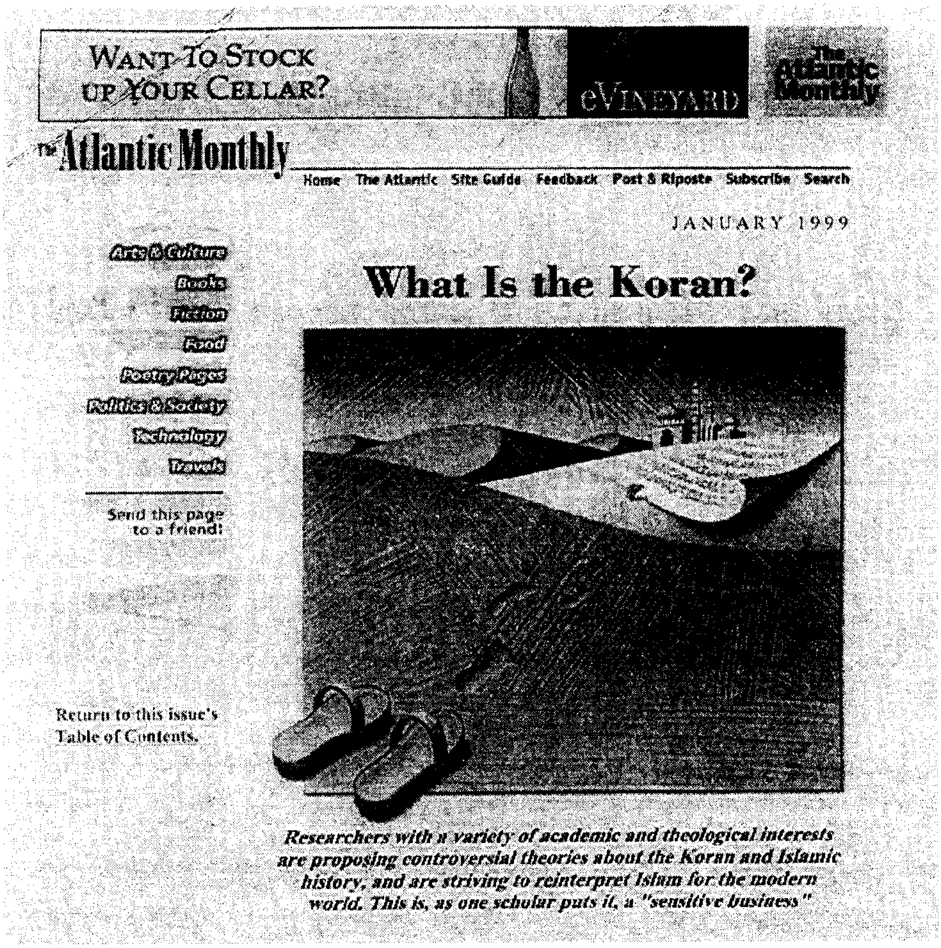
المبحث الثامن
يتناسب العلم والإيمان طرداً مع فهم القرآن

والعجيب في رحمة الله عزوجل في هذا القرآن أنه إذا قرأه الإنسان أخذ منه على حسب مداركه في فهم اللغة ودرجة إيمانه بالله جل جلاله ، فالعلماء الذين يتمتعون بسعة فهم أكبر للغة العربية وبإيمان قوي عميق ينهلون من معاني القرآن أكثر مما ينهل من كان إيمانه أقل أو سعة فهمه للعربية أقل قال الله جل جلاله : ((الله نزل أحسن الحديث كتاباً متشابهاً مثاني تقشعر منه جلود الذين يخشون ربهم ثم تلين جلودهم وقلوبهم إلى ذكر الله))[1] وقال سبحانه : ((إنما يخشى اللهَ من عباده العلماءُ))[2] ومن هنا ومن تفاعل الفطرة البشرية مع كلام الذي خلقها وهو الله جل جلاله ومن خلال فهم المفسرين المسلمين للقرآن على أساس المصادر الآنفة الذكر للتفسير اختلفت كتب تفسير القرآن في سعتها ، فتجد في المكتبة القرآنية تفسيراً للقرآن في مجلدين كتفسير مدارك التنزيل وحقائق التأويل للنسفي المتوفى سنة ٧٠١هـ/١٣١٠م وتفسيراً في أربعة مجلدات كتفسير القرآن العظيم لابن كثير المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م ، وتفسيراً في ستة مجلدات كتفسير في ظلال القرآن لسيد قطب المعاصر ... وتفسيراً في خمسة عشر مجلداً كتفسير جامع البيان عن تأويل آي القرآن لابن جرير الطبري المتوفى سنة ٣١٠هـ/٩٢٣م إلى غير ذلك من كتب التفسير التي بينت معاني القرآن .

وكم كان بودنا أن يقوم من يقول إن القرآن غير مبين بالاطلاع على هذه التفاسير ، وعند ذلك سيدرك أن القرآن يتجلى ببيانه ، وأي بيان!! ، إنه مُبَيَّن من الخالق للإنسان نفسه ليعرف منهجه في الحياة بحيث يستطيع أن ينسجم مع نفسه ومع أخيه الإنسان ومع الكون والحياة من حوله جميعاً ، لأن الذي خلق الإنسان والكون والحياة هو الذي أنزل القرآن المبين بإعجازه منهجاً لهذا الإنسان ، ليكون جزءاً صالحاً في نظام المجتمع البشري ونظام الحياة والكون .

---

[1] - الآية ٢٣ من سورة الزمر .
[2] - الآية ٢٨ من سورة فاطر .



هكذا ظهر أول مقال توبي لستر الأمريكي على شبكة الانترنت وكتب تحت الشكل: ((باحثون ذوو اهتمامات أكاديمية ودينية متنوعة يطرحون نظريات خلافية بشأن القرآن والتاريخ الإسلامي . ويحاولون جاهدين أن يفسروا الإسلام للعالم الحديث. وهذا كما عبر عنه أحد العلماء مسألة حساسة)) .

إن توبي لستر حاول أن يلبس مقالته لبوس البحث العلمي الأكاديمي وهو خال من كل ذلك، وكل ما قاله عن القرآن يسقط بالبحث العلمي سواء بنقد نقل توبي لستر عن بوئن أم بالواقع أم بحقائق التاريخ أم بالعلم الحديث أم بعلوم اللغة العربية أم بمقارنة الأديان.

لقد كثر الهجوم بجهل .. على القرآن والإسلام على شبكة الانترنت ، ولكن هذه المقالة كانت أخطرها وأشملها – فيما أعلم – ، وواجب علماء القرآن والإسلام الرد على كل شبهة حول القرآن ليزيلوا العقبات النكداء من أمام طريق دعوة الإسلام العالمية.

الفصل الثامن
بين نص القرآن والشعر

المبحث الأول
ادعاء بعض مشركي العرب أن القرآن شعر ، ورد القرآن ...

لقد ادعى بعض أعداء الإسلام في زمن النبي ﷺ بأن القرآن شعر ، وبما أنه شعر فهو قول شاعر لا وحي من الله كما ادعوا ، ويفقد عند ذلك إعجازه ، وقد أورد القرآن افتراءاتهم تلك في عدة مواضع فقال سبحانه في قرآنه المجيد : ((بل قالوا أضغاث أحلام بل افتراه بل هو شاعر))[١] وقال سبحانه في قرآنه الكريم : ((إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون . ويقولون أئنا لتاركوا آلهتنا لشاعر مجنون. بل جاء بالحق وصدّق المرسلين))[٢] .

وقال سبحانه : ((فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون. أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون))[٣] .

وخرج علينا الكاتب في المجلة توبي لستر أخيراً بأن القرآن جاء ابتداءً بأسلوب شعري[٤] ، وكأن الكاتب في هذا مشى على أقوال بعض المستشرقين دون أن يعزو إليهم[٥].

---

١ - الآية ٥ من سورة الأنبياء .

٢ - الآيات ٣٥-٣٦-٣٧ من سورة الصافات .

٣ - الآيات ٢٩-٣٠ من سورة الطور .

٤ - هذا ما ذهب إليه توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي في عدد يناير ١٩٩٩ ترجمة(ص٥١).

٥ - قال بلاشير بهذا سابقاً في كتابه ((مقدمة القرآن)) الفصل الثاني منه في المبحث الرابع بل ذهب إلى القول بأن القرآن جاء فيه الوزن الشعري في المكي والمدني منه ، وذهب إلى أن الوزن الشعري في الآيات القرآنية أيضاً دبليو منتجمري واط في كتابه ((مقدمة القرآن)) في الفصل الخامس منه .

المبحث الثاني
ردنا على شبهة أن القرآن جاء ابتداء بأسلوب شعري

المطلب الأول
الشعراء لم يصنعوا مثل القرآن مع التحدي

أولاً : لو كان القرآن شعراً لاستطاع الشعراء أن يأتوا بشعر مثله بل وأحسن وذلك عندما تحداهم القرآن أن يأتوا بمثله أو بمثل سورة منه قال تعالى في كتابه العزيز :

((قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً))[١] .

وقال سبحانه : ((أم يقولون افتراه قل فأتوا بسورة مثله))[٢] وأمام هذا التحدي للقرآن فقد أسلم كثير من فحول الشعراء من العرب الوثنيين ومن النصارى كما ذكرنا[٣].

ولا زال التحدي قائماً على مر التاريخ يشمل العرب ومن تعلم العربية من غير العرب سواء كانوا داخل البلاد العربية أم خارجها ؛ لا زال التحدي قائماً يقرع رؤوس وآذان الكفرة على مر القرون ، وإذ عجزوا جميعاً بل وآمن شعراء العرب وبلغاؤهم وأدباؤهم فإن هذا يدل على أن القرآن من عند الله جل جلاله ، قال الإمام أبو بكر الباقلاني رحمه الله تعالى : ((..أن الفصحاء منهم – أي من فحول الشعراء – حين أورد عليهم القرآن لو كانوا يعتقدونه شعراً ولم يروه خارجاً عن أساليب كلامهم لبادروا إلى معارضته ، لأن الشعر مُسَخَّرٌ لهم سهل عليهم ، فيه ما قد علمت من التصرف العجيب والاقتدار اللطيف..))[٤] .

---

١ – الآية ٨٨ من سورة الإسراء .

٢ – الآية ٣٨ من سورة يونس .

٣ – انظر (ص١٧٦) و(ص٢٠٨) من هذا الكتاب .

٤ – إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني (ص١٠٠) .

المطلب الثاني
مكونات الشعر العربي

تعريف الشعر :

إن الشعر العربي هو : كلام عربي مقفى بإيقاع موسيقي موزون على سبيل القصد مؤلف من المخيلات بانفعال والغرض منه انفعال النفس بالترغيب والتنفير [1] .

وبهذا يتكون الشعر من عدة أمور منها :

أولاً : الإيقاع الموسيقي الموزون المقصود المكرر وهذا ليس موجوداً في القرآن :

لقد نطق شعراء اللغة العربية بأبيات شعرهم في الجاهلية والإسلام بإيقاع موسيقي موزون على سليقتهم ينظم القصيدة كلها ، ولم تكن هذه الإيقاعات مدروسة في كتاب ولا بحثت في بحث متكامل في كل أنواعها ،فمن كشف هذا الوزن للشعر العربي؟ ومن أول من كتب فيه؟ لقد أجمع علماء العربية أن الذي فعل هذا هو الخليل بن أحمد الفراهيدي المتوفى سنة ١٧٠هـ/٧٨٦م [2] .

قيل إن الخليل مر بسوق الصفارين فتنبه إلى أساليب من طَرْق القوم على الطشوت ، فرأى ذلك شيئاً يشبه الأوزان المتناسقة ، فأخذ مِنَ ذلك قواعده في التفاعيل والأبحر [3] .

---

[1] – انظر إلى تعريفين في كتاب التعريفات للسيد الشريف الجرجاني (ص٦٧) مع زيادة .

[2] – انظر ترجمته (ص ٦٨) من هذا الكتاب .

[3] – حكاية الصفارين قد عرفت في غير هذا الموضوع أيضا ، فقد ذكروا أن فيثاغورث مر بسوق الصفارين أو الحدادين فسمع أصواتاً أحس بأنها متناسبة الأوزان لشيء كان قد هم بتأليفه فوقف ينظر إلى صناعها وجعل يزن إيقاعهم .

قال الشيخ / جلال حنفي[1] : (وفي بغية المستفيد من العروض الجديد للأستاذ إبراهيم علي أبو الخشب ما نصه :

((فيما يروى عن الخليل نفسه أنه كان بالصحراء ، فرأى رجلاً قد أجلس ابنه بين يديه وأخذ يردد على سمعه ((نعم لا نعم لالا نعم لا نعم لالا)) مرتين فسأله عن هذا ، فقال إنه التنغيم ـ بالغين المعجمة ـ نعلمه لصبياننا))[2] .

ولا مانع من وجود السببين اللذين جعلا الخليل بن أحمد الفراهيدي يفطن لوضع أوزان الشعر العربي في إيقاعه الموسيقي في ستة عشر بحراً يعني ستة عشر إيقاعاً موسيقياً موزوناً .

وكان العروض بتقاسيمه وتفعيلاته وتفاصيل أجزائه وقواعده ودوائره فنّاً جديداً على الناس ، فإن العرب وإن كانوا قد عرفوا الشعر فإنهم لم يكونوا قد عرفوا العروض ، وإنما كانوا ينظمون الشعر على السليقة ويتعلمونه بالتسامح ولم يكن شعراؤهم يعرفون مصطلحات الشعر سوى بعض الألقاب الشعرية اليسيرة كالرجز والقصيد والرمل والهزج[3] .

والقرآن الكريم لم يكن كتاب شعر كُتب على طُرُق العرب في بحورهم الشعرية ، ومع ذلك جاء فيه أقل من القليل على وزن بعضَ البحور مثل قوله تعالى : ((الذي أنقض ظهرك . ورفعنا لك ذكرك))[4] فإنه كلام مقفى موزون، لكنه ليس بالشعر إذ هو وسط آيات لم تأت شعراً ، يقول أبو بكر الباقلاني في هذا : ((إن البيت الواحد وما كان على وزنه لا يكون شعراً

وقال نيقو ماخس : ((إن فيثاغورث استخرج نسب النغم من أصوات المطارق في غلظها وحدتها وإيقاعها وتناسبها ..)) أورده في حاوي الفنون .. ـ من تعليق عبدالرزاق محيي الدين رئيس المجمع العلمي العراقي على كتاب العروض تهذيبه وإعادة تدوينه لجلال حنفي (ص٢٣)- .

١ - هو إمام جامع الخلفاء ببغداد وخطيبه ومدير مركز الإقراء فيه ، حاضر في معاهد ومراكز مختلفة في التلاوة أداء ونغماً ، وفي العروض وقواعد الإلقاء الصوتي وحاضر بكلية الإمام الأعظم التابعة لوزارة التعليم العالي والبحث العلمي في مسائل (اللاهوت والعقيدة) - انظر غلاف كتابه الداخلي (العروض تهذيبه وإعادة تدوينه) - .

٢ - انظر العروض تهذيبه وإعادة تدوينه تأليف جلال الحنفي (ص٢٤) .

٣ - انظر العروض تهذيبه وإعادة تدوينه (ص٢٦) .

٤ - الآيتان ٣-٤ من سورة الشرح .

وأقل الشعر بيتان فصاعداً وإلى ذلك ذهب أكثر أهل صناعة العربية من أهل الإسلام .. ثم يقولون : إن الشعر إنما يطلق متى قصد القاصد إليه على الطريق الذي يتعمد ويسلك، ولا يصح أن يتفق مثله إلا من الشعراء دون مايستوي فيه العامي والجاهل والعالم بالشعر واللسان وتصرفه ، وما يتفق من كل واحد فليس يكتسب اسم الشعر ولا صاحبه اسم شاعر ، لأنه لو صح أن يسمى كل من اعترض في كلامه ألفاظ تتزن بوزن الشعر أو تنتظم انتظام بعض الأعاريض كان الناس كلهم شعراء ، لأن كل متكلم لا ينفك من أن يعرض في جملة كلام كثير بقوله ما قد يتزن بوزن الشعر وينتظم بانتظامه ، ألا ترى أن العامي الضعيف العلم بالعربية ـ قد يقول لصاحبه أغلق الباب وائتني بالطعام ، ويقول الرجل لأصحابه أكرموا من لقيتم من تميم ، ومتى تتبع الإنسان هذا عرف أنه يكثر في تضاعيف الكلام مثله وأكثر منه[1]))[2] .

والحق يقال لم يذهب شاعر عربي إلى أن القرآن شعر ، وليس قول الوليد بن المغيرة العالم بالشعر العربي في نفي أن يكون القرآن شعراً عنا ببعيد.

الثاني : انعدام مخيلات الانفعال في القرآن بخلاف الشعر :

يقول صاحب الظلال : ((ولقد كانوا يقولون عن القرآن أحياناً : إنه شعر، ويقولون عن النبي ﷺ إنه شاعر . وهم في حيرتهم كيف يواجهون هذا القول الذي لا يعرفون له نظيراً ، والذي يدخل إلى قلوب الناس ، ويهز مشاعرهم ، ويغلبهم على إرادتهم من حيث لا يملكون له رداً .

فجاء القرآن يبين لهم في هذه السورة أن منهج محمد ﷺ ومنهج القرآن غير منهج الشعراء ومنهج الشعر أصلاً . فإن هذا القرآن يستقيم على نهج واضح ، ويدعو إلى غاية محددة ، ويسير في طريق مستقيم إلى هذه الغاية . والرسول ﷺ لا يقول اليوم قولاً ينقضه غداً ، ولا يتبع أهواء وانفعالات متقلبة، إنما يصر على دعوة ، ويثبت على عقيدة ، ويدأب على منهج لا عوج فيه . والشعراء ليسوا كذلك . الشعراء أسرى الانفعالات والعواطف المتقلبة . تتحكم فيهم مشاعرهم وتقودهم إلى التعبير عنها كيفما كانت . ويرون الأمر

---

[1] – أي ولا يعد شعراً لأنه كلام عادي لم يقصد به الشعر ولا يسمى الناطق به شاعراً مع أنه موزون .
[2] – إعجاز القرآن لأبي بكر الباقلاني (١/١٠١-١٠٢) .

الواحد في لحظة أسود . وفي لحظة أبيض . يرضون فيقولون قولاً ، ويسخطون فيقولون قولاً آخر . ثم هم أصحاب أمزجة لا تثبت على حال!

هذا إلى أنهم يخلقون عوالم من الوهم يعيشون فيها ، ويتخيلون أفعالاً ونتائج ثم يخالونها حقيقة واقعة يتأثرون بها . فيقل اهتمامهم بواقع الأشياء ، لأنهم يخلقون هم في خيالهم واقعاً آخر يعيشون عليه!

وليس كذلك صاحب الدعوة المحددة ، الذي يريد تحقيقها في عالم الواقع ودنيا الناس . فلصاحب الدعوة هدف ، وله منهج ، وله طريق . وهو يمضي في طريقه على منهجه إلى هدفه مفتوح العين ، مفتوح القلب يقظ العقل؛ لا يرضى بالوهم ، ولا يعيش الرؤى ، ولا يقنع بالأحلام ، حتى تصبح واقعاً في عالم الناس .

فمنهج الرسول ﷺ ومنهج الشعراء مختلفان ، ولا شبهة هناك، فالأمر واضح صريح: ((والشعراء يتبعهم الغاوون . ألم تر أنهم في كل واد يهيمون. وأنهم يقولون ما لايفعلون؟!))[1] .

فهم يتبعون المزاج والهوى ومن ثم يتبعهم الغاوون الهائمون مع الهوى، الذين لا منهج لهم ولا هدف . وهم يهيمون في كل واد من وديان الشعور والتصور والقول ، وفق الانفعال الذي يسيطر عليهم في لحظة من اللحظات تحت وقع مؤثر من المؤثرات .

وهم يقولون مالا يفعلون . لأنهم يعيشون في عوالم من صنع خيالهم ومشاعرهم ، يؤثرونها على واقع الحياة الذي لا يعجبهم! ومن ثم يقولون أشياء كثيرة ولا يفعلونها ، لأنهم عاشوها في تلك العوالم الموهومة ، **وليس لها واقع ولا حقيقة في دنيا الناس المنظورة !**

إن طبيعة الإسلام ــ وهو منهج حياة كامل معد للتنفيذ في واقع الحياة ، وهو حركة ضخمة في الضمائر المكنونة وفي أوضاع الحياة الظاهرة ــ إن طبيعة الإسلام هذه لا تلائمها طبيعة الشعراء ما عرفتهم البشرية ــ في الغالب ــ لأن الشاعر يخلق حلماً في حسه ويقنع به. فأما الإسلام فيريد تحقيق الحلم ويعمل على تحقيقه، ويحول المشاعر كلها لتحقق في عالم الواقع ذلك النموذج الرفيع .

[1] – الآيات ٢٢٤-٢٢٦ من سورة الشعراء .

والإسلام يحب للناس أن يواجهوا حقائق الواقع ولا يهربوا منها إلى الخيال المهوم . فإذا كانت هذه الحقائق لا تعجبهم ، ولا تتفق مع منهجه الذي يأخذهم به ، دفعهم إلى تغييرها ، وتحقيق المنهج الذي يريد.

ومن ثم لا تبقى في الطاقة البشرية بقية للأحلام المهومة الطائرة . فالإسلام يستغرق هذه الطاقة في تحقيق الأحلام الرفيعة ، وفق منهجه الضخم العظيم .

ومع هذا فالإسلام لا يحارب الشعر والفن لذاته – كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ – إنما يحارب المنهج الذي سار عليه الشعر ، والفن منهج الأهواء والانفعالات التي لا ضابط لها ؛ ومنهج الأحلام المهومة التي تشغل أصحابها عن تحقيقها . فأما حين تستقر الروح على منهج الإسلام ، وتنضح بتأثيراتها الإسلامية شعراً وفناً ، وتعمل في الوقت ذاته على تحقيق هذه المشاعر النبيلة في دنيا الواقع ؛ ولا تكتفي بخلق عوالم وهمية تعيش فيها ، وتدع واقع الحياة كما هو مشوهاً متخلفاً قبيحاً!

وأما حين يكون للروح منهج ثابت يهدف إلى غاية إسلامية ، وحين تنظر إلى الدنيا فتراها من زاوية الإسلام ، في ضوء الإسلام ، ثم تعبر عن هذا كله شعراً وفناً .

فأما عند ذلك فالإسلام لا يكره الشعر ولا يحارب الفن ، كما قد يفهم من ظاهر الألفاظ .

ولقد وجه القرآن القلوب والعقول إلى بدائع هذا الكون ، و إلى خفايا النفس البشرية . وهذه وتلك هي مادة الشعر والفن . وفي القرآن وقفات أمام بدائع الخلق والنفس لم يبلغ إليها شعر قط في الشفافية والنفاذ والاحتفال بتلك البدائع وذلك الجمال .

ومن ثم يستثني القرآن الكريم من ذلك الوصف العام للشعراء :

((إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وذكروا الله كثيراً ، وانتصروا من بعد ما ظلموا))[1] .

فهؤلاء ليسوا داخلين في ذلك الوصف العام . هؤلاء آمنوا فامتلأت قلوبهم بعقيدة ، واستقامت حياتهم على منهج . وعملوا الصالحات فاتجهت طاقاتهم إلى العمل الخير الجميل ، ولم يكتفوا بالتصورات والأحلام.

---

[1] – الآية ٢٢٧ من سورة الشعراء .

وانتصروا من بعد ما ظلموا فكان لهم كفاح ينفثون فيه طاقتهم ليصلوا إلى نصرة الحق الذي اعتنقوه .

ومن هؤلاء الشعراء الذين نافحوا عن العقيدة وصاحبها في إبان المعركة مع الشرك والمشركين على عهد رسول الله ﷺ حسان بن ثابت ، وكعب بن مالك ، وعبدالله بن رواحة – رضي الله عنهم – من شعراء الأنصار، ومنهم عبدالله بن الزبعرى ، وأبو سفيان بن الحارث بن عبدالمطلب وقد كانا يهجوان رسول الله ﷺ في جاهليتهما ، فلما أسلما حسن إسلامهما ومدحا رسول الله ونافحا عن الإسلام))[1]

وأخيراً : من كل هذا ندرك أن القرآن ليس بالشعر وما هو بقول شاعر فقد عجز البلغاء والأدباء والشعراء أن يأتوا بمثل كلامه ، وليس القرآن بالوزن الشعري الموسيقي ولا بانفعالات شاعر من هنا يظهر خطأ الكاتب الأمريكي وغيره بقولهم إن القرآن جاء بأسلوب شعري .

الفصل التاسع : نتائج ما مر من ردود بخصوص لغة القرآن

في ختام ردودنا على شبهات حول القرآن الكريم اللغوية لابد لنا أن نبين بعض الأسباب التي دعت بعضاً من الكتاب الغربيين إلى هذا الموقف في نفي السلامة اللغوية والأدبية عن القرآن فضلاً عن نفي إعجازه البياني .

إن من أهم هذه الأسباب هو جهل هؤلاء المستشرقين باللغة العربية وخصائصها وهذا واضح كما رأينا في جهلهم بالمفردات الغريبة والحذف وبيان لغة القرآن وادعائهم وجود تراكيب نحوية شاذة في القرآن واعتبار أن القرآن بحالة أدبية مشوشة .

لقد رددنا عليهم في كل ذلك ، ولكن كان الأولى بهم أن يعرفوا اللغة العربية في سموها البياني والنحوي والصرفي والاشتقاقي والبلاغي بل يدركوا ثوابت اللغة العربية التي تخلد المكتوب بها أبد الدهر .. بل وإمكانية نموها واستيعابها للحضارات الإنسانية مما دعا منظمة الأمم المتحدة لأن تكتب مقرراتها بست لغات وكانت اللغة العربية هي إحدى هذه اللغات مع أن العرب الآن يشكلون نسبة ٤% تقريباً من سكان العالم .

هذا وإن كثيراً من المستشرقين لا يتقنون اللغة العربية فنظرتهم للقرآن قاصرة ، ويزيد قصورهم اعتمادهم على ترجمات لا تستوعب معاني القرآن وبلاغته تقول الدكتورة أنا ماري شمل عميدة الاستشراق : ((الحق أن كل

---

[1] – في ظلال القرآن (٥/٢٦٢١-٢٦٢٢) .

ترجمة للقرآن[1] مهما بلغت عاجزة عن الوفاء بروح النص ولفظه ، كما نعرف من ترجمات الآثار الأدبية والفلسفية التي ليست تقاس بالقرآن..))[2] هذا إذا اعتمدوا على ترجمات حاول أصحابها أن تكون صحيحة مؤدية لمعاني القرآن ، فكيف وبعض المستشرقين يعتمدون على ترجمات محرفة لمعاني القرآن ...؟؟!!

فنقد بعض المستشرقين الخاطئ للغة القرآن إنما يرجع - كما قلنا - إلى جهلهم باللغة العربية ثم اعتمادهم على ترجمات قاصرة ، هذا إذا أحسنا الظن بالدوافع وقلنا هي طلب المعرفة ؛ ولم يخضع المستشرق لنوايا عدوانية أو رشوات محلية أو دولية وكان كاتباً حراً إلا من جهله بالعربية ..

من روائع حضارتنا بلغة القرآن:

وأترك كل قارئ غربي بل كل منصف أن ينظر إلى بعض روائع حضارتنا التي كانت تكتب باللغة العربية لغة القرآن فتأثر الغرب بها ، يقول الدكتور مراد هوفمان الألماني المسلم ــ سفير ألمانيا في الرباط ــ عن الحضارة الإسلامية الأولى: ((**إن حركية المسلمين أيقظت العالم وجعلته يمضي قدماً ، شملت آنذاك العلوم والحضارة** ، فانطلق علماء الإسلام يحققون نتائج مذهلة في العلوم الطبيعية والإنسانية ، حتى لقد غيروا مسار تلك العلوم قروناً وقروناً ، كما تشهد بذلك ميادين الرياضيات والبصريات وعلم النبات وعلوم الطب وفروعه ، مثل الجراحة وأمراض العيون وشؤون البيطرة والصيدلة والصحة.. ونشأت وترعرعت علوم المعاجم والنحو والصرف والبلاغة والموسوعات وكتب التاريخ وعلم الاجتماع.. وأخذت شمس الحضارة الإسلامية تبدد الظلام الذي ران على أوروبا قروناً ، وسطعت خاصة في الفترة من القرن التاسع حتى الرابع عشر ، وكفى أن نستدل على ذلك بذكر بعض الأعلام ، مثل الرازي والبيروني وابن رشد وابن سينا وابن خلدون وابن بطوطة والخوارزمي))[3] .

---

[1] – الصواب أن تقول ترجمة معاني القرآن الكريم .

[2] – من مقدمة الدكتورة أناماري شمل لكتاب الإسلام كبديل لمراد هوفمان (ص١١) .

[3] – الإسلام كبديل لمراد هوفمان (ص٢٢) وأشار الكاتب هنا في تعليقه إلى ملايين النسخ التي بيعت من كتاب ((شمس العرب تسطع على الغرب)) للدكتورة زيجريد هونكه .وأنه ينبغي بعد هذا الكتاب على كل مثقف أوربي إدراك فضل العرب والإسلام على أوربا المسيحية (ص٣٤).

هذا تأثير الحضارة الإسلامية التي حملت تراثها اللغة العربية لغة القرآن إلى الغرب والعالم فهذا من روائع حضارتنا .

يقول الدكتور الطاهر أحمد مكي :

((في الفصل الأول من كتابها المشهور ((شمس العرب تسطع على الغرب أثر الحضارة العربية في أوربة)) تبدأ المستشرقة الألمانية زيغريد هونكه بموقف حواري تسرد لنا من خلاله مئات من الكلمات العربية التي دخلت في صميم الحياة الأوربية ؛ بدءاً من المقهى والقهوة والسكر والليمون، وأنواع مختلفة من الفواكه والبهارات وقطع الأثاث والأقمشة ، لتختم كلامها بما يلي : ((أجل إن في لغتنا كلمات عربية عديدة ، وإننا لندين ــ والتاريخ شاهد على ذلك ــ في كثير من أسباب الحياة الحاضرة للعرب ، وكم أخذنا عنهم))[1][2] ، ولقد أبان الأستاذ منير البعلبكي كثيراً من الكلمات الإنجليزية التي ترجع إلى أصل عربي في قاموس المورد[3] .

ويقول الدكتور مصطفى السباعي رحمه الله تعالى في ذلك :

((**في ميدان اللغة والأدب** : فقد تأثر الغربيون وخاصة شعراء الإسبان بالأدب العربي تأثراً كبيراً ، فقد دخل أدب الفروسية والحماسة والمجاز والتخيلات الراقية البديعة إلى الآداب الغربية عن طريق الأدب العربي في الأندلس على الخصوص. يقول الكاتب الإسباني المشهور أبانيز: ((إن أوروبة لم تكن تعرف الفروسية ولا تدين بآدابها المرعية ولا نخوتها الحماسية قبل وفود العرب إلى الأندلس وانتشار فرسانهم وأبطالهم في أقطار الجنوب...

ومن عباقرة الأدب في أوروبا في القرن الرابع عشر وما بعده من لا شك أبداً في تأثير الآداب العربية على قصصهم وآدابهم ، ففي سنة ١٣٤٩ كتب بوكاشيو حكاياته المسماة بالصباحات العشرة وهي تحذو حذو ألف ليلة وليلة ، ومنها اقتبس شكسبير موضوع مسرحيته (العبرة بالخواتيم) كما اقتبس (لسنغ) الألماني مسرحيته (ناتان الحكيم) .

---

[1] – شمس العرب تسطع على الغرب (أثر الحضارة العربية في أوربة) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، راجعه ووضع حواشيه هارون عيسى الخوري .

[2] – الترجمة في ظل الحضارة الإسلامية وأثرها في الآداب والعلوم (ص٦٥) .

[3] – انظر قاموس المورد ــ في القسم الأخير تحت عنوان (ألفاظ إنجليزية ذات أصل عربي) (ص١٠١-١١٢) .

وكان (شوسر) إمام الشعر الحديث في اللغة الإنجليزية أكبر المقتبسين من بوكاشيو في زمانه . فقد لقيه في إيطاليا ونظم بعد ذلك قصصه المشهورة باسم (حكايات كانتربري) ...

أما (بترارك) فقد عاش في عصر الثقافة العربية بإيطاليا وفرنسا ، وطلب العلم في جامعتي (مونبلييه) و(باريس) وكلتاهما قامتا على مؤلفات العرب وتلاميذهم في الجامعات الأندلسية.

وقد تأثرت القصة الأوروبية في نشأتها بما كان عند العرب من فنون القصص في القرون الوسطى ، وهي المقامات وأخبار الفروسية ومغامرات الفرسان في سبيل المجد .

ولا حاجة بنا إلى أن نذكر ما دخل اللغات الأوروبية على اختلافها من كلمات عربية في مختلف نواحي الحياة حتى أنها لتكاد تكون كما هي في اللغة العربية ، كالقطن ، والحرير الدمشقي ، والمسك ، والشراب ، والجرة ، والليمون ، والصِّقْر ، وغير ذلك مما لا يحصى .

وحسبنا في هذا المقام قول للأستاذ ماكييل (كانت أوروبا مدينة بأدبها الروائي إلى بلاد العرب، وإلى الشعوب العربية الساكنة في النجد العربي السوري تدين بأكبر قسم أو بالدرجة الرئيسية لتلك القوى النشيطة التي جعلت القرون الوسطى الأوروبية مختلفة روحاً وخيالاً عن العالم الذي كان يخضع لروحه))[1] .

إن السر في تأثير الحضارة الإسلامية عامة واللغة العربية خاصة في كل الحضارات الأخرى هو أن القرآن يأمر بالتسامح الديني والنظرة الإنسانية العالمية ، ولا يثير النعرات الإقليمية والقارية والعرقية بين قوم وقوم ليعيش الكل في ظلاله لبناء الحضارة الإنسانية الرائدة ، فالله يقول في قرآنه الحكيم : ((لاإكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي))[2] مع أنه سبحانه يقول في قرآنه المجيد : ((ومن يبتغ غير الإسلام ديناً فلن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين))[3] ، ولأن الحضارة الإسلامية إنسانية وتنبث عالمياً تقول الدكتورة أنا ماري شمل عميدة الاستشراق عن الحضارة الإسلامية في

---

[1] – انظر من روائع حضارتنا للأستاذ الدكتور مصطفى السباعي (ص٥٥–٥٨) .

٢ – الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

٣ – الآية ٨٥ من سورة آل عمران .

الأندلس: ((أصبحت إسبانيا مركز إشعاع وبث حضاري بين أوربا والعالم الإسلامي ، وحتى يومنا هذا تشهد للحضارة الإسلامية مصطلحات لا حصر لها في ميادين العلوم الطبيعية والطب والفلك والحضارة بعامة ، ناطقة بتأثير الحضارة الإسلامية الرفيعة في الأندلس حيث أظلت اليهود والنصارى والمسلمين بيئة واحدة سادها الوئام والتسامح والتلاقح الفكري والحضاري ، **ولا نظن أن ذلك الصرح الحضاري الرائع تكرر وجوده في أية بيئة متحضرة حتى يومنا هذا))**[1].

الحق أن هناك جهلاً عند كثير من الغربيين بتأثير الحضارة الإسلامية بشكل عام وتأثير القرآن ولغته على الحضارة الإسلامية والحضارات العالمية في شتى الميادين ومنها ميادين الآداب الإسلامية المثلى ، تقول الدكتورة أنا ماري شمل نفسها : **((إن عدداً غير قليل من مثقفينا لا يعرف مثلاً أي شيء عن كنوز الفنون والآداب الإسلامية الزاخرة بالروائع والنفائس ، ولا يعرف أيضاً أن المعماريين المسلمين هم الذين شيدوا القصور مثل الحمراء في غرناطة وقبر ((تاج محل)) في الهند وغير ذلك.. ولكم طال التغني بروعة ذلك المعمار ، وما شيد من آثار..))**[2]

وبما أن الشبهات التي رددنا عليها في موضوع لغة القرآن كان سببها هو الضعف المزري عند بعض المستشرقين باستيعاب علوم اللغة العربية، فقد كان الأولى بهؤلاء أن يتتلمذوا على رجالات اللغة العربية ويقرؤوا كتبها ؛ فسيقولون بعد ذلك: إن أسمى ما قيل بلغة العرب هو القرآن على مر العصور في أعلى أنواع الفصاحة والبلاغة بأسمى نظم في أنفس أسلوب وذلك هو بعض إعجاز القرآن .

---

[1] – من مقدمة الدكتورة أنا ماري شمل– بتاريخ ديسمبر ١٩٩١م، لكتاب الإسلام كبديل(ص١١) .
[2] – المصدر السابق (ص١٧) .

الفصل العاشر
النسخ في القرآن ليس تناقضاً
المبحث الأول
القائلون بأن النسخ تعارض من المستشرقين

اعتبر الكاتب في المجلة توبي لستر أن هناك تناقضاً في الأحكام الإلهية أحياناً ، ويدافع عن هذه الناحية بالنسخ[1] ، ولقد سبق بهذا القول (ج.فانسبرف) الذي ذكر بدوره موقف الغربيين من النسخ أمثال (بيرتون) الذي ذكر أن أنواع النسخ تحوي أفكاراً متناقضة والتي كانت فيما بعد أساساً لتكوين القانون الإسلامي[2] .

ويعني رأيهم هذا وجود التناقض في القرآن الكريم وبهذا يفقد القرآن إعجازه بل ومصداقيته في أنه من عند الله تعالى على ما ذهبوا إليه لأن الله لا يتناقض .

ورداً عليهم نقول في :

المبحث الثاني : النسخ لغة واصطلاحاً

النسخ لغة : الإزالة والتغيير .

نسخت الشمس الظل وانتسخته : أزالته ،ونسخت الريح آثار الدار : غيرتها ، ونسخت الكتاب وانتسخته كله بمعنى[3] نقلت ما فيه إلى كتاب آخر .

النسخ اصطلاحاً : رفع الشارع ــ وهو الله تعالى ــ حكماً شرعياً بدليل متراخ[4] .

---

1 – هذا ما ذهب إليه توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير عام ١٩٩٩م (ص٥٤) .

2 – كتاب مصادر وطرق تفسير النصوص القرآنية لمؤلفه (ج.فانسبرف) في الفصل الرابع (مبادئ التفسير) ــ وانظر جمع القرآن لبيرتون، الفصل الثاني .

3 – صحاح اللغة للجوهري ــ مادة (نسخ) .

4 – انظر أصول الفقه لمحمد أبو زهرة (ص١٨٥).

وأول من حرر الكلام في النسخ تأليفاً الإمام الشافعي –رحمه الله تعالى – في رسالة الأصول ، ولقد اعتبره من قبيل بيان الأحكام لا من قبيل إلغاء النصوص ، فهو لا يعتبر النسخ إلغاء للنص ، ولكنه يعتبره إنهاء لحكم النص ولقد سار معه في هذا السبيل ابن حزم، ولذلك عرف النسخ فقال : حد النسخ أنه بيان انتهاء زمان الأمر الأول[١] .

المبحث الثالث

مجال النسخ في الأحكام الشرعية العملية فقط

مما سبق نعلم أن النسخ إنما يكون في الأحكام الشرعية العملية التي ثبتت بالأوامر والنواهي الإلهية كمقدار عدة المتوفى عنها زوجها ـ لتثبت براءة الرحم من الحمل ووفاء للزوج المتوفى– فقد كانت سَنَة ثم صارت أربعة أشهر وعشرة أيام **ولا يكون النسخ في العقيدة والقصص والأخبار وكل ما في الأمر إعلان عن انتهاء حكم شرعي فقهي عملي بدليل متأخر عنه.**

وهذا موجود في كل قوانين العالم الحديث في إلغاء قانون عملي بقانون عملي آخر ، وذلك في القرآن لِحِكَم منها مراعاة لمصالح العباد وتبدل التشريع العملي إلى مرتبة الكمال حسب مراحل الدعوة وتطور حال الناس ، ولإرادة الخير للأمة والتيسير عليها .

وعلى هذا نقول : ليس هنالك تناقض في العقيدة والأخبار والقصص وأساسيات الدين حتى ولا في الأحكام الفقهية العملية لأن النسخ الذي في الأحكام العملية إنهاء لزمان الحكم الماضي فلا تعارض.

١ – انظر أصول الفقه لمحمد أبو زهرة (ص١٨٥).

المبحث الرابع

شروط النسخ

وحتى أن النسخ في الأحكام الشرعية العملية له شروطه التي تثبت عدم التناقض وموافقة حكم العقل قال الأستاذ / محمد أبو زهرة موضحاً شروط النسخ في الإسلام :

شروط النسخ :

يشترط في النسخ أربعة شروط :

أولها : أن يكون الحكم المنسوخ غير مقترن بعبارة تفيد أنه حكم أبدي خالد ، فإن مثل ذلك الحكم لا ينسخ وإلا يكن في هذا مناقضة لأصل النص، ومنزل الناسخ والمنسوخ واحد . ولذا قال الفقهاء بعدم قبول شهادة المحدود في قذف قبل توبته ، فإن هذا حكم قد اقترن بالتأبيد ، فقد قال تعالى: ((ولا تقبلوا لهم شهادة أبداً))[1] .

الشرط الثاني : ألا يكون الحكم المنسوخ من الأمور التي اتفق العقلاء على حسنها أو قبحها مثل الإيمان بالله تعالى وبر الوالدين والصدق والعدل، والظلم والكذب ، وغير ذلك مما تواضع عليه الناس في كل العصور والأجيال على أنه خير مقبول ، أو شر مرذول ، ، فإن هذا قد اتفق العلماء على أنه لاينسخ ، وإنه بالاستقراء يثبت أنه لم ينسخ حكم على هذه الشاكلة .

الشرط الثالث : أن يكون النص الناسخ متأخراً في النزول عن النص المنسوخ ، لأن النسخ إنهاء لحكم النص الذي نسخ حكمه ، فكان لابد أن يقع بعده ، وأن يكون النصان في قوة واحدة [2].

الشرط الرابع : بالنسبة للنسخ الضمني الذي لم يكن النسخ فيه صريحاً لابد أن يكون التوفيق غير ممكن ، فإن كان التوفيق ممكناً بأي وجه من وجوه التوفيق ، ولو بضرب من التأويل الذي يطيقه اللفظ فإنه لا يصار إلى النسخ ، لأن النسخ إنهاء للحكم ، وعدم إعمال للنص ، ولا يصار إلى ذلك إلا عند تعذر التوفيق[3] .

---

١ – الآية ٤ من سورة النور .

٢ – في أن ينسخ القرآن بالقرآن أو السنة بالسنة أو بأقوى منه كأن ننسخ السنة بالقرآن .

٣ – انظر أصول الفقه لمحمد أبو زهرة (ص١٩٠-١٩١) .

المبحث الخامس : حكمة النسخ

ويقول الأستاذ محمد أبو زهرة في النسخ :

وقد يقول قائل : لماذا كان النسخ في الشريعة الإسلامية ، فإنه إذا جاز في القوانين التي يضعها البشر، وذلك بإلغاء قانون وإحلال قانون محله فإنه لا يسوغ في الشريعة التي ينزلها علام الغيوب ، وذلك لأن قوانين البشر تجارب إنسانية ، والإنسان يخطئ ويصيب ، أما شرائع السماء فإنها قانون الله الذي لا يجري الخطأ في فعله ولا قوله. تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً .

والجواب عن ذلك أن شرائع السماء إصلاح الله تعالى للبشر، وهي واحدة في أصلها لا تتعدد، ولكنه سبحانه لم يخلق الناس على شاكلة واحدة، فكان لابد أن تختلف بعض الأحكام التفصيلية في طائفة ولا تصلح في الأخرى، فكان لذلك التناسخ في الشرائع السماوية في الأمور التي تختلف فيها الأجيال الإنسانية، ولا تناسخ فيما هو أصل الفضائل، وما به قوام الأمم، وما يتعلق بالتوحيد .

وقد جرى النسخ في الشريعة الإسلامية، لأن النبي ﷺ بعثه الله تعالى في قوم لم يكونوا ذوي دين، ولم يتقيدوا من قبله بقانون ولا نظام ، فلو خوطبوا بالأحكام الشرعية دفعة واحدة ما أطاقوها ، ولذلك أخذهم الله سبحانه وتعالى بالتدريج ، فنزل على الرسول من الأحكام ما يطيقون؟ حتى إذا ذاقوا بشاشة الإسلام وراضوا أنفسهم على شكائم خلقية فاضلة ، خوطبوا بأحكام الشريعة الخالدة التي لا تقييد فيها، ولنضرب على ذلك بعض الأمثال:

أولها : أن المرأة لم تكن عندهم ذات حقوق ولم يكونوا يستسيغون أن تكون إنساناً مستقلاً له كل الحقوق، ولم يكن النسب عندهم طريقه الزواج وحده ، بل كان السفاح أحياناً طريقاً لثبوت النسب، فلما جاء الإسلام وقد وجدهم يتخذون الأخدان (أي الخلائل) ويعطون لهن بعض حقوق الزوجية، وذلك فيما يسمى بالمتعة ، فتركهم على ذلك أمداً ، حتى إذا استأنسوا بمبادئ الإسلام نسخ هذا[1] وتقررت أحكام الأسرة بالزواج الشرعي الذي جعل للمرأة حقوقاً كاملة

---

١ – قال الإمام البخاري حدثنا عبدالله بن يوسف أخبرنا مالك عن ابن شهاب عن عبدالله والحسن ابني محمد بن علي عن أبيهما عن علي رضي الله عنهم قال : ((نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن المتعة عام خيبر ، ولحوم حمر الإنسية)) صحيح البخاري (٥٥٢٣/٢٨٥/٦). وفي صحيح مسلم بسنده الصحيح .. قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : ((يا أيها الناس إني قد كنت أذنت لكم في الاستمتاع من النساء . وإن الله قد حرّم ذلك إلى يوم القيامة ، فمن كان عنده منهن شيء فليخل سبيله . ولا تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً)) صحيح مسلم (١٠٤٥/١٠٢٥/٢) .

كما قال سبحانه: ((ولهن مثل الذي عليهن))[1] .

ثانيها: إن الميراث في الجاهلية لم يكن يسير على نظام محكم ثابت، فقد كان أكبر الأولاد يأخذ التركة ، وأحياناً يوصي بها لمن يشاء ، والمرأة في كل الأحوال ليس لها نصيب ، فأوجب أولاً أن تكون الوصية في الوالدين والأقربين من غير تعيين حتى إذا ألفوا ذلك ، جاءت آية الميراث المحكمة ووزعت التركة بأحكام الفرائض ذلك التوزيع العادل قال تعالى: ((للرجال نصيب مما ترك الوالدان والأقربون وللنساء نصيب مما ترك الوالدان والأقربون))[2].

ومن هنا يتبين كيف كان التدرج في سن الأحكام مما اقتضى السكوت على أحكام قائمة، ثم الحكم بالتحريم من بعد، واقتضى تقرير أحكام تكون علاجاً لحال وقتية ، ثم الإنهاء لها بالنسخ بعد ذلك ، حتى إذا تمت الشريعة نزولاً بقيت محكمة إلى يوم القيامة ، وقد تمت بنزول قوله تعالى: ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً))[3].[4]

وبعض الآيات القرآنية لا يُصرح بإمكانية نسخ حكمها وبعضها يُصرح بذلك والأمر سيان مادام النسخ من الله تعالى جل جلاله فمما يصرح القرآن بإمكانية نسخه عند تقرير الحكم فيها قوله تعالى: ((واللاتي يأتين الفاحشة من نسائكم فاستشهدوا عليهن أربعة منكم فإن شهدوا فأمسكوهن في البيوت حتى يتوفاهن الموت أو يجعل الله لهن سبيلاً))[5] على أن إيجاد شهود أربعة على الزنا ليس بالأمر السهل وفي هذا محاربة الإسلام للدعارة العلنية أيما حرب ونسخ الحكم بجلد الزاني غير المحصن مائدة جلدة ...

ومن إشعار القرآن بإمكانية نسخ حكم آية قوله تعالى : ((ود كثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفاراً حسداً من عند أنفسهم من بعد ما تبين لهم الحق فاعفوا واصفحوا حتى يأتي الله بأمره))[6] ، وقد جاء بعد ذلك أمر الله بالجهاد خاصة وقد توفرت القدرة على ذلك .

إذن لا تناقض في الأحكام الإلهية إنما هو النّسخ لِحِكَم إلهية وكيف يتناقض القرآن وهو كلام الله جل جلاله الذي يعلم كل ما في الكون والحياة والإنسان!؟

---

[1] – الآية ٢٢٨ من سورة البقرة .

[2] – الآية ٧ من سورة النساء .

[3] – الآية ٣ من سورة المائدة .

[4] – انظر أصول الفقه لمحمد أبو زهرة (ص١٨٨–١٩٠).

[5] – الآية ١٥ من سورة النساء .

[6] –الآية ١٠٩ من سورة البقرة .

الفصل الحادي عشر
ليس الإسلام مقتبساً من اليهودية والنصرانية

بعد كل هذا الأسلوب الفريد للمنهج القرآني في نظرته للكون والحياة والإنسان ثم بعد ثبوت إعجاز القرآن فاستبان أنه هو منهج الله للإنسان سواء بالإعجاز العلمي أم البياني أم التأثيري أم الإخبار عن المغيبات أم الإعجاز في أسماء الله الحسنى أم الإعجاز التشريعي بعد كل هذا خرج علينا هذا توبي لستر[1] بقول قلد فيه بعض أسلافه من المستشرقين[2] هذا القول الذي يذهب إلى الاعتقاد بأن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل فقال : ((إن ما يثير دهشة القادمين الجدد إلى القرآن بصفة عامة يتمثل في درجة اعتماده على نفس المعتقدات والقصص التي تظهر في التوراة والإنجيل: الله هو الحاكم في علاه: فهو القوي العليم الرحيم ، الذي خلق العالم ومخلوقاته ، وهو الذي أرسل الرسل والشرائع عبر أنبيائه لهداية البشر ، وفي وقت لا يعلمه إلا هو سوف يضع للعالم نهايته ويقيم يوم الحساب ، وإن آدم أول إنسان، قد أخرج من الجنة لأكله من الشجرة المحرمة ، وإن نوحاً قد صنع الفلك لإنقاذ مجموعة صغيرة مختارة من الطوفان الذي حدث نتيجة لغضب الله . وإن إبراهيم استعد لذبح ابنه بناء على أمر الله . وإن موسى أخرج بني إسرائيل من مصر وتلقى الوحي عند جبل سيناء ، وإن عيسى الذي ولدته مريم العذراء وسمي المسيح ـ يصنع المعجزات وله حواريون ورفع إلى السماء)).

وكأن الكاتب يريد أن يهادن القرآن بعض المهادنة عندما يقول : ((ويحرص القرآن على تأكيد هذا التراث الموحد لله المشترك ، ولكنه يعمل بجد على تمييز الإسلام عن اليهودية والمسيحية فنذكر على سبيل المثال

---

[1] – في مجلة انتلاتك مونتلي عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤) .

[2] – ذهب إلى قوله من المستشرقين كلير تسدال في كتاب (مصادر الإسلام) في الفصل الثاني والثالث ، بل ذهب في كتابه إلى أوسع من ذلك فاعتبر أن الإسلام مأخوذ من مذاهب العرب الجاهلية ومن اليهودية ومن النصارى وغير ذلك .
كما ذهب إلى ذلك (فلهلم رودلف) وكأن توبي لستر قد نقل أفكاره جميعاً في هذا عن هذا المؤلف في كتابه (صلة القرآن باليهودية والنصرانية) في الفصل الثاني والثالث والرابع في الكتاب .

الأنبياء ــ هود، صالح وشعيب ولقمان وغيرهم الذين يبدو أن أصلهم عربيٌّ حصراً))[1] .

المبحث الأول

التوراة والإنجيل الأصليان والقرآن كلام لله جل جلاله

قبل الدخول في الرد على هؤلاء المستشرقين لابد أن نقول :

لقد أوضح القرآن أنه والتوراة والإنجيل الأصليين من الله سبحانه وذلك في قوله تعالى في القرآن: ((الله لا إله إلا هو الحي القيوم نزل عليك الكتاب بالحق مصدقاً لمابين يديه وأنزل التوراة والإنجيل من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان إن الذين كفروا بآيات الله لهم عذاب شديد والله عزيز ذو انتقام))[2] . والقرآن مع أنه الناسخ لأحكام التوراة والإنجيل فهو يبين أو يشير مع ذلك إلى الخطأ في الكتب الماضية بسبب تحريف أو تبديل أو إلغاء قال تعالى: ((وأنزل إليك الكتاب بالحق مصدقاً لما بين يديه من الكتاب ومهيمناً عليه))[3] .

المبحث الثاني

يذكر القرآن أموراً كانت في التوراة والإنجيل الأصليين

إن أساس العقيدة لا يتغير ولا يتبدل لأنه مستنبط من النظرة التأملية إلى الكون والحياة والإنسان، لذلك بين القرآن أن الرسل جميعاً دعوا إلى عقيدة التوحيد فقال سبحانه في القرآن : ((وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون))[4].

إن القرآن الكريم يأمر بالإيمان بكل الكتب المنزلة غير المحرفة وإن كان القرآن ناسخاً لأحكامها العملية قال تعالى : ((قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي

---

[1] – مجلة اتلانتك مونثلي عدد يناير ١٩٩٩م ــ (ص٥٠) ،

[2] – الآيات ٢-٤ من سورة آل عمران .

[3] – الآية ٤٨ من سورة المائدة .

[4] – الآية ٢٥ من سورة الأنبياء .

موسى وعيسى وما أوتي النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن لـــه مسلمون))[١] .

بل وإن القرآن يذكر بعض الأمور في شريعة الإسلام ثم يبين أن هـذا كان موجوداً فيما نزل قبل قال تعالى : ((قد أفلح من تزكى * وذكر اسم ربـه فصلى * بل تؤثرون الحياة الدنيا * والآخرة خير وأبقـــى * إن هـذا لفـي الصحف الأولى * صحف إبراهيم وموسى))[٢].

والقرآن يذكر أحياناً بعض الأحكام الفقهية العملية الموجودة فيما أنـزل الله قبل القرآن كقوله سبحانه في التوراة : ((وكتبنا عليـــهم فيــها أن النفـس بالنفس والعين بالعين والأنف بالأنف والأذن بالأذن والسن بالسن والجـــروح قصاص فمن تصدق به فهو كفارة له ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هـــم الظالمون))[٣].

ويذكر القرآن بعض الأحكام الشرعية الفقهية العملية فيما حرّم علـــى الذين هادوا، ويبين القرآن قبل ذلك أن المسلمين لا يحرم عليهم هذا قـــال الله تعالى مخاطبا نبيه محمداً ﷺ : ((قل لا أجد في ما أوحي إلي محرمـــاً علـــى طاعم يطعمه إلا أن يكون ميتة أو دماً مسفوحاً أو لحم خنزير فإنه رجـــس أو فسقاً أهل لغير الله به فمن اضطر غير باغ ولا عاد فإن ربك غفور رحيـــم* وعلى الذين هادوا حرمنا كل ذي ظفر ومن البقـــر والغنـــم حرمنـــا عليـــهم شحومهما إلا ما حملت ظهورهما أو الحوايا أو ما اختلط بعظم ذلك جزينـــاهم ببغيهم وإنا لصادقون))[٤] .

فالقرآن لا ينكر أن التوراة والإنجيل الأصليين همـــا مـــن كـــلام الله سبحانه لذلك ومهما طرأ عليهما من تحريف وتبديل بعد فلا بد من تشابه فـــي بعض الأمور ولا يعني هذا أبداً أن القرآن مقتبس من التوراة والإنجيل وذلـــك لأمور كثيرة أوضحنا بعضها في المبحثين التاليين :

---

١ - الآية ١٣٦ من سورة البقرة .

٢ - الآيات ١٤-١٩ من سورة الأعلى .

٣ - الآية ٤٥ من سورة المائدة .

٤ - الآيتان ١٤٥-١٤٦ من سورة الأنعام .

المبحث الثالث

أسماء الله وصفاته

المطلب الأول

موقف أصحاب العقائد في جزيرة العرب وما حولها من النبي ﷺ

الفرع الأول : موقف العرب :

لما جاء النبي محمد ﷺ برسالة رب العالمين كان العرب المشركون عباداً للأوثان المصنوعة من الأحجار، ومن اعتقد بألوهية الأحجار ولها صفات الأحجار لا يمكن أن نقول إنه اعتقد بصفات لله تعالى مستنبطة من النظرات التأملية إلى الكون والحياة والإنسان، فلم يستنبط محمد ﷺ صفات الله من المعتقدات الوثنية وإلا لما ناصبه وثنيو العرب العداء وعذبوه واضطروه للهجرة هو وأصحابه إلى المدينة المنورة ، وقاتلوه وأصحابه في غزوات بدر وأحد والخندق وحنين.. في معارك شديدة حتى أتم الله فضله على محمد ﷺ بفتح مكة وحكم النبي محمد ﷺ بعد ذلك الجزيرة العربية كلها بعقيدة التوحيد.

الفرع الثاني : موقف الفرس :

أما الفرس الذين كانوا مجاورين للعرب في جزيرتهم العربية فقد كانوا يعتقدون بألوهية النار، وهل للنار صفات الإله الذي نتوصل إليها عن طريق نظرتنا التأملية للكون والحياة والإنسان؟ اللهم لا وما عرضناه في الباب الأول يوضح ذلك .

ولقد كان لكسرى ملك الفرس موقف خطير لا ينسى .. وذلك عندما مزق رسالة النبي ﷺ التي يدعوه فيها ﷺ إلى الإسلام وعقيدته .

الفرع الثالث : موقف اليهود :

وأما اليهود فقد ناصبوه العداء مع تظاهرهم أولاً بمودته ، وصنع معهم معاهدة مشهورة في المدينة المنورة ، فحاول بنو النضير بعد ذلك قتله[1] ، ونكث بنو قينقاع عهدهم[2] ، وحاول بنو قريظة استئصال شأفة الإسلام بتآمرهم مع الأحزاب في غزوة الخندق ليشكلوا أكبر خطر داخلي على مدينة

---

[1] – الرحيق المختوم (ص٢٦٩).

[2] – الرحيق المختوم (ص٢١٦) .

الرسولﷺ والمسلمين[1] ، كل ذلك لأن اليهود شعروا بعقيدة جديدة تخالف عقائدهم بل حاول اليهود تسميمه بعد فتحه لحصون خيبر ، وقال لذلك قولته المشهورة قبل موته مخاطباً زوجه رضي الله عنها : ((يا عائشة ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم))[2].

كل ذلك للخلاف العقدي الشديد بين المسلمين واليهود مما سنراه بالمقارنة (ص٢٧٢-٢٧٤) و(٢٧٨-٢٧٩) بدراسات مقارنة في موضوع مخالفة الله للحوادث ورحمة الله وقدرته وعلمه وحكمته سبحانه ، وقد بينا قول العقاد عن عقيدة اليهود ومخالفتها للعقيدة الإسلامية (ص٢٧٩،٢٨١) من هذا الكتاب .

الفرع الرابع : موقف الرومان :

أما الرومان الذين كانوا مجاورين للجزيرة العربية فهل كانوا يعتقدون بالوحدانية لله وبصفات حقيقية سامية تتمثل بالإله الذي يعبدونه بحيث يقتنع حامل العلم الحديث والعقل المتأمل بأن هذا الإله يمكن أن يتصف بهذه الصفات؟ لن أجيب على هذا السؤال أبداً!!! وأترك المجال للدكتور ولتر أوسكار لندبرج الأمريكي[3] الذي جاء قوله في كتاب (الله يتجلى في عصر العلم) (ص٣٧-٣٨) وهذا الكتاب منتشر في كل البلاد العربية، قال هذا العالم فيه : ((ويرجع فشل بعض العلماء في فهمهم وقبولهم لما تدل عليه المبادئ الأساسية التي تقوم عليها الطريقة العلمية من وجود الله والإيمان به إلى أسباب عديدة نخص منها بالذكر :

أ- يرجع إنكار وجود الله في بعض الأحيان إلى ما تتبعه بعض الجماعات ، أو المنظمات الإلحادية، أو الدولة من سياسة معنية ترمي

---

١ - الرحيق المختوم (ص٢٨٣) .

٢ - رواه البخاري في صحيحه (٥/١٥٨/رقم ٤٤٢٨) فداك آباؤنا وأمهاتنا يا رسول الله صلى الله عليك فوراء كلامك توصيات لا ننساها وتوجيهات لا نتركها بشأن يهود .

٣ - هو عالم الفسيولوجيا والكيمياء الحيوية ــ حاصل على درجة الدكتوراه من جامعة جرنزهولكنز ــ أستاذ فسيولوجية الكيمياء بجامعة منيسوتا ــ أستاذ الكيمياء الحيوية الزراعية بجامعة منيسوتا ــ عميد معهد هورمل منذ عام ١٩٤٩م عضو ورئيس جمعيات عديدة لدراسة الطعام وتركيبه الغذائي ــ مؤلف سلسلة كتب تركيب الدهون واللبيدات الأخرى ــ نشر كثيراً من البحوث العلمية ــ انظر (الله يتجلى في عصر العلم) (ص٣٧) - .

إلى شيوع الإلحاد، ومحاربة الإيمان بالله بسبب تعارض هذه العقيدة مع صالح هذه الجماعات أو مبادئها.

ب- وحتى عندما تتحرر عقول الناس من الخوف فليس من السهل أن تتحرر من التعصب والأهواء ، **ففي جميع المنظمات الدينية المسيحية تبذل محاولات لجعل الناس يعتقدون منذ طفولتهم في إله هو على صورة إنسان ، بدلاً من الاعتقاد بأن الإنسان قد خلق خليفة لله على الأرض . وعندما تنمو العقول بعد ذلك، وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير أو مع أي منطق مقبول.**

وأخيراً عندما تفشل جميع المحاولات في التوفيق بين تلك الأفكار الدينية القديمة وبين مقتضيات المنطق والتفكير العملي نجد هؤلاء المفكرين يتخلصون من الصراع بنبذ فكرة الله كلية. وعندما يصلون إلى هذه المرحلة ويظنون أنهم قد تخلصوا من أوهام الدين وما ترتب عليها من نتائج نفسية ، لا يحبون العودة إلى التفكير في هذه الموضوعات ، بل يقاومون قبول أية فكرة جديدة تتصل بهذا الموضوع وتدور حول وجود الله))[١].

وقد مر معنا أبحاث تتعلق بموقف قيصر الروم بعد أن أرسل له النبي محمد ﷺ رسالة يدعوه إلى الإسلام وعقيدته في حديث رواه البخاري (ص٢٠٤) من هذا الكتاب ولقد كان هنالك للاختلاف مع الروم معارك طاحنة في مؤتة واليرموك انتهت بفتح دمشق والقدس ومصر .. وصدق الله العظيم ((هو الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله))[٢] .

نظرات في قول د/ وولتر أوسكار الأمريكي :

لقد اعتبر عالم فسيولوجية الكيمياء الحيوية الدكتور وولتر أوسكار كما شاهدنا أن القول بألوهية إنسان كما تقول المنظمات المسيحية[٣] أمر لا يتفق

---

١ - الله يتجلى في عصر العلم (ص٣٧-٣٨) .

٢ - الآية ٣٣ من سورة التوبة والآية ٢٨ من سورة الفتح والآية ٩ من سورة الصف .

٣ - إن تقرير ألوهية المسيح ــ عليه السلام ــ أدى إلى تفرقهم إلى مذاهب خاصة وهم يرون أن المسيح ــ عليه السلام ــ كان يأكل مما يأكل الناس ويتحدث كمايتحدثون وكان على العموم إنساناً في مظهره على الأقل لقد افترقوا إلى فرق في هذا الموضوع وهي : ١ ــ مذهب النسطوريين ٢ــ مذهب الكنائس الشرقية (الأرثوذكس) : المذهب اليعقوبي ٣ــ مذهب الكاثوليك : الملكانية ٤ــ المذهب الماروني .

مع النظرة التأملية بالطريقة العلمية بل وقال في هذه الصورة : ((وعندما تنمو العقول بعد ذلك وتتدرب على استخدام الطريقة العلمية فإن تلك الصورة التي تعلموها منذ الصغر لا يمكن أن تنسجم مع أسلوبهم في التفكير، أو مع أي منطق مقبول)) نعم لقد قال هذا في كتاب انتشر في كل أنحاء العالم .

وأما الكاتب الأمريكي الذي يعمل في وكالة الفضاء الأمريكية مايكل إتش هيرت[1] المطلع على تاريخ العالم ، فقد اعتبر محمداً ﷺ الإنسان الأول في العالم لعظم تأثيره فيه وحتى الآن ، انظر مقالته في ذلك (ص ٣١٨-٣٢٤) من هذا الكتاب[2] واعتبر ترتيب المسيح ـ عليه السلام ـ هو الثالث في العالم[3] ومع ذلك لم يصرح مسلم في العالم بألوهية محمد ﷺ خاصة وقد أشارت آيات في القرآن إلى عبوديته ﷺ لله رب العالمين منها قول الله تعالى : ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله))[4] ومنها قوله سبحانه : ((الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب))[5] وقوله سبحانه : ((تبارك الذي نزل الفرقان على عبده ليكون للعالمين نذيراً))[6] .

إن النظرة التأملية الحرة في كل شيء بالطريقة الحديثة التي نظر بها الكاتب د/ وولتر أوسكار لا تقول أن إنساناً يكن أن يمكن إلهاً ، ولا تدل الطريقة العلمية والنظرة التأملية الحرة الحديثة إلى الكون والحياة والإنسان أن ١+١+١=١ في موضوع الألوهية، وليس هذا معجزة بالطريقة العلمية في علم الرياضيات ، بل المعجزة هو القرآن لما فيه من إعجاز علمي وتشريعي وإخبار عن المغيبات والإعجاز البياني والإعجاز التأثيري وإعجاز العقيدة الإلهية وفي تفوقه في هذا كله على قدرة البشر .

ـ شرح الدكتور أحمد شلبي كل هذا في كتابه المسيحية من (١٩٢-١٩٥) .

١ - انظر ترجمته (ص٢١٣) من هذا الكتاب .

٢ - انظر كتاب الخالدون (ص١٣) .

٣ - انظر كتاب الخالدون (ص٢٣) .

٤ - الآية ٢٣ من سورة البقرة .

٥ - الآية ١ من سورة الكهف .

٦ - الآية ١ من سورة الفرقان .

المطلب الثاني
ثبت إعجاز القرآن في أسماء الله الحسنى للفوت والسبق

نعم لقد جاء الرسول ﷺ بعقيدة تختلف عن هذه العقائد المحيطة بـه ، جاء بالإسلام بصفات وأسماء لله عز وجل تنسجم مع النظرة التأملية إلى الكون والحياة والإنسان ، وتخالف هذه العقائد وهذه الملل والنحل ، ومن هنا نقول إن هذه النظرة لصفات الله وأسمائه فاتت تلك الملل والنحل ... داخل الجزيرة وخارجها ، وسبق القرآن العلم الحديث في طرح هذه الأسماء والصفات لله تلك التي يستنبطها العلم الحديث من نظرة الإنسان التأملية إلى الكون والحياة والإنسان ، وإذا كان الإعجاز هو الفوت والسبق في اللغة العربية[1] فإن القرآن يملك إعجازاً بأسماء الله الحسنى يدل على أنه من الله خالق الكون والحياة والإنسان .

المطلب الثالث
إعجاز القرآن دليل على عدم اقتباسه ..

نعم إن القول باقتباس القرآن من التوراة والإنجيل الحاليين معناه تكذيب النبي محمد ﷺ فيما ادعاه أنه رسول الله بهذا القرآن والإسلام وعزو كل إعجاز القرآن للتوراة والإنجيل ، ومعناه أيضا إبطال القرآن والإسلام بل وإبطال الحضارة الإسلامية على مدى (١٤)قرناً.

وليس القول باقتباس واعتماد القرآن على التوراة والإنجيل من قبل محمد صحيحاً ، وذلك لإعجاز القرآن بأسماء الله الحسنى في زمن الرسول محمد ﷺ وفي زماننا هذا ثم إعجاز القرآن في إخباره عن المغيبات وإعجاز القرآن العلمي والبياني والتأثيري والتشريعي وليس هذا موجوداً في التوراة والإنجيل ، وقد أوفينا هذه الأنواع من الإعجاز بحثاً في الكتاب الأول من هذه السلسلة وفي كتابنا هذا ، وبقي إعجاز القرآن التشريعي فلا بد من بحثه بالتفصيل في كتاب خاص في هذه السلسلة إن شاء الله تعالى تحت اسم الإسلام يملك أرقى التشريعات .

---

[1] – انظر معجم تاج العروس للزبيدي مادة (عجز).

المطلب الرابع :
المعاصرون الذين كتبوا في مقارنة الأديان

وليس مجالنا الآن في الكلام على التوراة والإنجيل الحاليين فقد أشبع العلماء هذا الموضوع بحثاً وعلماً ودراسة في العصر الحديث وأخص منهم الكاتب الطبيب الفرنسي موريس بوكاي في كتابه ((التوراة والإنجيل والقرآن والعلم)) الذي ترجمه إلى العربية مفتي لبنان الشيخ حسن خالد ــ رحمه الله تعالى ــ ونشره المكتب الإسلامي في بيروت ودمشق في عدة طبعات كان من آخرها الطبعة الثالثة عام ١٤١١هـ ــ ١٩٩٠م ، والمفكر وعالم مقارنة الأديان أحمد ديدات[١] ــ رحمه الله تعالى ــ وذلك في كتبه بل في نقاشه الخالد للقس الأمريكي جيمي سويكارت[٢] في الولايات المتحدة الأمريكية والذي عرضته قناة تلفزيون أبوظبي قبل عام ١٩٩٠م وانتشر في أنحاء واسعة من العالم، وأثبت أحمد ديدات أن القرآن هو الكتاب الرباني الوحيد الذي لم يحرف فهو كلمة الله إلى البشر ، وكذلك المفكر والأستاذ الدكتور عابد توفيق

---

١ ــ هو عالم مقارنة الأديان من دولة اتحاد جنوب أفريقيا ذاع صيته في العالم المعاصر بتحدي كثير من رجال الدين بالنقاش وقد ناقشه بعضهم فظهرت حجته عليهم منهم القس الأمريكي جيمي سوريكارت والقس الدكتور أنيس شروش والقس السويدي ستانلي شوبرج ، وكان ــ كما رأيته ــ عبقرياً حافظاً لنصوص الكتب الدينية حاضر البديهة في إثبات أن القرآن كلام الله متقناً للغة الإنكليزية ، حضرت له محاضرة في قاعة أفريقيا في مدينة الشارقة بالإمارات العربية المتحدة قبل عام ١٩٩٠م وظهر لي أنه متقن لاختصاصه مخلص في دعوته الإسلامية طبعت له دار الفضيلة في القاهرة والإمارات العربية المتحدة ــ دبي ــ عدة كتب منها : العرب وإسرائيل شقاق أم وفاق ــ ومسألة صلب المسيح بين الحقيقة والافتراء ، ومناظرة العصر بين أحمد ديدات والقس أنيس شروش ، ومناظرتان في استكهولم بين أحمد ديدات وكبير قساوسة السويد ستانلي شوبرج ، وعتاد الجهاد ــ أخذت أسماء هذه الكتب لأحمد ديدات مما أوضحته دار الفضيلة في القاهرة ودبي على كتابه عتاد الجهاد خلاصته خمسين عاماً في البحث ــ رحم الله أحمد ديدات وأسكنه فسيح جنانه-.

٢ ــ هو قس مبشر بل ملك مبشري التلفزيون يبلغ من العمر ٥٢ عاماً غني جداً استطاع مثل أي رجل أعمال ناجح أو ممثل مشهور استطاع أن يبني إمبراطورية لها مشاهدين يبلغ تعدادهم مئات الملايين على مستوى العالم ودخل يصل إلى أكثر من (١٥٠) مليون دولار في السنة فبرنامجه يبث في أكثر من ٥٠ دولة عدا أمريكا ناقش أحمد ديدات ثم بعد ذلك اكتشف له علاقات لا أخلاقية جنسية تعرض بسببها الانتقادات كثيرة خاصة وقد هاجم أحمد ديدات في تعدد الزوجات في الإسلام وأنه يكتفي بزوجته الرائعة ــ انظر كتاب ــ أمريكا السقوط والحل لمختار خليل المسلاتي (ص١٣٣-١٣٧) ــ ط دار الفكر ــ دمشق ــ بيروت ــ .

الهاشمي[1] في كتبه القيمة في مقارنة الأديان وكذلك المفكر العظيم الأستاذ الدكتور أحمد شلبي في كتابيه في مقارنة الأديان عن اليهودية والمسيحية. ليس مجالنا الآن الكلام في كل ذلك ولكني أعرض المقارنة في جدول لأترك للقارئ وللقارئ فقط أن يستنتج بنفسه أن القرآن غير مقتبس من التوراة والإنجيل الحاليين[2]

وإليك الجدول التالي :

المطلب الخامس : مقارنة الأديان في بعض صفات الله جل جلاله

صفة الله	التوراة والإنجيل الحاليين	القرآن
١-الوحدانية	((..لأنه هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لايهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية لأنه لم يرسل الله ابنه إلى العالم ، ليدين العالم، بل ليخلص به العالم)) انجيل يوحنا /١٣/١٥-١٨[3]	((قل هو الله أحد * الله الصمد * لم يلد ولم يولد * ولم يكن له كفوا أحد))سورة الإخلاص. ((وقالت اليهود عزير ابن الله وقالت النصارى المسيح ابن الله ذلك قولهم بأفواههم يضاهئون قول الذين كفروا من قبل قاتلهم الله أنى يؤفكون)) الآية ٣٠ من سورة التوبة

[1] – المؤلف: هو أستاذي من مواليد مدينة الموصل.
ــ حصل على شهادة الليسانس في العربية وآدابها من كلية التربية ــ جامعة بغداد .
ــ حصل على شهادة الماجستير من u.s.c. كاليفورنيا في التربية وطرق التدريس .
ــ حصل على شهادة الدكتوراه من جامعة القرآن الكريم ــ السودان في العقيدة ومقارنة الأديان
ــ عمل في التعليم الجامعي ثلث قرن ربع قرن في العراق وتسع سنين في اليمن .
ــ عمل في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة أستاذاً في مادة الدعوة.
ــ بلغت كتبه المنشورة حوالي اثنين وستين ــ ثلثها في المجال الإسلامي وربعها في التربية والمناهج وطرق التدريس والباقي في علم مقارنة الأديان والأدب وغيره .
ــ هوايته الرياضة لعدة عقود والدعوة سلوكاً قبل اللسان والقلم والقراءة والتأليف .
من كتبه في مقارنة الأديان : التصور اليهودي للإله بميزان الإسلام ــ التصور اليهودي للأنبياء ــ عقيدة اليهود في فلسطين ونقدها ــ إنسانية الأديان ــ الوسيط في علم الأديان جزءان: اليهودية بميزان الإسلام – النصرانية بميزان الإسلام ــ المرجع أستاذي الدكتور / عابد توفيق الهاشمي .

[2] – قد أوضحنا في كتابنا إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى أن أساس العقيدة الإلهية القرآنية ينسجم مع العلم الحديث في دلالة كل منهما على أن آثار الوحدانية تدل على الواحد وآثار الحكمة تدل على الحكيم..إلخ.

[3] – الوسيط في علم الأديان ــ النصرانية ــ (٢/٧٦) .

مخالفتـــــه للحوادث	((وإنه لا إله غير الله وحده، فإنـــا لنـــا نحن إله واحداً ، هو الله الأب الذي منه كل شيء، ونحن به ، ورباً واحداً ، هو يسوع المسيح الذي كل شــــيء بيــده ، ونحــن أيضـــاً فـــي قبضتـــه)) رومية/٤/١٤[١] . (فخلق الله الإنسان على صورته صورة الله خلقه. ذكر أو أنثى خلقهم) التـــوراة ــ سفر التكوين /٢٧[٢] ويؤكد المعنـــى نفسه الإصحاح الخامس / ٢،١ كذا سفر أرميا ٢١/٧	بين الله تعالى قول المسيح عليه السلام وهو في المهد: ((قال إني عبدالله آتاني الكتـــاب وجعلني نبياً * وجعلني مباركاً أينما كنــت وأوصاني بالصلاة والزكاة مادمت حيـــاً * وبراً بوالدتي ولم يجعلني جبـــاراً شـــقياً * والسلام علي يوم ولدت ويوم أموت ويـــوم أبعث حياً)) الآيات ٣٠-٣٣ مـــن ســـورة مريم . ((ليس كمثله شيء وهو السميع البصـــير)) الآية ١١ من سورة الشورى.
٣-رحمة الله	((وضرب الرب من أهل بيت شـــمس لأنهم رأوا تابوت الرب وضرب مـــن الشعب خمسين ألف رجل وســـبعين)) التوراة سفر صموئيل الأول ١١/٦[٣] ((وصعد الشعب إلى المدينة ــ أريحا ــ وهي أول مدينة في فلسطين اقتحمـــها يشوع النبي ــ كل رجل مـــع وجهـــه وأخذوا المدينة ، وحرموا كـــل مـــافي المدينة من رجل وامرأة ــ من طفـــل وشيخ ، حتى البقر والغنم والحمير بحـد السيف ، وأحرقوا المدينة بالنار، مع كل مابها)) التوراة ســـفر يشـــوع ٦/٢٠-٢٤[٤] ــ وهكذا تختم المأساة بـــالحرق الشامل للمدينة ، ثم هجرت إلى الأبـــد (وحلف يشوع في ذلك الوقت قـــائلاً : (ملعون قدام الرب الرجل الـــذي يقـــوم ويبني هذه المدينـــة) يشـــوع /٦/٢٦-٢٧[٥] .	((ورحمتي وسعت كل شيء)) الآيـــة ١٥٦ من سورة الأعراف . ((وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحمـــاً طرياً وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون* وألقى في الأرض رواســـي أن تميد بكم وأنهاراً وسبلاً لعلكـــم تـــهتدون* وعلامات وبالنجم هم يهتدون* أفمن يخلـــق كمن لا يخلق أفلا تذكـــرون* وإن تعـــدوا نعمة الله لا تحصوها إن الله لغفور رحيـــم)) الآيات من ١٤-١٨ من سورة النحل . ((وقل رب اغفر وارحـــم وأنـــت خـــير الراحميـــن)) الآيـــة : ١١٨ مـــن ســـورة المؤمنون.

[١] – الوسيط في علم الأديان ــ النصرانية ــ (٧٦/٢) .

[٢] – موسوعة الكتاب ــ المقدس ــ التوراة (ص٧) يناقض هذا المعنى في التوراة نفسها بما جـــاء فيها : (إني أنا الله وليس غيري إلهاً ، وليس لي شبيه) سفر أشعياء ٩/٤٦ ــ الكتاب المقدس فـــي الميزان ــ التوراة ــ للأستاذ الدكتور عابد توفيق الهاشمي (ص٧) .

[٣] – موسوعة الكتاب المقدس في الميزان تأليف أ.د عابد توفيق الهاشمي (ص١) .

[٤،٥] – الوسيط في علم الأديان (١٣٠/١) لكن تجد في الكتاب المقدس غير هذا المعنى فقد جـــاء به: ((الرب حنان رحيم طويل الروح ، وكثير الرحمة ، صالح للكل ، ورأفته على جميع خلقـــه)) التوراة ــ سفر المزامير / ١٤٥/ ٨،٩ .

٤-قدرة الله	((لأنه في ستة أيام صنع الرب السماء والأرض وفي اليوم السابع استراح وتنفس)) التوراة سفر الخروج ٣١/١٥-١٨ ومثله في سفر التكوين ٢/٢-٤ [١] ((وكان الرب مع يهوذا ، وورث الجبال ، ولم يستطع أن يستأصل أهل الوادي لأن كانت لهم مراكب كثيرة من حديد)) التوراة سفر القضاة ١/١٩ [٢]	((ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما في ستة أيام وما مسنا من لغوب)) الآية: ٣٨ من سورة ق . ((أولم يروا أن الله الذي خلق السموات والأرض ولم يعيَ بخلقهن بقادر على أن يحيي الموتى)) الآية ٣٣ من سورة الأحقاف . ((إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون)) الآية ٨٢ من سورة يس .
٥- علم الله	يقول الرب : ((أما الآن فاعزلوا عنكم زينتكم فأعلم ما أفعله بكم)) التوراة سفر التكوين ١٨/٢٠،٢١ [٣] امتحن الله موسى ليعلم ما في قلبه ((واذكر كل الطريق الذي ساسك به الرب إلهك أربعين سنة في القفار، ليعذبك ويبتليك ، وبيان كل ما في قلبك، أتحفظ وصاياه أم لا)) التوراة سفر التثنية ٢/٢ [٤] .	((وهو بكل شيء عليم)) الآية ٢٩ من سورة البقرة . ((وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين)) الآية ٥٩ من سورة الأنعام.
٧-حكمة الله في العدل	((يجازى الأبناء وأبناءهم بإثم آبائهم إلى ثلاثة وأربعة أجيال)) التوراة سفر الخروج ٢٤/٧ ((أما أولاد الزنا فلا يدخلون في جماعة الرب حتى الجيل العاشر ، وإلى الأبد، لا يدخل منهم أحد في جماعة الرب إلى الأبد)) التوراة سفر التثنية ٢٣/٣	((ولا تكسب كل نفس إلا عليها ولا تزر وازرة وزر أخرى)) الآية ١٦٤ من سورة الأنعام . ((وأن ليس للإنسان إلا ما سعى* وأن سعيه سوف يرى* ثم يجزاه الجزاء الأوفى)) الآية (٣٩-٤١) من سورة النجم.
٨-حكمة الله في حجته في إرسال رسل مبشرين ومنذرين	((فخرج الروح وقام قدام الرب ، وقال: أنا أخدعه ــ والمقصود آخاب ــ فقال له الرب : بماذا؟ قال : أنا أخرج فأكون روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائه . فقال له الرب : تخدع وتقدر على ذلك؟ اخرج وافعل والآن قد جعل الرب روح ضلالة في أفواه جميع أنبيائك ، وكانوا نحو أربعمائة نبي)) التوراة سفر الملوك الأول ٢٢/١٩ــ٢٤ [٥]	((إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً. ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً . رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل وكان الله عزيزاً حكيماً)) الآيات (١٦٣-١٦٥)من سورة النساء .

[١] - موسوعة الكتاب المقدس في الميزان (ص٩) .

[٢] - المرجع السابق (ص١١) .

[٣،٤] - المرجع السابق (ص١٣)

[٥] - بما أن كتابنا هذا ليس كتاباً لمقارنة الأديان بشكل شامل فلن أبين المقارنة في كل صفات الله وأسمائه وأكتفي بما قارنت دون تعليق .

ولقد ذهب الأستاذ الدكتور / كونج[1] ــ مدير معهد توحيد الكنائس ــ إلى الحديث عن مدى صحة تصور القــرآن لعيســى عليــه الســلام فيفرق كونج بين فهم الإسلام للكلمة التي هي دليل قــدرة الله المطلقــة ، والمفهوم المسيحي لها على أنها أصبحت لحماً (الحلــول) ، ويقــرر أن القرآن لا يفهم إلا بالقرآن ، ولاينبغي أن نحاول فهمه عن طريق الكتــاب المقدس ولا علم النفس أو أي طريق آخر.[2]

---

[1] – هو الرئيس والمشرف على ندوة الحوار التي نظمتها جامعة توبنجن بألمانيا الغربية ونشــر كتاب ((المسيحية وديانات العالم)) هو الأستاذ الدكتور هانس كونج (Hans kung) مدير معــهد أبحاث توحيد الكنائس (المسيحية) التابع لجامعة توبنجن (Tübingen) بجنــوب غــرب ألمانيــا الاتحادية . ومنذ عام ١٩٦٣ وهو يعمل أستاذ أصول الدين المسيحي ومديراً لمعهد أبحاث توحيــد الكنائس المسيحية (Institut für Ökomenische Forschung) بجامعة توبنجــن . ويحمــل دكتوراه فخرية من جامعات عالمية عديدة . وجديراً بالذكر أن ثمة خلافاً حاداً وقــع بيــن هــذا الأستاذ من جهة والبابا بروما من جهة أخرى انتهى بسحب اعتراف الكنيسة بصلاحيــة الأســتاذ لتمثيل الكنيسة والإشراف على الطلاب لتخريجهم قساوسة كاثوليك وكذلك إلغاء كرسي الأســتاذية الخاص به والذي كانت تنفق عليه الكنيسة الكاثوليكية وذلك في عام ١٩٨٠م . وقــد جــاء هــذا القرار الكنسي نتيجة لتصريحات الأستاذ / كونج التي رفض فيها الاعتراف بما يســمى عصمــة البابا من الخطأ وقرر أنه لا يتميز عن سائر البشر ..

ومنذ عام ١٩٨٠م أي بعد سحب الكنيسة اعترافها بالمؤلف وحرمانه من حق الامتحان والإشراف على طلبة العلوم المسيحية تبنت حكومة ولاية (بادن فرتنبرج) (Baden Württenberg) التــي تتبعها جامعة توبنجن الإنفاق على كرسي الأستاذية الخاص به وكذلك على المعهد الــذي يديــره بالجامعة وهو الآن تحت الإشراف المباشر لرئيس ومجلس رئاسة جامعة توبنجن.

أما أهم مؤلفات هذا المفكر التي سبقت الكتاب الذي نعرضه هنا :

أ- ((هل الله موجود؟) (Existiert Gott?) صدر عن دار بيبر للنشر سنة ١٩٧٨م وصــدرت منه بعد ذلك عدة طبعات .

ب- ((٢٤ مسألة حول وجود الله)) صدر عن دار بيبر للنشر سنة ١٩٧٩م وصدرت منــه عدة طبعات أخرى من نفسها دار النشر .

ج- ((هل نؤمن بالله ، اليوم أيضاً؟)) وهو عبارة عن محاضرة ألقاها المؤلف بمناسبة عيــد اليوبيل الخمسمائة لجامعة توبنجن . وقد نشرت هذه المحــاضرة مــع محــاضرة لرئيــس جمهورية ألمانيا الاتحادية آنذاك ((فالترشيل)) (walter Scheel) نشر في دار بيبر للنشــر بميونيخ سنة ١٩٧٧م .

انظر كتاب التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المســيحية والإســلام للدكتــور محمــد الشــاهد (ص١٢-١٤) وانظر ص٩ وص١١ من الكتاب نفسه لبعض التوضيحات .

[2] – التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام للدكتور محمد الشاهد (ص١٧٠) وينقــل هذا الرأي عن كونج من تأليفه وتأليف آخرين ويسمى الكتاب(المسيحية رديانات العالم) (ص١٧١).

ولست أمام هذه المقارنات أريد أن أبحث في أي نقد مباشر ؛ ولكن أريد أن يعلم القارئ العادي أن القرآن لم يؤخذ من التوراة والإنجيل من خلال نظرة سريعة لهذه المقارنات..مما يسقط قول بعض المستشرقين بالخطأ الكبير في قولهم إن عقيدة القرآن مقتبسة من التوراة والإنجيل في أسماء الله وصفاته. فلقولهم هذا خطر يرده إعجاز القرآن وخاصة في العقيدة القرآنية كلها .

المطلب السادس : مدرسة العقاد في مقارنة العقيدة الإلهية الإسلامية بغيرها وإثبات إعجازها

مقارنتنا في كتابنا إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى : قبل الكلام عن مقارن العقاد لابد أن نقول : كنا قد أثبتنا إعجاز القرآن بأسماء الله الحسنى علمياً وذلك في أن العقيدة الإلهية في القرآن تنسجم في أساسها مع النظرة الحرة التأملية العلمية الحديثة إلى الكون والحياة والإنسان ، بينما جميع العقائد في الجزيرة العربية وما يحيط بها لا تنسجم مع النظرة[1].

وبينا في كتابنا إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى أن الانسجام بين أساس عقيدة القرآن والنظرة العلمية الحديثة التأملية إلى الكون والحياة والإنسان نتج عنه أن آثار الوحدانية في الكون والحياة والإنسان تدل على الله الواحد في العلم الحديث وكذلك في القرآن ، كذلك آثار الرحمة تدل على الرحمن الرحيم وآثار الحكمة تدل على الحكيم وآثار الحفظ تدل على الحفيظ وآثار الكرم تدل على الكريم وآثار الإحياء تدل على المحيي وآثار الهداية تدل على الهادي ، كل ذلك في أبحاث علمية نتج عنها التطابق ما بين القرآن والعلم الحديث في أساس العقيدة الإلهية، وهذا ما انفردت به العقيدة الإلهية الإسلامية عن العقائد الأخرى ، وبهذا ثبت إعجاز القرآن في صفات الله وأسمائه أي في العقيدة الإلهية الإسلامية ، وإذا كان الإعجاز هو الفوت والسبق فقد فات ما بالعقيدة الإلهية الإسلامية كل العقائد الأخرى أيام الرسول ﷺ ، وسبق القرآن في موافقة العلم الحديث له في نظرته التأملية لأساس العقيدة الإلهية القرآنية فقط ، وبذلك ثبت إعجاز القرآن في العقيدة الإلهية ، قلت كل ذلك ولم أكن على علم بما كتب الأستاذ عباس محمود العقاد الذي

---

[1] - انظر (من ص٢٦٦-٢٦٩) من هذا الكتاب .

اطلعت مؤخراً على ما بينه في إعجاز العقيدة الإلهية الإسلامية لا بالنسبة إلى العلم الحديث بل بالنسبة إلى العقل والبديهة بمكانتها بالنسبة إلى العقائد العالمية الأخرى .

فمما يقول الأستاذ عباس محمود العقاد[1] في كتابه المنتشر ((حقائق الإسلام وأباطيل خصومه)) تحت عنوان :

العقيدة الإلهية

((العقيدة في الإله رأس العقائد الدينية بجملتها وتفصيلها . من عرف عقيدة قوم في إلههم فقد عرف نصيب دينهم من رفعة الفهم والوجدان ، ومن صحة المقاييس التي يقاس بها الخير والشر ، وتقدر بها الحسنات والسيئات . فلا يهبط دين وعقيدته في الإله عالية ، ولا يعلو دين وعقيدته في الإله هابطة ليست مما يناسب صفات الموجود الأول الذي تتبعه جميع الموجودات .

ولقد كان النظر في صفات الله ، مجال التنافس بين أكبر العقول من أصحاب الفلسفة الفكرية وأصحاب الحكمة الدينية ، وقد كانت مهمة الفلاسفة أيسر من مهمة حكماء الأديان ، لأن الفيلسوف النظري ينطلق في تفكيره وتقديره غير مقيد بفرائض العبادة وحدود المعاملات التي يتقيد بها الحكيم الديني ، ويتقيد بها من يأتمون به من أتباعه في الحياة العامة والمعيشة الخاصة ، فظهر بين الفلاسفة النظريين من سما بالتنزيه الإلهي صعداً إلى أوج لايلحق به الخيال ، فضلاً عن الفكر والإحساس... .

وجاء الإسلام من جوف الصحراء العربية بأسمى عقيدة في الإله الواحد الأحد، صححت فكرة الفلسفة النظرية كما صححت فكرة العقائد

---

[1] - هو عباس بن محمود بن إبراهيم العقاد أديب مصري ، شاعر ، ناثر ، ولد سنة ١٨٨٩م ، له مطالعاته الواسعة في الكتب الأدبية العربية ثم الكتب الأجنبية حيث تعلم في صباه الإنجليزية وألم بالألمانية والفرنسية ، اشتغل بعدة وظائف حكومية ، وكان أول صحفي في جريدة الدستور ، كما كتب في صحف أخرى ، كان عضواً في عدة مجامع علمية عربية ، توفي بالقاهرة سنة ١٩٦٤م، بلغت مصنفاته /٨٣/ كتاباً في أنواع مختلفة من الآداب والأبحاث من آثاره: عبقرية محمد ﷺ ، وعبقرية المسيح - عليه السلام - ، والعبقريات للصديق وعمر وعثمان وعلي- رضوان الله عليهم - والمرأة في القرآن الكريم ، وأثر العرب في الحضارة الأوربية - انظر معجم المؤلفين (٣٧/٢)- . أخذ عليه بعض الكتاب ومنهم أنور الجندي تأثره بالفكر الغربي ، فللإسلام ذاتيته الخاصة المتميزة ــ انظر كتاب إعادة النظر لأنور الجندي (ص١٣٦-١٣٧)- .

الدينية ، فكان تصحيحه لكل من هاتين الفكرتين ـ في جانب النقص منهما ـ أعظم المعجزات التي أثبتت له في حكم العقل المنصف والبديهة الصادقة أنه وحي من عند الله))[1] [2] ثم يقول العقاد :

((والديانة الإسلامية ـ كما هو معلوم ـ ثالثة الديانات المشهورة باسم الديانات الكتابية ، مكانها في علم المقارنة بين الأديان مرتبط بمكان الديانتين الأخريين وهما الموسوية والمسيحية ، **وتجري المقارنة بين الإسلام وبينهما فعلاً في كتابات الغربيين ، فلا يتورع أكثرهم من حسبان الإسلام نسخة مشوهة أو محرفة من المسيحية أو الموسوية.**

والمسألة ـ بعد ـ مسالة نصوص محفوظة وشعائر ملحوظة ، لاتحتمل الجدل الطويل في ميزان النقد والمقارنة ؛ وإن احتملته في مجال الدعوة والخصومة العصبية ، ولا حاجة في المقارنة بين هذه الديانات إلى أكثر من ذكر العقيدة الإلهية في كل منها للعلم الصحيح بمكانها من التنزيه في حكم الدين وحكم المعرفة النظرية .

إن المراجع التي تلقينا منها عقائد العبريين كما يدين بها أتباع الديانة الموسوية إلى يومنا هذا مبسوطة بين أيدي جميع القادرين على مطالعتها في لغاتها الأصلية أو لغاتها المترجمة ، وأشهرها التوراة والتلمود .

فصورة الإله في هذه المراجع من أوائلها إلى أواخرها هي صورة (يهوا) إله شعب إسرائيل ، وهي صورة بعيدة عن الوحدانية يشترك معها آلهة كثيرون تعبدها الأمم التي جاورت العبريين في أوطان نشأتهم وأوطان هجرتهم، ولكن ((يهوا)) يغار منها ولا يريد من شعب إسرائيل أن يلتفت إليها لأنه يريد أن يستأثر بشعب إسرائيل لنفسه بين سائر الآلهة ، وكان إذا غضب منهم لالتفاتهم إلى غيره قال لهم كما جاء في سفر أشعيا الثاني ((بمن تشبهونني وتسوونني وتمثلونني لنتشابه؟)).. وكان النبي أرميا يقول لهم بلسان الرب

---

[1] – انظر كتاب حقائق الإسلام وأباطيل خصومة للأستاذ عباس محمود العقاد (ص٤٩) ثم يتابع العقاد قول أصحاب الفلسفة في العقيدة الإلهية ..

[2] – إن الأستاذ عباس محمود العقاد يقارن هاهنا العقيدة الإلهية في الإسلام بمذاهب الفلاسفة ثم بعقيدة كهان اليونان ثم بعقيدة الهنود ثم بعقيدة الفراعنة ثم بعقيدة اليهود ثم بعقائد النصارى وكم كان بودي أن أنقل كل ذلك لولا التطويل فبإمكانك أيها القارئ الرجوع إلى كتابه الخالد في هذه المقارنة البليغة المختصرة .

إلههم: ((إن آباءكم قد تركوني وذهبوا وراء آلهة أخرى وعبدوها وسجدوا لها وإياي تركوا وشريعتي لم يحفظوا..)) ثم يقول الرب ((..وأعطيتهم قلباً ليعرفوا أني أنا الرب فيكونون لي شعباً وأنا أكون لهم إلهاً)) .

فلم يكن العبريون ينكرون وجود الآلهة الكثيرين غير إلههم الذي يعبدونه تارة ويتركونه تارة أخرى. ولكنهم كانوا يحسبون الكفر به ضرباً من خيانة الرعية لملكها واعترافهم بالطاعة لغيره من الملوك القائمين بالملك في أرض غير أرضه وبين رعية غير رعيته ، وإذا تركوا ((يهوا)) حيناً من الزمن ثم آثروا الرجعة إلى عبادته فإنما يرجعون إليه لاعتقادهم بالتجربة المزعومة أنه أقدر على النكاية بهم وأن الآلهة الأخرى عجزت عن حمايتهم من سخطه وانتقامه .

وقد وصفوه في كتبهم المقدسة ، فقالوا عنه مرة : إنه يحب ريح الشواء، وقالوا عنه مرة أخرى : إنه يتمشى في ظلال الحديقة ليتبرد بهوائها ، وقالوا عنه غير هذا وذاك . إنه يصارع عباده ويصارعونه ، وإنه يخاف من مركبات الجبال كما يخافها جنوده ، وعبروا ردحاً من الدهر وهم يسوون بينه وبين عزازيل شيطان البرية ، فيتقربون إليه بذبيحة ، ويتقربون إلى الشيطان بذبيحة مثلها..))[1] .

ثم يقول العقاد : ((**وجمد العبريون على عقيدتهم الإلهية ، فظل ((يهوا)) إلهاً عبرياً ، يستأثر به أبناء يعقوب بن إسحاق ، ولا يرجو الخلاص بمعونة منه إلا الذين يدينون بالولاء لعرش داود وذريته من بعده، فلم يتغير هذا الاعتقاد بين العبريين قبل عصر الميلاد المسيحي ، ولم يأت التغيير فيه من قبل أبناء إسرائيل المحافظين على عقيدتهم الأولى ؛ بل أتى هذا التغيير من قبل المصلحين المجددين في الدين اليهودي ، وقام به من بينهم رسول مغضوب عليه في شرعتهم، متهم بالمروق من زمرتهم ، وهو عيسى ابن مريم صلوات الله عليه وسلامه .**

وابتدأ عيسى ابن مريم دعوته الأولى مختصاً بها بني إسرائيل دون سواهم من العالمين ، وذكرت لنا الأناجيل تفصيل الحوار الذي دار بين السيد

[1] – حقائق الإسلام وأباطيل خصومه للعقاد (ص٦٥-٦٧) .

المسيح وبين المرأة الكنعانية التي توسلت إليه أن يخرج الشيطان من ابنتها ، فروى إنجيل مرقص في الإصحاح السابع :

((أن امرأة بابنتها روح نجس، سمعت به فأتت وخرت عند قدميه ، وكانت المرأة أممية ـ أي من أبناء الأمم غير الإسرائيلية ـ وفي جنسها فينقية سورية، فسألته أن يخرج الشيطان من ابنتها ، وأما يسوع فقال لها : دعي البنين أولاً يشبعون ؛ لأنه ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ، فأجابت وقالت له : نعم يا سيد ، والكلاب أيضاً تحت المائدة تأكل من فتات البنين، فقال لها : لأجل هذه الكلمة ، اذهبي قد خرج الشيطان من ابنتك..)).

ورواية متّى لهذه القصة تشبه رواية مرقص حيث جاء في الإصحاح الخامس عشر من الإنجيل المنسوب إليه :

إن السيد المسيح ((خرج من هناك وانصرف إلى نواحي صور وصيداء، وإذا امرأة كنعانية خارجة من تلك التخوم صرخت إليه قائلة: ارحمني يا سيد يابن داود. ابنتي مجنونة جداً . فلم يجبها بكلمة فتقدم تلاميذه وطلبوا إليه قائلين: اصرفها لأنها تصيح وراءنا ، فأجاب وقال : **لم أرسل إلا إلى خراف بيت إسرائيل الضالة** ، فأتت وسجدت له قائلة : ياسيد أعني . فأجاب وقال : ليس حسناً أن يؤخذ خبز البنين ويطرح للكلاب ، فقالت : نعم يا سيد . والكلاب أيضاً تأكل من الفتات الذي يسقط من مائدة أربابها ، حينئذ أجاب يسوع وقال لها : يا امرأة . عظيم إيمانك ، ليكن لك كما تريدين . فشفيت ابنتها من تلك الساعة)).

ونحن نعلم من هذه القصة ومن جملة أخبار التلاميذ في الأناجيل ، أن السيد المسيح قد ثابر على اختصاص بني إسرائيل بدعوته ، ولم يتحول عنهم إلى غيرهم إلا بعد إصرارهم على رفضه ولجاجتهم في إنكار رسالته، فوجد بعد اليأس منهم أنه في حل من صرف الدعوة عنهم إلى الأمم المقيمة بينهم، وضرب المثل لذلك بصاحب الدار الذي أقام وليمة العرس في داره ، وأرسل الدعوة إلى ذويه وجيرانه ، فتعللوا بالمعاذير والشواغل ولم يستجيبوا لدعوته، فأطلق غلمانه إلى أعطاف الطريق يدعون من يصادفهم من الغرباء وعابري السبيل ، على غير معرفة بهم ولا صلة بينه وبينهم ، حتى امتلأت بهم الدار ولم يبق على الموائد مكان لمن اختصهم بالدعوة فأعرضوا عنها.

ويلاحظ في قصة المرأة الكنعانية أنها كانت تدعو المسيح بالسيد ابن داود، وأن عقيدة العبريين لم تزل تعلق آمالهم بالخلاص على يد رسول من ذرية داود ومن سلالة يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم .

ومضى عصر المسيح ، وجاء بعده عصر بولس الرسول ، وعقيدة الخلاص الموقوف على سلالة إبراهيم الخليل باقية مسلمة بين العبريين الجامدين على تقاليدهم وبين المسيحيين المتحررين من تلك التقاليد ، وإنما أضيف إليها تفسير جديد لهذه البنوة ، وهو أنها بنوة روحية لا تتوقف على بنوة الجسد ، ولا فارق فيها بين من يحيون سنة إبراهيم الخليل من العبريين أو من الأمميين الذين يسميهم العبريون ((بالجوييم)) .. أي الأقوام الغرباء .

فالعقيدة الإلهية كما دان بها العبريون ، وجمدوا عليها إلى عصر الميلاد؛ إنما هي عقيدة شعب مختار بين الشعوب في إله مختار بين الآلهة[1] ، وليس في هذه العقيدة إيمان بالتوحيد ، ولا هي مما يتسع لديانة إنسانية، أو مما يصح أن يحسبه الباحث المنصف مقدمة للإيمان بالإله الذي يدعو إليه الإسلام.

ثم تطورت هذه العقيدة الإلهية بعد ظهور المسيحية ، فانتقلت من الإيمان بالإله لأبناء إبراهيم في الجسد ، إلى الإيمان بالإله لأبناء إبراهيم في الروح، وانقضى عصر السيد المسيح وعصر بولس الرسول ، واتصلت المسيحية بالأمم الأجنبية وفي مقدمتها الأمة المصرية ، فشاعت فيها على أثر ذلك عقيدة إلهية جديدة في مذهب العبريين ؛ وهي عقيدة الثالوث المجتمع من الآب والابن والروح القدس ، وفحواها : أن المسيح المخلص هو ابن الله، وأن الله أرسله فداء لأبناء آدم وحواء، وكفارة عن الخطيئة التي وقعا فيها عندما أكلا من شجرة المعرفة في الجنة بعد أن نهاهما عن الاقتراب منها .

وظهر الإسلام وفحوى العقيدة الإلهية كما تطورت بها الديانة المسيحية: أن الله الإله واحد من أقانيم ثلاثة هي : الآب والابن والروح القدس، وأن المسيح هو الابن من هذه الأقانيم ، وهو ذو طبيعة إلهية واحدة

---

[1] - يشير العقاد هنا إلى كثير من النصوص التوراتية التي تشعر القارئ بأن اليهود لا يعتبرونه الله رب العالمين ، بل هو ربهم فقط ، وليس هذا هو العقيدة الصافية التي دعا لها موسى عليه السلام وفصلتها التوراة قبل تحريفها .

في مذهب فريق من المسيحيين ، وذو طبيعتين إلهية وإنسانية في مذهب فريق آخر.

ومن البديهي أن الباحث الذي يريد تطبيق علم المقارنة بين الأديان على المسيحية والإسلام ، مطالب بالرجوع إلى حالة الديانة المسيحية حيث ظهرت دعوة الإسلام في الجزيرة العربية ، فلا يجوز لأحد من هؤلاء الباحثين ، أن يزعم أن الإسلام نسخة محرفة من المسيحية؛ إلا إذا اعتقد أن نبي الإسلام قد أخذ من المسيحية كما عرفها في بيئته العربية ، وفيما اتصل به من البيئات الأخرى حول جزيرة العرب . ومهما يكن من تطور العقائد المسيحية في سائر البيئات ومختلف العصور ، فالعقيدة المسيحية التي يجوز لصاحب المقارنة بين الأديان أن يجعلها قدوة للإسلام ، إنما هي عقيدة المسيحيين في الجزيرة العربية وما حولها ، وقد وصف ((جورج سيل))[1] مترجم القرآن إلى اللغة الإنجليزية حالة المسيحيين في الحجاز وفي سائر الأنحاء القريبة منه ، فقال ما ننقله من ترجمة مقدمته للقرآن :

((إنه من المحقق أن ما ألم بالكنيسة الشرقية من الاضطهاد واختلال الأحوال في صدر المائة الثالثة للميلاد ، قد اضطر كثيرين من أنصارها أن يلجؤوا إلى بلاد العرب طلباً للحرية ، وكان معظمهم يعاقبة .. فلذا كان معظم نصارى العرب من هذه الفرقة ، وأهم القبائل التي تنصرت : حمير ، وغسان، وربيعة ، وتغلب ، وبهراء ، وتنوخ ، وبعض طيء ، وقضاعة ، وأهل نجران، والحيرة .. ولما كانت النصرانية بهذه المثابة من الامتداد في بلاد العرب لزم عن ذلك ــ ولابد ــ أنه كان للنصارى أساقفة في مواضع جمة، لتنتظم بهم سياسة الكنائس، وقد تقدم ذكر أسقف ظفار ، وقال بعضهم: كانت نجران مقام أسقف، وكان لليعاقبة أسقفان ؛ يدعى أحدهما : أسقف

---

[1] – Goerge Sale هو رجل الحقوق الإنجليزي (١٦١٢م–١٧٠٠م) ترجم معاني القرآن إلى اللغة الإنجليزية وضمن ترجمته شروح وحواشٍ ومقدمة مسهبة هي في الحقيقة بمثابة مقالة إضافة عن الدين الإسلامي محشوة بالدس والإفك والتجريح ، وقد نقلت ترجمته إلى الألمانية عام ١٧٤٦م عن طريق ثيودور أرنولد Theodor A rnold ــ انظر كتاب ترجمات القرآن الكريم ــ (ص١٧٢) ــ أوراق الندوة الدولية في جامعة آل البيت ١٩٩٨م– .

العرب بإطلاق اللفظ ، وكان مقامه باكولة ــ وهي الكوفة عند ابن العبري، أو بلدة أخرى بالقرب من بغداد عند أبي الفداء ــ وثانيهما يدعى : أسقف العرب التغلبيين ومقامه بالحيرة . أما النساطرة فلم يكن لهم على هذين الكرسيين سوى أسقف واحد تحت رئاسة بطريكهم)).

إلى أن يقول[1] :

((أما الكنيسة الشرقية ، فإنها أصبحت بعد انفضاض المجمع النيقاوي مرتبكة بمناقشات لا تكاد تنقضي ، وانتقض حبلها بمحاكاة الأريوسيين والنساطرة واليعقوبية وغيرهم من أهل البدع . على أن الذي ثبت بعد البحث أن كلاً من بدعتي النساطرة واليعقوبية ، كانت بأن تُدْعى اختلافاً في التعبير عن المعتقد، أولى من أن تدعى اختلافاً في المعتقد نفسه ، وبأن تدعى حجة يتغلب بها كل من المتناظرين على الآخر ، أولى من أن تدعى سبباً موجباً لالتئام مجامع عديدة، يتردد إليها جماعة القساوسة والأساقفة ، ويتماحكون ، ليعلي كل واحد منهم كلمته، ويحيل القضايا إلى هواه. ثم إن نافذي الكلمة منهم وأصحاب المكانة في قصر الملك ، كان كل واحد منهم يختص نفراً من قواد الجيش. أو من أصحاب الخطب ، يكون له عليهم الولاء ويتقوى بهم ، وبذلك صارت المناصب تنال بالرشى ، والنصفة[2] تباع وتشترى جهاراً . أما الكنيسة الغربية فقد كان فيها من تهالك دماسوس وأرسكينوس ، في المشاحنة على منصة الأسقفية ــ أي أسقفية روما ــ ما أفضى إلى احتدام نار الفتنة ، وسفك الدماء بين حزبيهما.. وكان أكثر ما تنشأ المناقشات من القياصرة أنفسهم، ولا سيما القيصر قسطنطينوس ، فإنه إذ لم يقدر أن يميز بين صحيح الدين المسيحي وخرافات العجائز، ربَّك الدين بكثير من المسائل الخلافية.. هذا ما كان عليه حال النصرانية في غير بلاد العرب. أما في بلاد هذه الأمة التي هي موضوع بحثنا ، فلم تكن خيراً من ذلك.. إلى أن يقول

---

[1] – فيما ينقل العقاد عن جورج سيل .

[2] – النصفة : الإنصاف . يقال ما جعلوا بيني وبينهم نصفة ــ المعجم الوسيط مادة (نصف).

(جورج سيل): وكم وكم من بدعة انتشرت في جزيرة العرب حتى لا نقول نشأت فيها!!

فمن ذلك بدعة كان أصحابها يقولون بألوهية العذراء مريم[1] ويعبدونها كأنما هي الله، ويقربون لها أقراصاً مضفورة من الرقاق يقال لها كليرس، وبها سمي أصحاب هذه البدع كليريين... وفضلاً عن ذلك ، فقد اجتمع أيضاً في جزيرة العرب عدد وافر من الفرق المختلفة الأسماء ، لجؤوا إليها هرباً من اضطهاد القياصرة..)).

كانت عقائد الفرق المسيحية في جزيرة العرب، وفي العالم المترامي حول جزيرة العرب، على هذا النحو الذي وصفه رجل متعصب على الإسلام، لا يتهم بمحاباته ، ولا يظن به أنه يتجانف على المسيحية وهو قادر على مداراتها . ومن الواضح البين أن عقائد الفرق المسيحية على ذلك النحو، لم تكن مما يغري بالإعجاب، أو مما يدعو إلى الاقتداء . ومن الواضح البين أن موقف الإسلام، كان موقف المصحح المتمم ، ولم يكن موقف الناقل المستعير بغير فهم ولا دراية.

فقد جاء الإسلام بالدعوة إلى إله منزه عن لوثة الشرك، منزه عن جهالة العصبية وسلالة النسب ، منزه عن التشبيه الذي تسرب من بقايا الوثنية إلى الأديان الكتابية .

فالله الذي يؤمن به المسلمون ، إله واحد لم يكن له شركاء ((سبحانه عما يشركون))[2] .

وما هو برب قبيلة ولا سلالة يؤثرها على سواها بغير مأثرة ، ولكنه هو ((رب العالمين))[3] خلق الناس جميعاً ليتعارفوا ويتفاضلوا بالتقوى ، فلا فضل بينهم لعربي على أعجمي ، ولا لقرشي على حبشي ، إلا بالتقوى.

((ياأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوباً وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم)) (سورة الحجرات: ١٣) .

---

[1] – أشار القرآن إلى هؤلاء بقوله سبحانه: ((وإذ قال الله ياعيسى بن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله قال سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق)) (المائدة:١١٦).

[2] – الآية ٣١ من سورة التوبة .

[3] – أول آية من سورة الفاتحة التي هي أول سورة في القرآن ((الحمد لله رب العالمين)).

وهو واحد أحد: ((لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد)) (سورة الإخلاص:٣-٤) .

لا يأخذ إنساناً بذنب إنسان، ولا يحاسب أمة خلفت بجريرة أمة سلفت، ولا يُدين العالم كله بغير نذير .

((ولا تزر وازرة وزر أخرى))[١] (سورة فاطر:١٨) .

((تلك أمة قد خلت لها ما كسبت ولكم ما كسبتم ولا تسألون عما كانوا يعملون)) (سورة البقرة:١٣٤) .

((وما كنا معذبين حتى نبعث رسولاً)) (سورة الإسراء:١٥) .

ودينه دين الرحمة والعدل ، تفتتح كل سورة من كتابه : ((بسم الله الرحمن الرحيم)).

((وما ربك بظلام للعبيد)) (سورة فصلت:٤٦) .

و((هو الأول والآخر والظاهر والباطن)) (سورة الحديد:٣) .

((وسع ربي كل شيء علماً)) (سورة الأنعام : ٨٠) .

((وهو بكل خلق عليم)) (سورة يس:٧٩) .

وللباحث في مقارنات الأديان ؛ أن يقول ما يشاء عن هذا الإله الواحد الأحد، رب العالمين ، ورب المشرقين والمغربين ، إلا أن يقول : ((إنه نسخة مستمدة من عقائد عرب الجاهلية ، أو عقائد الفرق الكتابية التي خالطت عقائد الجاهليين))[٢] على النحو الذي وصفه ((جورج سيل)) في مقدمته لترجمة القرآن الكريم، فإن العقيدة الإلهية التي تستمد من تراث الجاهليين؛ لن تكون لها صبغة أغلب من صبغة العصبية ، ولا مفخرة أظهر من مفاخر الأحساب ، ولن تخلو من لوثة الشرك ، ولا من عقابيل العبادات التي امتلأت بالخبائث، وحلت فيها الرقى والتعاويذ محل الشعائر والصلوات[٣] .

---

[١] - أين هذا من عقيدتهم في إثم البشرية كلها لخطيئة آدم عليه السلام : حتى يضطر الله في زعمهم الكاذب لإعدام ابنه تعالى الله عما يصفون!!!

[٢] - وهذا ما ذهب إليه توبي لستر في مجل اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤) وفي كلام الأستاذ العقاد ردّ حاسم على هذا وذاك .

[٣] - في ما ذهب توبي لستر الأمريكي في مجلة اتلانتك مونثلي عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤) إلى أن القرآن اعتمد في المعتقدات على التوراة والإنجيل في هذا خاصة وفي مقالته العقاد عامة رد حاسم عليه وعلى أمثاله وإثبات تميز القرآن عن العقائد المحيطة بالرسول ﷺ .

ومعجزة المعجزات؛ أن الإسلام لم يكن كذلك ، بل كان نقيض ذلك في صراحة حاسمة جازمة ، لا تأذن بالهوادة ولا بالمساومة ، فما من خلة كانت أبغض إليه من خلة العصبية الجاهلية ، والمفاخرة الجاهلية ، والتناحر الجاهلي على فوارق الأنساب والأحزاب .

في صميم بلاد العصبية خرج الدين الذي ينكر العصبية ومن جوف بلاد القبائل والعشائر خرج الدين الذي يدعو إلى إله واحد ((رب العالمين)) ورب المشرق والمغرب ، ورب الأمم الإنسانية جمعاء، بغير فارق بينها ؛ غير فارق الصلاح والإيمان على أن الباحثين الذين يصطنعون سمت العلم من علماء المقارنة بين الأديان في الغرب ، يطلقون نعوتهم على الإسلام سماعاً ــ فيما يظهر ــ من مقرراتهم أو من مكرراتهم التقليدية ، التي لا يبدو منها أنهم كلفوا عقولهم جداً وحقاً ، أن تلم إلمامة واحدة بهذا الدين في جملة أو تفصيل .

ففي كتاب من أحدث الكتب عن أديان بني الإنسان ، ألفه أستاذ للفلسفة في جامعة كبيرة ، يقول المؤلف المتخصص لهذه الدراسات ــ بعد الإشارة إلى السيف والعنف والاقتباس من النصرانية والصابئية والمجوسية ــ :

((إن محمداً أسبغ على الله ــ ربه ــ ثوباً من الخلق العربي ، والشخصية العربية..[1])) .

ويقول المؤلف :

((إن الحقيقة التي أقررها هنا ، تتجلى كلما تقدم في دراسة هذا الدين العربي، وهذه الشخصية الإلهية العربية)).

بهذا النعت التقليدي ينعت المؤلف إله الإسلام ، بعد أن تقدم في دراسته على حد قوله .. فماذا كان عساه قائلاً لو أنه لم يسمع باسم الإسلام إلا على الإشاعة من بعيد؟!

لعله لم يكن بحاجة إلى التقدم وراء البسملة في سورة الفاتحة : ليعلم أن المسلم يدين برب العالمين ، وأنه يصف ربه بالرحمة مرتين عند الابتداء بكل سورة من سور كتابه ..

1- Man's Religions by Professor John B. Noss. Franklin and Marshall College.

ولعله كان يحسن المقارنة جداً وحقاً لو أنه قنع بهذه الصفة من صفات إله الإسلام، وقارن بينهما وبين دين الصفات التي يختارها غير المسلمين، فلا يذكرون الله في مفتتح دعواتهم بغير صفة القوة والجبروت .

فالله رب العالمين ، ملك يوم الدين ، لم يكن نسخة محرفة من صورة ((الله)) في عقيدة من العقائد الكتابية ــ كما زعموا ــ بل كان هو الأصل الذي يثوب إليه من ينحرف عن العقيدة في الإله ، كأكمل ما كانت عليه ، وكأكمل ما ينبغي أن يكون .

ومن ثم كانت هذه العقيدة الإلهية في الإسلام ، مصححة متممة لكل عقيدة سبقتها في مذاهب الديانات ، أو مذاهب الفلسفة ومباحث الربوبية .

فهي عقيدة كاملة ، صححت وتممت عقيدة الهند في الكارما والنرفانا: لأنها عقيدة في خواء ، أو فناء مسلوب الذات لا تجاوب بينه وبين أبناء الحياة.

وهي عقيدة كاملة ، صححت وتممت عقيدة المعلم الأول بين فلاسفة الغرب الأقدمين؛ لأنه كان على خطأ في فهم التجريد والتنزيه ، ساقه هذا الخطأ إلى القول بكمال مطلق؛ كالعدم المطلق في التجرد من العمل ، والتجرد من الإرادة ..

ودين يصحح العقائد الإلهية ، ويتممها فيما سبقه من ديانات الأمم وحضاراتها ومذاهب فلاسفتها : تراه من أين أتى ، ومن أي رسول كان مبعثه ومدعاه؟

من صحراء العرب

ومن الرسول الأمي بين الرسل المبعوثين بالكتب والعبادات .

إن لم يكن هذا وحياً من الله ، فكيف يكون الوحي من الله؟!

ليكن كيف كان في أخلاد المؤمنين بالوحي الإلهي حيث كان ، فما يهتدي رجل ((أمي)) في أكناف الصحراء إلى إيمان بالله ، أكمل من كل إيمان تقدم إلا أن يكون ذلك وحياً من الله . وإنه لحجر على البصائر والعقول ، أن تنكر الوحي على هذه المعجزة العليا ؛ لأنه لا يصدق عليها في صورة من صور الحدس أو الخيال)) . انتهى كلام العقاد[1] .

---

[1] – انظر كتابه حقائق الإسلام وأباطيل خصومه من (ص٦٨-٨١)

وهكذا نشاهد أن العقاد قد أبان أن العقيدة الإلهية في الإسلام بالنسبة لغيرها من العقائد تشكل في الإسلام ((أعظم المعجزات)) و((معجزة المعجزات)) و((المعجزة العليا)) وذلك في سموها على كل العقائد .

لذلك كله ولما أثبتّه أولاً من الانسجام بين النظرة العلمية التأملية الحديثة والقرآن في أساس العقيدة الإلهية الإسلامية ولما قارناه سابقاً بين العقائد المحيطة بالرسول ﷺ يوم بعث في الجزيرة العربية الوثنية وفي الفرس عباد النار وفي النصرانية واليهودية لكل ذلك نقول : لقد ثبت خطأ ما ذهب إليه توبي لستر الأمريكي في اقتباس العقيدة الإلهية في الإسلام من التوراة والإنجيل.



المبحث الرابع

القصص في القرآن غير مقتبسة من التوراة والإنجيل

قلنا سابقا إن مصدر التوراة والإنجيل الأصليين قبل التحريف والقرآن هو الوحي من الله تعالى ، فهذه الكتب فيها كلام الله جل جلاله فلا بد من تشابه في بعض النواحي ومنها القصص ، ومهما طرأ على التوراة والإنجيل من تحريف عن الشكل الأصلي فلا بد من التشابه في بعض الأمور، لكن ذهب بعض المستشرقين إلى أبعد من هذا فاعتبروا أن القصص القرآني بعضها أو كلها مقتبسة من التوراة والإنجيل[1] ، وهذا ما ذهب إليه الكاتب توبي لستر الأمريكي بقوله: ((إن ما يثير دهشة القادمين الجدد إلى القرآن بصفة عامة يتمثل في درجة اعتماده على نفس المعتقدات والقصص التي تظهر في التوراة والإنجيل .. وإن آدم أول إنسان ، قد أخرج من الجنة لأكله من الشجرة المحرمة ، وإن نوحا قد صنع الفلك لإنقاذ مجموعة صغيرة مختارة من الطوفان الذي حدث نتيجة لغضب الله ، وإن إبراهيم استعد لذبح ابنه بناء على أمر الله ، وإن موسى أخرج بني إسرائيل من مصر وتلقى الوحي عند جبل سيناء ، وإن عيسى الذي ولدته مريم العذراء وسمي المسيح يصنع المعجزات وله حواريون ورفع إلى السماء ولكن القرآن يعمل بجد على تمييز الإسلام عن اليهودية والمسيحية، فنذكر على سبيل المثال الأنبياء : هود وصالح وشعيب .. الذين يبدو أن أصلهم عربي حصرا))[2] .

وإليك أيها القارئ الكريم بعض هذه المقارنات لتحكم بنفسك على الفروق حتى في القصص التي زعم الكاتب أن القرآن اقتبسها من التوراة والإنجيل الحاليين.

---

[1] – هذا ما ذهب إليه المستشرق ((كلير تسدال)) في كتابه مصادر الإسلام . في الفصل الرابع. وهذا ما ذهب إليه أيضا المستشرق ((فلهلم رودلف)) في كتابه ((صلة القرآن باليهودية والمسيحية)) في الفصل الثالث تحت عنوان ((ما أخذ محمد من اليهودية والنصرانية)).

[2] – هذا ما ذهب إليه توبي لستر في مجلة انتلاتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٤) .

المطلب الأول : قصة آدم وحواء

الفرع الأول : ما جاء في صورة آدم :

ـ مر معنا : ((فخلق الله الإنسان على صورته على صورة الله خلقه ذكراً أو أنثى خلقهم)) كما جاء في التوراة في سفر التكوين ٢٧ ، ويؤكد المعنى نفسه الإصحاح الخامس وكذا سفر أرميا ٧/٢١ .

ـ بينما يقول الله تعالى في قرآنه المجيد : ((ليس كمثله شيء وهو السميع العليم))[١] .

الفرع الثاني : من أغرى بالأكل من الشجرة؟: في التوراة أن الحية أغرت حواء بالأكل من الشجرة في الجنة التي منع الله الاكل منها فأكلت وأطعمت آدم لذلك كان لها عقوبة خاصة جاء في التوراة : ((وكانت الحية أحيل جميع الحيوانات البرية التي عملها الرب الإله فقالت للمرأة أحقاً قال الله لا تأكلا من كل شجر الجنة فقالت المرأة للحية من ثمر شجر الجنة نأكل وأما ثمر الجنة التي في وسط الجنة ((شجرة معرفة الخير والشر)) فقال الله ، لا تأكلا منه ولا تمساه لئلا تموتا، فقالت الحية للمرأة لن تموتا بل الله عالم أنه يوم تأكلان منه تنفتح أعينكما وتكونان كالله؟ عارفين بالخير والشر ، فرأت المرأة أن الشجرة جيدة للأكل وأنها بهجة للعيون وأن الشجرة مشهية للنظر، فأخذت من ثمرها وأكلت وأعطت رجلها أيضاً معها فأكل فانفتحت أعينهما وعلما أنهما عريانان فخاطا أوراق تين وصنعا لأنفسهما مئزراً)) التوراة سفر التكوين ٣/١-٨[٢] .

وأما حواء فكان عقابها الرباني في التوراة أن يتعبها ربها بالحبل والوضع ويعاقبها بالاشتياق إلى الزواج ويعاقبها بأن يسود زوجها عليها جاء في التوراة : ((وقال للمرأة تكثيراً أكثر أتعاب حبلك وبالوجع تلدين أولاداً وإلى رجلك يكون اشتياقك وهو يسود عليك)) التوراة سفر التكوين ٣/١٦[٣].

ـ بينما في القرآن أن الذي وسوس لآدم وحواء بالأكل من الشجرة هو الشيطان إبليس لا الحية ولم يوسوس لحواء وحدها بل وسوس لآدم وحواء ،

---

١ – الآية ١١ من سورة الشورى .

٢ – من كتاب التصور اليهودي للأنبياء بميزان الإسلام (ص٤٠) .

٣ – من كتاب التصور اليهودي للأنبياء بميزان الإسلام (ص٤١)

وحصل الأكل منهما ، قال الله تعالى في قرآنه : ((وقلنا يا آدم اسكن أنت وزوجك الجنة وكلا منها رغداً حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين* فأزلهما الشيطان عنها فأخرجهما مما كانا فيه))[1] .

وقال الله في قرآنه في قصة آدم وحواء وإبليس في الجنة: ((ويا آدم اسكن أنت زوجك الجنة فكلا من حيث شئتما ولا تقربا هذه الشجرة فتكونا من الظالمين* فوسوس لهما الشيطان ليبدي لهما ما وري عنهما من سوءاتهما وقال ما نهاكما ربكما عن هذه الشجرة إلا أن تكونا ملكين أو تكونا من الخالدين* وقاسمهما إني لكما لمن الناصحين* فدلاهما بغرور فلما ذاقا الشجرة بدت لهما سوآتهما وطفقا يخصفان عليهما من ورق الجنة وناداهما ربهما ألم أنهكما عن تلكما الشجرة وأقل لكما إن الشيطان لكما عدو مبين))[2].

فالموسوس هو إبليس لآدم وحواء ـ عليهما السلام ـ بالأكل من الشجرة ولا يتحمل المسؤولية على الأكل حواء وحدها ، بل إن القول بتحميل المسؤولية بالأكل من الشجرة لحواء أولاً وأنها أغرت آدم عليهما السلام يجعل أهل الجهل يحملون جنس حواء مسؤولية ذلك ، وذلك يتنافى مع الإسلام من الأساس فحواء لم تأكل أولاً ولم تغر آدم ، وجنس حواء وجنس آدم بعدهما لا يتحمل المسؤولية على كل حال فقد قال الله تعالى: ((ولا تزر وازرة وزر أخرى))[3].

وعلى هذا فآلام الحبل والاشتياق للزوج وسيادة زوجها عليها كل ذلك ليس لأكلها لأن آدم أكل معها ، ففرق كبير بين القرآن والتوراة في هذه القصة[4].

---

[1] - الآيتان ٣٥-٣٦ من سورة البقرة .

[2] - الآيات من ١٩-٢٢ من سورة الأعراف .

[3] - الآية ١٨ من سورة فاطر .

[4] - موضوع قصة طوفان نوح بين التوراة والقرآن قد رددنا فيه على بعض المستشرقين وتوبي لستر في عدم الاقتباس وذلك عند الإخبار عن المغيبات الماضية في القرآن (ص١٣١).

المطلب الثاني : إبراهيم عليه السلام وابنه المفدّى

الفرع الأول : المفدى هو إسحاق في التوراة :

جاء في التوراة الحالية أن الابن الذبيح المفدى هو إسحاق :

وإليك نص التوراة : ((وجدت بعد هذه الأمور أن الله امتحن إبراهيم فقال له يا إبراهيم ، هاأنذا ، فقال : خذ ابنك وحيدك الذي تحبه ـ إسحاق ـ واذهب إلى .. ثم مد إبراهيم إبراهيم يده وأخذ السكين ليذبح ابنه فناداه ملاك الرب من السماء وقال إبراهيم فقال : ها أنذا فقال : لا تمد يدك إلى الغلام ولا تفعل به شيئاً لأني الآن علمت أنك خائف الله . فرفع إبراهيم عينيه ونظر وإذا كبش وراءه ممسكاً في الغابة بقرنيه ، فذهب إبراهيم وأخذ الكبش وأصعده محرقة عوضاً عن ابنه))، سفر التكوين ٢٢/٩-١٤[١] .

الفرع الثاني : المفدى هو إسماعيل عند المسلمين :

بينما تختلف القصة القرآنية في هذا في أمور يقول الأستاذ الدكتور عابد توفيق الهاشمي – حفظه الله – : ((والقصة ـ أي في التوراة ـ تشير إلى أن الذبيح هو إسحاق، في حين أن القرآن الكريم يعطي مؤشرات إلى أنه (إسماعيل) ، كما تشير –أي التوراة – إلى أن الأمر بالذبح كان أمراً مباشراً من الله لا رؤيا رآها ، كما يحدثنا القرآن الكريم))[٢] .

قال الله تعالى في قرآنه عن إبراهيم: ((فبشرناه بغلام حليم * فلما بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى قال ياأبت افعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين * فلما أسلما وتلّه للجبين * وناديناه أن يا إبراهيم * قد صدقت الرؤيا إنا كذلك نجزي المحسنين* إن هذا لهو البلاء المبين * وفديناه بذبح عظيم * وتركنا عليه في الآخرين * سلام على إبراهيم * كذلك نجزي المحسنين * إنه من عبادنا المؤمنين * وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين * وباركنا عليه وعلى إسحاق ومن ذريتهما محسن وظالم لنفسه مبين))[٣].

---

١ – التصوير اليهودي للأنبياء بميزان الإسلام (ص٨٣-٨٤) .

٢ – التصوير اليهودي للأنبياء بميزان الإسلام (ص٨٤) .

٣ – الآيات ١٠١-١١٣ من سورة الصافات .

الفرع الثالث : التاريخ يثبت أن المفدى هو إسماعيل :

قال الحافظ المؤرخ ابن كثير في كتابه قصص الأنبياء المنتشر في كل البلاد العربية :

قال سفيان[1]: لم يزل قرنا الكبش معلقين في البيت حتى احترق البيت فاحترقا.

وكذا روى عن ابن عباس – رضي الله عنهما – أن رأس الكبش لم يزل معلقاً عند ميزاب الكعبة قد يبس . وهذا وحده دليل على أن الذبيح إسماعيل ، لأنه كان هو المقيم بمكة وإسحاق لا نعلم أنه قدمها في حال صغره والله أعلم .

وهذا هو الظاهر من القرآن ، بل كأنه نص على أن الذبيح هو إسماعيل؛ لأنه ذكر قصة الذبيح ، ثم قال بعده : ((وبشرناه بإسحاق نبياً من الصالحين))[2]. ومن جعله حالاً فقد تكلف ، ومستنده أنه إسحاق إنما هو إسرائيليات . وكتابهم فيه تحريف ولا سيما هاهنا قطعاً لا محيد عنه ، فإن عندهم أن الله أمر إبراهيم أن يذبح ابنه وحيده وفي نسخة من المعربة بكره إسحاق ، فلفظة إسحاق هاهنا مقحمة مكذوبة مفتراة ، لأنه ليس هو الوحيد ولا البكر إنما ذاك إسماعيل ، وإنما حملهم على هذا حسد العرب ، فإن إسماعيل أبو العرب الذين يسكنون الحجاز الذين منهم رسول الله ﷺ ، وإسحاق والد يعقوب – وهو إسرائيل – الذي ينتسبون إليه ، فأرادوا أن يجروا هذا الشرف إليهم ، فحرفوا كلام الله وزادوا فيه وهم قوم بهت ولم يقروا بأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء))[3] .

الفرع الرابع : القول المحقق عند ابن عباس أن المفدى إسماعيل:

قال الدكتور محمد حسين الذهبي : ((قال ابن جرير : ((حدثني يونس، أخبرنا ابن وهب ، أخبرني عمر بن قيس عن عطاء بن أبي رباح عن عبدالله

---

[1] – هو أبو عبدالله سفيان بن سعيد الثوري الكوفي ، كان إماماً في الحديث وغيره من العلوم، وأجمع الناس على دينه وورعه وزهده وثقته ، كان أعلم أهل زمانه ولد سنة ٩٥هـ وتوفي بالبصرة سنة ١٦١هـ/٧٧٨م متوارياً عن السلطان ودفن عشاء – من وفيات الأعيان لابن خلكان (٣٨٦/٢) - .

[2] – الآية ١١٢ من سورة الصافات .

[3] – قصص الأنبياء (ص١٤٣) .

ابن عباس أنه قال : ((المفدى إسماعيل ، وزعمت اليهود أنه إسحاق وكذبت اليهود)) وهذا الأثر صحيح عن ابن عباس ، إسناده على شرط الصحيح ، وهو كما ترى صريح في تكذيب يهود فيما يزعمونه ، وهو يقضي عل كل أثر بخلافه، وبهذا الطريق تنتظم الآثار الواردة عن ابن عباس في هذا الباب))[١] .

ترى بعد هذا الاختلاف في قصة إبراهيم عليه السلام في طريقة الوحي لإبراهيم في الذبح وغير ذلك هل يمكن القول أن القرآن أخذ قصة إبراهيم بذبح ابنه بأمر الله من التوراة والإنجيل الحاليين ؟! اللهم لا[٢].

المطلب الثالث : عيسى عليه السلام وأمه

عيسى عبدالله ورسوله وأمه صديقة في القرآن ، ولقد كان الكاتب توبي لستر أكثر خطأ عندما اعتبر أن الإسلام اقتبس من التوراة والإنجيل في أن عيسى ولدته مريم العذراء وسمي المسيح ـ يصنع المعجزات وله حواريون ورفع إلى السماء[٣] .

قبل أن ندخل في البحث والدراسة لهذا فكرة ثم فكرة لا بد من القول أن التوراة لم تتطرق إلى شيء من ذلك والمعروف أن اليهود حاربوا دعوة المسيح عليه السلام بشدة .

صحيح أن عيسى ولدته مريم العذراء لكن قبل الدخول في هذا الموضوع لابد أن نشير إلى ما ذكرناه قبل وهو أن مصدر الإنجيل الأصلي والقرآن ، واحد وهو الوحي من الله جل جلاله ولكن هنالك اختلافات جوهرية وإليك موضوع مريم(عليها السلام) بين العقيدة النصرانية والقرآن الكريم:

---

١ – التفسير والمفسرون (١/١٦٢-١٦٣) .

٢ – موضوع نجاة جسد فرعون بين التوراة والقرآن قد رددنا فيه على المستشرقين وتوبي لستر في عدم الاقتباس وذلك عند الإخبار عن المغيبات الماضية في القرآن (ص١٤٠) .

٣ – ذهب إلى هذا في مجلة اتلانتك مونثلي في عدد يناير سنة ١٩٩٩م (ص٥٤) .

الفرع الأول : ولادة مريم لعيسى ــ عليهما السلام ــ :

أولا في الإنجيل : قد حبلت بولدها عليه السلام من الروح القدس! ونص إنجيل متى صريح بهذا : ((أما ولادة يسوع المسيح فكانت هكذا. لما كانت مريم أمه مخطوبة ليوسف النجار قبل أن يجتمعا ، وجدت حبلى من الروح القدس))[1].

وتنفيذاً لهذه العقيدة في كتابهم المقدس ــ كذا قام المفكر المسيحي الأمريكي المشهور (بيلي جراهام) بتشخيص وتمثيل هذا المعنى أمام ٤٠,٠٠٠متفرج على خشبة مسرح كينج بارك في مدينة ديربان ، ... ويقول: (وجاء روح القدس ، ليتصل بمريم اتصالاً جعلها حاملاً)[2] .

ثانياً : في القرآن :

فلنقارن هذا ... في خلق عيسى في عقيدتهم مع ما ورد في القرآن الكريم قال تعالى: ((قالت رب أنى يكون لي ولد ولم يمسسني بشر؟! قال: كذلك الله يخلق ما يشاء، إذا قضى أمراً فإنما يقول له كن فيكون))[3] .

بل إن عيسى مَـثَلـه كآدم في القرآن ، ولقد نزه الله أم عيسى عليهما السلام فقال الله في قرآنه المجيد : (إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم ، خلقه من تراب، ثم قال له كن فيكون).[4] .

ويكفي القرآن فخراً أنه ذكر تكليم عيسى وهو في المهد وفي هذا دفاع عن شرف أمه ، قال تعالى في قرآنه الكريم : ((ويكلم الناس في المهد وكهلاً..))[5] ، وحين أتت أمه به تحمله، وهو رضيع ، يقص القرآن الكريم قصته العجيبة في كلامه ، وفي تبرئته لأمه قال تعالى : (فأتت به قومها تحمله... يا أخت هارون ما كان أبوك امرأ سَوْءٍ، وما كانت أمك بغياً ،

---

[1] - إنجيل متى ٨/١ عن كتاب النصرانية بميزان الإسلام (ص٨٦) .

[2] - المسيح في الإسلام لأحمد ديدات (ص٥٠) عن كتاب النصرانية بميزان الإسلام (ص٨٦).

[3] - آل عمران الآية ٤٧ .

[4] - سورة آل عمران الآية ٥٩ .

[5] - سورة آل عمران الآية ٤٦.

فأشارت إليه ، قالوا : كيف نكلم من كان في المهد صبياً ، قال : إني عبدالله، ... وبرا بوالدتي..)[١] .

كذلك نقرر براءتها في نصوص كثيرة ، منها قوله تعالى : ((ومريم ابنة عمران التي أحصنت فرجها[٢] فنفخنا فيه من روحنا[٣] وصدقت بكلمات ربها وكتبه وكانت من القانتين))[٤] .

لذا فإنها (عليها السلام) استحقت بشارة الله والملائكة بعيسى قال الله تعالى في قرآنه المبين: ((وإذ قالت الملائكة يا مريم إن الله يبشرك بكلمة منه، اسمه عيسى ابن مريم ، وجيهاً في الدنيا والآخرة ومن المقربين ويكلم الناس في المهد وكهلاً ومن الصالحين))[٥] .

الفرع الثاني : مريم وولدها -عليهما السلام- :

إذ هي بعقيدتهم والدة الله حقيقة ، وهم يسجدون لصورهما ويقدسونهما.

أما في القرآن فيقول الله تعالى : ((وإذ قال الله : يا عيسى ابن مريم أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال : سبحانك ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك، إنك أنت علام الغيوب ، ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ، أن اعبدوا الله ربي وربكم ، وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم ، وأنت على كل شيء شهيد . إن تعذبهم فإنهم عبادك ،

---

[١] - الآيات ٢٧-٣٢ من سورة مريم .

[٢] - قال الآلوسي : ((التي أحصنت فرجها)) صانته ومنعته من الرجال ـ تفسير روح المعاني (١٦٤/٢٨)- .

[٣] - قال ابن كثير : ((فنفخنا فيه من روحنا)) أي بواسطة الملك وهو جبريل فإن الله بعثه إليها فتمثل لها في صورة بشر سوي وأمره أن ينفخ بفيه في جيب درعها ـ أي في ما يدخل منه الرأس في قميص المرأة عند لبسه كما جاء في المعجم الوسيط ص١٤٩و٢٨٠ ـ فنزلت النفخة فولجت في فرجها فكان منه الحمل بعيسى عليه السلام ـ تفسير القرآن العظيم (٤٢٠/٤) -.

[٤] - الآية ١٢ من سورة التحريم .

[٥] - الآية : ٤٦ من سورة آل عمران.

وإن تغفر لهم فإنك أنت العزيز الحكيم))[1] . ولم يدع عيسى الألوهية ، ((ما قلت لهم إلا ما أمرتني به : أن اعبدوا الله ربي وربكم))[2] .

الفرع الثالث: منزلة أم عيسى-عليهما السلام-في الإنجيل والقرآن:

وجاء في الإنجيل الحالي : (وفيما هو ــ أي عيسى عليه السلام ــ يكلم الجموع، إذا أمه وإخوته قد وقفوا خارجاً طالبين أن يكلموه ، فأجاب للقائل له: من هي أمي ، ومن هم أخوتي؟ ثم مد يده نحو تلاميذه ، وقال : هاأمي وإخوتي ، لأن من يصنع مشيئة أبي الذي في السماوات ، هو أخي وأختي وأمي)[3] !

أما عقيدة القرآن الكريم فيها ، فهي أفضل نساء العالمين :

قال تعالى : ((وإذ قالت الملائكة : يا مريم إن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين يا مريم اقنتي لربك واسجدي ، واركعي مع الراكعين))[4] .

ثم أنها كانت نذراً لله من أمها : (إذ قالت امرأت عمران ربّ إني نذرت لك ما في بطني محرراً فتقبل مني إنك أنت السميع العليم * فلما وضعتها قالت رب إني وضعتها أنثى والله أعلم بما وضعت وليس الذكر كالأنثى وإني سميتها مريم وإني أعيذها بك وذريتها من الشيطان الرجيم * فتقبلها ربها بقبول حسن وأنبتها نباتاً حسناً وكفّلها زكريا كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم أنى لكِ هذا قالت هو من عند الله إن الله يرزق من يشاء بغير حساب)[5] .

وبهذا يبدو الفارق واضحاً بين القرآن من جهة والتوراة والإنجيل من جهة في شأن مريم عليها السلام وبهذا يبدو الخطأ واضحاً عند الكاتب توبي لستر الأمريكي عندما اعتبر أن القرآن اعتمد على التوراة والإنجيل في مريم عليها السلام .

---

[1] – الآيتان ١١٥-١١٧ من سورة المائدة .

[2] – الآية ١١٨ من سورة المائدة .

[3] – إنجيل متى ١٨،١٧/٥ .

[4] – الآيتان ٤٣،٤٢ من سورة آل عمران.

[5] – الآيات ٣٥-٣٧ من سورة آل عمران .

الفرع الرابع : التوحيد الذي دعا إليه عيسى - عليه السلام - في القرآن الكريم:

وانظر إلى هذا السؤال من رب العالمين لعيسى عليه السلام بقوله تعالى : ((وإذ قال الله يا عيسى ابن مريم ، أأنت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله؟ قال : سبحانك، ما يكون لي أن أقول ما ليس لي بحق ، إن كنت قلته فقد علمته ، تعلم ما في نفسي ولاأعلم ما في نفسك ، إنك أنت علام الغيوب * ما قلت لهم إلا ما أمرتني به ، أن اعبدوا الله ربي وربكم وكنت عليهم شهيداً ما دمت فيهم ، فلما توفيتني كنت أنت الرقيب عليهم وأنت على كل شيء شهيد))[١] .

وهكذا نرى أن القرآن لم يعتمد على التوراة والإنجيل في شأن عيسى -عليه السلام – الذي دعا إلى التوحيد الخالص ، فقد قال النصارى بالتثليث بينما نفى القرآن التثليث ، وفي هذا يتضح خطأ التشابه الذي ذهب إليه الكاتب توبي لستر في شأن عيسى ، ولو ولدته مريم العذراء .

الفرع الخامس : تسمية المسيح – عليه السلام – :

قال الله تعالى في قرآنه الحكيم : ((ما المسيح ابن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة كانا يأكلان الطعام))[٢] .

قال المؤرخ الحافظ ابن كثير : ((قيل سُـمي المسيح لمسحه الأرض وهو سياحته فيها وفراره بدينه من الفتن في ذلك الزمان ، لشدة تكذيب اليهود وافترائهم عليه وعلى أمه عليهما السلام))[٣].

وليست تسمية المسيح في المسيحية والإسلام تعتبر استنباطاً للإسلام من النصرانية كما ادعى الكاتب توبي لستر[٤].

---

[١] – الآيتان ١١٦-١١٧ من سورة المائدة .

[٢] – الآية ٧٥ من سورة المائدة .

[٣] – انظر قصص الأنبياء (ص٥٣٢) .

[٤] – وذلك في مجلة اتلانتك مونثلي (ص٥٤) .

الفرع السادس : معجزات عيسى -عليه السلام-[1] :

بعث المسيح وهو في حوالي الثلاثين من عمره ، وكان لب دعوته التبشير بالروح وهجر الملاذ الضالة ، وأيده الله بمعجزات خارقة هامة ذكرها القرآن في الآيات الآتية : ((ورسولاً إلى بني إسرائيل أنى قد جئتكم بآية من ربكم ، أني أخلق لكم من الطين كهيئة الطير فأنفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله ، وأبرئ الأكمه والأبرص وأحيي الموتى بإذن الله وأنبئكم بما تأكلون وما تدخرون في بيوتكم))[2] فهذه معجزات أربعة :

١- خلق طير من الطين .
٢- إبراء الأكمه والأبرص .
٣- إحياء الموتى .
٤- الإنباء بما هو مجهول من طعامهم ومدخراتهم .

وأما المعجزة الخامسة فهي إنزال المائدة التي طلبها الحواريون ، وقد ورد ذكرها في قوله تعالى : ((إذ قال الحواريون يا عيسى ابن مريم هل يستطيع ربك أن ينزل علينا مائدة من السماء؟ قال : اتقوا الله إن كنتم مؤمنين* قالوا نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا ونعلم أن قد صدقتنا ونكون عليها من الشاهدين * قال عيسى ابن مريم اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء تكون لنا عيداً لأولنا وآخرنا وآية منك وارزقنا وأنت خير الرازقين* قال الله إني منزلها عليكم فمن يكفر بعد منكم فإني أعذبه عذاباً لا أعذبه أحداً من العالمين))[3] .

وقبل أن نترك معجزات المسيح نقرر أن المسلمين مع إقرارهم بهذه المعجزات لا يؤيدون ما تذكره الأناجيل عن استعمال هذه المعجزات في الحياة العملية، فالذي يقرأ هذه الأناجيل يلاحظ ملاحظتين هامتين :

١ ـ تذكر هذه الأناجيل عدداً ضخماً أحياهم المسيح بعد الموت، أو شفاهم من البرص، أو جعلهم يبصرون بعد العمى ، وطبيعة المعجزة غير ذلك، إنها دليل لإثبات النبوة ، ومعنى ذلك أنها تستعمل بضع مرات لتحدي البشر حتى يصدقوا ، ولكن الذي تذكره هذه الأناجيل غير هذا ، إنه أشبه

---

[1] - المسيحية للدكتور أحمد شلبي (ص٥٠-٥٥) .

[2] - الآية ٤٩ من سورة آل عمران.

[3] - الآيات ١١٢-١١٥ من سورة المائدة.

بالتمثيل ، أي يميت الله فيحيي عيسى من أماته الله دائماً ، ويقضي الله بالعمى فيهب عيسى الأبصار لكل العميان .

وتحفل الأناجيل بالحديث عن العشرات والمئات من المجانين والمصروعين والعميان والموتى والمشلولين الذين شفاهم السيد المسيح[1]، وأحياناً يذكر إنجيل متى أن ((جموعاً كثيرة جاءت ليسوع فيهم العرج والعمى والخرس والشل وآخرون كثيرون وطرحوا عند قدمى يسوع فشفاهم))[2].

٢ ـــ من أين هذا العدد الكبير من المرضى والموتى والعميان.. الذين ذكرت الأناجيل أن معجزات المسيح مستهم؟ حتى ليوشك أن يفوق هذا العدد سكان فلسطين جميعاً في ذلك الوقت ، وكأن كل السكان مسهم البرص أو العمى فشفاهم عيسى ، أو ماتوا فأحياهم .

ونضيف إلى كلام الدكتور أحمد شلبي أن كلمة (شفاهم) في عبارة إنجيل متى تفيد أن الشفاء كان من عيسى – عليه السلام – بينما الآيات في إبراء الأكمه والأبرص كان بإذن الله تعالى في القرآن إذ هو الإله وحده ، وكذلك إحياء الموتى كان بإذن الله .

وبهذا يتضح الفرق والاتفاق بين معجزات عيسى عليه السلام في القرآن والإنجيل .

الفرع السابع: موقف اليهود من المسيح –عليه السلام– ودعوته[3]:

كانت دعوة المسيح تحارب اتجاهين تأصلا عند اليهود ، هما :

١- شغفهم بالمادة وإهمالهم الناحية الروحية فيهم.
٢- ادعاؤهم أنهم شعب مختار، وادعاء أحبارهم أنهم الصلة بين الله والناس ، ومن دونهم لا تتم الصلة بين الخالق والمخلوق.

ولشد ما كان ارتياع اليهود وغضبهم عندما شهدوا المسيح يكتسح أمامه كل ما يعتزون به من ضمانات ، إذ يعلم الناس أن الله ليس من المساومين ، وأن ليس هناك شعب مختار ، وأن لا أحظياء في مملكة السماء،

---

[1] – انظر إنجيل متى في الإصحاحات ٨،٩،١٠،١١،١٢،١٥.
[2] – ١٢ : ١٥و١٥: ٢٩-٣١ .
[3] – المسيحية للدكتور أحمد شلبي (ص٥٣) .

وأن الله محب لكل الأحياء ، وأنه لا يستطيع اختصاص البعض بالرعايات عدم استطاعة الشمس ذلك مع الناس سواء بسواء[١].

وبسبب هذا الموقف تعرض عيسى إلى عداء بني إسرائيل وسخطهم، ولم يؤمن به إلا قليلون منهم ، فقد انتظروه مسيحاً يبسط سلطان بني إسرائيل على العالم أجمع، ولكن خابت آمالهم فيه[٢] ، ثم عندما رأوا أن بعض الضعفاء اتبعوه، خافوا أن تنتشر مبادئه ، فأغروا به الحاكم الروماني، ولكن الرومانيين كانوا وثنيين ولم يكونوا على استعداد للدخول في الخلافات الدينية بين اليهود ، ولم تكن دعوة المسيح التي أعلنها إلا إصلاحاً خلقياً ودينياً فلم تتصل دعوته بالسياسة، ولم تمس الحكومة من قريب أو من بعيد، ولذلك لم يستحق غضب الرومان، ولكن اليهود تتبعوا عيسى لعلهم يجدون منه سقطة تثير عليه غضب الرومان، فلما لم يجدوا تقولوا عليه وكذبوا ، فأغضبوا الحاكم الروماني على عيسى ، فأصدر أمره بالقبض عليه ، وحكم عليه بالإعدام صلباً ، وكان الكهنة وغوغاء أورشليم المتمسكون بعقيدتهم السلفية أكبر المتهمين ليسوع[٣] .

الفرع الثامن : نهاية المسيح على الأرض والحواريون :

أخذ جند الرومان يبحثون عن عيسى لتنفيذ الحكم عليه كما أوردنا من قبل ، وكان عيسى قد لجأ إلى ضيعة .. ليحتمي بها ، ولكن الخائن يهوذا الأسخريوطي أحد الحواريين[٤] ، كان قد اتفق مع زعماء اليهود على أن يدلهم على مكمنه نظير ثلاثين قطعة من الفضة ، وتسلم هذا الخائن هذا المبلغ، وقاد جند الرومان إلى حيث وجد السيد المسيح ، ولما كان جند الرومان لا يعرفون شخصية المسيح ، فقد ذكر الخائن لهم علامة هي قوله: الذي سأقبله هو هو أمسكوه[٥] ، وقد أمسكوه وتم صلبه في تصورهم .

---

١ - Wells: Outline of History vol, 3 p. 684. حاول الدكتور أحمد شلبي أن يذكر رأي الغربيين في كتبهم في موقف اليهود .

٢ - الأب بولس الياس : يسوع المسيح (ص٣٧) .

٣ - Wells: Outline of History vol, 3 p. 693. ويسوع تحريف ليشوع ومعناه المخلص لأنه سبب لتخليص الكثيرين من آثامهم ، لأنه ــ في اعتقادهم ــ ضحى بنفسه للتكفير عن خطيئة البشر .

٤ - في نظرهم .

٥ - المسيحية للدكتور أحمد شلبي (ص٥٤) .

من كل ذلك نعلم أن القرآن لم يستنبط قوله في المسيح من اليهودية أو غيرها ، بل إن القرآن ينفي صلب المسيح – عليه السلام – قال تعالى : ((وماقتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم))[1] والمعروف عندنا أنه فداه أحد الحواريين بنفسه بخلاف التعاليم الأخرى ، كما قدم الفدائي الأول أمير المؤمنين علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – نفسه فنام في فراش محمدﷺ لما تآمرت قريش على قتله قبل هجرته إلى المدينة المنورة ﷺ، وبهذا يبدو الفرق واضحاً بين تصورنا للحواريين الذي يأمر القرآن بالاقتداء بهم وبين تصور الآخرين الذين يرونهم أن فيهم من يخون ، قال الله تعالى في قرآنه الحكيم: ((يا أيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله كما قال عيسى ابن مريم للحوارين من أنصاري إلى الله قال الحواريون نحن أنصار الله فآمنت طائفة من بني إسرائيل وكفرت طائفة فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم فأصبحوا ظاهرين))[2] ، وبهذا يبدو أن القرآن لم يأخذ فكرة الحواريين من تعاليم المسيحية ولا اليهودية كما ادعى توبي لستر .

الفرع التاسع : فكرة صلب المسيح للتكفير عن خطيئة البشر[3]:

هذا أساس من أسس العقيدة المسيحية ، وأساس هذا الموضوع عند المسيحيين أن من صفات الله العدل والرحمة ، وبمقتضى صفة العدل كان على الله أن يعاقب ذرية آدم بسبب الخطيئة التي ارتكبها أبوهم وطرد بها من الجنة واستحق هو وأبناؤه البعد عن الله بسببها ، وبمقتضى صفة الرحمة كان على الله أن يغفر سيئات البشر ، ولم يكن هناك من طريق للجمع بين العدل والرحمة إلا بتوسط ابن الله ووحيده وقبوله أن يظهر في شكل إنسان وأن يعيش كما يعيش الإنسان ثم يصلب ظلماً ليكفر عن خطيئة البشر[4] ، وقد ورد في العهد الجديد ما نصه: وإن ابن الإنسان قد جاء ليخلص ما قد هلك، فبمحبته ورحمته قد صنع طريقاً للخلاص، لهذا كان المسيح هو الذي يكفّر عن خطايا العالم . وهو الوسيط الذي وفق بين محبة الله تعالى وبين عدله ورحمته ، إذ أن مقتضى العدل أن الناس كانوا يستمرون في الابتعاد عن الله

---

[1] – الآية ١٥٧ من سورة النساء .

[2] – الآية ١٤ من صورة الصف .

[3] – انظر كتاب المسيحية للدكتور أحمد الشلبي (ص١٥٩) .

[4] – الإنجيل والصليب للأستاذ عبد الأحد داود (ص٦-٧) وتاريخ الأقباط (ص٢٣٨).

بسبب ما اقترف أبوهم، ولكن باقتران العدل والرحمة وبتوسط الابن الوحيد ، وقبوله للتكفير عن خطايا الخلق ، قرب الناس من الرب بعد الابتعاد[١].

ويقول القس إبراهيم لوقا[٢] إن المسيحية تعلم أن الله ــ لكي يجمع بين عدله ورحمته في تصرفه مع الإنسان عقب سقوطه ــ دبر طريقة فدائه بتجسيد ابنه الحبيب وموته على الصليب نيابة عنا ، وبهذا أخذ العدل حقه، واكتملت الرحمة فنال البشر العفو والغفران وهذه هي نظرية الفداء.

ويصور كاتب مسيحي هو : **Alfred E. Garvie** هذا الموضوع في مقاله الطويل الذي كتبه عن المسيحية في :

((The Encyclopaedia of Religions and Ethics)) فيقول[٣]:

((في المسيحية ينسب الكمال كله لله، أما الإنسان فهو غير كامل، وهو مستحق للوم على ما يرتكبه مما يبعده عن الكمال، والصلة بين الله والناس تتعرض للوهن أو للانفصام بسبب سيئات الإنسان، ولابد للإنسان ــ لكي يعيد رفقته لله ــ أن يفتدي نفسه ، ولا يملك الإنسان ما يفتدي به نفسه ، وليس إلا عيسى ابن الله ليتقدم شفيعاً بين الله والإنسان ، فهو الابن الذي يعرف الله كأب، ويعلن عنه لهم أنه أب محب للرحمة يعفو عن سيئاتهم ويرحب بهم داعياً لهم أن يعودوا إليه وإن كانوا قد أذنبوا...

وعيسى بصدق تعاليمه وسماحته وبحياته التي هي مثال راق، تجذب الناس إليه، ويوقظ ثقتهم بأنفسهم ، ويكرر لهم التوبة فيضمن لهم عفو الله ، وهذا يبدأ بقبول عيسى النزول إلى الأرض والحياة بين البشر، ولكنه يصل القمة بأن يقدم نفسه فدية لذنوب الناس ، وتقديم عيسى نفسه فدية هكذا درجة عليا في الوساطة بين الله والناس)).

ويعد الأب بولس إلياس الخوري أن بولس هو مبتدع هذه الفكرة ، وقد حمل هو وتلميذه الحبيب لوقا لواء الدعاية لها، وفيما يلي كلمات هذا الباحث المسيحي :

---

[١] – اقرأ انجيل مرقص الإصحاح العاشر الفقرة ٤٤ وما بعدها وإنجيل يوحنا ٣ :١٦ ورسالة رومية ٣: ٢٢ وما بعدها و ٥: ١٠ وما بعدها والإصحاح السادس .

[٢] – المسيحية في الإسلام (ص١٧١) .

[٣] – **Vol. 3 p. 581.** عن كتاب المسيحية للدكتور أحمد شلبي (ص١٦٠) .

ومما لا ريب فيه أن الفكرة الأساسية التي ملكت على بولس مشاعره فعبر عنها في رسائله بأساليب مختلفة هي فكرة رفق الله بالبشر ، وهذا الرفق لهم هو ما حمله على إقالتهم من عثارهم ، فأرسل إليهم ابنه الوحيد ليفتديهم على الصليب ، وينتقل بهم من عهد الناموس الموسوي إلى عهد النعمة ، وهذه الفكرة عينها هي التي هيمنت على إنجيل لوقا[١].

وتصوّر بعض الأناجيل عملية التعذيب التي مر بها عيسى قبل صلبه تصوراً .. مثيراً ، فقد جاء في إنجيل متى بعد أن وصف القبض على عيسى وتسليمه إلى الوالي بيلاطس ما يلي :

فقال الوالي للشعب : ماذا أفعل بيسوع الذي يدعى المسيح؟ قال له الجميع: ليصلب ، فقال الوالي : وأي شر عمل ؟ فكانوا يزدادون صراخاً قائلين: ليصلب . فلما رأى بيلاطس أن كلامه لا ينفع شيئاً بل بالأحرى يحدث شغبا أخذ ماء وغسل يديه قدام الجميع قائلا : إني بريء من دم هذا البار أبصروا أنتم فأجاب جميع الشعب وقالوا : دمه علينا وعلى أولادنا، حينئذ جلد الوالي يسوع وأسلمه للصلب ، فأخذ عسكر الوالي يسوع إلى دار الولاية وجمعوا عليه كل الكتيبة ، فعروه وألبسوه رداء قرمزياً وضفروا إكليلاً من شوك ووضعوه على رأسه ووضعوا قصبة في يمينه ، وكانوا يجثون قدامه ويستهزئون به قائلين: السلام يا ملك اليهود ، وبصقوا في وجهه ، وأخذوا القصبة وضربوه بها على رأسه ، وبعد أن استهزؤوا به نزعوا عنه الرداء وألبسوه ثيابه ومضوا به للصلب، وأعطوه خلا ممزوجاً بمرارة ليشرب، ولما ذاق لم يرد أن يشرب[٢].

ثم يقول الدكتور أحمد شلبي :

.. تعالوا لنفكر :

ولست أدري ما الذي حدا بهم أن يصوروا نبيهم أو إلههم هذا التصوير.... وإن أي مفكر لتخطر بنفسه الأسئلة الآتية:

١ ــ ذهبوا إلى أن صلب المسيح كان لتحقيق العدل والرحمة، وأي عدل وأي رحمة في تعذيب غير مذنب وصلبه؟.

---

١ – يسوع المسيح ص٢٨ و٩٢ و٩٣ .

٢ – اقرأ الإصحاح ٢٧ فقرة ٢٣ وما بعدها وإنجيل مرقص الإصحاح ١٤ .

٢ ـ إذا كان المسيح ابن الله كما ذهبوا إليه فأين كانت عاطفة الأبوة وأين كانت الرحمة حينما كان الابن الوحيد يلاقي دون ذنب ألوان التعذيب والسخرية ثم الصلب مع دق المسامير في يديه؟

٣ ـ ما هو تصورهم عن الله (جل في علاه) الذي لا يرضى إلا بأن ينزل العذاب المهين بالناس، والعهد في الله الذي يسمونه الآب ويطلقون عليه ((الله رحمة)) أن يكون واسع المغفرة كثير الرحمات؟

٤ ـ وقد ذهبوا إلى أن ذرية آدم لزمهم العقاب بسبب خطيئة أبيهم، وفي أي شرع يلتزم الأحفاد بأخطاء الأجداد، وبخاصة أن الكتاب المقدس ينص على أنه لا يقتل الآباء عن الأولاد، ولا يقتل الأولاد عن الآباء، كل إنسان بخطيئته يقتل[١]؟

٥ ـ وهل كان نزول ابن الله وصلبه للتكفير عن خطيئة البشر ضرورياً أو كانت هناك وسائل أخرى من الممكن أن يغفر الله بها خطيئة البشر؟[٢]

الفرع العاشر : رفع عيسى عليه السلام إلى السماء:

يقول النصارى برفع عيسى عليه السلام إلى السماء بعد الصلب لتكفير الخطيئة للبشر. أما المسلمون فإنهم يقولون برفعه إلى السماء دون الصلب ودون القتل لتكفير الخطيئة للبشر وفي هذا تباين كبير قال ابن كثير رحمه الله تعالى في كتابه قصص الأنبياء المنتشر في كل البلاد العربية قال تحت عنوان:

((ذكر رفع عيسى عليه السلام إلى السماء :

في حفظ الرب، وبيان الأمر في دعوى الصلب قال الله تعالى في قرآنه : ((ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين * إذ قال الله ياعيسى إني متوفيك ورافعك إلي ومطهرك من الذين كفروا وجاعل الذين اتبعوك فوق الذين كفروا إلى يوم القيامة ثم إلي مرجعكم فأحكم بينكم فيما كنتم فيه تختلفون))[٣].

---

[١] – تثنية ٢٤ : ١٦ .

[٢] – انظر المسيحية للدكتور أحمد شلبي (ص١٥٩-١٦٣) .

[٣] – الآية ٥٤،٥٥ من سورة آل عمران .

وقال تعالى : ((فبما نقضهم ميثاقهم وكفرهم بآيات الله وقتلهم الأنبياء بغير حق وقولهم قلوبنا غلف بل طبع الله عليها بكفرهم فلا يؤمنون إلا قليلاً * وبكفرهم وقولهم على مريم بهتاناً عظيماً * وقولهم إنا قتلنا المسيح عيسى ابن مريم رسول الله وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم وإن الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ما لهم به من علم إلا اتباع الظن وما قتلوه يقيناً * **بل رفعه الله إليه وكان الله عزيزاً حكيماً * وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً))**[١] .

فأخبر تعالى أنه رفعه إلى السماء بعدما توفاه بالنوم على الصحيح المقطوع به ، وخلصه ممن كان أراد أذيته من اليهود الذين وشوا به إلى بعض الملوك الكفرة في ذلك الزمان .

((قال الحسن البصري ومحمد بن إسحاق : كان اسمه داو بن نورا فأمر بقتله وصلبه فحصروه في دار ببيت المقدس ، وذلك عشية الجمعة ليلة السبت، فلما حان وقت دخولهم ألقى شبهه على بعض أصحابه الحاضرين عنده ورفع عيسى من روزنة [من] ذلك البيت إلى السماء ، وأهل البيت ينظرون ، ودخل الشرط فوجدوا ذلك الشاب الذي ألقى عليه شبهه فأخذوه ظانين أنه عيسى فصلبوه ووضعوا الشوك على رأسه إهانة له ، وسلم لليهود عامة النصارى الذين لم يشاهدوا ما كان من أمر عيسى أنه صلب ....

وأخبر تعالى بقوله : ((وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته)) أي بعد نزوله إلى الأرض في آخر الزمان قبل قيام الساعة ، فإنه ينزل ويقتل الخنزير ويكسر الصلب ويضع الجزية ولا يقبل إلا الإسلام ، كما بينا ذلك بما ورد فيه من الأحاديث عند تفسير هذه الآية الكريمة من سورة النساء، كما أوردنا ذلك مستقصى في كتاب الفتن والملاحم))[٢] .[٣] وبهذا يتبين أن القرآن قال برفع عيسى عليه السلام ولكن دون صلب وتكفير للخطيئة ....

---

١ – الآية ١٥٥-١٥٩ من سورة النساء .

٢ – انظر قصص الأنبياء لابن كثير (ص٥٢٥) .

٣ – هو أن المسيح عليه السلام ينزل إلى الأرض بعد رفعه قال ابن كثير رحمه الله تعالى. وقال أحمد حدثنا وكيع ، حدثنا سفيان هو الثوري ، عن أبي الزناد ، عن الأعرج ، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ((أنا أولى الناس بعيسى عليه السلام والأنبياء إخوة أولاد علات ، وليس بيني وبين عيسى نبي)) . =

لا اقتباس : من كل هذه الدراسة يتضح خطأ ما ذهب إليه الكاتب توبي لستر في أن القرآن اعتمد على التوراة والإنجيل الحاليين في عيسى وأمه واسمه ومعجزاته وحواريوه[1] ، ففي كل من هذه الأمور ظهر التباين الواضح وظهر عدم المصداقية والبعد عن الواقعية في كلام كاتب المجلة توبي لستر ومن مشى على رأيهم من المستشرقين .

بعد أن ذكرنا التباين بين العقيدة الإسلامية المأخوذة من القرآن والعقيدة المأخوذة من التوراة والإنجيل الحاليين وبعد أن أثبتنا أن القرآن لم يؤخذ من التوراة والإنجيل في مجال القصة أيضاً بعد هذا لابد أن نبين أن العقيدة

=وهذا إسناد صحيح على شرطهما ولم يخرجاه من هذا الوجه . وأخرجه أحمد عن عبدالرزاق ، عن معمر ، عن همام ، عن أبي هريرة عن النبي ﷺ بنحوه ، وأخرجه ابن حبان من حديث عبدالرزاق نحوه .

قال أحمد : حدثنا يحيى ، عن أبي عروبة ، حدثنا قتادة ، عن عبدالرحمن بن آدم ، عن أبي هريرة –رضي الله عنه– **عن النبي ﷺ قال : ((الأنبياء إخوة لعلات ، ودينهم واحد وأمهاتهم شتى، وأنا أولى الناس بعيسى ابن مريم لأنه لم يكن بيني وبينه نبي ، وإنه نازل فإذا رأيتموه فاعرفوه ، فإنه رجل مربوع إلى الحمرة والبياض ، سبط كأن رأسه يقطر وإن لم يصبه بلل بين مخصرتين ، فيكسر الصليب ويقتل الخنزير ويضع الجزية ويعطل الملل حتى تهلك في زمانه كلها غير الإسلام ، ويهلك في زمانه المسيح الدجال الكذاب ، وتقع الأمنة في الأرض حتى ترتع الإبل مع الأسد جميعاً والنمور مع البقر والذئاب مع الغنم ويلعب الصبيان والغلمان بالحيات لا يضر بعضهم بعضاً فيمكث ما شاء الله أن يمكث ، ثم يتوفى فيصلي عليه المسلمون ويدفنونه)).**
ثم رواه أحمد عن عفان ، عن همام عن قتادة ، عن عبدالرحمن ، عن أبي هريرة فذكر نحوه. وقال : فيمكث أربعين سنة ، ثم يتوفى ويصلي عليه المسلمون . ورواه أبو داود عن هدبة بن خالد ، عن همام بن يحيى به نحوه .

وروى هشام بن عروة ، عن صالح مولى أبي هريرة عنه ، أن رسول الله ﷺ قال : ((فيمكث في الأرض أربعين سنة)) وقد بينا نزوله عليه السلام في آخر الزمان في كتاب الملاحم ، كما بسطنا ذلك أيضاً في التفسير عند قوله تعالى في سورة النساء :
((وإن من أهل الكتاب إلا ليؤمنن به قبل موته ويوم القيامة يكون عليهم شهيداً))(النساء:١٥٩).
وقوله : ((وإنه لعلم للساعة)) الآية وأنه ينزل على المنارة البيضاء بدمشق وقد أقيمت صلاة الصبح فيقول له إمام المسلمين : تقدم يا روح الله فصل . فيقول : لا بعضكم على بعض أمراء مكرمة الله هذه الأمة . وفي رواية فيقول له عيسى : إنما أقيمت الصلاة لك. فيصلي خلفه . ثم يركب ومعه المسلمون في طلب المسيح الدجال فيلحقه عند باب لد فيقتله بيده الكريمة)) – قصص الأنبياء لابن كثير (ص٥٣٥) – .

[1] – ذكر الكاتب توبي لستر اعتماد القرآن في هذا على التوراة والإنجيل في مجلة اتلانتك مونثلي (ص٥٤) .

الإسلامية في عيسى وأمه يحترمها كل عفيف عاقل منصف، يقول الدكتور عابد توفيق الهاشمي في هذا :

الفرع الحادي عشر : عقيدة القرآن في عيسى وأمه يحترمها كل مؤمن عفيف عاقل منصف وهي[1]:

١. مريم أم المسيح (عليهما السلام) ــ كانت امرأة شريفة فاضلة ، اصطفاها الله تعالى على نساء العالمين .
٢. إن عيسى عليه السلام كان كلمة الله . قال له : كن فكان .
٣. أولى معجزاته أنه برّأ أمه من وصمات اليهود ، وهو رضيع في المهد
٤. إن عيسى عليه السلام هو المسيح الذي كان ينتظره اليهود ، ثم كذبوه.
٥. ولد عيسى عليه السلام بمعجزة دون اتصال أنثى بذكر ، خلقه الله بلا أب كآدم عليه السلام .
٦. إن الله أنزل الوحي (روح القدس) بأمره على عيسى عليه السلام، بالإنجيل بعد أن ولد، وأيده به .
٧. إن عيسى أحيا الموتى بإذن الله وأبرأ الأعمى والأكمه والأبرص بإذنه، ونزل بدعائه مائدة من السماء..[2].
٨. عيسى رجل السلام ، وليس عليه خطيئة واحدة في سلوكه، وهو من أولي العزم من الأنبياء ، وله مقامه المتميز في الدنيا والآخرة (وجيها في الدنيا والآخرة ، ومن المقربين)[3].
٩. عيسى وأمه ، حين يلفظهما المسلم، لابد أن يعقب بقوله : (عليهما السلام) تكريماً لهما .
١٠. أنصار عيسى عليه السلام (الحواريون) قدوة لأتباع محمد ﷺ وهم الصحابة –رضوان الله عليهم– ومن بعدهم من المؤمنين في الثبات والاستقامة والفداء نصرة لله ونصرة لعيسى –عليه السلام– رسول الله تعالى

وهذه المحاسن وغيرها كثيرة ، يحترمها كل عفيف عاقل منصف...، وتوحي بمقام سام ثابت ، لا شك ولا تردد فيه لكل من عيسى وأمه (عليهما السلام) والحواريين ، هي عقيدة جميع المسلمين منذ أكثر من (١٤٢١) سنة،

---

١ – النصرانية بميزان الإسلام (ص٨٩) .

٢ – المسيح في الإسلام أحمد ديدات (ص٤٨) بتصرف .

٣ – الآية ٤٥ من سورة آل عمران .

وأن هذا التكريم ليس مجاملة ابتدعها رسول الله ﷺ من عنده ، وإنما هي وحي من السماء قال الله تعالى : ((ذلك من أبناء الغيب نوحيه إليك وما كنت لديهم إذ يلقون أقلامهم ، أيهم يكفل مريم ، وما كنت لديهم إذ يختصمون))[1][2]

لقد ذهب الإسلام بعيسى –عليه السلام– مذهبا وسطا فلم يؤلهه ولم يجعله فوق البشر بل هو إنسان رسول الله وآخر الأنبياء قبل محمد ﷺ ومن أولي العزم من الرسل وسيقود المسلمين عند نزوله إلى الأرض بعد أن رفعه الله . وبنفس الوقت لم يذهب الإسلام مذهب اليهود الذين حاربوا دعوته وشجعوا الرومان على قتله ، وذهبوا إلى أن أمه زانية ـ حاشاها عليها السلام ـ وعيسى رجل ملحد ـ حاشاه عليه السلام ـ .

لقد ذهب الإسلام مذهبا وسطا حقيقيا واقعيا بين المذهبين المتطرفين في عيسى عليه وعلى رسولنا الصلاة والسلام اللهم آمين .

المبحث الخامس : نتائج الفصل الحادي عشر

(ليس الإسلام مقتبسا من اليهودية والنصرانية)

وأخيرا : إن من أخطر الشبهات وأظلم الشبهات في ضياع الإنسانية العالمية هو ما أثاره بعض المستشرقين عن القرآن بشكل عام وعن إعجاز القرآن بشكل خاص **هو ادعاؤهم أن القرآن قد اعتمد على التوراة والإنجيل في المعلومات .**

ولا يصح هذا عقلا ولا يتقبل العلم هذا لعدة أمور :

أولا : من الواضح لكل قارئ للقرآن أنه لم يعتمد في إعجازه البياني على التوراة والإنجيل ، وهذا واضح من خلال المقارنة بين القرآن وبين ترجمة كل من التوراة والإنجيل الحاليين إلى اللغة العربية ولا يختلف في هذا شخصان .. فأين إعجاز القرآن البياني في اللغة العربية في الفصاحة والبلاغة والنظم والأسلوب من واقع التوراة والإنجيل الحاليين .

---

[1] – الآية ٤٤ من سورة آل عمران .

[2] – إذا كنا بعد هذا كله نبين اختلاف العقيدة الإسلامية عن العقيدة النصرانية فإن هذا لا يعني إلا النقاش الفكري الحر الذي أمر به الإسلام ، ولا يعني أن الإسلام يفرض عقيدته على النصارى بالقوة في كل الفتوحات الإسلامية وما بعدها في أنحاء العالم الآن وقد بينا سابقا قول مايكل اتش هيرت في ذلك (ص ٢١٤-٢١٦) ويؤيد ذلك ما ذهب إليه فاين إس في هذا الصدد ضمن عرضه لوجهة نظر الإسلام (انظر ص١٦٦-١٧١) من كتاب المسيحية وديانات العالم ويكفي الإسلام فخرا والقرآن صدقا في هذا قول الله تعالى فيه : ((لا إكراه في الدين قد تبين الرشد من الغي)) الآية ٢٥٦ من سورة البقرة .

ثانياً : إن إعجاز القرآن الكريم العلمي المتميز وعدم تعارضه مع العلم أيضاً دليلان حديثان على تميز القرآن الكريم على التوراة والإنجيل، وبالإضافة إلى إعجاز القرآن العلمي المتميز فإن القرآن لا يتعارض مع العلم الحديث أبداً ؛ وقد أفرد الكاتب الفرنسي موريس بوكاي كتاباً خاصاً في هذا وأثبت فيه أن القرآن هو الكتاب الوحيد الذي لا يتعارض مع العلم الحديث وحقائق التاريخ واسم كتابه ((التوراة والإنجيل والقرآن والعلم))[1] .

ثالثاً : إعجاز القرآن التأثيري يبين أنه غير مستمد من التوراة والإنجيل الحاليين فلقد سبق القرآن كل الكتب في التأثير العقدي العالمي حتى اعترف بهذا الكاتب توبي لستر الأمريكي الذي لا يؤمن بالقرآن فقال : ((على أية حال يعد القرآن حالياً أعظم كتاب في العالم في تأثيره الإيديولوجي))[2] فكيف يأخذ ما هو أعظم تأثيراً ممن هو أدنى منه تأثيراً؟؟ وكيف يقال إن القرآن اعتمد على التوراة والإنجيل؟؟.

رابعاً : تفرد القرآن بإعجازه بإخباره عن مغيبات مستقبلية محددة وهذا واضح في إخباره عن حفظ القرآن الكريم ، وإخباره عن انتصار المسلمين تلامذة محمد ﷺ وهم في أدنى درجات الضعف المادي حتى تعرضوا لتعذيب دعاهم إلى الهجرة مرتين ، وإخباره عن انتصار الروم على الفرس في زمانه والروم في أدنى درجات الضعف ؛ كل ذلك تفرد به القرآن عن التوراة والإنجيل الحاليين ، وإنجيل يوحنا الحالي كأنه يشير إلى أن الرسول هو محمد ﷺ فهذا الكاتب الفرنسي المعاصر روجيه غارودي يشير إلى التبشير بمجيء النبي محمد ﷺ فذكر أن يسوع يقول على لسان يوحنا في الإنجيل بهذا القول:

((إن لي أموراً كثيرة لأقول لكم ولكن لا تستطيعون أن تحتملوا الآن وأما **متى جاء ذلك روح الحق فهو يرشدكم إلى جميع الحق** لأنه لا يتكلم عن نفسه بل ما يسمع يتكلم به **ويخبركم بأمور آتية))** الإصحاح السادس عشر ١٢و١٣[3] لقد أخبر الإنجيل أن من علامات روح الحق أنه يأتي بجميع الحق أي كمال الدين وهذا ما سنتكلم عنه بعد قليل ولقد أخبر الإنجيل أن من علامات روح الحق أنه يخبر عن المغيبات وهذا ما بحثناه في الإخبار عن

---

[1] - انظر كتابه (ص٢٩٣-٢٩٤) .

٢ - مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن عدد يناير ١٩٩٩م (ص٤٤) .

[3] - وعود الإسلام لروجيه كارودي (ص٨٠-٨١) .

المغيبات وسنفرد لإخبار النبي محمد ﷺ عن كثير من المغيبات كتاباً خاصاً تحت عنوان : ((محمد ﷺ يخاطب عصرنا الحديث)) – إن شاء الله تعالى-.

خامساً : إعجاز القرآن بإخباره عن مغيبات ماضية قد اندثرت في التاريخ وتفرد القرآن بالإخبار عنها كل ذلك دليل على عدم استنباط القرآن من التوراة والإنجيل ، ومن ذلك إخبار القرآن عن نجاة جسد فرعون موسى بعد غرقه، وهاهو ذا في المتحف المصري في القاهرة للملوك الفراعنة ، ومن ذلك إخبار القرآن عن طوفان نوح دون أن يقع في خطأ الكتب الأخرى في تعيين التاريخ الخطأ ودون أن يقول إن الطوفان قد عم الأرض في هذا التاريخ ، وقد ثبت الطوفان تاريخياً كما ذكر القرآن .

إن ما يميز القصة القرآنية هو أنها مطابقة لحقائق التاريخ وإن خفيت على مدى التاريخ ، وهي في سيرها كذلك لها أسلوبها الخاص الذي ينسجم مع العقيدة الإلهية في القرآن؛ ينسجم مع نظرة القرآن التأملية للكون والحياة والإنسان.

سادساً : إن إعجاز العقيدة الإلهية القرآنية في انسجام أساسها مع النظرات التأملية العلمية الحديثة في الكون والحياة والإنسان ، وذلك في نظرتها إلى أسماء الله وصفاته -كما ذكرنا- ، وتميزها في هذا عن العقائد الأخرى والمبادئ الأخرى قديماً وحديثاً كل ذلك يجعلها أعظم المعجزات ومعجزة المعجزات والمعجزة العليا في القرآن الكريم كما مر في قول العقاد (ص ٢٧٨، ٢٨٥، ٢٨٧) .

سابعاً : التشريع الإسلامي متكامل وذلك في الأركان كالعقيدة الإلهية وكالصوم والصلاة والحج والزكاة ثم بالمؤيدات كالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر والجهاد بأنواعه ثم بالبناء بنظام سياسي واجتماعي واقتصادي ... ثم بملكية الإسلام لتشريع متكامل في المعاملات المالية وعقوبة الجنايات وأحكام السلم والحرب.. وهذا التكامل غير موجود باليهودية ولا بالنصرانية ، وقد مر معنا آنفاً ما جاء في الإنجيل : ((إن لي أموراً كثيرة لأقول لكم لاتستطيعون أن تحتملوا الآن ، وأما متى جاء ذلك روح الحق **فهو يرشدكم إلى جميع الحق** لأنه لا يتكلم عن نفسه بل ما يسمع يتكلم به)) الإصحاح السادس عشر ١٢و١٣[١] وصدق قول الله في قرآنه عن النبي محمد ﷺ : ((وما ينطق عن الهوى إن هو إلا وحي يوحى))[٢] ، وصدق الله تعالى في

---

١ – وعود الإسلام لروجيه كارودي (ص٨٠-٨١) .

٢ – الآيتان ٣-٤ من سورة النجم .

قوله في كمال الدين الإسلامي : ((اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت علكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً))[1] ، وسأفرد للكلام عن التشريع الإسلامي كتاباً تحت عنوان: ((الإسلام يملك أرقى التشريعات في العالم)) في هذه السلسلة – إن شاء الله تعالى – فكمال الإسلام هو إعجاز تشريعي لأنه فات الكمال غيره ولأنه سبق في هذه التشريعات فالإعجاز هو السبق والفوت .

وسبب عدم تكامل اليهودية والنصرانية واضح في قول عيسى في الإنجيل الحالي : ((إن لي أموراً كثيرة لأقولها لكم لا تستطيعون أن تحتملوا الآن)) كما مر آنفاً ، وسببها أن الفكر البشري إذ ذاك لم يكن ليتحمل منهجاً ضخماً متكاملاً خاصة واليهودية والنصرانية كانتا خاصتين ببني إسرائيل فقد قال عيسى عليه السلام في الإنجيل الحالي : ((لم أرسل إلا إلى خراف بين إسرائيل الضالة)) إنجيل متى ١٥ : ٢١-٢٤[2] .

واليهودية باعتراف اليهود هي خاصة بهم لأنهم في رأيهم شعب الله المختار[3] ، ولأن إلههم (يهوا) إلهاً عبرياً يستأثر به أبناء يعقوب بن إسحاق، أما الإسلام فدين عالمي إلى نهاية هذا العالم فلا بد من تكامله قال تعالى مخاطباً رسول الله ﷺ : ((قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً))[4] ، وقال جل جلاله مخاطباً نبيه ﷺ : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين))[5].

إن إعجاز القرآن بأنواعه البياني والعلمي والتأثيري والتاريخي (الإخبار عن المغيبات) وإعجاز العقيدة الإلهية (في صفات الله وأسمائه الحسنى) وإعجاز القرآن التشريعي كل ذلك يأبى أن يقال أن القرآن مستمد من غيره مستمد من تصورات البشر أو من كتب أخرى وبهذا يبقى القرآن الكريم مخلداً في سموه في إعجازه المحفوظ وفي عجائبه التي لا تنقضي ، وبهذا سقطت ادعاءات بعض المستشرقين وادعاء الكاتب توبي لستر أن القرآن اعتمد على التوراة والإنجيل.

---

١ – الآية ٣ من سورة المائدة .

٢ – المسيحية للدكتور أحمد شلبي (ص٢٩٠) .

٣ – انظر (ص٢٧٩،٢٨١) من هذا الكتاب لترى قول العقاد عنهم .

٤ – الآية ١٥٨ من سورة الأعراف .

٥ – الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء .

الفصل الثاني عشر
لا اقتباس للقرآن وللإسلام من الوثنية
المبحث الأول
موقف محمد ﷺ من الوثنية في مكة والجزيرة العربية

المعروف أن الصراع بين محمد ﷺ وقبيلته قريش كان من أهم أسبابه أن قريشاً عبدت الأصنام فأشركت بالله عز وجل بذلك، وكان حجة قريش في هذا أمران : الأول أنهم يتقربون إلى الله بعبادة الأصنام قال الله تعالى عنهم في قرآنه :

((ألا لله الدين الخالص والذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى إن الله يحكم بينهم في ما هم فيه يختلفون إن الله لا يهدي من هو كاذب كفار))[1].

والثاني أن قريشاً احتجت بتقليد الآباء والأجداد بعبادة الأصنام :

قال الله تعالى في قرآنه : ((وإذا قيل لهم اتبعوا ما أنزل الله قالوا بل نتبع ما ألفينا عليه آباءنا أولو كان آباؤهم لا يعقلون شيئاً ولا يهتدون* ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون))[2] .

فوقف النبي محمد ﷺ وصحابته ــ رضوان الله عليهم ــ الذين آمنوا بدعوته موقف الانتقاد الشديد لعبادة الأصنام وكفروا بعبادتها ، فتعرض الرسول ﷺ وأصحابه لأصناف العذاب اضطرت كثيراً من أصحابه للهجرة إلى أفريقيا إلى الحبشة ثم هجرة الرسول ﷺ وأصحابه إلى المدينة المنورة سنة ٦٢٢م ، لقد أنزل الله تعالى في العهد المكي قبل الهجرة تحريم إشراك عبادة الأصنام مع الله تعالى فقال الله في قرآنه الحكيم : ((قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ألا تشركوا به شيئاً وبالوالدين إحساناً ولا تقتلوا أولادكم من

---

[1] - الآيتان ٣-٤ من سورة الزمر .

[2] - الآية ١٧٠ من سورة البقرة .

إملاق نحن نرزقكم وإياهم ولا تقربوا الفواحش ما ظهر منها وما بطن ولا تقتلوا النفس التي حرم الله إلا بالحق ذلكم وصاكم به لعلكم تعقلون))[١].

هاجر النبي ﷺ وأصحابه – رضوان الله عليهم – لأنهم نبذوا الشرك بالله تعالى ثم كان بعد ذلك معارك طاحنة بينه وبين قريش المشركة في غزوات بدر وأحد والخندق ثم كان فتح مكة انتصاراً أخيراً على قوى الشرك، وكان في الفترة الأولى من فتح مكة أهم عمل في فتح مكة ما قام به النبي ﷺ وهو إسقاط ٣٦٠ صنما حول الكعبة المشرفة في بيت الله الحرام في مكة المكرمة[٢] وكان يشير للصنم بقول الله تعالى : ((وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقاً))[٣] بعد أن دخل مكة على ناقته وهو مطأطئ رأسه تواضعاً لله تعالى حين رأى ما أكرمه الله به من فتح مكة[٤].

ولقد محا النبي ﷺ الشرك كله من كل الجزيرة العربية ووحّدها تحت راية التوحيد والقرآن والإسلام.

مع كل ذلك قال الكاتب توبي لستر في المجلة :

((فخلال القرن الأول للإسلام وحده أصبحت زمرة إقليمية من رجال القبائل الصحراوية الوثنية أوصياء على إمبراطورية عالمية واسعة دينها التوحيد ولها مؤسساتها التي تعج بنشاط أدبي وعلمي لم يسبق له مثيل))[٥] ولا أدري كيف جمع بين قوله قبائل وثنية وقوله دين الدولة العالمية التي صنعوها كان التوحيد؟؟!! والذي أراه أنه لم يستطع الخروج عن آراء بعض المستشرقين الذين ذهبوا إلى أن الإسلام متأثر بالوثنية مثل (روم لاندو)[٦] في

---

١ – الآية ١٥١ من سورة الأنعام .

٢ – انظر الرحيق المختوم (ص٣٧١) .

٣ – الآية ٨١ من سورة الإسراء .

٤ – السيرة النبوية لابن هشام (٦٨/٤) ، و(٨٤/٤) .

٥ – هذا ما ذهب إليه الكاب توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي الصادرة في واشنطن في عدد يناير ١٩٩٩ (ص٥٥).

٦ – هو أستاذ الدراسات الإسلامية والدراسات الشرقية بشمال أفريقيا في جامعة السهادي بكالفورنيا– يظهر الكاتب في كتابه الإسلام والعرب إعجاباً بالعرب وبمآثرهم ـ آراء المستشرقين حول القرآن الكريم (٢١٠/١) ـ .

كتابه (الإسلام والعرب) إذ يعتبر الحجر الأسود من بقايا الوثنية في الإسلام[1].

المبحث الثاني
الحجر الأسود ليس من بقايا الوثنية

صحيح أن الحجر الأسود من أكرم أحجار الكعبة المشرفة ، ولكن لنر ما فعل الخليفة عمر بن الخطاب لما قبّله؟؟ فعن عابس بن ربيعة عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه ((أنه جاء إلى الحجر الأسود فقبّله فقال : إني أعلم أنك حجر لا تضر ولا تنفع ، ولولا أني رأيت رسول الله ﷺ يقبلك ماقبلتك))[2] فالحجر ليس إله لأنه لا ينفع ولا يضر ، فالله هو الإله الذي يستحق العبادة وحده عند المسلمين الذين يشهدون أن لا إله إلا الله .

واتجاه المسلمين في الصلاة شطر المسجد الحرام هو مظهر من مظاهر توحيد الأمة الإسلامية ، ولا يقول مسلم بأن الصلاة هي للمسجد الحرام بل لله تعالى وحده فأكرم حجر وهو الحجر الأسود في الكعبة في المسجد الحرام لا يضر ولا ينفع وكذلك الكعبة كلها عند المسلمين.

وسبق روم لاندو المستشرقُ آثر جفري[3] ، في كتابه (المفردات الأجنبية في القرآن) بقوله الظالم لنفسه ((..إنه في فقرات عديدة من القرآن الطلاء الإسلامي يستر بشكل دقيق للغاية أساساً وثنياً))[4] ، وكم كان بودنا أن يدلي الكاتب بشبهة لهذا الادعاء الباطل الظالم ، علماً أن القرآن كان حرباً على الوثنية وادعاءاتها وترجم النبي ﷺ هذه الأقوال للقرآن لواقع فأزال كل

---

[1] – من كتاب الإسلام والعرب ــ الفصل الثاني .

[2] – رواه البخاري في صحيحه (٢/١٩٤/١٥٩٧) ورواه مسلم (٢/٩٢٥/١٢٧٠) .

[3] – هو استرالي الجنسية عين أستاذاً في الجامعة الأمريكية في بيروت ثم أستاذاً في جامعة كولومبيا ، ثم أستاذاً للغات السامية في مدرسة اللغات الشرقية في القاهرة له عدة كتب : تحقيق كتاب المصاحف للسجستاني ــ في مقدمة سموم وأغاليط ــ طبع سنة ١٩٧٣م ، وأبو عبيد والقرآن وغير ذلك ــ آراء المستشرقين حول القرآن (١/١٤٣) – .

[4] – في مقدمة آثر جفري لكتابه ((المفردات الأجنبية في القرآن)) – آراء المستشرقين حول القرآن (ص١٤٥) – .

أشكال الوثنية من الكعبة كما رأينا ، بل أزالها من كل الجزيـــرة العربيـــة ، وأسقط دعوة الشرك في كل أنحاء الجزيرة العربيـــة فـــلا عبـــادة للأحجـــار والتمور مما يصنع به الأصنام وأعلى عقيـــدة التوحيـــد الصافيـــة القويـــة : **((لا إله إلا الله))**.

إن من التزوير لحقائق التاريخ أن يقال : إن محمداً استنبط عقيدته من الوثنية ، إنه من التضليل للبشرية أن يقال : أن الإسلام داع للوثنية ، مـــع أن التوحيد كان هدفه الأسمى من أساس إنشاء تلك الدولة العظمى والكبرى فـــي العالم من فرنسا إلى الصين فمساحتها أكبر من مساحة أي دولة حتى الآن في العالم القديم والحديث ، ولم يكن إذ ذاك وسائل الاتصال حديثة ولا مواصلات حديثة إنما يربطها **((لا إله إلا الله))**.



المبحث الثالث

محمد ﷺ الرسول بالقرآن المعجز بين خصومه وحقائق التاريخ

وزاد الكاتب توبي لستر على الوثنية في الانطلاقة الأولى الإسلامية لدولة عالمية قوله عن محمد ﷺ : (تاجر غني ساخط يدعى محمد بن عبدالله)[1].

إن في هذا إشارة خفية إلى أن رسول الله محمداً غايته الدنيا والربح وهو في سخطه وغايته إنما يريد المال ... وفي هذا ضياع لحق رسول الله بالقرآن المعجز ﷺ لذلك لابد من الرد .

المطلب الأول : زواج الرسول ﷺ من خديجة وموقفه من أزواجه:

والحق أن رسول الله ﷺ ذهب بتجارة إلى الشام لامرأة شريفة من قريش اسمها خديجة بنت خويلد ، ولقد أعجبت بأمانته وخُلقه وصدقه فعرضت عليه نفسها للزواج ، ثم طلبها مع عمه حمزة من أبيها وتم زواجه بها[2]، ومع ذلك كان لا يرضى إلا حياة الزهد فقد كان يذهب إلى غار حراء يتعبد الليالي ذوات العدد ثم يرجع حتى نزل عليه الملك جبريل بوحي القرآن وهو عند غار حراء[3]. وعند ذلك أصبح نبياً وكان لا يسخط لدنيا فقد كانت تأتيه الأموال الكثيرة الكثيرة بعد قتاله لأعدائه ولكنه كان لا يرضى إلا حياة الزهد ﷺ ويوزع الغنائم على أصحابه ، ولقد طلب أزواجه منه السعة في المعيشة بعد قدوم الأموال الكثيرة جداً التي كانت تأتيه فخيرهن بأمر الله بين الطلاق أو الاستمرار بالحياة الزوجية على ما كانت عليه[4] قال الله في قرآنه: (ياأيها النبي قل لأزواجك إن كنتن تردن الحياة الدنيا وزينتها فتعالين أمتعكن

---

[1] – هو قول توبي لستر في مجلة اتلانتك مونثلي في عدد يناير ١٩٩٩م (ص٥٠).

[2] – انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٤٥-٢٤٦) .

[3] – انظر السيرة النبوية لابن هشام (١/٢٩٨-٣٠٠) .

[4] – انظر تفسير القرآن العظيم لابن كثير (٣/٤٨٨) .

وأسرحكن سراحاً جميلاً * وإن كنتن تردن الله ورسوله والدار الآخرة فإن الله أعد للمحسنات منكن أجراً عظيماً))[١] .

وأريد أن أسأل هل هنالك مستمسك مادي من حياة النبي ﷺ ليقال أنه كان تاجراً غنياً ، إذ لم يكن له قصر منيف ، ولا أثر لبيت باق وحتى مسجده الذي بناه لم يبق بناؤه وهذا نمط حياته المبثوث في سيرته يدل على أنه عاش حياة الزهد والتقشف ، واسمح لي أيها القارئ أن أرد على الأمريكي توبي لستر في شأن محمد ﷺ بما قاله الكاتب الأمريكي مايكل إتش هيرت[٢] في شخصية محمد ﷺ في كتابه ((المائة : تقويم لأعظم الناس أثراً في التاريخ)) .

المطلب الثاني : قول مايكل إتش هيرت بالنبي محمد ﷺ[٣]

قال الكاتب الأمريكي الذي يعمل في وكالة الفضاء الأمريكية تحت عنوان محمد - ﷺ - (٥٧٠[٤] -٦٣٢م) :

((لقد اخترت محمداً في أول هذه القائمة ، ولابد أن يندهش كثيرون لهذا الاختيار . ومعهم حق في ذلك . **ولكن محمداً عليه السلام هو الإنسان الوحيد في التاريخ الذي نجح نجاحاً مطلقاً على المستوى الديني والدنيوي .**

وهو قد دعا إلى الإسلام ونشره كواحد من أعظم الديانات ، وأصبح قائداً سياسياً وعسكرياً ودينياً . **وبعد ١٣ قرناً من وفاته ، فإن أثر محمد ما يزال قوياً متجدداً .**

وأكثر هؤلاء الذين اخترتهم قد ولدوا ونشأوا في مراكز حضارية ومن شعوب متحضرة سياسياً وفكرياً . إلا محمداً فهو قد ولد سنة ٥٧٠ ميلادية في مدينة مكة جنوب شبه الجزيرة العربية في منطقة متخلفة من العالم القديم بعيدة عن مراكز التجارة والحضارة والثقافة والفن .

---

١ - الآيتان ٢٨-٢٩ من سورة الأحزاب .

٢ - انظر ترجمته في الصفحة رقم (٢١٣) من هذا الكتاب .

٣ - انظر مقاييس تقييم مايكل إتش هيرت لعظماء العالم في الصفحة رقم(٢١٣) من هذا الكتاب.

٤ - ذهب صفي الرحمن المباركفوري إلى أن ولادته صلى الله عليه وسلم في سنة ٥٧١م - انظر الرحيق المختوم (ص٤٥) - .

وقد مات أبوه وهو لم يخرج بعد إلى الوجود وماتت أمه وهو في السادسة من عمره. وكانت نشأته في ظروف متواضعة وكان لا يقرأ ولا يكتب .

ولم يتحسن وضعه المادي إلا في الخامسة والعشرين من عمره عندما تزوج أرملة غنية[1] .

وكان أكثر العرب في ذلك الوقت وثنيين يعبدون الأصنام . وكان يسكن مكة عدد قليل من اليهود والنصارى. وكان محمد - ﷺ - على علم بهاتين الديانتين[2].

وفي الأربعين من عمره امتلأ قلبه إيماناً بأن الله واحد أحد ، وأن وحياً ينزل عليه من السماء ، وأن الله قد اصطفاه ليحمل رسالة سامية إلى الناس.

وأمضى محمد - ﷺ - ثلاث سنوات يدعو لدينه الجديد بين أهله وعدد قليل من الناس.

وفي ٦١٣ ميلادية أذن الله لمحمد - ﷺ - بأن يجاهر بالدعوة إلى الدين الجديد فتحول قليلون إلى الإسلام .

وفي ٦٢٢ ميلادية هاجر الرسول - ﷺ - إلى المدينة المنورة . وهي تقع على مدى ٢٠٠ كيلو[3] متر من مكة المكرمة . وفي المدينة المنورة اكتسب الإسلام مزيداً من القوة . واكتسب رسوله عدداً كبيراً من الأنصار .

وكانت الهجرة إلى المدينة المنورة نقطة تحول في حياة الرسول- ﷺ- وإذا كان الذين تبعوه في مكة قليلين . فإن الذين ناصروه في المدينة كانوا كثيرين وبسرعة اكتسب الرسول والإسلام قوة ومنعة . وأصبح محمد - ﷺ- أقوى وأعمق أثراً في قلوب الناس .

---

[1] - قلنا إنها هي التي طلبته للزواج وطبع الرسول محمد ﷺ أنه لا يختار على من يختاره بالصدود ، خاصة وقد تزوج امرأة أخرى بعد وفاة خديجة وهبت نفسها لـه .. فليس المطمع مادياً وإلا فإن قريشاً وعدته أن تجعله أكثرها مالاً إذا ترك دعوته للإسلام ومحاربته للشرك بعبادة الأصنام فأبى ﷺ .

[2] - لم يثبت وجود النصارى واليهود في مكة ،ولم يثبت أن النبي محمداً ﷺ كان على علم بالديانتين .

[3] - الصحيح ٥٠٠ كم تقريباً كما رأيت .

وفي السنوات التالية تزايد عدد المهاجرين والأنصار واشتركوا في معارك كثيرة بين أهل مكة من الكفار . وأهل المدينة من المهاجرين والأنصار.

وانتهت كل هذه المعارك في سنة ٦٣٠ بدخول الرسول منتصراً إلى مكة.

وقبل وفاته بسنتين ونصف السنة شهد محمد الناس يدخلون في دين الله أفواجاً .. كان الإسلام قد انتشر في جنوب شبه الجزيرة العربية .

وكان البدو من سكان شبه الجزيرة مشهورين بشراستهم في القتال، وكانوا ممزقين أيضاً ، رغم أنهم قليلو العدد ، ولم تكن لهم قوة أو سطوة العرب في الشمال الذين عاشوا على الأرض المزروعة .

ولكن الرسول استطاع لأول مرة في التاريخ أن يوحد بينهم وأن يملأهم بالإيمان وأن يهديهم جميعاً بالدعوة إلى الإله الواحد . **ولذلك استطاعت جيوش المسلمين الصغيرة المؤمنة أن تقوم بأعظم غزوات عرفتها البشرية فاتسعت الأرض تحت أقدام المسلمين من شمالي شبه الجزيرة العربية وشملت الإمبراطورية الفارسية على عهد الساسانيين وإلى الشمال الغربي واكتسحت بيزنطة والإمبراطورية الرومانية الشرقية .**

وكان العرب أقل بكثير جداً من كل هذه الدول التي غزوها وانتصروا عليها.

وفي ٦٤٢ انتزع العرب مصر من الإمبراطورية البيزنطية ، كما أن العرب سحقوا القوات الفارسية في موقعة القادسية في ٦٣٧ وفي موقعة نينوى في ٦٤٢ .

وهذه الانتصارات الساحقة في عهد الخليفتين أبي بكر الصديق وعمر ابن الخطاب لم تكن نهاية الزحف العربي والمد الإسلامي في العالم .

ففي ٧١١ اكتسحت القوات الإسلامية شمالي أفريقيا حتى المحيط الأطلسي، ثم اتجهت القوات الإسلامية بعد ذلك إلى مضيق جبل طارق وعبروا إلى أسبانيا. وساد أوروبا كلها شعور في ذلك الوقت بأن القوات الإسلامية تستطيع أن تستولي على العالم المسيحي كله .

ولكن في ٧٣٢ وفي موقعة تور بفرنسا . انهزمت الجيوش الإسلامية التي تقدمت إلى قلب فرنسا .

ورغم ذلك فقد استطاع هؤلاء البدو[1] المؤمنون بالله وكتابه ورسوله. أن يقيموا إمبراطورية واسعة ممتدة من حدود الهند حتى المحيط الأطلسي . وهي أعظم إمبراطورية في التاريخ حتى اليوم[2] . وفي كل مرة تكتسح هذه القوات بلداً، فإنها تنشر الإسلام بين الناس .

ولم يستقر العرب على هذه الأرض التي غزوها. إذ سرعان ما انفصلت عنها بلاد فارس . وإن كانت قد ظلت على إسلامها . وبعد سبعة قرون من الحكم العربي لإسبانيا والمعارك المستمرة . تقدمت نحوها الجيوش المسيحية فاستولت عليها . وانهزم المسلمون.

أما مصر والعراق مهدا أقدم الحضارات الإنسانية فقد انفصلتا. ولكن بقيتا على دين الإسلام .. وكذلك كل شمال أفريقيا .

وظلت الديانة الجديدة تتسع على مدى القرون التالية . فهناك مئات الملايين في وسط أفريقيا وباكستان وأندونيسيا .

بل إن الإسلام قد وحّد بين أندونيسيا المتفرقة الجزر والديانات واللهجات ، وفي شبه القارة الهندية انتشر الإسلام وظل على خلاف مع الديانات الأخرى .

والإسلام مثل كل الديانات الكبرى كان له أثر عميق في حياة المؤمنين به . ولذلك فمؤسسوا الديانات الكبرى ودعاتهم موجودون في قائمة المائة الخالدين.

وربما بدا شيئاً غريباً حقاً أن يكون الرسول محمد - ﷺ - في رأس هذه القائمة. رغم أن عدد المسيحيين ضعف عدد المسلمين . وربما بدا غريباً أن يكون الرسول عليه السلام هو رقم واحد في هذه القائمة . بينما عيسى عليه السلام هو رقم ٣ وموسى عليه السلام هو رقم ١٦[3] .

ولكن لذلك أسباب : من بينها أن الرسول محمداً - ﷺ - قد كان دوره أهم وأعظم في نشر الإسلام وتدعيمه وإرساء قواعد شريعته أكثر مما كان

---

[1] - لم يكونوا كلهم من البدو .

[2] - كان يسود المسلمين اعتقاد أن لا يحل تفرق المسلمين إلى دول بل هم في دولة واحدة وخليفة واحد .

[3] - يعتقد المسلمون أن الأنبياء هم أفضل البشر وألوا العزم من الأنبياء والرسل هم أفضل الأنبياء وهم محمد ونوح وإبراهيم وموسى وعيسى صلوات الله عليهم أجمعين .

لعيسى عليه السلام في الديانة المسيحية[1] . وعلى الرغم من أن عيسى عليه السلام هو المسؤول عن مبادئ الأخلاق في المسيحية ، غير أن القديس بولس هو الذي أرسى أصول الشريعة المسيحية، وهو أيضاً المسؤول عن كتابة الكثير مما جاء في كتب ((العهد الجديد)).

أما الرسول -ﷺ- فهو المسؤول الأول والأوحد عن إرساء قواعد الإسلام وأصول الشريعة والسلوك الاجتماعي والأخلاقي وأصول المعاملات بين الناس في حياتهم الدينية والدنيوية . كما أن القرآن الكريم قدنزل عليه وحده . وفي القرآن الكريم وجد المسلمون كل ما يحتاجون إليه في دنياهم وآخرتهم[2].

والقرآن الكريم نزل على الرسول -ﷺ- كاملاً . وسجلت آياته وهو ما يزال حياً . وكان تسجيلاً في منتهى الدقة، فلم يتغير منه حرف واحد[3]. وليس في المسيحية شيء مثل ذلك . فلا يوجد كتاب واحد محكم دقيق لتعاليم المسيحية يشبه القرآن الكريم . وكان أثر القرآن على الناس بالغ العمق . ولذلك كان أثر محمد -ﷺ- على الإسلام أكثر وأعمق من الأثر الذي تركه عيسى عليه السلام على الديانة المسيحية .

فعلى المستوى الديني كان أثر محمد - ﷺ- قوياً في تاريخ البشرية. وكذلك كان عيسى عليه السلام .

وكان الرسول عليه السلام على خلاف عيسى عليه السلام رجلا دنيوياً فكان زوجاً وأباً . وكان يعمل في التجارة[4] ويرعى الغنم . وكان يحارب ويصاب في الحروب ويمرض .. ثم مات .

ولما كان الرسول - ﷺ- قوة جبارة ، فيمكن أن يقال أيضاً إنه أعظم زعيم سياسي عرفه التاريخ .

---

[1] – ليس في النصرانية شريعة في المعاملات والجنايات .. الخ ولا أظن الكاتب يقصد هذا .

[2] – سنفرد لموضوع التشريع الإسلامي كتاباً عن إعجازه تحت عنوان الإسلام يملك أرقى التشريعات في العالم ــ إن شاء الله تعالى ــ .

[3] – قد برهنا على هذا في الباب الثاني في الفصل الأول في المبحث الأول من الكتاب تحت عنوان معجزة حفظ القرآن الكريم.

[4] – عمل بالتجارة ــ صلى الله عليه وسلم ــ قبل بعثته برحلتين إلى الشام كما مر .

وإذا استعرضنا التاريخ .. فإننا نجد أحداثاً كثيرة من الممكن أن تقع دون أبطالها المعروفين .. مثلا : كان من الممكن أن تستقل مستعمرات أمريكا الجنوبية عن إسبانيا دون أن يتزعم حركاتها الاستقلالية رجل مثل سيمون بوليفار.. هذا ممكن جداً . على أن يجيء بعد ذلك أي إنسان ويقوم بنفس العمل.

ولكن من المستحيل أن يقال ذلك عن البدو. وعن العرب عموماً وعن إمبراطوريتهم الواسعة. دون أن يكون هناك محمد - ﷺ-.. فلم يعرف العالم كله رجلاً بهذه العظمة قبل ذلك. وما كان من الممكن أن تتحقق كل هذه الانتصارات الباهرة بغير زعامته وهدايته وإيمان الجميع به[1].

ربما ارتضى بعض المؤرخين أمثلة أخرى من الغزوات الساحقة .. كالتي قام بها المغول في القرن الثالث عشر. والفضل في ذلك يرجع إلى جنكيز خان . ورغم أن غزوات جنكيز خان كانت أوسع من غزوات المسلمين . فإنها لم تدم طويلاً . ولذلك كان أثرها أقل أهمية وعمقاً .

فقد انكمش المغول وعادوا إلى احتلال نفس الرقعة التي كانوا يحتلونها قبل ظهور جنكيز خان.

وليست كذلك غزوات المسلمين .. فالعرب يمتدون من العراق إلى المغرب وهذا الامتداد يحتوي دولاً عربية ،لم يوحد بينها الإسلام فقط . ولكن وحدت بينها اللغة والتاريخ والحضارة. ومن المؤكد أن إيمان العرب بالقرآن هذا الإيمان العميق ، هو الذي حفظ لهم لغتهم العربية وأنقذها من عشرات اللهجات الغامضة. صحيح أن هناك خلافات بين الدول العربية، وهذا طبيعي . ولكن هذه الخلافات يجب ألا تنسينا الوحدة المتينة بينها[2].

مثلاً : لم تشترك إيران المسلمة وأندونيسيا المسلمة في فرض حظر البترول على العالم الغربي فيما بين ١٩٧٣ و ١٩٧٤ . بينما نجد أن الدول العربية البترولية قد شاركت جميعاً في هذا الحظر!

---

[1] - كل ذلك قد تحقق بسبب تمسك المسلمون بالقرآن الكريم وسنة النبي ﷺ فكانوا في تمسكهم قد حققوا معجزة جديدة للنبي محمد ﷺ ورحم الله محمود غنيم الذي قال :

هل تطلبون من المختار معجزة يكفيه شعب من الأجداث أحياه .

[2] - يعمل أعداء العرب والإسلام على بث الخلاف بين العرب المسلمين بل والمسلمون جميعاً ولكن وحدتهم على أساس الإسلام قادمة بإذن الله تعالى ولا يوافق على هذا الخلاف إلا أقل من ١% من عدد السكان الذين يعتبرون أنفسهم مسلمين ...

وهذا الموقف العربي الموحد يؤكد لنا . أن الغزوات العربية التي سادت القرن السابع . ما يزال دورها عميقاً بليغاً في تاريخ الإنسانية حتى يومنا هذا.

فهذا الامتزاج بين الدين والدنيا هو الذي جعلني أؤمن بأن محمداً ﷺ هو أعظم الشخصيات أثراً في تاريخ الإنسانية كلها !..))[1]

وأظن أن توبي لستر قد اطلع على هذا الكتاب لرجل واسع الشهرة والاطلاع وهو مايكل إتش هيرت فلماذا لا يؤمن بحقائق التاريخ وخاصة في موضوع حفظ القرآن وحده!!؟؟.. ولماذا يقول عن محمد - ﷺ- تاجر ساخط غني ولا يقول هو أفضل رجل في تاريخ البشرية اختاره الله على علم ليحمل أسمى رسالة للعالم وهي القرآن والإسلام؟؟ فهل هنالك من هو أسمى منه لحمل رسالة الواحد الحكيم الرحيم العليم؟ إن **اختيار الله له -ﷺ- لحمل رسالة القرآن والإسلام لدليل على حكمة الله في إرسال أفضل رسالة عن طريق أفضل شخصيات العالم وهو محمد -ﷺ -، فقد تم بهذا وضع النبي الكريم المناسب في المكان المناسب وهذه حكمة الله العالية .**

المطلب الثالث : قول هانس كونج بالنبي محمد ـﷺـ:

ولقد أنصف الأستاذ الدكتور هانس كونج[2] -مدير معهد أبحاث توحيد الكنائس المسيحية التابع لجامعة توبنجن بجنوب غرب ألمانيا الاتحادية- ، أنصف النبي محمداً ﷺ بعض الإنصاف عندما قال :

في المبحث الرابع : ((**محمد ـﷺ ـ هل هو فعلاً نبي حقيقي؟**

إن شخصية محمد -ﷺ - لا يمكن دراستها تاريخياً عن طريق سابقيه، إنها شخصية فريدة تخالف المحيط العام الذي عاشت فيه... فالقرآن يعني خروجاً ورجوعاً عن الماضي واتجاهاً إلى مستقبل جديد[3] ، **وهو بحق بداية توقيت جديد (التأريخ الهجري) .**

---

[1] - كتاب (المائة : تقويم لأعظم الناس أثراً في التاريخ) وقد ترجمه في كتاب (الخالدون مائة أعظمهم محمد ﷺ) أنيس منصور وقد جاءت هذه المقالة في (ص١٣-١٩) من هذا الكتاب الذي ترجمه أنيس منصور بإذن مايكل إتش هيرت وأشار إلى هذا في الكتاب (ص٩-١١).

[2] - انظر ترجمته (ص٢٧٥) .

[3] - كان هذا أحد محاور الكلام في هذا الكتاب وذلك بتبيان إعجاز القرآن البياني وإعجازه في أسماء الله الحسنى (العقيدة الإلهية الإسلامية) والإعجاز التأثيري وعدم اقتباس القرآن من الوثنية واليهودية والنصرانية وغير ذلك .

وليس صحيحاً ما قاله كارل ياسبرز (**Karl Jaspers**) بأن محمداً- ﷺ - لم يحظ باهتمام كبير لأن الأصالة كانت تعوزه ، هذا خطأ كبير ، أليس حقاً أن محمداً كان (ولا يزال) الشخصية الدينية الأصيلة عند جزء كبير من الإنسانية؟ أليس حقاً أنه ، وخلال قرون عديدة ، والقرآن والصحابة كانوا مرجع البشر كلما أشكل عليهم شيء؟

من المعروف أن هناك العديد من الديانات التي لا تعرف الأنبياء مثل الهندوسية والديانات الصينية والبوذية على خلاف اليهودية والمسيحية والإسلام. وإذا كان هناك نبي يسمى (النبي) (معرفاً بالألف واللام) فإنه هو محمد -ﷺ- كما قال هو ذلك عن نفسه . ولكن هل هو كذلك فعلاً؟ سأعبر عن رأيي باختصار وأذكر أن كل مسيحي أو يهودي حقيقي يتقصى هذا الأمر لا بد أن يسلم بصحة بعض النقاط (أو الأدلة) الآتية :

-مثل أنبياء إسرائيل لم يستمد محمد -ﷺ- قوته من جماعة أو سلطة حكومية ولكن كان يستمدها من الله تعالى .

-مثل أنبياء إسرائيل كان محمد شخصية ذات إرادة قوية ... رسولاً مختاراً مكلفاً برسالة من الله يبلغها للناس.

-مثل أنبياء إسرائيل جاء محمد -ﷺ- برسالته أثناء محنة (فوضى) دينية واجتماعية وكان يقف وحده بكل قوة وصلاح وإصرار على تبليغ رسالته (دعوته) ضد قوة معارضة مسيطرة لها تقاليد تتمسك بها ولاتريد تركها .

-مثل أنبياء إسرائيل بلغ محمد -ﷺ- وبإصرار لا يهين التوحيد، الإيمان بإله واحد لا شريك له وهو الخالق الرحمن والمحاسب الرحيم.

-مثل أنبياء إسرائيل أمر محمد بطاعة الله المطلقة والعبودية لله (الإسلام) بما يحتويه هذا من شكر الله ورحمته بالعالمين (البشر).

-مثل أنبياء إسرائيل . يربط محمد -ﷺ- التوحيد الخالص بالإنسانية (حب الإنسان للإنسان ــ **Humanismus**) ويربط الإيمان بوحدانية الله وعدله بالمطالبة بالعدالة الاجتماعية ، يبشر بالعدل والخلاص، ينذر الظالمين بالنار ويبشر المنصفين بالجنة[1].

---

١ - كأنه يقول مثل سابقيه من أنبياء إسرائيل في طرق إثبات النبوة له برأيه ولكنه اعترف في أول المقال أن شخصية محمدﷺ لايمكن دراستها تاريخياً عن طريق سابقيه، فهو أفضلهم جميعاًﷺ.

كل من ينظر في التوراة والكتاب المقدس والقرآن يجد أنهم جاءوا من منبع واحد ، وخاصة التوراة والقرآن ففيهما أمور كثيرة متطابقة تماماً[1].
أليس إذن الاعتراف بأنبياء إسرائيل وإنكار نبوة محمد حكماً جدلياً خاطئاً؟

هذا هو الدين الذي جمع قرابة ٨٠٠[2] مليون نسمة على الإيمان بالله وأداء فرائضه (أركان الإسلام الخمسة) ونادى بالمساواة بين البشر جميعاً أمام الله ، وبأخوة لا تعرف التفرقة العنصرية .

كل هذه الأشياء تحتم علينا نحن المسيحيين أن نصحح تصورنا عن محمد ونترك الأحكام الخاطئة التي نشأت من الكراهية ضد الإسلام.

وعلينا أن نضع نصب أعيننا ما يلي :

- أن العرب كانوا على حق عندما اتبعوا محمداً ﷺ في القرن السابع الميلادي[3] .
- أنهم ارتقوا بدين التوحيد عما كانوا عليه من الكفر .
- أنهم جميعاً استمدوا من محمد ﷺ أو بالأحرى من القرآن إلهاماً كثيراً وشجاعة وقوة انتقلت بهم إلى حقيقة عالية ومعرفة عميقة وإحياء وتجديد لدين خالد وهو الإسلام .

حقاً إن تصور المسلم عن نبوة محمد ﷺ يختلف عن تصورنا نحن، فهو بالنسبة له إنسان لم يتغير بالنبوة وهو المثل الأعلى الذي يحتذى به من كل من تبعه أو لحق عليه فهو الإسلام في صورة إنسان . ويجب على الكنيسة الكاثوليكية التي تحدثت عن المسلمين بصفتهم من عباد الله أن تملك الشجاعة وتتحدث عن محمد ﷺ بنفس الوضوح .. فإنه هو الذي دعا الناس إلى عبادة

---

[1] - كان هذا مكان بحث أثبتنا فيه التشابه في أمور ثم عدم التشابه في أمور رئيسة مع التوراة الحالي والإنجيل الحالي من (ص ٢٦٣ إلى٣١٢) من هذا الكتاب وقلنا إن سبب التشابه في بعض الأمور هو أن التوراة والإنجيل الأصليين ثم القرآن من عند الله جل جلاله .

[2] - أصبح عدد المسلمين في العالم ١٢٠٠ مليون مسلم تقريباً .

[3] - ليس الإسلام خاصاً بالعرب ولكنه دين عالمي دائم قال تعالى في قرآنه مخاطباً نبيه ﷺ : ((قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً))- الآية ١٥٨ من سورة الأعراف - وقال تعالى مخاطباً رسوله ﷺ : ((وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين)) - الآية ١٠٧ من سورة الأنبياء - .
فكان على حق كل من آمن به ﷺ من كل البشر ، فمادام محمد النبي المرسل بالقرآن فعلينا أن نؤمن بعالمية رسالته التي جاءت بالقرآن .

الله ولم يفعل ذلك غيره في زمانه . هذا الإله الواحد هو الذي تحدث إلى محمدﷺ وسماه (النبي) . إن الكتاب المقدس كان يعترف بنبوات بعد عيسى (عليه السلام) ولكن اختفاء هذا الاعتراف بدءاً من القرن ٢/٣ الميلادي ولكن هذا لا يبرر لنا إنكار نبوة محمد ﷺ .

والآن أليس هناك نتائج ذات أهمية كبيرة لاعترافنا بنبوة محمد ﷺ وخاصة بالنسبة إلى الحكم على رسالته (القرآن)؟))[1] .

المطلب الرابع : دعوة صريحة إلى الإسلام

وبعد أدعو كل كاتب غربي[2] وكل منصف في العالم أن يتحقق بنفسه عن شخصية محمد ﷺ فسيشعر بعد ذلك أنه يحبه حباً جماً لأنه أفضل إنسان في تاريخ البشرية وصاحب الرقم الأول في تاريخ البشرية رحمة وحكمة وتعقلاً وصبراً .. فهو سيد كل البشر في كل صفة حميدة ، وهذا ما تدل عليه سيرته المكتوبة ، وليس ذلك فحسب بل وسيدعو إلى محبته لمحبته ولأنه رسول الله بالقرآن والإسلام ﷺ ، وكان أفضل عارف بالله وبصفاته وأفضل عالم بشريعته الإسلامية ؛ وبالتالي كان أكثر لله حباً وأكثر عباد الله لشريعة الله طاعة وامتثالاً .

وأدعو كل كاتب غربي وكل منصف في العالم أن يعتقد أن محمداًﷺ كان هو الداعي الأول والأوحد لتوحيد الله بصفاته العليا وأسمائه الحسنى عند ما جاء ، وذلك بأمر الله في القرآن ، فكان بحق رسول إعجاز القرآن في تصور المسلم لعقيدة الألوهية ، فلقد سبق بما فات العالم في عصره ولا تزال عقيدته على مر القرون هي السامية التي تؤيدها كل العلوم الدقيقة والنظرات التأملية العلمية الحديثة الحرة الطليقة إلى الكون والحياة والإنسان.

إنه لا يكفي الإطراء والمدح المتتابع للنبي محمدﷺ[3] فلا بد من اتباعه بالإسلام.

وأدعو بعد ذلك كل محب لله عز وجل أدعوه لاتباع من يحبه الله حق المحبة وهو أفضل رجل في تاريخ العالم وهو محمد ﷺ قال تعالى مخاطباً

---

[1] – كتاب المسيحية وديانات العالم لهانس كونج وآخرون (ص٥٥-٦١) ميونخ دار بيبر(**piper**) ١٩٨٤م ، ٦٣١ صفحة عن كتاب حوار المسيحية والإسلام (ص٣٠-٣٢) .

[2] – ومن هؤلاء توبي لستر الذي قال عن محمد ﷺ ((تاجر غني ساخط)) فحصر شخصيته في هذا الإطار الضيق وهو أكبر شخصية في العالم تأثيراً ﷺ.

[3] – وهذا ما قام به ما يكل إتش هيرت وهانس كونج وغيرهم كثير ..

رسوله محمداً ﷺ في القرآن المعجز: ((قل إن كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله..))[1] .

الخاتمة : القرآن المعجز كتاب الله العليم : إن إعجاز القرآن في أسماء الله الحسنى وإعجاز القرآن العلمي والإخبار عن المغيبات ومنها حفظ القرآن وإعجاز القرآن البياني والتأثيري كلها دلائل ربانية في القرآن بأن محمداً رسول الله صدقاً وحقاً بالقرآن والإسلام ﷺ ، هذا ما أيدته العلوم التي طرحناها ، والأحرى بمن رأى إعجاز القرآن أن يؤمن بما أنزل الله على عبده محمد ﷺ ، وإلا فمصيره عذاب الله تعالى الذي أنزل القرآن قال سبحانه تعالى: ((وإن كنتم في ريب مما نزلنا على عبدنا فأتوا بسورة من مثله وادعوا شهداءكم من دون الله إن كنتم صادقين * فإن لم تفعلوا ولن تفعلوا فاتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين))[2] .

إن إعجاز القرآن الذي بيّنا أنواعه يستند إلى حقائق علمية وتاريخية وبيانية ونفسية وتشريعية وعقدية .

وهذا يبين أن القرآن أنزل بعلم الله العليم قال تعالى في قرآنه المجيد مخاطباً رسوله محمداً ﷺ : ((قل أنزله الذي يعلم السر في السموات والأرض إنه كان غفوراً رحيماً))[3] وإعجاز القرآن يدل على أن في القرآن علم اختص به الله جل جلاله قال الله سبحانه في قرآنه المجيد : ((أم يقولون افتراه قل فأتوا بعشر سور مثله مفتريات وادعوا من استطعتم من دون الله إن كنتم صادقين* **فإن لم يستجيبوا لكم فاعلموا أنما أنزل بعلم الله وأن لا إله إلا هو فهل أنتم مسلمون**))[4] .

إن العلم في القرآن يتجلى ويتجلى منه هداية الإعجاز القرآني على العالم ، فكان القرآن بلا ريب هو كتاب الهدى من الله سبحانه ، قال الله تعالى عن القرآن : ((**ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين**)) .

اللهم آمنا أن القرآن أنزل بعلمك لا إله إلا أنت وأن محمداً عبدك ورسولك ﷺ ونحن من المسلمين والحمد لك يا رب العالمين .

---

[1] - الآية ٣١ من سورة آل عمران .
[2] - الآيتان ٢٢-٢٣من سورة البقرة .
[3] - الآية ٦ من سورة الفرقان .
ــ انظر تفسير روح المعاني للألوسي (٢١/١٢) .
[4] - الآيتان ١٣-١٤ من سورة هود .

فهرس المصادر والمراجع

١- أبي بن كعب الرجل والمصحف للدكتور الشحات السيد زغلول ـ ط الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٣٩٨هـ - ١٩٧٨م.
٢- الإتقان في علوم القرآن لجلال الدين عبدالرحمن السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م ـ ط دار المعرفة ـ بيروت .
٣- إحياء علوم الدين لأبي حامد الغزالي[1] المتوفى سنة ٥٠٥هـ - ١١١١م ـ ط القاهرة - ١٣٤٦هـ - .
٤- آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره للدكتور عمر بن إبراهيم رضوان ـ ط دار طيبة ـ الرياض -١٤١٣هـ - ١٩٩٢م -.
٥- أسرار القرآن تأليف جرجيس سال ـ ط سنة ١٨٩١م ـ .
٦- الإسلام كبديل للدكتور مراد هوفمان الألماني من سلسلة نافذة على الغرب ـ ط مجلة النور الكويتية ـ الكويت ومؤسسة بافاريا للنشر والإعلام والخدمات - ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م - .
٧- الإسلام والعرب تأليف روم لاندو ترجمة الأستاذ منير بعلبكي ـ ط دار العلم للملايين - بيروت - .
٨- الأسماء والصفات لأبي بكر أحمد بن الحسين البيهقي المتوفى سنة ٤٥٨هـ/١٠٦٦م ، تحقيق محمد زاهد الكوثري ـ ط دار إحياء التراث الإسلامي ـ بيروت .
٩- الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني المتوفى سنة ٨٥٢هـ/١٤٤٨م - ط دار الكتاب العربي - بيروت - .
١٠- أصول الفقه الإسلامي للدكتور وهبه الزحيلي ـ ط دار الفكر المعاصر ـ بيروت ـ دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م .
١١- أصول الفقه لمحمد أبو زهرة ـ ط دار الفكر العربي - ١٣٧٧هـ - ١٩٥٨م.
١٢- إظهار الحق تأليف رحمة الله بن خليل الرحمن الهندي ، إخراج وتحقيق الدسوقي - ط مطبعة الرسالة - الدار البيضاء-.
١٣- إعادة النظر في كتابات العصريين في ضوء الإسلام لأنور الجندي ـ ط دار الاعتصام - القاهرة - .

[1] - إذا كان المرجع مأخوذاً مما اعتمده من نقلنا عنه وذكر اسم مؤلف ومكان طبعه وضعت تحت اسم الكتاب خط .

١٤- إعجاز القرآن الكريم للدكتور فضل عباس وسناء فضل عباس ـ الأردن ـ عمان ـ ١٩٩١م-.
١٥- إعجاز القرآن للقاضي أبي بكر الباقلاني المتوفى سنة - ٤٠٣هـ - ١٠١٣م - ط دار المعرفة - بيروت - .
١٦- إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى للدكتور غسان حمدون ـ ط دار الفكر المعاصر صنعاء - ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م -.
١٧- إعجاز القرآن والبلاغة النبوية لمصطفى صادق الرافعي ، تحقيق عبدالله المنشاوي ـ مكتبة الإيمان - مصر - المنصورة - ١٤١٧هـ - ١٩٩٧م - .
١٨- الإعجاز في نظم القرآن للدكتور محمود السيد شيخون ـ ط المؤسسة العربية الحديثة - القاهرة-.
١٩- الأعلام لخير الدين الزركلي ـ ط دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨٠م-.
٢٠- الأغاني لأبي فرج الأصبهاني المتوفى سنة ٣٥٦هـ/٩٦٧م ـ ط دار الفكر ـ بيروت ـ .
٢١- أمريكا السقوط والحل لمختار خليل المسلاتي ـ ط دار ابن كثير - دمشق ، بيروت - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م .
٢٢- إملاء ما من به الرحمن من وجوه إعراب القرآن لأبي البقاء العكبري المتوفى سنة ٦١٦هـ/١٢١٩م ـ ط دار الفكر ـ بيروت ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م - .
٢٣- أنه الحق تأليف عبد المجيد الزنداني ـ ط مطابع رابطة العالم الإسلامي ـ مكة المكرمة ـ .
٢٤- إيضاح الوقف والابتداء لابن الأنباري ـ دمشق ـ ١٩٧١م .
٢٥- الاستيعاب في أسماء الأصحاب لأبي عمر يوسف بن عبدالله بن محمد بن عبدالبر القرطبي المالكي المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م ـ ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ .
٢٦- البحر المحيط لأبي حيان الأندلسي الغرناطي المتوفى سنة ٧٥٤هـ/١٣٥٣م ـ د دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤١٢هـ - ١٩٩٢م.
٢٧- البداية والنهاية لأبي الفداء إسماعيل بن عمروبن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ/١٣٧٢م ـ ط مكتبة المعارف - بيروت-.
٢٨- البدر الطالع لمحمد بن علي الشوكاني المتوفى سنة ١٢٥٠هـ/١٨٣٤م ـ ط دار المعارف ـ بيروت ـ .
٢٩- البدور الزاهرة في القراءات العشر المتواترة لعبد الفتاح القاضي ـ ط دار الكتاب العربي ـ بيروت ـ ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م-.
٣٠- بلاغة العرب لأحمد ضيف الله ـ ط مطبعة السفور - القاهرة ـ ١٩٢١م ـ .

٣١- تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الحسيني الزبيدي المتوفى سنة ١٢٠٥هـ/١٧٩٠م ، حققه علي شيري ـ ط دار الفكر ـ بيروت ـ ١٤١٤هـ-١٩٩٤م-.
٣٢- تاريخ القرآن وغرائب رسمه وحكمه لمحمد طاهر الكردي ـ ط١ لسنة ١٣٧٢هـ - ١٩٥٣م-.
٣٣- تاريخ بغداد للخطيب البغدادي المتوفى سنة ٤٦٣هـ/١٠٧٠م ـ ط مكتبة الخانجي القاهرة ـ ودار الفكر - بيروت - .
٣٤- ترجمات القرآن الكريم إلى لغات الشعوب والجماعات ـ أوراق الندوة الدولية التي عقدت في جامعة آل البيت ٢١-٢٤ محرم ١٤١٨هـ ، ١٨-٢١ أيار ١٩٩٨م ـ تحرير محمد الأرناؤوط ـ ط منشورات جامعة آل البيت - الأردن - ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م - .
٣٥- الترجمة في ظل الحضارة الإسلامية وأثرها في الآداب والعلوم ـ هدية مجلة الفيصل السعودية العدد ٢٣٩ ـ للدكتور حسن الظاظا والدكتور الطاهر أحمد مكي والدكتور محمود إسماعيل الصيني ـ ط مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية-.
٣٦- التصور اليهودي للأنبياء للأستاذ الدكتور عابد توفيق الهاشمي ـ ط دار اقرأ صنعاء- .
٣٧- التصوير الفني في القرآن لسيد قطب ـ ط دار الشروق ـ بيروت ـ القاهرة - ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - .
٣٨- التعريفات لأبي الحسن علي بن محمد بن علي الجرجاني المتوفى سنة ٨١٦هـ/١٤١٣م ـ ط الدار التونسية - ١٩٧١م-.
٣٩- تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمرو بن كثير الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤هـ-١٣٧٢م ـ ط دار المعرفة ـ بيروت ـ ١٤٠٦هـ ـ ١٩٨٦م .
٤٠- تفسير غريب القرآن لابن قتيبة المتوفى سنة ٢٧٦هـ ، حققه أحمد صقر ـ ط دار الكتب العلمية ـ بيروت ـ ١٣٩٨هـ ـ ١٩٧٨م - .
٤١- التفسير والمفسرون للدكتور محمد حسين الذهبي ـ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م -.
٤٢- تهذيب سير أعلام النبلاء لشمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ - ١٣٧٤م ، هذبه أحمد فايز الحمصي ـ ط مؤسسة الرسالة - بيروت ـ ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م.
٤٣- التوحيد والنبوة والقرآن في حوار المسيحية والإسلام للدكتور السيد محمد الشاهد ـ ط المؤسسة الجامعية للدراسات -بيروت- ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م - .
٤٤- التوراة والإنجيل والقرآن لموريس بوكاي ، ترجمة مفتي لبنان الشيخ حسن خالد ـ ط المكتب الإسلامي ـ بيروت ودمشق ـ ١٤١١هـ - ١٩٩٠م - .

٤٥- ثلاث رسائل في إعجاز القرآن للخطـابي المتوفـى سـنة ٣٨٨هـ/٩٩٨م ، والرماني المتوفى سنة ٣٨٤هـ/٩٩٤م ، وعبد القاهر الجرجاني المتوفـى سـنة ٤٧١هـ/١٠٧٨م ، تحقيق محمد زغلول سلام وآخريـن ـ ط دار المعـارف ـ مصر ـ ١٣٧٦هـ و ط ١٩٧٦م - .
٤٦- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبدالله محمد بن أحمد الأنصاري القرطبي المتوفـى سنة ٦٧١هـ/١٢٧٢م ـ ط دار إحياء التراث العربي ـ بيروت ـ ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م ـ.
٤٧- جامع البيان عن تأويل آي القرآن للإمام محمد بن جرير بـن يزيـد الطـبري المتوفى ٣١٠هـ/٩٢٣م ـ ط دار الفكر - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥م - .
٤٨- جمع القرآن تأليف جون بيرتون ـ ط جامعة كمبردج ـ لندن ـ ١٩٧٧م .
٤٩- حقائق الإسلام وأباطيل خصومه لعباس محمود العقاد ـ ط دار الكتاب العربـي ـ بيروت ـ ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م - .
٥٠- حلية اللب المصون على الجوهر المكنون للشيخ أحمـد الدمنـهوري ـ ط دار الفكر ـ بيروت-.
٥١- الخالدون مائة أعظمهم محمد ، لأنيس منصـور ـ ط٧ الزهـراء للإعـلام العربي ـ القاهرة ـ ١٩٨٦م ـ .
٥٢- خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب لعبد القـادر البغـدادي ، المتوفـى سـنة ١٠٩٣هـ/١٦٨٢م ، تحقيق عبد السلام هارون ـ ط٣ مكتبة الخانجي ـ القاهرة ـ ١٩٨٩م ـ .
٥٣- دلائل الإعجاز لعبد القاهر الجرجاني المتوفـى سـنة ٤١٧هـ/١٠٧٨م ـ ط مكتبة سعد الدين - دمشق - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م -.
٥٤- ديوان الخنساء حققه الدكتور عمر فاروق الطباع ـ ط دار القلم بيروت ـ .
٥٥- ديوان حافظ إبراهيم ، حققه أحمد أمين ، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبيـاري ـ ط دار الجيل ـ بيروت ـ .
٥٦- ديوان حسان بن ثابت الأنصاري حققه الدكتور عمر فاروق الطبـاع - ط دار القلم ـ بيروت-.
٥٧- ديوان رؤبة بن العجاج ، تحقيق وليم بن الورد ـ ط٢ دار الآفـاق الجديـدة - بيروت - ١٩٨٠م-.
٥٨- ديوان عمرو بن قميئة عني بتحقيقه وشرحه خليل إبراهيم العطيـة ـ الصـادر عن وزارة الإعلام العراقية ببغداد ـ ط دار الحرية للطباعـة - ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م - .
٥٩- ديوان لبيد بن ربيعة العامري ، حققه الدكتور عمر فـاروق الطبـاع ـ ط دار الأرقم ـ بيروت ـ ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م-.

٦٠- الرحيق المختوم لصفي الرحمن المباركفوري ـ ط دار الفكر ١٤١١هـ - ١٩٩١م - .
٦١- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود الآلوسي المتوفى سنة ١٢٧٠هـ - ط دار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م - .
٦٢- ريادة الفضاء تأليف روي وورفيل نقله إلى العربية وجيه السمان - سلسلة الإنجازات الحضارية ـ ط مكتبة لبنان في انجلترا - ١٩٨٠م .
٦٣- زهر الآداب لإبراهيم بن علي الحصري القيرواني الأنصاري المتوفى سنة ٤١٣هـ/١٠٢٢م ـ ط المطبعة الرحمانية ـ مصر .
٦٤- سكان العالم الإسلامي لمحمود شاكر ـ ط مؤسسة الرسالة ـ بيروت ـ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م.
٦٥- السماء في الليل للدكتورة ماري . بروك نقله إلى العربية سعد جويجاتي وعدنان عطفة - سلسلة الإنجازات الحضارية ـ ط مكتبة لبنان في انجلترا - ١٩٨٠م-.
٦٦- سنن أبي داود لسليمان بن الأشعث الأزدي السجستاني ، المتوفى سنة ٢٧٥هـ/٨٨٨م- ط دار الجيل - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - .
٦٧- سنن النسائي لأبي عبدالرحمن أحمد بن شعيب النسائي ، المتوفى سنة ٣٠٣هـ/٩١٥م بشرح جلال الدين السيوطي ـ ط دار الحديث - القاهرة - ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م - .
٦٨- السيرة النبوية لعبد الملك بن هشام ، توفي سنة ٢١٣هـ/٨٢٨م، حققها الدكتور همام سعيد ، ومحمد بن عبدالله أبو صعيليك ـ ط مكتبة المنار - الأردن - الزرقاء ـ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م-.
٦٩- شرح المعلقات السبع لأبي عبد الله الحسين بن أحمد بن الحسين الزوزني ، توفي سنة ٤٨٦هـ/١٠٩٣م ـ ط دار الكتاب العربي - بيروت- ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م - .
٧٠- شرح شواهد المغني لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م - ط دار مكتبة الحياة - بيروت ـ .
٧١- شرح عقود الجمان في علم المعاني والبيان لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م ـ ط دار الفكر - بيروت -.
٧٢- الشعر والشعراء لأبي محمد عبد الله بن مسلم بن قتيبة الدينوري المتوفى سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ـ ط دار صادر - بيروت صورة عن طبعة مدينة ليدن بمطبعة بريل سنة ١٩٠٢م - .
٧٣- شعراء النصرانية للويس شيخو ـ ط - بيروت - ١٩٢٦م -.
٧٤- شمس العرب تسطع علي الغرب تأليف زيغريد هونكه الألمانية (أثر الحضارة العربية في أوربة) ترجمة فاروق بيضون وكمال دسوقي ، راجعه ووضع

حواشيه هارون عيسى الخوري ــ ط٢ المكتب التجـــاري للطباعــة والتوزيــع والنشر ــ بيروت ــ ١٩٦٩م ــ.
٧٥- الصاحبي لأبي الحســين أحمــد بــن فــارس بــن زكريــا المتوفــى ســنة ٣٩٠هـ/١٠٠٠م حققه أحمد صقر ــ ط عيسى البابي الحلبي ــ القاهرة ــ .
٧٦- الصحاح تاج اللغة وصحاح العربية لإسماعيل بن حماد الجوهري ، توفى ســنة ٣٩٣هـ/١٠٠٣م حققه أحمد عبدالغفور العطــار ــ ط دار العلــم للملاييــن ــ بيروت ــ ١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م ــ.
٧٧- صحيح البخاري للإمام أبي عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري المتوفــى ســنة ٢٥٦هـ/٨٧٠م ، ط دار الفكر - بيروت ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م - .
٧٨- صحيح مسلم للإمام أبي الحسين مسلم بن الحجاج النيســابوري المتوفــى ســنة ٢٦١هـ/٨٧٥م - ط دار الفكر - بيروت ــ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - .
٧٩- صحيفة الأهرام المصرية العدد المنشور في ٢ رمضان ١٤٢٠هـــ الموافــق ١٠/١٢/١٩٩٩م .
٨٠- صحيفة الثورة اليمنية العدد المنشور فــي ٢ رمضــان ١٤٢٠هـــ الموافــق ١٠/١٢/١٩٩٩م .
٨١- صحيفة الثورة اليمنية العدد المنشور في ٢٤/ذو القعدة/١٤١٩هـــ ، الموافــق ١١/٣/١٩٩٩م .
٨٢- صحيفة الشرق الأوسط ، العدد المنشور برقم ٧٣٤٩ بتاريخ ١١/١/١٩٩٩م.
٨٣- صلة القرآن باليهودية والنصرانية للدكتور فلهلم رودلف ، ترجمه عن الألمانيــة عصام الدين حفني ناصف ــ ط دار الطليعة بيروت ــ ١٩٧٤م - .
٨٤- طبقات فحول الشعراء لمحمد بن سلام الجمحي المتوفى سنة ٢٢٤هـــ/١٨٣٩م، شرحه أبو فهر محمود محمد شاكر ــ ط دار المدني ــ السعودية ــ جدة ــ .
٨٥- الظواهر الجغرافية بين العلم والقرآن للدكتور عبد العليم عبد الرحمن خضــر ــ ط الدار السعودية للنشر والتوزيع ١٤٠٧هـ ــ ١٩٨٧م - .
٨٦- عتاد الجهاد (خلاصة خمسين عاماً من البحث عن الحقيقة) للداعية أحمد ديدات نقلها إلى العربية علي الجوهري - ط دار الفضيلة - القاهرة ــ .
٨٧- العروض تهذيبه وإعادة تدوينه للشيخ جلال حنفي ، بتعليق الدكتور عبد الــرزاق محيي الدين ــ وزارة الأوقاف العراقية ــ ط مطبعــة القــانعي ١٣٩٨هـــ ــ ١٩٧٨م .
٨٨- العقد الفريد لابن عبد ربه الأندلسي المتوفى سنة ٣٢٨هـ/٩٤٠م ، حققه أحمــد أمين، وأحمد الزين ، وإبراهيم الأبياري ــ ط دار الكتاب العربــي - بــيروت - ١٣٨٤هـ- ١٩٦٥م - .
٨٩- علم التوثيق والحفظ في الوطن العربي للدكتور محمد قبيسي ــ ط دار الآفـــاق الجديدة - بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م-.

٩٠- العمدة في غريب القرآن لمكـــي بـــن أبـــي طـــالب القيســـي المتوفـــى ســـنة ٤٣٧هـ/١٠٤٥م ، حققه الدكتور يوسف عبد الرحمن المرعشلي ـ ط مؤسســـة الرسالة ـ بيروت - ١٤٠٤هـ- ١٩٨٤م-.
٩١- غاية النهاية في طبقات القراء لابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـــــ/١٤٢٩م عني بطبعه ج. برجستراسر - ط٣ دار الكتب العلمية - بيروت ـ ١٤٠٢هـــ - ١٩٨٢م - .
٩٢- غريب الحديث لأبي عبيد القاسم بن سلام الهروي المتوفى سنة ٢٢٤هـــ/٨٣٨م - ط دار الكتاب العربي - بيروت -١٣٩٦هـ - ١٩٧٦م - .
٩٣- غريب القرآن (في أسئلة لعبد الله بن عباس) عرض وتعليق محمد إبراهيم سليم ـ ط مكتبة القرآن ـ القاهرة ـ .
٩٤- غريزة أم تقدير إلهي لشوقي أبو خليل ـ ط دار الفكر ـ دمشق ـ ١٤٠٤هـــ - ١٩٨٧م - .
٩٥- الفاضل لأبي العباس محمد بن يزيد المبرد المتوفى سنة ٢٨٥هـ / ٨٩٨م حققه الميمني - القاهرة ـ ١٩٥٦م ـ .
٩٦- فتح الباري بشرح صحيح البخاري لابـــن حجـــر العســـقلاني المتوفـــى ســـنة ٨٥٢هـ/١٤٤٩م ـ ط٤ المكتبة السلفية ـ القاهرة ـ ١٤٠٨هـ.
٩٧- فتوح البلدان لأحمد بن يحيى البلاذري المتوفى سنة ٢٧٩هـ ٨٩٢م ـ ط لجنـــة البيان العربي - ١٩٥٧م - .
٩٨- فصول في فقه العربية للدكتور رمضان عبد التواب ـ ط١٣ مكتبة الخـــانجي ـ القاهرة - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م - .
٩٩- فنون الأفنان في عيون علوم القرآن لأبي الفرج عبدالرحمـــن ابـــن الجـــوزي المتوفى سنة ٥٩٧هـ/١٢٠٠م ، حققه الدكتور حسن ضياء الدين عـــتر ـ ط دار إحياء التراث العربي - بيروت ـ .
١٠٠- الفوائد المشوق إلى علـــوم القـــرآن لابـــن القيـــم الجوزيـــة المتوفـــى ســـنة ٧٥١هـ/١٣٥٠م - ط دار الكتب العلمية - بيروت - .
١٠١- فوات الوفيات لمحمد بن شاكر الكتبي ، توفي سنة ٧٦٤هـ/١٣٦٢م ، حققـــه الدكتور إحسان عباس ـ ط دار صادر ـ بيروت ـ ١٩٧٣م - .
١٠٢- في ظلال القرآن لسيد قطب ـ ط دار الشروق - بـــيروت - ١٤٠٢هـــ - ١٩٨٢م - .
١٠٣- قاموس الكتاب المقدس لبطرس عبدالملك والدكتور جون الكســـاندر طمســـن والأستاذ إبراهيم مطر - نخبة من الأساتذة ومن اللاهوتيين- ط مكتبة المشـعل- بيروت- بإشراف رابطة الكنائس الإنجيلية في الشرق الأوسط ١٩٨١م-.
١٠٤- القرآن : نزوله ، تدوينه ، ترجمته وتأثيره تأليف ريجـــي بلاشـــير ـ ط دار الكتاب اللبناني - ١٩٧٤م .

١٠٥- قضايا قرآنية في الموسوعة البريطانية للدكتور فضل حسن عباس ــ ط دار البشير ــ الأردن ــ عمّان ــ ١٤٠٨هــ - ١٩٨٨م - .
١٠٦- القواعد الأساسية للغة العربية للسيد أحمد الهاشمي ، ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ .
١٠٧- قواعد الإملاء تأليف عبد السلام محمد هارون ــ ط مكتبة الأنجلو المصرية ــ ١٩٨٥م - .
١٠٨- كتاب المصاحف لابن أبي داود السجستاني المتوفى سنة ٣١٦هـ/٩٢٩م - ط دار المعرفة ــ بيروت ــ .
١٠٩- كتاب المعاني الكبير لابن قتيبة الدنيوري ، توفي سنة ٢٧٦هـ/٨٨٩م ــ ط دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤٠٥هــ - ١٩٨٤م - .
١١٠- الكتاب المقدس ــ العهد القديم ، العهد الجديد ــ النسخة البروتستنتية ــ ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط.
١١١- الكتاب المقدس ــ العهد القديم ، العهد الجديد ــ جمعية الكتاب المقدس ــ ط دار الكتاب المقدس في الشرق الأوسط ــ ١٩٨٦م-.
١١٢- الكشاف عن حقائق التنزيل لمحمود بن عمر الزمخشري المتوفى سنة ٥٣٨هـ/١١٤٣م ــ ط مصطفى البابي الحلبي -القاهرة-.
١١٣- لسان العرب لابن منظور ، المتوفى ٧١١هـ/١٣١١م ــ ط مؤسسة التاريخ العربي ودار إحياء التراث العربي - بيروت - ١٤١٣هــ - ١٩٩٣م-.
١١٤- الله جل جلاله للأستاذ سعيد حوى ــ ط دار السلام ــ القاهرة ــ ١٤٠٥هــ - ١٩٨٥م .
١١٥- الله والعلم الحديث لعبد الرزاق نوفل ــ ط الناشرون العرب بمطابع دار الشعب ــ القاهرة ــ.
١١٦- الله يتجلى في عصر العلم تأليف نخبة من العلماء الأمريكيين- أشرف على تحريره جون كلوفر مونسيما ــ ترجمة الدكتور الدمرداش عبدالمجيد سرحان ــ ط دار القلم - بيروت-.
١١٧- مباحث في علوم القرآن للدكتور صبحي الصالح ــ ط دار العلم للملايين - بيروت - ١٩٧٧م-.
١١٨- مباحث في علوم القرآن لمناع القطان ــ ط مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ .
١١٩- مجاز القرآن لأبي عبيدة معمر بن المثنى التميمي المتوفى سنة ٢١٠هـ/٨٢٥م ، تحقيق محمد فؤاد سزكين ــ ط٢ مؤسسة الرسالة ــ بيروت ــ ١٤٠١هــ - ١٩٨١م-.
١٢٠- مجلة أطلال حولية الآثار العربية السعودية العدد الثالث عشر- الرياض - تاريخ ١٤١١هــ - ١٩٩٠م - .

١٢١- مجلة اتلانتك مونثلي ــ مقالة توبي لستر ــ المجلة صادرة في واشنطن ــ عدد يناير ١٩٩٩م ــ ترجمة الأستاذ شاكر نصيف .
١٢٢- مجلة الآشوريات - صدرت في برلين لسنة ١٩٢١م-.
١٢٣- مجلة الشريعة والدراسات الإسلامية الجامعية الكويتية العدد السادس والثلاثون ــ الكويت ــ شعبان ١٤١٩هـ ، ديسمبر ١٩٩٨م - .
١٢٤- مجلة المورد المجلد الخامس عشر العدد الرابع - العراق - شتاء ١٩٨٦م-.
١٢٥- مجمع الزوائد ومنبع الفوائد لنور الدين علي بن أبي بكر الهيثمي المتوفى سنة ٨٠٧هـ/١٤٠٤م ــ ط دار الريان للتراث ــ القاهرة ــ ودار الكتاب العربي ــ بيروت ــ ١٤٠٧هـ-١٩٨٧م ــ .
١٢٦- مدخل إلى القرآن الكريم للدكتور / عبدالله دراز ــ ط دار القلم - بيروت ــ ١٩٧١م - .
١٢٧- المدخل الفقهي للأستاذ مصطفى الزرقا ــ ط دمشق ــ ١٣٧١هـ- ١٩٥٢م.
١٢٨- مذاهب التفسير الإسلامي تأليف اجنتس كولد تسيهر ــ ط٢ دار اقرأ - بيروت ــ ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م - .
١٢٩- مذكرات في علم الحيوان الزراعي تأليف الأستاذ الدكتور أحمد عبدالسلام فرحان والأستاذ الدكتور السيد أبو المعاطي السيد والأستاذ الدكتور عبد الغني عنتر ــ ط كلية الزراعة بجامعة القاهرة ــ ١٩٩٧م -.
١٣٠- المزهر في علوم اللغة وأنواعها لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ/١٥٠٥م ، حققه محمد جاد المولى بك ، ومحمد أبو الفضل إبراهيم ، وعلي محمد البجاوي ــ ط المكتبة العصرية ــ لبنان ــ صيدا وبيروت ــ ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
١٣١- المستدرك على الصحيحين لأبي عبدالله محمد بن عبدالله الحاكم النيسابوري المتوفى سنة ٤٠٥هـ/١٠١٤م ــ ط دار الكتب العلمية ــ بيروت ــ ١٤١١هـ-١٩٩٠م .
١٣٢- المستشرقون لنجيب العقيقي ــ ط٤ دار المعارف -القاهرة-.
١٣٣- المسيح في الإسلام لأحمد ديدات تعريب علي الجوهري ــ ط دار الفضيلة - القاهرة ــ ١٩٨٨م - .
١٣٤- المسيحية للدكتور أحمد شلبي من سلسلة مقارنة الأديان ــ ط٨ مكتبة النهضة المصرية - القاهرة ــ ١٩٨٤م -.
١٣٥- المسيحية وديانات العالم تأليف هانس كونج (Hains kung) وآخرون ــ ط دار بيبر (Piper) للنشر ــ ألمانيا ــ ميونخ- ١٩٨٤م - وطبع في فيينا- .
١٣٦- مصاحف صنعاء مقالات للسيدة حصة صباح السالم الصباح والقاضي إسماعيل الأكوع وجيرد بوئن وغيرهم ، صدر عن المتحف الوطني في الكويت ــ ط دار الآثار الإسلامية في الكويت - ١٤٠٥هـ - ١٩٨٤م- .

١٣٧- مصادر الإسلام تأليف كلير تسدال ـ طبعة الهند - .
١٣٨- مصادر طرق تفسير النصوص القرآنية تأليف ج. فانسبرف ـ ط مطابع اكسفورد- .
١٣٩- المصنف في الأحاديث والآثار للحافظ عبدالله بن محمد بن أبي شيبة المتوفى سنة ٢٣٥هـ/٨٥٠م - ط دار الفكر -بيروت- ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م - .
١٤٠- معترك الأقران في إعجاز القرآن لجلال الدين السيوطي المتوفى سنة ٩١١هـ - تحقيق علي البجاوي ـ ط دار الفكر العربي - .
١٤١- معجم الأدباء لأبي عبدالله ياقوت بن عبدالله الحموي الملقب بشهاب الدين المتوفى سنة٦٢٦هـ/١٢٢٩م ـ ط دار الفكر ـ بيروت - ١٤٠٠هـ- ١٩٨٠م - .
١٤٢- معجم البلدان لياقوت الحموي ـ ط دار ليزار.
١٤٣- معجم الشعراء للدكتور عفيف عبدالرحمن ـ ط دار المناهل - بيروت - ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م-.
١٤٤- معجم المؤلفين لعمر رضا كحالة ـ ط مؤسسة الرسالة- بيروت - ١٤١٤هـ -١٩٩٣م - .
١٤٥- المعجم الوسيط ـ للدكتور إبراهيم أنيس والدكتور عبد الحليم منتصر وعطية الصوالحي ومحمد خلف الله أحمد ـ ط٢ مجمع اللغة العربية ـ القاهرة ـ ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م.
١٤٦- معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار لشمس الدين أبي عبدالله محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي المتوفى سنة ٧٤٨هـ/١٣٤٧م ، حققه بشار عواد معروف وشعيب الأرناؤوط وصالح مهدي عباس - ط مؤسسة الرسالة - بيروت - ١٤٠٨هـ - ١٩٨٨م -.
١٤٧- مفردات ألفاظ القرآن للراغب الأصبهاني المتوفي سنة ٥٠٢هـ /١١٠٨م ـ ط مكتبة الأنجلو المصرية ـ .
١٤٨- المفردات الأجنبية في القرآن تأليف آرثر جفري ـ ط المعهد الشرقي بارودا.
١٤٩- مقدمة القرآن تأليف دبليو مونتجمري واط ـ الكتاب الثامن من سلسلة دراسات مسيحية إسلامية ـ المطبعة الجامعية إدنبره- .
١٥٠- مقدمة القرآن تأليف ريجي بلاشير ـ طبع في باريس سنة ١٩٨٥م-.
١٥١- المقنع في رسم مصاحف الأمصار لأبي عمرو الداني المتوفى سنة ٤٤٤هـ/١٠٥٢م ـ تحقيق أحمد صادق القمحاوي ـ ط مكتبة الكليات الأزهرية ـ القاهرة .
١٥٢- الملل والنحل لأبي الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني المتوفى سنة ٥٤٨هـ/١١٥٣م ـ ط دار المعرفة- بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م - .

١٥٣- من روائع حضارتنا للأستاذ الدكتور مصطفى السباعي ـ ط المكتب الإسلامي- دمشق وبيروت ـ ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م.
١٥٤- مناهل العرفان في علوم القرآن لمحمد عبد العظيم الزرقاني ـ ط دار الكتب العلمية -بيروت -١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م -.
١٥٥- منجد المقرئين ومرشد الطالبين لابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م ـ ط دار الكتب العلمية -بيروت - ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م .
١٥٦- المورد (قاموس - إنجليزي عربي) ـ تأليف الأستاذ/ منير بعلبكي ـ ط دار العلم للملايين ـ بيروت ـ ١٩٨٧م ـ .
١٥٧- موسوعة الكتاب المقدس في الميزان ـ التوراة ـ للدكتور عابد توفيق الهاشمي ـ مخطوط بيد المؤلف ـ .
١٥٨- موسوعة المستشرقين للدكتور عبدالرحمن بدوي ـ ط دار العلم للملايين ـ بيروت -.
١٥٩- النبأ العظيم للدكتور محمد عبدالله دراز ، قدم له عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ـ ط دار إحياء التراث الإسلامي -قطر- ١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م- .
١٦٠- نحو تقويم جديد للكتابة العربية للأستاذ الدكتور طالب عبدالرحمن من سلسلة كتاب الأمة رقم ٦٩ ـ قطر-الدوحة -.
١٦١- النزعة المنطقية في النحو العربي للدكتور فتحي عبد الفتاح الدجني ـ ط وكالة المطبوعات - الكويت - .
١٦٢- النشر في القراءات العشر لابن الجزري المتوفى سنة ٨٣٣هـ/١٤٢٩م ـ ط دار الفكر - بيروت ـ .
١٦٣- النهاية في غريب الحديث والأثر لمجد الدين المبارك بن محمد الجزري المشهور بابن الأثير المتوفى سنة ٦٠٦هـ/١٢٠٩م حققه طاهر أحمد الزاوي ومحمود محمد الطناجي ـ ط دار الفكر - بيروت ـ .
١٦٤- الوسيط في علم الأديان ـ النصرانية ـ للدكتور عابد توفيق الهاشمي ـ ط دار الفكر المعاصر - اليمن - صنعاء - ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م - .
١٦٥- الوسيط في علم الأديان ـ اليهودية ـ للدكتور عابد توفيق الهاشمي ـ ط دار الفكر المعاصر ـ اليمن ـ صنعاء- ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م .
١٦٦- وعود الإسلام لروجيه غارودي ترجمة ـ د / ذوقان قرقوط ـ مكتبة الوطن العربي ـ القاهرة وبيروت ـ ١٩٨٤م -.
١٦٧- وفيات الأعيان لشمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان المتوفى سنة ٦٨١هـ/١٢٨٢م حققه إحسان عباس ـ ط دار صادر - بيروت - ١٩٧٠م-.

المراجع الأجنبية :

1. Atlantic Monthly, What is the koran? By Toby Lister. January / 1999
2. Acourse in Modern Lingnistics charles 7 Hocket. Oxfort and IBH Pnblishing Co. Pvt LTD. New Delhi 1970.
3. The Quranic Art of Calligraphy and I llumation Martin Lings First published 1976.

Published and produced by the world of Islam festival Trust.
Filmset and printed in England by Wester ham press ltd,
Westerham, kent.



فهرس المحتويات

للمؤلف:

- تفسير من نسمات القرآن — القاهرة ١٩٨٦
- تفسير من نفحات القرآن — يصدر قريباً إن شاء الله
- السلسلة الإسلامية العلمية المقارنة :

١. إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى "القسم الأول" — صنعاء ١٩٩٩
٢. إعجاز القرآن وأسماء الله الحسنى "القسم الثاني" — يصدر قريباً إن شاء الله
٣. كتاب الله في إعجازه يتجلى — صنعاء ٢٠٠١
٤. محمد رسول الله ﷺ يخاطب عصرنا الحديث — يصدر قريباً إن شاء الله
٥. الإسلام يملك أرقى التشريعات في العالم — يصدر قريباً إن شاء الله

هذا الكتاب

يدل على أن إعجاز القرآن هو السبيل إلى المرتكز الايماني الذي ينطلق الانسان على أساسه لامتثال أوامر الله تعالى في منهجه القرآني..

ومن نعم الله تعالى على الانسان تنوع إعجاز القرآن.

فإعجاز القرآن العلمي والبياني والتأثيري والتاريخي والعقدي أنواع للإعجاز، ولايمكن للإنسان المنصف إلا أن يستوعبها كلها أو بعضها، وبذلك تتجلى عالمية دعوة القرآن والإسلام.

لقد بحث هذا الكتاب في أربعة أنواع لإعجاز القرآن على أساس من الأصالة والمعاصرة.

ورد هذا الكتاب على بعض الغربيين الذين حاولوا إسقاط إعجاز القرآن وخاصة الذين كتبوا في مجلة (اتلانتك مونثلي) الصادرة في واشنطن في يناير عام ١٩٩٩م.

كل ذلك بدراسات مقارنة علمية تثبت إعجاز القرآن الكريم فانقلب السحر على الساحر من فضل الله سبحانه وتعالى.

المؤلف

مركز عبادي للدراسات والنشر
صنعاء
الجمهورية اليمنية